وَاحَةُ الصَّالِحِينَ



الدكتور محمد عمر الحاجي



واحة الصالحين

تقديم

الأستاذ محمد راتب النابلسي

دار المكتبي

الطبعة الثالثة

1430هـ - 2009م

منقحة ومعدلة

دار المكتبي

للطباعة والنشر والتوزيع

www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا

ص. ب. ٣١٤٢٦ هاتف ٢٢٤٨٤٣٣ فاكس ٢٢٤٨٤٣٢

e-mail: almaktabi@mail.sy

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم
الأستاذ الداعية محمد راتب النابلسي

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين المبعوث رحمة للعالمين .

وبعد . . . فقد تمنّى عليّ الأخ الكريم الأستاذ **محمد غياث مكتبي** صاحب « **دار المكتبي** » للطباعة والنشر والتوزيع أن ألقي نظرة على كتاب « واحة الصالحين » لمعدّه الأستاذ الفاضل « **محمد عمر الحاجي** » وأن أبديَ رأياً في أصل موضوعه فكان بعض الذي أراد .

الحقيقة أن المبادىء الاعتقادية السامية ، والقيم الأخلاقية الرفيعة . . . لا تعيش إلا بالمثل الحيّ . . . « إن مثلاً واحداً أنفع للناس من عشرات المجلدات ، لأن الأحياء لا تصدق إلا المثل الحيّ ، لهذا كان النبي الواحد بمثله الخلقي الحيّ ، وجهاده الدؤوب ، أهدى للبشرية من آلاف الكتّاب ، الذين ملؤوا بالفضائل والحكم ، بطون المجلدات » .

إن أكثر الناس يستطيعون الكلام عن المثل العليا ، ولكنهم لا يستطيعون أن يعيشوها ؛ لهذا كان الأثر الذي تركه الأنبياء ـ إن في قوته ، أو اتساع رقعته ، أو في امتداد أثره ـ معجزةً أو ما يشبه المعجزة .

والقصة . . . تعدُّ من أهم الأُطُر الأدبية في التعبير ، ومن أوسعها انتشاراً ، ومن أقربها إلى النفس الإنسانية ؛ وذلك لقدرتها على التغلغل

في أعماق النفس البشرية ، ولقدرتها على تصوير الإنسان في إرتفاعه وانحطاطه ، في قوته وضعفه . ولقدرتها على نقل صورة صادقة عن المجتمع البشري في تماسكه وتفتته ، في رقيه وانحداره .

ولقد أشار القرآن الكريم إلى أثر القصة في التعبير والتوجيه فقال تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف : ١١١] .

وأشار ثانية إلى أثر القصة في الإقناع والتثبيت فقال تعالى :

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ [هود : ١٢٠] .

ذلك أن المبادىء ، حينما يجسّدها سلوك بشري ، تغدو واقعية مقنعة ، لهذا قيل : القصة حقيقة مع البرهان عليها .

بقي أن نشير إلى أنه عند ذكر الصالحين ، تتنزّل الرحمات ، فالمرء حينما يقرأ أخبار الصالحين ، يشعر بأن الإنسان هو المخلوق الأول ، والمخلوق المكرم ، وأنه حينما ينضبط بالمبادىء والقيم ، ويخرج من دائرة ذاته ، ليسهم في إسعاد الآخرين ، يستحق رحمة ربّه التي هي أثمن ما يصل إليه الإنسان ﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف : ٣٢] .

وفي قراءة أخبار الصالحين حَفزٌ للقارىء على أن يكون صالحاً لينال رحمة الله التي هي غاية كل مخلوق وما ينالها ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [هود : ١١٩] .

محمد راتب النابلسي

أستاذ محاضر في كلية التربية بجامعة دمشق

خطيب جامع الشيخ عبد الغني النابلسي

مدرس ديني في مساجد دمشق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

اللهمَّ لك الحمد حمداً يوافي نعمك ويُكافىء مزيدك ، نحمدك بجميع محامدك ما علمنا منها وما لم نعلم ، ونشكرك على جميع نعمك ما علمنا وما لم نعلم ، على كل حال .

اللهمَّ صلِّ صلاةً دائمة على عين الأعيان ، سيد ولد آدم ، خاتم النبيين والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهداه ، فأخذ ما آتاه ، وانتهى عمّا نهاه ، وبعد ؛

فمن المعروف عن طلاب العلم أنهم يقيّدون ما يجدونه من فوائد متناثرة في أثناء مطالعاتهم ، في كرّاسٍ صغير ، أو أوراق متناثرة ، وكان علماؤنا ـ جزاهم الله عنّا كل خير ـ يقدِّمون لنا الوصايا ، التي منها : (قيِّدوا العلم بالكتاب) .

ذلك لأن الإنسان وهو يتنقَّلُ من عالم إلى آخر ضمن عوالم المعرفة ، لا بدَّ أن ينسى الكثير مما حفظ ، وما أجمل قول الإمام علي ـ كرَّم الله وجهه ـ :

رأيتُ العقلَ عقلين ... فمطبوعٌ ومسموعُ
ولا ينفعُ مسموعٌ ... إذا لمْ يكُ مطبوعُ

كمـــا لا تنفـــعُ الشَّمـــسُ   وضَـــوْءُ العيـــنِ ممنـــوعُ!!

وهكذا منذ جلوسي على مقاعد الدراسة الأولى ، وأنا أكتب ما أجده جميلاً ونافعاً لي ولغيري ، وتجمَّع لدي قدر كبيرٌ ومتنوِّعٌ : عن الأخلاق والشِّعر الجميل الهادف ، إلى الكلام اللُّغوي المختصر في فنون الحديث والتفسير والعربية والفقه ، والقصص التاريخية المفيدة ، كل ذلك بثوبٍ أدبيٍّ هادف . . .

ولما قطعتُ مسافة كبيرة في ذلك ، وجدتُّني مضطرّاً للرجوع إلى تلك الأشياء التي جمعتُها من هنا وهناك ، وبالفعل أخذ مني الأمر كثيراً وكثيراً ، فالأمر اليوم قد اختلف عن الوقت الذي كنت أجمع فيها تلك الأشياء ، فأنا الآن بحاجة إلى ذكر المصدر والصفحة وتخريج الآيات والأحاديث ، وكان هذا من توفيق الله وفضله .

والذي شجعني هو ما وجدته في تراثنا الأدبي الزاخر من أمورٍ كهذه ، كما في كتاب (الأمالي : لأبي علي القالي) ، و(الكامل : للمبرد) ، و(الحيوان : للجاحظ) وكذلك (البيان والتبيين) وغيرها . . .

لكن ما هو الهدف من هذه الأمور ؟

١ ـ لا بدَّ من نشر الثقافة العربية الأصيلة والإسلامية الصافية ، ولا بدَّ من التذكير ـ لجميع المثقفين وعلى مختلف طبقاتهم ـ بما في تراثنا الإسلامي من غذاء روحيٍّ وفكريٍّ عظيم ، ولا بدَّ من توجيه الأنظار إلى ما تحلَّى به الأجداد من الأخلاق الفاضلة الكريمة ، والآداب الحميدة ، كي ينشأ الجيل اليوم على ما كان عليه أجداده . . . ولا بدَّ من تسليط الأضواء الكاشفة على علومنا الإسلامية المختلفة : من فقه وأخلاق وعقيدة وآداب وقصص وأمور تاريخية ، ولفتات قرآنية بارعة لما في النفس والكون . .

٢ ـ وفي خِضمِّ الضغوطات المادية التي يعاني منها الجيل اليوم ، من

جرَّاء ما أتاه من زيفٍ حضاريٍّ برَّاقٍ من هناك ، ومن خلال ضعف شخصياتنا أمام التقدم الذي حقَّقوه هناك ، لا بدَّ من العودة إلى الجذور ، لنعلم كيف كان الأجداد ، كيف سادوا على الدنيا كلها ، كيف حطَّموا أعظم الإمبراطوريات وقتها ، كيف كان هارون الرشيد يرسل إلى قيصر الروم يومها قائلاً :

« من أمير المؤمنين هارون إلى كلب الروم نقفور ! ! » .

كيف كانوا أعزَّاء ؟ كيف كانوا لا يخافون أي شيء في الوجود ؟؟

ولكي نتعرَّف ذلك كله ، لا بدَّ من العودة إلى التاريخ السامق فنقرأه ، ونتدبَّر ما كان فيه ، ونرفع الرؤوس عالياً بما كنّا يوماً من الأيام نرفع ألوية الحضارة ، بينما كانت أوربا تنام في ظلامٍ عميق ، ذلك لأننا وقتها كنّا كما قال الفاروق عمر رضي الله عنه : « نحن قوم أعزَّنا الله بالإسلام ، ومهما ابتغينا العزَّة بغيره أذلَّنا الله » .

إذاً لا بدَّ من ربط حاضرنا بماضينا ، ولا بدَّ أن نعيد تلك الأمجاد الرائعة ، لا بدَّ أن نعيد الأمور إلى ما كانت عليه : حضارة مادية تحت ظلِّ الإسلام الروحي ، فلا تسلُّط للمادة على الروح ، بل روحٌ وجسدٌ يسيران معاً تحت مِظلَّة إعمار هذا الكون ، وإرضاء الخالق عز وجل .

٣ ـ أيضاً من الأهداف لهذا الكتاب وأمثاله : هو الترويح عن النفس بما يشبه الهزل وليس بالهزل ، لكن قد يعترض علينا المتشددون ليقولوا : هذا لا يسمح به الإسلام ! ! لكن جوابنا هو أن أبا داود روى عن ابن شهاب الزهري . . عن النَّبي ﷺ قال : « روِّحوا القلوب ساعة فساعة » وفي رواية « يا حنظلة ! ساعة وساعة » .

وقال سيدنا علي ـ كرَّم الله وجهه ـ :

« أجمُّوا هذه القلوب (أريحوها) والتمسوا لها طرف الحكمة ، فإنها

تملّ (تكلّ) كما تملُّ الأبدان ، والنَّفس مُؤْثِرة للهوى ، آخِذَة بالهُوَيْنى ، جانحة إلى اللَّهو ، أمَّارة بالسُّوء ، مستوطنة للعجز ، طالبة للرَّاحة ، نافرة عن العمل ، فإن أكرهْتَها أنضَيْتَها (أتعبتها وأبليتها) وإن أهملتها أردَيْتَها » .

وهذا أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ يقول :

« إني لأجمُّ فؤادي ببعض الباطل لأنشُطَ للحقِّ : (باللَّهو الجائز) » .

أما بكر المزني ـ رحمه الله ـ فكان يقول :

« لا تكدُّوا هذه القلوب (لا تشتدوا عليها) ولا تهملوها ، وخير الكلام ما كان عقيب جمام ، ومن أكره بصره عشي (ضعف) ، وعاودوا الفكرة عند نبوات القلوب ، واشحذوها بالمذاكرة ، ولا تيأسوا من إصابة الحكمة إذا امتحنتم ببعض الاستغلاق ، فإن من أدمن قرع الباب ولج » .

ولعلمائنا ـ رحمهم الله ـ أقوالٌ في ذلك ، حتى إن العمالقة منهم ألَّفوا كتباً في ذلك كالأبشيهي في كتابه (المستطرف في كل فنٍّ مستظرف) .

إذاً : كان المصطفى ـ صلوات الله عليه ـ يمزح ، لكن ضمن خطٍّ صحيح معتدل ، من ذلك قوله فيما رواه الطبراني : « إني لأمزح ولا أقول إلاَّ حقّاً » .

إنها سياسةٌ لا تفريط فيها ولا إفراط ، مزاحٌ لترويح النفس وتنشيط القلب والعقل ، ليس مزاحاً من أجل المزاح نفسه ، وليس مزاحاً من أجل إضاعة الوقت الثمين ، والسيرة النبوية مليئة بذلك .

أما ما يفعله الناس اليوم ـ تحت غطاء الدين ـ من أن يتحرَّجوا من المزاح والدعابة الهادفة الصادقة والمحتشمة ، متظاهرين بالخشوع والوقار ! ! فهذا مرض نفسي ناشىء عن جفافٍ في الروح ، وعن انحراف في المزاج . . .

والخوف من هؤلاء : أن يتظاهروا بذلك ، وإذا خلوا إلى أصدقائهم تجدهم قد خلعوا قناع الوقار والخشوع لتظهر حقائقهم عكس ذلك . . . !!

ديننا دين الوسطية في كلِّ شيء ، دين اللِّين ، دين الاعتدال ، فمن أبى فليجد شرعاً غير هذا الشرع ، ومن أراد منّا أن نتزمَّت ، وأن نكون عبوسي الوجه فهذا عكس ما كان عليه رسول الله ﷺ .

بعد هذا لا بدَّ من الاعتراف بالتقصير ، فإن وجدت ذلك ـ أخي القارىء ـ فاعلم أن ذلك عائد إلى نفسي الأمَّارة بالسُّوء ، وإن وجدت غير ذلك فاعلم أن الفضل والمنَّة لله ، لأنه هو مصدر التوفيق والإلهام .

سائلاً المولى لي ولجميع المسلمين التوبة الصادقة ، والإخلاص في القول والعمل ، وأن ينير الدرب أمامنا ، وأن يكتب ذلك في صحائفنا ، وأن يعطِّفَ قلب حبيبنا محمد ﷺ علينا .

ـ إنه على ما يشاء قدير ـ

والحمد لله رب العالمين

دمشق ١ رمضان المبارك ١٤١٤ هـ

أبو عمر

ما هي أسماء الجنة ؟[1]:

١ـ **الجنة** : وأصل اشتقاقه من الستر والتغطية ، والمقصود به : موضع كثير الأشجار كما في قوله تعالى : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ [المجادلة : ١٦] .

٢ـ **دار السلام** : ﴿ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [الأنعام : ١٢٧] ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [يونس : ٢٥] وهي أحق بهذا الاسم ، فإنها دار السلامة من كل بليَّة وآفة ومكروه .

٣ـ **دار الخلد** : وتسمى كذلك لأن أهلها لا يظعنون عنها أبداً ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود : ١٠٨] ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ [الرعد : ٣٥] ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ [ص : ٥٤] .

٤ـ **دار المقامة** : دار الإقامة ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [فاطر : ٣٥] .

٥ـ **جنة المأوى** : قال مقاتل : هي جنة تأوي إليها أرواح الشهداء ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات : ٤٠ـ٤١] .

٦ـ **جنات عدن** : وهو اسم لجملة الجنان : ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [مريم : ٦١] ﴿ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ﴾ [الصف : ١٢] .

٧ـ **دار الحيوان** : وسميت كذلك لأنها الدار التي لا تفنى ولا تنقطع ولا تبيد كما يفنى الأحياء في دار الدنيا : ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ [العنكبوت : ٦٤] .

---

(١) للتوسع راجع : (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح) لابن القيم : ٩٦ .

٨ـ الفردوس : وهو اسم يقال على جميع الجنة ، وقيل على أفضلها وأعلاها : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠ـ١١] .

٩ـ جنات النعيم : اسم جامع لجميع أنواع النعيم في الجنان من مأكول ومشروب وملبوس ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [لقمان : ٨] .

١٠ـ المقام الأمين : وهو موضع الإقامة الآمن من كل سوء وآفة ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ [الدخان : ٥١] .

١١ـ مقعد الصدق : المقعد الحسن ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر : ٥٤ـ٥٥] .

❊ ❊ ❊

الفاروق عمر يشتري ظلامة!!

جاء في كتاب (حياة الحيوان) ما نصُّه :

لما رجع سيدنا عمر رضي الله عنه من الشام إلى المدينة انفرد إلى الناس يتعرَّف أخبار رعيَّته ، فمرَّ بعجوز في خبائها فقصدها ، فقالت : يا هذا ما فعل عمر ؟

قال : قد أقبل من الشام سالماً .

فقالت : لا جزاه الله عنِّي خيراً ، قال : ولِمَ ؟

قالت : لأنه والله ما نالني من عطائه منذ ولي أمر المؤمنين دينارٌ ولا درهم .

فقال : وما يدري عمر بحالك وأنت في هذا الموضع ؟

فقالت : سبحان الله ، والله ما ظننت أن أحداً يلي على الناس ولا يدري ما بين مشرقها ومغربها ، فبكى عمر وقال : واعُمراه! كل أحدٍ أفقه منك يا عمر! ثم قال لها : يا أَمَةَ الله ، بكم تبيعيني ظلامتك من عمر فإني أرحمه من النار ؟ .

فقالت : لا تهزأ بنا يرحمك الله ، فقال : لست بهزَّاء ، فلم يزل بها حتى اشترى منها ظلامتها بخمسة وعشرين ديناراً ، فبينما هو كذلك إذ أقبل عليُّ بن أبي طالب وابن مسعود فقالا : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فوضعت العجوز يدها على رأسها وقالت : واسوأتاه ، واخجلتاه ، شتمت أمير المؤمنين في وجهه!!

فقال لها عمر : لا بأس عليك ، رحمك الله ، ثم طلب رقعة يكتب فيها فلم يجد ، فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولي إلى يوم كذا وكذا بخمسة وعشرين ديناراً ، فما تدَّعي عند وقوفه في المحشر بين يدي الله تعالى ، فعمر منه بريء ، شهد على ذلك علي بن أبي طالب وابن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ ثم دفع الكتاب إلى ولده وقال :

إذا أنا متُّ فاجعله في كفني ألقى به ربي . . .[1] .

* * *

---

(١) من حياة الحيوان للدميري : ١/ ٧٣ .

عبد الله وآمنة :

روى الخرائطي بسنده المتصل إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال :

لما انطلق عبد المطلب بابنه عبد الله ليزوجه ، مرَّ به على كاهنة من أهل تبالة متهوِّدة قد قرأت الكتب ، يقال لها : فاطمة بنت مر الخثعمية ، فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت : يا فتى هل لك أن تقع عليَّ الآن وأعطيك مئة من الإبل ؟ فقال عبد الله :

أما الحرام فالممات دونه ... والحلُّ لا حلَّ فأستبينه

فكيف بالأمر الذي تبغينه ... يحمي الكريمُ عرضه ودينه

ثم مضى مع أبيه فتزوج آمنة وأقام عندها ثلاثاً ، ثم إن نفسه دعته إلى ما دعته إليه الكاهنة ، فأتاها فقالت : ما صنعت بعدي ؟ فأخبرها ، فقالت : والله ما أنا بصاحبة ريبة ولكني رأيت في وجهك نوراً فأردت أن يكون فيَّ ، وأبى الله إلا أن يجعله حيث أراد ، ثم أنشأت فاطمة تقول :

إني رأيتُ مخيلةً لمعت ... فتلألأت بحناتم القَطْر[1]

فلمأتُها نوراً يضيء له ... ما حوله كإضاءة البدر[2]

ورجوتها فخراً أبوءُ به ... ما كل قادح زنده يوري

لله ما زهريةٌ سلبت ... ثوبيك ما استلبت وما تدري

* * *

(١) الحناتم : السحائب السود .

(٢) لمأ : اشتمل .

الصبر... الصبر!!

شيء غريب حينما نعلم أنَّ الله سبحانه وتعالى قد كرر الأمر لحبيبه محمد ﷺ بالصبر عشرين مرة في القرآن الكريم ، واللافت للنظر أن ذلك كله كان في العهد المكّي : حيث الفتنة والاضطهاد وقلَّة الأتباع ، وعنف المشركين وافتنانهم بأنواع الأذى ، من ذلك قوله تعالى :

﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [يونس : ١٠٩] .

ثم بعد أن قصَّ عليه قصة نبينا نوح عليه السلام قال له :

﴿ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود : ٤٩] .

ثم يحدِّثه عن طائفةٍ ممّا حدث بين الأنبياء وأقوامهم وبعدها يقول تعالى :

﴿ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [هود : ١١٥] .

ثم يبيِّن له كيفية التعامل مع الأعداء :

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾

[النحل : ١٢٦-١٢٨] .

ثم يأتي في سورة الكهف قوله تعالى :

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ [الكهف : ٢٨] .

وفي ختام سورة الروم يقول تعالى :

﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم : ٦٠] .

ثم يعلِّمه مثالاً عملياً للذين سبقوه من الرسل :

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [الأحقاف : ٣٥] .

ثم يطمئنه بعد الصبر ويعطيه مكانته الرفيعة :

﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [الطور : ٤٨] .

* * *

من إخراجات ابن أبي الدنيا :

● أخرج ابن أبي الدنيا عن أسلم : أن أبا عبيدة حُصر ، فكتب إليه عمر رضي الله عنهما :

« مهما تنزل بامرىءٍ شدة يجعل الله له بعدها فرجاً ، وإنه لن يغلب عسر يسرين ».

● وأخرج البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن أبي الدنيا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

« كلمات الفَرَج : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، لا إله إلا الله العلي العظيم ، لا إله إلا الله ربُّ السموات السبع ، وربُّ العرش الكريم » .

● وأخرج ابن أبي الدنيا والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال : كان رسول الله ﷺ إذا نزل به همٌّ أو غمٌّ يقول :

« يا حيُّ يا قيُّوم برحمتك أستغيث » .

● وأخرج النسائي وابن أبي الدنيا وابن حبان والحاكم وصححه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : « لقنني النَّبي ﷺ هذه الكلمات ، وأمرني إن نزل بي كرب أو شدة أن أقولها : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله وتبارك رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين » .

● وأخرج ابن أبي الدنيا والطبراني والحاكم عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلوات الله عليه :

« ما أصاب مسلماً قطُّ همٌّ ولا حزن ، فقال : اللهمَّ إني عبدك وابن عبدك ، وابن أمَتِك ، ناصيتي في يدك ، نافذ فيَّ حكمك ، عدل فيَّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علَّمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور بصري ، وجلاء حزني وذهاب همّي ، إلا أذهب الله همَّه وأبدله مكان حزنه فرحاً » ، قالوا : يارسول الله : أفلا نتعلم هذه الكلمات ؟ قال : « ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن » .

● وأخرج ابن أبي الدنيا عن محمد بن علي أن النَّبي ﷺ علَّم علياً دعوة يدعو بها عند كل ما أهـمَّه ، فكان عليٌّ يعلمها ولده : « يا كائناً قبل كل شيء ، ويا مكوِّناً قبل كل شيء ، ويا كائناً بعد كل شيء ، افعل بي كذا وكذا »[١] .

❊ ❊ ❊

إنما أهلك فرعونَ هامانُ وهامانَ فرعونُ!!

قال الإمام سفيان الثوري رحمه الله تعالى :

لما حجَّ أبو جعفر المنصور قال : لابدَّ لي من سفيان ، فوضعوا لي الرصد حول البيت فأخذوني بالليل ، فلما مثلت بين يديه أدناني ، ثم قال : لأي شيء لا تأتينا فنستشيرك في أمرنا ، فما أمرتنا من شيء صرنا

---

(١) من كتاب الفرج بعد الشدة : لابن أبي الدنيا .

إليه ، وما نهيتنا عن شيء انتهينا عنه .

فقلت له : كم أنفقت في سفرك هذا ؟ قال : لا أدري هناك أمناء ووكلاء .

فقلت : ما عذرك غداً إذا وقفت بين يدي الله فسألك عن ذلك ؟

لكن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لما سأل غلامه بعد أن عاد من حجِّه كم أنفقت في سفرنا ؟

قال : يا أمير المؤمنين ثمانية عشر ديناراً!!

فقال عمر : ويحك أجحفنا في بيت مال المسلمين . .

وقد علمت ما حدثنا به منصور بن عمار وأنت حاضر بل وأول كاتب كتبه في المجلس ، عن إبراهيم بن الأسود عن علقمة عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال :

« ربَّ متخوِّض في مال الله ومال رسول الله فيما شاءت نفسه له النار غداً » .

فوقف أحد متزلفي الحاشية ـ وما أكثرهم في كل زمان ومكان ـ وكان اسمه أبا عبيد الكاتب وقال :

أمير المؤمنين يُستقبل بمثل هذا ؟

لكن العالم المسلم الواثق بالله سفيان أجابه :

اسكت إنما أهلك فرعونَ هامانُ ، وهامانَ فرعونُ . . .[1] .

* * *

---

(١) سراج الملوك : للطرطوشي ١٩٧ .

ما حقيقة الزيغ ؟

عاتب الله ـ سبحانه وتعالى ـ أهل الكتاب : لأنهم آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض ، ووعدهم بأن من فعل ذلك له خزي في الدنيا ، ويوم القيامة له العذاب الأكبر :

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [البقرة : ٨٥] .

وقد سمَّى الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ ردَّ الشيء الواحد من كلام رسول الله ﷺ زيغاً فقال :

« نظرت في المصحف ، فوجدت طاعة الرسول في ثلاثة وثلاثين موضعاً » .

ثم جعل يتلو قوله تعالى :

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [النور : ٦٣] .

وجعل يكررها ويقول :

وما الفتنة ؟ وما الفتنة ؟

الشرك .

لعله إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيزيغ قلبه فيهلكه[1] .

إنه شيء مخيف : أن يعلم إنسان حكماً شرعياً سواءً في الأحكام أو

---

(١) الصارم المسلول : لابن تيمية : ٥٦ .

في العقيدة ، ويعلم ثبوته في كتاب الله أو بكلام متواتر عن رسول الله ﷺ ، ثم يدَّعي عدم إيمانه بصلاح هذا الحكم الشرعي للعمل به لماذا ؟

إنه حكم لا يتناسب مع تطور الزمن ! !

هذا ما يعنيه القرآن : يؤمن ببعض ويكفر ببعض . . .

* * *

منازل الدنيا :

قال الإمام ـ الحسن البصري ـ رضي الله عنه :

أهل المعرفة في الدنيا على ثلاثة منازل :

١ـ رجل لقي العبادة فعانقها وخلط بها لحمه ودمه ، وفزع إليها قلبه ، وعلم أن الله تعالى رازقه وكافيه ، فوثق بوعده ، فلم يشغل نفسه بشيء من أمور الدنيا .

جعل السماء سقفه والأرض بساطه ، ولا يبالي على يسرٍ أصبح أم على عسر .

أمسى يعبد الله حتى يأتيه اليقين ، فهذا الضرب في الدنيا أعز من الكبريت الأحمر . . .

٢ـ ورجل آخر :

لم يصبر كما صبر الأول ، فطلب كسرةً من حلِّها يقيم بها صلبه ، وخرقة يواري بها عورته ، وبيتاً يسكنه ، وزوجة يستعف بها .

وهو مع ذلك شديد الخوف ، عظيم الرجاء ، فهو على طريق حسن .

٣ـ والثالث :

لا يصدق الله بقوله! فيبني القصر المشيد ، ويركب المركب الفره[1] ، ويستخدم الخدم ، فليس له من الآخرة من خلاق .

إلا أن يرحمه أرحم الراحمين[2] .

* * *

إذَنْ أدعو عليك!

كان سيدنا سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ مستجاب الدعوة .

فسمع رجلاً يسبُّ الإمام عليًا وسيدنا طلحة وسيدنا الزُّبير ـ رضي الله عنهم ـ فنهاه سعد ، فلم ينته .

فقال سعد للرجل : إذن أدعو عليك .

قال الرجل ـ مستهزئاً ـ : أراك تهددني ، كأنك نبي! ؟

فانصرف سعد ، ثم توضأ ، وصلّى ركعتين ، ثم رفع يديه وقال :

إلهي : إن كنت تعلم أن هذا الرجل قد سبَّ أقواماً سبقت لهم منك الحسنى ، وأنه قد أسخطك سبُّه إياهم ، فاجعله آية وعبرة .

فلم يمض غير وقت قصير ، حتى خرجت من إحدى الدور ناقة لا يردُّها شيء ، حتى دخلت في زحام الناس ، كأنها تبحث عن شيء ، ثم اقتحمت الرجل ، فأخذته بين قوائمها ومازالت تتخبطه حتى مات . .[3] .



---

(١) الفاره من الدواب : الجيد السَّيْر .

(٢) حالة أهل الحقيقة مع الله للسيد الرفاعي : ٤٦ .

(٣) أقباس روحانية : شيت خطاب : ١١٤ .

غيرة النساء! ؟

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : ما غرت على أحدٍ من نساء النَّبي ﷺ ما غرت على خديجة ، وما رأيتها ، ولكن رسول الله ﷺ يُكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق[1] خديجة فربما قلت له : كأنه لم يكن في الدنيا إلا خديجة ، فيقول : « إنها كانت وكان لي منها الولد . . »[2] .

وذات مرةٍ دخلت على رسول الله ﷺ عجوز ، فقال لها : « من أنت » ؟ فقالت : حسانة المزنية .

فقال لها صلوات الله عليه : « أنت حسانة ؟ كيف أنتم ؟ كيف حالكم ؟ كيف كنتم بعدنا ؟ » .

قالت : بخير ، بأبي وأمي أنت يارسول الله!

فلما خرجت ، قالت عائشة للنبي محمد صلوات الله عليه :

تُقبل على هذه العجوز هذا الإقبال ؟

ويجيبها : « إنها كانت تأتينا زمن خديجة ، وإن حسن العهد من الإيمان »[3] .

❊ ❊ ❊

---

(١) صدائق : صديقاتها .

(٢) حديث متفق عليه .

(٣) بتصرف من قبسات من حياة الرسول : أحمد عساف ص ١٣٩ .

هل الضياء هو النور ؟

هاتان الكلمتان مترادفتان لغة ، وقد يفرق بينهما بما يلي :

الضوء : ما كان من ذات الشيء المضيء ، والنور : ما كان مستفاداً من غيره ، وعليه جرى قول الله تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس : ٥] .

وقال الراغب :

النور : الضوء المنتشر الذي يعين على الإبصار ، وهو ضربان : دنيوي وأخروي ، والدنيوي ضربان : أ ـ معقول بعين البصيرة : وهو ما انتشر من الأنوار الإلهية (كنور العقل ونور القرآن) كما في قوله تعالى :

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة : ١٥] .

ب ـ ومحسوس بعين التبصر : وهو ما انتشر من الأجسام النَّيِّرة (كالقمرين والنجوم النيرات) وهذا ما نلحظه في الآية الكريمة :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس : ٥] .

ومن النور الأخروي قوله تعالى :

﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾[1] [الحديد : ١٢] .

* * *

(١) فروق اللغات : نور الدين الجزائري ص ١٦٢ .

قالوا : في كتمان السر :

يقول سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ :

من كتم سرَّه كان الخيار بيده .

ويقول أيضاً : ما أفشيت سري إلى أحدٍ قط فلمتُهُ إذ كان صدري به أضيق .

ويقول سيدنا علي ـ كرَّم الله وجهه ـ :

سرُّك أسيرُك فإن تكلمت به صرت أسيره .

ويقول سيدنا عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ :

القلوب أوعية الأسرار ، والشفاء أقفالها ، والألسن مفاتيحها ، فليحفظ كل امرىء مفتاح سره .

ويقول حكيم : من أفشى سره أفسد أمره ، ومن كتم سرَّه ملك أمره .

ويقول عاقل : إظهار الرجل سر غيره أقبح من إظهاره سر نفسه ، لأنه يبوء بإحدى وصمتين : الخيانة إن كان مؤتمناً ، والنميمة إن كان مستودعاً .

ويقول أنوشروان : من حصَّن سرَّه فله بتحصينه خصلتان : الظفر بحاجته ، والسلامة من السَّطوات .

ويقول آخر : انفرد بسرك ولا تودعه حازماً فيزل ، ولا جاهلاً فيخون .

ويقول أديب : أضعف الناس من ضعف عن كتمان سره ، وأقواهم من قوي على غضبه ، وأصبرهم من ستر فاقته ، وأغناهم من قنع بما تيسر له .

ويقول آخر : ما لم تغيِّبه الأضالع فهو مكشوف ضائع .

ما هي درجات الشُّكر ؟

١ـ شكر على النعم : وهذا النوع يشترك فيه كما يقول ابن القيِّم[1] ـ رحمه الله ـ : المسلمون واليهود والنصارى والمجوس ، والمراد به الاعتراف بنعمه والثناء بها ، والإحسان إلى خلقه منها ، وهذا يوجب حفظها والمزيد منها ، وما أجمل ما كتبته السيدة عائشة إلى معاوية : إن أقلَّ ما يجب للمنعم على ما أنعم عليه ، أن لا يجعل ما أنعم عليه سبيلاً إلى معصيته .

٢ـ شكر على المكاره : وهو الرضا ، وهذا الشاكر هنا أول من يدعى إلى الجنة ، لأنه أصعب من الشكر على النعم ، وقد قسم العلماء هذا النوع إلى قسمين : سابقين مقربين . اللهم اجعلنا منهم يا رب .

❊ ❊ ❊

..أحوال الدنيا..

تحدَّث الأدباء عن الدنيا وأجادوا في ذلك ، من ذلك ما قاله بعضهم :

حسَّنت ظنَّك بالأيام إذ حسنت ... ولم تَخَفْ سوء ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر

---

(١) الإمام ابن قيم الجوزية : لازم شيخه الإمام ابن تيمية ، وحمل من علومه ودافع عنه .
انصرف للعبادة والزهد ، كان ورعه إلى حدٍّ عجيب ، ويظهر لنا ذلك في كتبه القيمة كمدارج السالكين ، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، وإغاثة اللهفان ، والكلم الطيب ومفتاح السعادة وغيرها . . . توفي في دمشق ودفن فيها عام (٧٥١ هـ) ، للتوسع راجع كتابنا العبودية عند ابن القيم .

وقال آخر في ذلك :

يا من تملَّك ملكاً لا بقاء له ... حمَّلت نفسك آثاماً وأوزارا

هل الحياة بذي الدنيا وإن عذبتْ ... إلا كطيف خيالٍ في الكرى زارا

وقال سليمان بن الضحاك :

ما أنعم الله على عبده ... بنعمةٍ أوفى من العافيه

وكلُّ من عوفي في جسمه ... فإنه في عيشةٍ راضيه

والمال حلوٌ حسنٌ جيدٌ ... على الفتى لكنه عاريه[1]

ما أحسن الدنيا ولكنّها ... مع حسنها غدَّارة فانيه

وقال آخر في ذلك :

وغاية هذي الدار لذَّة ساعة ... ويعقبها الأحزان والهمُّ والندم

وهاتيك دار الأمن والعزِّ والتقى ... ورحمة رب الناس والجود والكرم

وقال آخر :

رأيت خيال الظلِّ أعظم عبرة ... لمن كان في علم الحقائق راقي

شخوصاً وأصواتاً يخالف بعضها ... لبعضٍ وأشكالاً بغير وفاقِ

تجيء وتمضي بابةٌ بعد بابةٍ ... وتفنى جميعاً والمحرِّك باقي[2]

وما أجمل القول الفصل في كتاب الله تعالى عن الدنيا وأحوالها :

﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [النساء : ٧٧] .

﴿أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ﴾ [الحديد : ٢٠] .

❊ ❊ ❊

---

(١) الأمانة التي يجب أن ترد .

(٢) البابة : الوجه وبابات الكتاب سطوره .

القاضي يقضي بين عليٍّ واليهودي!!

روى إبراهيم التيمي قال :

عرف علي بن أبي طالب رضي الله عنه درعاً له مع يهودي ، فقال : يا يهودي درعي سقطت مني يوم كذا وكذا ، فقال اليهودي : ما أدري ما تقول ، درعي وفي يدي ، وبيني وبينك قاضي المسلمين ، فانطلقا إلى القاضي شريح ، فلما رآه شريح قام من مجلسه فقال له عليٌّ : اجلس ، فجلس شريح ثم قال : إن خصمي لو كان مسلماً لجلستُ معه بين يديك ، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تساووهم في المجالس ، ولا تعودوا مرضاهم ، ولا تشيِّعوا جنائزهم ، واضطرُّوهم إلى أضيق الطرق ، وإن سبُّوكم فاضربوهم ، وإن ضربوكم فاقتلوهم » ثم قال : درعي عرفتها مع هذا اليهودي .

فقال شريح لليهودي : ما تقول ؟

قال : درعي وفي يدي ، قال شريح : صدقت والله يا أمير المؤمنين إنها لدرعك كما قلت ، ولكن لابدَّ من شاهد ، فدعا قنبراً فشهد له ، ودعا ابنه الحسن فشهد له أيضاً .

فقال شريح : أما شهادة مولاك قنبر فقد قبلتها ، وأما شهادة ابنك لك فلا!

فقال علي : سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » .

قال : اللهم نعم ، قال : أفلا تجيز شهادة أحد سيدي شباب أهل

الجنة! والله لتخرجنَّ إلى بانقيا[1] فلتقضينَّ بين أهلها أربعين يوماً ، ثم سلَّم الدرع إلى اليهودي . فقال اليهودي : أمير المؤمنين مشى معي إلى قاضيه فقضى عليه ، فرضي به ، صدقت إنها لدرعك سقطت منك يوم كذا وكذا عن جملٍ أورق فالتقطتها ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

فقال علي رضي الله عنه : هذه الدرع لك ، وهذه الفرس لك ، وفرض له في تسعمئة ، فلم يزل معه حتى قُتل[2] .

* * *

القلوب ثلاثة :

. . . والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة :

١ـ قلب عُمِّر بالتقوى ، وزكا بالرياضة ، وطهر عن خبائث الأخلاق ، تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب فينصرف العقل إلى التفكُّر ، فينكشف له بنور البصيرة وجهه . . . وينظر الملك إلى القلب فيجده طيباً في جوهره ، طاهراً بتقاه ، مستنيراً بضياء العقل ، معموراً بأنوار المعرفة ، فعند ذلك يمدّه بجنود لا تُرى ، ويهديه إلى خيرات أخرى حتى ينجرَّ الخير إلى الخير :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الليل : ٥ـ٧] .

٢ـ القلب المخزول المشحون بالهوى ، المدنَّس بالأخلاق المذمومة والخبائث ، المفتوح فيه أبواب الشياطين ، المسدود عنه أبواب الملائكة ، ومبدأ الشرفية أن ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه ،

---

(١) بانقيا : هي ناحية من نواحي الكوفة كما ذكر ذلك ياقوت الحموي .

(٢) من الأغاني للأصفهاني : ٢١٩/١٧ .

ويألف العقل خدمة الهوى ويأنس به فيساعده لينشرح الصدر بالهوى ويقوى سلطان الشيطان فيزيّن له ويوحي له زخرف القول غروراً ، ليضعف سلطان الإيمان ويخبو نور اليقين ، حينها يعمى القلب تماماً :

﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾

[الفرقان : ٤٣ـ٤٤] .

٣ـ قلب تبدو فيه خواطر الهوى فتدعوه إلى الشر ، فيلحقه خاطر الإيمان فيدعوه إلى الخير ، فتنبعث بشهوتها إلى خاطر الشر ، فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتنعم. . . وهكذا بين جذب للشر وجذب للخير ، فإن كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية غلب الشيطان ، وإلا كان من حزب الله وأوليائه ، كذلك فمن خُلق للجنة يُسِّرت له أسباب الطاعات ، ومن خُلق للنار يُسِّرت له أسباب المعاصي :

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ ﴾[1] [الأنعام : ١٢٥] .

* * *

هل تلومني إذا هزلت ؟!

قال أبو حازم (سلمة بن دينار) عالم المدينة المنوَّرة وقاصّها :

قدمت على الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو بخُناصرة[2]

---

(١) باختصار من إحياء علوم الدين : ٣/١٦٨ .

(٢) خناصرة : بلدة صغيرة في سورية تابعة لحلب ، في محاذاة قِنَّسْرِين من ناحية البادية .

من أعمال حلب ، وكان قد تقدمت به السن ، وبعد بيني وبين لقائه العهد ، فوجدته في صدر البيت ، غير أني لم أعرفه لتغيُّر حاله كما عهدته عليه يوم كان والياً على المدينة ، فرحَّب بي ، وقال : ادن مني يا أبا حازم ، فلما دنوت منه ، قلت : ألست أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ؟ فقال : بلى ، فقلت : ما الذي حلَّ بك ؟

ألم يكن وجهك بهيّاً ـ أو وضيّاً ـ وثوبك نقيّاً ، وإهابك طرياً ، وطعامك شهيّاً ، ومركبك وطيّاً ؟

فقال عمر : بلى ، فقلت : فما الذي غيَّر ما بك بعد أن غدوت تملك الأصفر والأبيض وأصبحت أميراً للمؤمنين ؟!

فقال : وما الذي تغيَّر يا أبا حازم ؟! فقلت : جسمك الذي نحل ، وجلدك الذي اخشوشن ، ووجهك الذي اصفرَّ ، وعيناك اللتان خبا ومضهما .

فبكى عمر وقال : كيف لو رأيتني في قبري بعد ثلاث ، وقد سالت حدقتاي على وجنتيّ ، وتفسَّخ بطني وتشقق ، وانطلق الدود يرتع في بدني ؟

إنك لو رأيتني آنذاك ـ يا أبا حازم ـ لكنت أشدَّ إنكاراً لي من يومك هذا ، ثم رفع بصره إليَّ وقال :

ألم تخبرني يا أبا حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« إن من ورائكم عقبة كؤوداً ، مضرسة ، لا يجوزها إلا كل ضامر مهزول » .

ثم بكى عمر حتى غشي عليه ، ثم أفاق وقال :

فهل تلومني يا أبا حازم إذا أهزلت نفسي لتلك العقبة رجاء أن أنجو منها ، وما أظنني بناجٍ . . .[1] .

* * *

قوة الفطنة عند أنبياء الله :

ـ روى الإمام البخاري بسنده المتصل إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال :

لما شبَّ إسماعيل ـ عليه السلام ـ تزوج امرأة من جرهم ، فجاء إبراهيم ـ عليه السلام ـ فلم يجد إسماعيل ، فسأل امرأته ، فقالت : خرج يبغي لنا ، ثم سألها عن عيشهم ، فقالت : نحن بشر في ضيق وشدة وشكت إليه ، فقال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له : يُغيِّر عتبة بابه ، فلما جاء أخبرته .

قال : ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك ، الحقي بأهلك .

ـ وحدَّث محمد بن كعب قال : جاء رجل إلى سليمان النبي عليه السلام : فقال :

يا نبي الله ، إن لي جيراناً يسرقون إوزِّي ، فنادى : الصلاة جامعة ، ثم خطبهم فقال في خطبته : واحدكم يسرق إوزَّ جاره ، ثم يدخل المسجد والريش على رأسه ، فمسح رجل برأسه ، فقال سليمان : خذوه فإنه صاحبكم .

ـ ويروى عن سيدنا عيسى عليه السلام أنَّ إبليس جاء إليه ، فقال له : ألست تزعم أنه لا يصيبك إلا ما كتب الله لك ؟ قال : بلى ، قال : فارم

---

(١) للتوسع راجع حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني : ٥/ ٣٣٢ .

بنفسك من هذا الجبل ، فإنه إن قدر لك السلامة تسلم .

فقال عيسى عليه السلام : يا ملعون إن لله عز وجل أن يختبر عباده وليس للعبد أن يختبر ربه عز وجل .

ـ وروي أن سليمان عليه السلام بعث إلى مارد من مردة الجنّ فأُتي به ، فلما كان على باب سليمان أخذ عوداً فذرعه بذراعه ورمى به وراء الحائط ، فوقع بين يدي سليمان ، فقال : ما هذا ؟ فأخبروه بما فعل المارد ، قال : أتدرون ما أراد ؟ قالوا : لا . قال : يقول اصنع ما شئت فإنك تصير إلى مثل هذا من الأرض .

* * *

مع الإمام الشافعي :

قال الإمام الشافعي رحمه الله مرَّة : طلب العلم أفضل من صلاة النافلة ، ومن أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ، وما تقرب إلى الله تعالى بشيء بعد الفرائض أفضل من طلب العلم .

وكان التزامه بالسنن إلى حدٍّ عجيب ، لذلك كان يقول في أواخر حياته :

ما كذبت قط ولا حلفت بالله تعالى صادقاً أو كاذباً ، وما تركت غسل الجمعة في برد ولا سفر ولا غيره ، وما شبعت منذ ست عشرة سنة إلا شبعة طرحتها من ساعتي .

أما فلسفته في الحياة فنأخذها من أقواله :

ما فزعتُ من الفقر قط ، وطلب فضول الدنيا عقوبة عاقب الله بها أهل التوحيد .

ومن شهد الضعف من نفسه نال الاستقامة ، ومن غلبته شدة الشهوة للدنيا لزمته العبودية لأهلها ، ومن رضي بالقنوع زال عنه الخضوع .

وخير الدنيا والآخرة في خمس خصال : غنى النفس ، وكفّ الأذى ، وكسب الحلال ، ولباس التقوى ، والثقة بالله تعالى على كل حال .

ومن أحبّ أن يفتح الله قلبه ، أو ينوّره فعليه بترك الكلام فيما لا يعنيه ، واجتناب المعاصي ، ويكون له خبيئة فيما بينه وبين الله تعالى من عمل - وفي رواية - : فعليه بالخلوة ، وقلّة الأكل ، وترك مخالطة السفهاء ، وبغض أهل العلم ، الذين ليس معهم إنصاف ولا أدب .

ويحدثنا عن العلاقات الاجتماعية ، وعن السلوك مع الناس فيقول :

لو اجتهدت كل الجهد على أن ترضي الناس كلهم فلا سبيل ، فأخلص عملك ونيتك لله عز وجل .

وقال : سياسة الناس أشدُّ من سياسة الدواب .

وقال : للمروءة أربعة أركان : حسن الخلق ، والسخاء ، والتواضع ، والنسك .

وقال : لا يكمل الرجال إلا بأربع : بالديانة ، والأمانة ، والصيانة ، والرزانة .

وقال : من صدق في إخوة أخيه قَبِلَ عللهُ ، وسدَّ خلله ، وغفر زلله .

أما علامة الصديق : فهي أن بكون لصديق صديقه صديقاً .

* * *

أوصيتُ أهلي!

الإمام سعيد بن المسيب رحمه الله يقول في مرضه الذي مات فيه :

إذا متُّ فلا تضربوا على قبري فسطاطاً ، ولا تحملوني على قطيفة حمراء ، ولا تتبعوني بنار ، ولا تؤذنوا بي أحداً ، حسبي من يبلغني ربي ، ولا يتبعني راجزهم هذا . . وهذا هدي الإسلام في الجنائز .

ولما اشتد الوجع عليه ، دخل عليه نافع بن جبير بن مطعم يعوده ، فقال نافع : وجِّهوا فراش الإمام سعيدٍ إلى القبلة ، ففعلوا ، فلما أفاق ، قال : من أمركم أن تحوِّلوا فراشي إلى القبلة ، أنافع بن جبير أمركم بذلك ؟ فقال نافع : نعم ، فقال الإمام : لئن لم أكن على القبلة والملَّة ، لا ينفعني توجيهكم فراشي ، وقد أخذ ذلك من أحاديث المصطفى محمد ﷺ :

« إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم ، إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » .

حتى لما اشتدَّ به المرض لم يترك الصلاة أبداً ، بل كان يصلي مستلقياً إيماءً .

وقال وقتها : على الأرض ولدتُ ، وعليها أموت ، وعليها أبعث إن شاء الله تعالى .

وكره أن يتبع في جنازته برجز وقال : حسبي من يقلبني إلى ربي ، وأن يمشوا معي بمجمر[1] ، فإن أكن طيباً ، فما عند الله أطيب من طيبهم .

---

(١) المجمر : اسم الشيء الذي يجعل فيه الجمر والبخّور .

وأوصى فقال : أوصيت أهلي إذا حضرني الموت بثلاث : ألا يتبعني راجز ولا نار ، وأن يعجل بي فإن يكن لي عند ربي خير ، فهو خير مما عندكم[1] .

* * *

لو لم تأتها أتتك!

في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء[2] كلام رائع أختار منه ما يلي :

جاء رجل إلى النّبي ﷺ ، وفي البيت تمرة ، فقال رسول الله ﷺ :

« هاك ، لو لم تأتها أتتك » رواه ابن حبّان .

ثم يقول ابن حبّان : التوكل هو قطع القلب عن العلائق برفض الخلائق ، وإضافته بالافتقار إلى محوّل الأحوال ، وقد يكون المرء موسراً في ذات الدنيا وهو متوكل صادق في توكله إذا كان العدم والوجود عنده سيَّيْنِ لا فرق عنده بينهما ، يشكر عند الوجود ، ويرضى عند العدم ، وقد يكون المرء لا يملك شيئاً من الدنيا بحيلة من الحيلة ، وهو غير متوكل إذا كان الوجود أحبَّ إليه من العدم ، فلا هو في العدم يرضى حالته ، ولا عند الوجود يشكر مرتبته .

ثم ينقل عن الكريزي شعراً :

فلو كانت الدنيا تنالُ بفطنة ... وفضل عقول نلتُ أعلى المراتب
ولكنما الأرزاق حظٌ وقسمة ... بملك مليك ، لا بحيلة طالب

---

(١) للتوسع راجع طبقات ابن سعد : ٥/ ١٤٠ وما بعدها .

(٢) من روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان البستي : ١٥٥ـ١٦٠ .

وينقل عن عبد العزيز الأبرش قوله :

لو كان في صخرة في البحر راسية   صمّاء ململمة مُلْسٍ حواليها
رزقٌ لعبد براه الله. . لانفلقت   حتى تؤدّي إليه كلّ ما فيها
أو كان بين طباق السبع مطلبه   يوماً لسهَّل في المرقى مراقيها
حتى ينال الذي في اللوح خُطَّ له   إن هو أتاه ، وإلا فهو آتيها

ثم ينقل ابن حبان عن نافع بن خالد قال : دخلنا على رابعة العدوية فذكرنا أسباب الرزق ، فخضنا فيه وهي ساكتة ، فلما فرغنا قالت رابعة : خيبةً لمن يدعي حُبّه ثم يتهمه في رزقه! .

* * *

فإن الموت قد حان :

روى العلامة الحريفيش ـ رحمه الله ـ :

أن سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ خرج إلى مكة حاجّاً ، فكان يبكي من أول الليل إلى آخره في المحمل ، فقال له شيبان الراعي : يا سفيان لِمَ بكاؤك ؟ إن كان لأجل المعصية فلا تعصه ، فقال سفيان : أما الذنوب فما خطرت ببالي قط صغيرها ولا كبيرها ، وليس بكائي يا شيبان من أجل المعصية ، ولكن من خوف الخاتمة ، لأني رأيت شيخاً كبيراً كتبنا عنه العلم وعلم الناس أربعين سنة ، وجاء بيت الله الحرام سنين ، وكان تلتمس بركته ، ويستسقى به الغيث ، فلما مات تحوَّل وجهه عن القبلة ومات إلى المشرق كافراً ، فما أخاف إلا من سوء الخاتمة ، فقال له : إن ذلك من شؤم المعصية ، والإصرار على الذنوب ، فلا تعص ربك طرفة عين :

يا نفسُ توبي فإنّ الموتَ قدْ حانا — واعصِ الهوى فالهوى مازال فتّانا
فـي كـلِّ يـومٍ لنـا ميـتٌ نشيِّعـه — ننسى بمصرعه.. آثار موتانا
يا نفس ما لي وللأموال أكنزها — خلفي وأخرج من دنياي عريانا
ما بالنا نتعامى عن مصارعنا — ننسى بغفلتنا من ليس ينسانا
فكم رأينا أناساً صالحين قضوا — موتاً وقد سلبوا ديناً... وإيمانا
واستبدلوا الكفر بالإيمان وانفصلوا — بسوء خاتمةٍ للموت... أعيانا
أبعد خمسين قد قضّيتها لعباً — قد آن تقصيرها قد آن... قد آنا
أين الملوك وأبناء الملوك ومن — كانت تخرُّ له الأذقان إذعانا
صاحت بهم حادثات الدهر فانقلبوا — مستبدلين من الأوطان أوطانا
أخلَوا منازلَ كان العزُّ مفرشها — واستفرشوا حفراً غبراً وقيعانا
يا راكداً في ميادين الهوى فرحاً — ورافلاً في ثياب الغيّ نشوانا
مضى الزمان وولى العمر في لعبٍ — يكفيك ما قد مضى قد كان ما كانا[1]

* * *

الكُميت والفرزدق :

لما قال الكُميت بن زيد الأسدي ـ من أسد مضر بن نزار ـ الهاشميات قدم البصرة فأتى الفرزدق فقال : يا أبا فراس ، أنا ابن أخيك ، قال : ومن أنت ؟ فانتسب له ، فقال : صدقت فما حاجتك ؟ قال : نُفث على لساني ، وأنت شيخ مضر وشاعرها ، وأحببت أن أعرض عليك ما قلت ، فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته ، وإن كان غير ذلك أمرتني بستره وسترته عليَّ ، فقال : يا بن أخي ، أحسب شعرك على قدر عقلك ، فهات ما

(١) من الروض الفائق للشيخ الحريفيش : ١٤ .

قلت راشداً ، فأنشده :

طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ ولا لعباً منِّي ، وذو الشَّيب يلعبُ

قال : بلى فالعب ، فقال :

فلم يُلهني دارٌ ولا رسم منزلٍ ولم يتطرَّبني بنانٌ مخضَّبُ

قال : فما يطربك إذاً ؟ قال :

وما أنا ممّن يزجر الطير همُّهُ أصاح غرابٌ أو تعرَّض ثعلبُ

قال : فما أنت ويحك ؟ وإلى من تسمو ؟ فقال :

وما السانحات البارحات عشيَّةً أمرَّ سليم القرنِ أم مرَّ أعضبُ

قال : أما هذا فقد أحسنت فيه ، فقال :

ولكن إلى أهل الفضائل والنُّهى وخير بني حوَّاء ، والخير يُطلبُ

قال : ومن هم ويحك ؟ قال :

إلى النَّفر البيض الذين بحبِّهم إلى الله فيما نابني أتقرَّبُ

قال : أرحني ويحك! من هؤلاء ؟ قال :

بني هاشم رهط النبي فإنني بهم ولهم أرضى مراراً وأغضبُ

قال : لله درُّك يا بني ، أصبت فأحسنت ، إذ عدلت عن الزعانف والأوباش إذاً لا يصرَّد سهمك ، ولا يُكذَّب قولك ، ثم مرَّ فيها ، فقال له : أظهر ثم أظهر وكدِ الأعداء ، فأنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقي[1] .

* * *

(١) من مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي ٣/ ٢٢٩ .

ما هو التصوُّف ؟

جاء في كتاب حقائق عن التصوف :

قال الشيخ أحمد زروق ـ رحمه الله ـ : التصوف ، علم قصد لإصلاح القلوب ، وإفرادها لله تعالى عمّا سواه ، والفقه لإصلاح العمل ، وحفظ النظام ، وظهور الحكمة والأحكام ، والأصول (علم التوحيد) لتحقيق المقدمات بالبراهين ، وتحلية الإيمان بالإيقان كالطب لحفظ الأبدان ، وكالنحو لإصلاح اللسان إلى غير ذلك .

فعماد التصوف تصفية القلب من أوضار المادة ، وقوامه صلة الإنسان بالخالق العظيم ، فالصوفي من صفا قلبه لله ، وصفتْ لله معاملته ، فصفت له من الله تعالى كرامته .

قال الإمام الجنيد ـ رحمه الله ـ :

التصوف : استعمال كل خلق سني ، وترك كل خلق دني .

وقال بعضهم : التصوف كله خلق ، فمن زاد عليك بالأخلاق زاد عليك بالتصوف .

وقال ابن عجيبة ـ رحمه الله ـ :

التصوف هو علم يعرف به كيفية ترقي أهل الكمال من النوع الإنساني في مدار سعادتهم إلى أن قال :

علم التصوف علم ليس يعرفه إلا أخو فطنة بالحق معروف
وليس يعرفه من ليس يشهده وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف

قال الشيخ أحمد زروق في قواعد التصوف :

وقد حدَّ التصوف ورُسم وفسِّر بوجوه تبلغ نحو الألفين ، مرجع كلها لصدق التوجُّه إلى الله تعالى ، وإنما هي وجوه فيه .

حفلة زفاف فاطمة بنت محمد!!

هذه رسالة موجَّهة إلى الآباء والأمهات كي يسمعوا كيف زوَّج أشرف الخلق محمد النبي والقائد ابنته فاطمة سيدة نساء العالمين ؟!

حينما وافقت على ابن عمها علي بن أبي طالب ـ كرَّم الله وجهه ـ بدأ بالتجهيز : غرف النوم الأجنبية!! وغرف الطعام المستوردة!! وأحدث الأزياء الفرنسية!! وسيارة أمريكية فاخرة!! وشقَّة سكنية مطلّة على شواطىء البحار!!

ثم ماذا يارسول الله ويا فاطمة ويا علي ؟! .

ينظر المصطفى محمد ﷺ إلى ذلك ويقول : « بارك الله لقوم جُلّ آنيتهم الخزف » . . وهكذا تتم مراسم الزواج لا في الفنادق وأمام عدسات المصورين ولا تحت الأضواء الحمر. . . !! ولم يمضيا شهر العسل هنا وهناك بل :

يروي لنا ابن ماجه في سننه عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال : « أُهديت ابنة رسول الله إليَّ فما كان فراشنا ليلة أُهديت إلا مسك كبش!! » .

ثم تمت مراسم الزواج في المسجد النبوي بل من على منبر المصطفى عليه الصلاة والسلام ، حيث قسَّم الرسول المهر إلى ثلاث : ثلث لشراء الجهاز! وثلث لشراء الطّيب للزفاف ، وثلث لصنع طعامٍ لوليمة الزفاف!!

بل في رواية الإمام أحمد عن أبي يزيد المدني قوله : « لما أُهديت فاطمة إلى عليّ ، لم تجد عنده إلا رملاً مبسوطاً ، ووسادةً وجرَّة وكوزاً!! » .

وتصبر. . وتصبر على شظف العيش ليقول لها والدها سيد الوجود محمد ﷺ :

« يا فاطمة اصبري على مرارة الدنيا لتفوزي بنعيم الآخرة » .

لكنه الرضا الذي يفعل الأعاجيب ، وهذا هو الذي افتقده المجتمع اليوم ، فعاش عيشة ضنكاً . . . وما أجمل قول الشاعر :

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكنَّ أخلاق الرجال تضيق

❊ ❊ ❊

الصحابة الأكارم :

يقول العلامة الطحاوي ـ رحمه الله ـ :

ونحبُّ أصحاب رسول الله ﷺ ، ولا نفرِّط في حبِّ أحدٍ منهم ، ولا نتبرَّأ من أحدٍ منهم ، ونبغض من يبغضهم ، وبغير الخير يذكرهم ، ولا نذكرهم إلا بخير ، وحبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسان ، وبغضهم كفرٌ ونفاق[١] .

وورد في سنن ابن ماجه عن ابن عباس قال : لا تسبُّوا أصحاب محمد ﷺ فلمقام أحدهم ساعة ـ يعني مع النَّبي ﷺ ـ خيرٌ من عبادة أحدكم عمره .

وعن عمران بن الحصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم »[٢] .

وروى الترمذي عن عبد الله بن مغفّل رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الله الله في أصحابي ، لا تتخذوهم غرضاً بعدي ، فمن أحبهم فبحبّي أحبَّهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم

---

(١) من شرح العقيدة الطحاوية للقاضي أبي العز الدمشقي (ت ٧٩٢ هـ) : ٥٤٥ .

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي وأحمد .

فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله تعالى ، ومن آذى الله تعالى يوشك أن يأخذه » .

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً بليغةً ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال قائل : يارسول الله كأن هذه موعظة مودِّع ؟ فماذا تعهد إلينا ؟ فقال : « أوصيكم بالسمع والطاعة ، فإن من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنَّتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسَّكوا بها ، وعضُّوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة »[1] .

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء ، فسبَّه خالد ، فقال رسول الله ﷺ :

« لا تسبُّوا أحداً من أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه » .

* * *

رسالة من إمام لتلميذه :

يا ولدي :

النصيحة سهلة ، ولكن الصعب قبولها ، لأنها في فم من لم يتعودها مُرَّة المذاق .

وأن من يحصِّل العلم ولا يعمل به تكون التبعة عليه أعظم كما قال رسول الله ﷺ :

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وأحمد .

« أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لا ينتفع بعلمه » .

يا ولدي :

لا تكن من الأعمال مفلساً ، ولا من الاجتهاد في الطاعة خالياً ، وتيقَّن أن العلم المجرَّد لا يأخذ باليد ، كما لو كان مع رجل عشرة أسياف هندية وهو في الصحراء فخرج عليه أسدٌ عظيم مهيب ، فهل تدفع عنه هذه الأسلحة دون أن يستعملها ، كذلك مثل العلم والعمل ، لا فائدة في الأول من دون الثاني .

يا ولدي :

لو قرأت العلم مئة سنة ، وجمعت ألف كتاب ، لا تكون مستعداً لرحمة الله تعالى إلا بالعمل .

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم : ٣٩] .

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ [الكهف : ١١٠] .

يا ولدي :

ما لم تعمل لم تجد الأجر ، وفيما ينسب إلى عليٍّ ـ كرَّم الله وجهه ـ : من ظنَّ أنه من دون الجهد يصل فهو متمنٍّ ، والمُنى بضائع الحمقى .

وقال الحسن البصري ـ رضي الله عنه ـ : طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب .

وفي الخبر عن الله تعالى : ما أقلَّ حياء من يطمع في جنَّتي بغير عمل .

وقد قال صلوات الله عليه : « الكَيِّسُ من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من أتبع نفسه هواها ، وتمنَّى على الله المغفرة » .

يا ولدي :

عش ما شئت فإنك ميِّت ، وأحبب من شئت فإنك مُفارقه ، واعمل ما شئت فإنك مُجزى به ، والعلم بلا عمل جنون .

﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٤٩] .

والعمل بغير علم لا يكون ، فلابد منهما معاً ، وإن العلم وحده لا يبعدك عن المعاصي ، ولا يُنجيك من النار ، فإذا لم تجتهد في العمل لتقولنَّ يوم القيامة : ﴿ فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا ﴾ [السجدة : ١٢] .

فيُقال لك : يا هذا أنت من هناك جئت ؟ ![١] .

* * *

ماذا عن الهميان[٢] ؟!

دخل رجلٌ حانوتاً لبيع العطر ومعه طبقٌ في يده ، وأعطى البائع عشرة دراهم وطلب منه بعض الأنواع المعروفة ، ولما أراد أن يمضي سقط الطبق فانكبَّ جميع ما فيه ، فبكى الرجل ، وسأله الحاضرون عن سرِّ بكائه ، فقال : كنت في القافلة الفلانيَّة فضاع لي هميان فيه أربعة آلاف دينار وما جزعت لضياعها ، لكن اليوم ولد لي ولد فاحتجنا لأُمِّه ما تحتاج النُّفساء ولم يكن عندي غير هذه العشرة دراهم ، فخشيت أن أشتري بها حاجة النُّفساء ، فأبقى بلا رأس مال ، وأنا قد صرت شيخاً كبيراً لا أقدر على التكسُّب ، فقلت في نفسي : أشتري بها شيئاً من العطور فأطوف به

---

(١) رسالة الإمام الغزالي إلى أحد تلاميذه .

(٢) الهميان : حزام جلدي كانوا يضعون فيه الدراهم والنقود .

صدر النهار ، فعسى أستفضل شيئاً أسدُّ به رمق أهلي ويبقى رأس المال أتكسَّب به ، لكن الآن وقد انكبَّ الطبق لم يبق لي إلا الفرار منهم وهذا سبب جزعي .

فقام واحد من الموجودين في الحانوت ـ وكان جندياً ـ فأخذ بيد الرجل وذهب به إلى بيته ، ثم قال له : أعد عليَّ قصة الهميان ؟!

وأعاد الرجل القصة ، فذهب الجندي إلى داخل غرفةٍ في البيت ، ثم عاد قائلاً :

وما هي علامات هميانك هذا يا شيخ ؟ وتحدَّث الرجل الكبير بتفصيلات الهميان .

فأخرجه الجندي من ورائه قائلاً : هل هذا هو هميانك ؟ .

حينها صاح الشيخ الكبير : هذا همياني والله ، وفيه كذا وكذا وعلامته كذا وكذا . . .

وفعلاً فُتح الهميان فوجدت الدراهم كما هي ، وأراد الرجل أن يعطي الجندي شيئاً من الأموال مكافأةً له ، لكن الجندي رفض ذلك قائلاً : ما كنت آخذ على أمانتي مالاً .

وهكذا فرج الله عليه شدَّته ، وفكَّ كربته .

وصدق الله تعالى حين قال :

﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق : ٧] .

وقوله : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الشورى : ٢٨] .

* * *

النظر إلى الأشياء :

يقول الإمام أحمد الرفاعي رحمه الله تعالى :

« أما ترى إبليس حينما نظر إلى نفسه ، وقال عن آدم ـ عليه السلام ـ : أنا خير منه! فلعنه الله وطرده .

وكذلك فرعون حينما نظر إلى ملكه ، وقال : أليس لي ملك مصر ؟ فأغرقه الله سبحانه .

وقارون : نظر إلى ماله ، وقال : إنما أوتيته على علم عندي! فخسف الله به وبداره الأرض!

وكذلك الملائكة : نظروا إلى تسبيحهم وتقديسهم فقالوا :

﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ [البقرة : ٣٠] .

فابتلاهم الله سبحانه بالسجدة لآدم ـ عليه السلام ـ.

وكذلك الالتفات على وجهين : التفات العين ، والتفات القلب .

فالتفات العين : مثل ما قال الله تعالى لمحمد حبيبه عليه الصلاة والسلام :

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه : ١٣١] .

ثم منَّ عليه لما عصمه حيث قال تعالى :

﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٤] .

ثم مدحه بترك الالتفات إلى ما سواه في قوله تعالى :

﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾[1] [النجم : ١٧] .

---

(١) حالة أهل الحقيقة مع الله : للسيد الرفاعي ١٨٦ .

معنى الإصلاح :

لابدَّ حين يسعى الإنسان إلى إصلاح الفرد أو الجماعة أن يفهم حقيقة الدعوة إلى الله . ذلك لما لهذا الفهم من أهمية .

وقد كان سيد التابعين الإمام (الحسن البصري) رحمه الله تعالى يفهم هذه الحقيقة وقد وظَّف نفسه ليبعث الهمم ، ويُنشِّط العزائم .

ها هو يشرح لأهل البصرة وقتها معنى الإصلاح فيتلو قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصّلت : ٣٣] .

ثم يقول :

« هو المؤمن أجاب الله في دعوته ، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته ، وعمل صالحاً في إجابته .

فهذا حبيب الله .

وهذا وليُّ الله » .

وحينما نقل الإمام (ابن القيم) رحمه الله هذا الكلام الرائع أسرع فقال :

« فمقام الدعوة إلى الله أفضل مقامات العبد »[1] .

إنها حقيقة ساطعة : الإصلاح يلازمه الدعوة إلى الله بل قد تسبقه ، وإلا فكيف يكون إصلاح من دون دعوة إلى الله ؟ ؟ .

* * *

---

(١) مفتاح السعادة : لابن القيم ١/ ١٥٣ .

بركة الإيثار :

روى محمد بن عمر الواقدي قال : كان لي صديقان ، أحدهما هاشمي ، فنالتنا ضيقة ، فقالت لي امرأتي : أما نحن فنصبر على الشدة ، وأما صبياننا فقد قطَّعوا قلبي ، فلو نظرت إليهم في شيء تصرفه في صلاح شأنهم .

وكتبت إلى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة بما حضره ، فوجَّه إليَّ كيساً مختوماً ، ذكر أن فيه (ألف درهم) ، فما استقر قراره حتى كتب إليَّ الصديق الآخر يذكر مثل شكواي!

ووجهت إلى ذلك الصديق بالكيس ، وخرجت إلى المسجد فبتُّ فيه حياء من امرأتي ، ثم رجعت فاستحسَنَت فعلي ، إذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته فقال : اصدقني عن الأمر ، فأخبرته .

فقال الهاشمي : وجهت إليَّ تسألني العون ، وما أملك إلا ما بعثت به إليك ، وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة ، فوجه إلي بكيسي بخاتمي ؟

قال الواقدي بعدها : فتواسينا الألف وقسمناها بيننا ثلاثاً بعد أن أخرجنا إلى المرأة مئة درهم .

ونُمي الخبر إلى المأمون ، فدعاني وشرحت له الأمر ، فأمر لي بسبعة آلاف دينار ، لكل واحد منا ألفان ، وللمرأة ألف[1] .

* * *

---

(١) من وفيات الأعيان لابن خلّكان : ٣٤٩/٤ .

المزاح يأكل الهيبة!

اهتمَّ المصلحون والأدباء والعقلاء بتربية النفس ، وكان أحد الطرق الموصلة إلى ذلك التنبيه على خطورة المزاح والتمادي في ذلك ، وقد ورد على ألسنة أولئك حكم وعظات منها :

قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه : التبسُّم أبلغ في الإيناس من الضحك الذي قد يكون استهزاءً وتعجباً .

وقال حفيده سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : اتقوا المزاح ، فإنه حمقة تورث ضغينة .

وقال عاقل : من قلَّ عقله كثر هزله .

وقال أديب : على العاقل أن يتَّقي المزاح ، وينزِّه نفسه عن وصمة مساويه ، فإنه مخرج إلى القطيعة ، ومذهبة للهيبة والبهاء ، ومدعاة لتجرؤ الغوغاء والسفهاء .

وقال غيره :

كثرة الضحك من الرعونة[١] ، وضحكة المؤمن غفلة من قلبه .

وقال حكيم :

الضحك شاغل عن النظر في الأمور المهمة ، مذهل للفكر في النوائب الملمَّة ، وليس لمن أكثر منه هيبة ولا وقار ، ولا من وصم به خطر[٢] ولا مقدار .

---

(١) الرعونة : الحمق .

(٢) خطر : قدر ومنزلة .

وقال الحجاج بن يوسف الثقفي : المزاح يوغر[1] صدر الصديق ، وينفِّر الرفيق ، ويبدي السرائر ، ويظهر المعاير[2] ، ويجلب الشتم ويثير الحقد .

❊ ❊ ❊

قصة النواقيس :

لما أسنَّ معاوية بن أبي سفيان[3] أرق ، فكان إذا هوم (نام) أيقظته نواقيس الروم ، فلما أصبح يوماً دخل عليه الناس ، قال : يا معشر العرب ، هل فيكم فتىً يفعل ما آمره وأعطيه ثلاث ديات أعجِّلها وديتين إذا رجع ؟! فقام فتى من غسان فقال : أنا يا أمير المؤمنين .

قال : تذهب بكتابي إلى ملك الروم ، فإذا صرت على بساطه أذَّنت!

قال : ثم ماذا ؟ قال : فقط .

فقال : لقد كلَّفت صغيراً وآتيت كبيراً ، فكتب له وخرج ، فلما صار على بساط قيصر أذَّن ، فتناجزت البطارقة واخترطوا سيوفهم ، فسبق إليه ملك الروم فجثا عليه ، وجعل يسألهم بحق عيسى وبحقهم عليه أن يكفُّوا ، ثم ذهب به حتى صعد على سريره ، ثم جعل بين يديه ، ثم قال : يا معشر البطارقة ، إن معاوية رجلٌ قد أسنَّ وقد أرق ، وقد آذته

(١) يوغر : يحرك الغيظ .

(٢) المعاير : المعايب .

(٣) هو ابن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية القرشي الأموي ، مؤسس الدولة الأموية بالشام وأحد دهاة العرب الكبار ، كان فصيحاً حليماً وقوراً ، ولد بمكة عام (٥٠ ق .هـ) وأسلم عام الفتح ، ولاه أبو بكر وعمر ، ثم أقرّه عثمان على الديار الشامية ، تنازل له الحسن بن علي عام الجماعة ، غزا جزر البحر المتوسط والقسطنطينية وكثرت فتوحاته ، توفي عام (٦٠ هـ) .

النواقيس ، فأراد أن نقتل هذا على الأذان ، فيقتل من قِبَلَهُ منا ببلاده على النواقيس ، والله ليرجعنَّ إليه بخلاف ما ظنَّ ، فكساه وحمَّله ، فلما رجع إلى معاوية قال : أو قد جئتني سالماً ؟

قال : نعم ، أما من قبلك فلا[1] .

* * *

يا أمير المؤمنين!!

وقف الإمام الأوزاعي أمام الخليفة المنصور ناصحاً فقال :

يا أمير المؤمنين : من كره الحق فقد كره الله ، إن الله هو الحق المبين ، إن الذي ليَّن قلوب أمتكم لكم حين ولاكم أمورهم ، لقرابتكم من رسول الله ﷺ ، وقد كان بهم رؤوفاً رحيماً ، مواسياً لهم بنفسه في ذات يده ، محموداً عند الله وعند الناس ، فحقيق بك أن تقوم له فيهم بالحق ، وأن تكون بالقسط له فيهم قائماً ولعوراتهم ساتراً ، لا تغلق عليك دونهم الأبواب ، ولا تقم دونهم الحجاب ، تبتهج بالنعمة عندهم ، وتبتئس بما أصابهم من سوء .

يا أمير المؤمنين : إن المُلك لو بقي لمن قبلك لم يصل إليك ، وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك .

يا أمير المؤمنين : أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك :

﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾

[الكهف : ٤٩] .

---

(١) من عيون الأخبار لابن قتيبة : ١/ ١٩٧ .

قال : الصغيرة التبسُّم ، والكبيرة الضحك ، فكيف بما عملته الأيدي وحصدته الألسن ؟!

يا أمير المؤمنين : بلغني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لو ماتت سخلة على شاطىء الفرات ضيعة ، لخشيت أن يسألني الله عنها ، فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك ؟

يا أمير المؤمنين : إنك قد بُليت بأمر لو عرض على السموات والأرض والجبال لأبين أن يحملنه وأشفقن منه ، ولقد حدثني مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن سلمة أن رسول الله ﷺ دعا إلى القصاص من نفسه في خدشٍ خدشه أعرابياً لم يتعمده فأتاه جبريل عليه السلام فقال : يا محمد إن الله لم يبعثك جباراً ولا متكبراً ، فدعا النبي ﷺ الأعرابي فقال : « اقتصَّ مني »[1] .

يا أمير المؤمنين : أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك :

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ [ص : ٢٦] . قال الله تعالى في الزبور : يا داود إذا قعد الخصمان بين يديك ، فكان لك في أحدهما هوى فلا تتمنين في نفسك أن يكون الحق له فيفلح على صاحبه فأمحوك عن نبوتي ، ثم لا تكون خليفتي ولا كرامة ، يا داود إنما جعلت رسلي إلى عبادي رعاء كرعاء الإبل ، لعلمهم بالرعاية ، ورفقهم بالسياسة ، ليجبروا الكسير ، ويدلّوا الهزيل على الكلأ والماء . . .[2] .

* * *

---

(١) رواه الحاكم وابن أبي الدنيا .

(٢) باختصار من مواعظ الخلفاء : لابن أبي الدنيا .

ماذا عن الشمعة ؟!

وفد على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بريد من بعض الآفاق ، فانتهى إلى باب عمر ليلاً ، فقرع الباب ، فخرج إليه البواب ، فقال : اعلم يا أمير المؤمنين أن بالباب رسولاً من فلان عامله ، فدخل فأعلم عمر ـ وقد كان أراد أن ينام ـ فقعد ، وقال :

ائذن له ، فدخل الرسول ، فدعا عمر بشمعة غليظة ، فأججت ناراً ، وأجلس الرسول وجلس عمر رضي الله عنه .

ثم سأله عن حال أهل البلد ومن بها من المسلمين وأهل العهد ، وكيف سيرة العامل وكيف الأسعار ، وكيف أبناء المهاجرين والأنصار ، وأبناء السبيل والفقراء ، وهل أعطى كلَّ ذي حق حقه ، وهل له شاكٍ ، وهل ظلم أحداً ؟

فأنبأه بجميع ما عمل الرسول من أمر تلك المملكة ، فلم يدع شيئاً إلا أنبأه به ، كل ذلك يسأله ، فيحفي (يلحّ) السؤال ، حتى إذا فرغ عمر من مسألته ، قال له :

يا أمير المؤمنين : كيف حالك في نفسك وبدنك ؟ وكيف عيالك وجميع أهل بيتك ؟ ومن تُعنى بشأنه ؟

فنفخ عمر الشمعة ، فأطفأها بنفخته ، وقال : يا غلام عليَّ بسراج ، فدعا بفتيلة لا تكاد تضيء ، فقال : سل عمّا أحببت .

فسأله عن حاله وحال ولده وعياله وأهل بيته ، فعجب البريد للشمعة وإطفائه إياها ، وقال : يا أمير المؤمنين ، رأيتك فعلت ما رأيتك فعلت مثله! قال : وما هو ؟

قال : إطفاؤك الشمعة عند مسألتي إياك عن حالك وشأنك .

فقال عمر : يا عبد الله ، إن الشمعة التي رأيتني أطفأتها من مال الله ومال المسلمين ، وكنت أسألك عن حوائجهم وأمرهم ، فكانت تلك الشمعة تقِد بين يديَّ فيما يصلحهم ، وهي لهم ، فلما صرت لشأني ، وأمر عيالي ونفسي ، أطفأت نار المسلمين!![1] .

* * *

ما هو السِّرُّ الَّذي بين الله والعبد ؟

قال الفضيل بن عياض عن الإخلاص : هو ترك العمل من أجل الناس رياءً ، والعمل من أجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله منهما .

وقال الجنيد : الإخلاص سرٌّ بين الله وبين العبد ، لا يعلمه ملك فيكتبه ، ولا شيطان فيفسده ، ولا هوى فيميله .

لكن ما هي ثمرات الإخلاص ؟ .

١ـ قبول الله تعالى من المخلص : كما ورد على لسان سيدنا رسول الله ﷺ :

« إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغي به وجهه » .

٢ـ صرف السوء والفحشاء عن الشخص المخلص .

٣ـ نصر الله للمخلصين : كما ورد في الأحاديث النبوية الشريفة ، من ذلك :

« إنما نصر الله هذه الأمة بضعفائها ودعوتهم وإخلاصهم »[2] .

---

(١) للتوسع راجع سيرة عمر بن عبد العزيز لمحمد بن عبد الحكم : ١٥٥ وما بعدها .

(٢) رواه النسائي .

٤ـ محبة الله تعالى لمن أخلص له ، كما ورد على لسان المصطفى ﷺ :

« من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، فارقها والله عنه راضٍ »[١] .

٥ـ انقطاع الوساوس عن الإنسان .

٦ـ تفجُّر الحكمة على لسان المخلص لله : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

٧ـ زيادة تضاعف الحسنات ، كما في قوله تعالى :

﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام : ١٦٠] .

بل زاد الأمر إلى سبعمئة ضعف ، ثم والله يضاعف لمن يشاء ، وهذه الزيادة في الأضعاف تنمو بحسب تمكُّن الإخلاص من نفس المؤمن ، فكلما زادت مكانة الإخلاص في قلبه ازداد علواً ، فزادت بذلك مثوبته وأجره عند الله على الحسنات التي يقدمها .

* * *

فطنة الخلفاء الرّاشدين :

● روى أنس رضي الله عنه قال : لما هاجر رسول الله ﷺ كان يركب ، وأبو بكر رديفه ، وكان أبو بكر يعرف الطريق لاختلافه إلى الشام ، فكان يمرُّ بالقوم فيقولون : من هذا بين يديك يا أبا بكر ؟ فيقول : هادٍ يهديني . . .

● وروى أسلم عن أبيه قال : قدمت على عمر بن الخطاب حلل من

---

(١) رواه ابن ماجه .

اليمن فقسمها بين الناس ، فرأى فيه حلة رديئة ، فقال : كيف أصنع بهذه إذا أعطيتها أحد لم يقبلها إذا رأى هذا العيب فيها ؟ قال : فأخذها فطواها فجعلها تحت مجلسه ، وأخرج طرفها ، ووضع الحلل بين يديه ، فجعل يقسم بين الناس .

فدخل الزبير بن العوام وهو على تلك الحال ، فجعل الزبير ينظر إلى تلك الحلّة ، فقال له : ما هذه الحلّة ؟ قال الفاروق : دع هذه عنك ، قال : ما هي وما شأنها ؟ قال : دعها عنك ، قال : فأعطنيها ، قال : إنك لا ترضاها .

قال الزبير : بلى قد رضيتها ، فلما توثق منه ، واشترط عليه أن يقبلها ، ولا يردّها ، رمى بها إليه ، فلما أخذها الزبير ونظر إليها إذا هي رديئة .

فقال : لا أريدها .

فقال عمر : هيهات وقد فرغت منها ، فأجازها عليه ، وأبى الزبير أن يقبلها منه .

● وروي أن رجلاً كان يبغض الإمام علياً كرم الله وجهه ، فأطراه وزاد ، فقال له الإمام : إني لست كما تقول ، وأنا فوق ما في نفسك .

ورووا عنه أيضاً : جاء إليه رجل حلف قائلاً : امرأته طالق ثلاثاً إن لم يطأها في شهر رمضان نهاراً ، فقال علي كرم الله وجهه : تسافر بها ثم لتجامعها نهاراً[1] .



---

(١) بتصرف من الأذكياء لأبي الفرج ابن الجوزي : ٣٢ وما بعدها .

﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزمر : ٢] .

قال الإمام النووي في مقدمة المجموع :

يقول الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة : ٥] .

ويقول أيضاً : ﴿ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ ﴾ [النساء : ١٠٠] .

وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه »[1] .

قال الشافعي رحمه الله : يدخل في هذا الحديث سبعين باباً من الفقه ، وهو ثلث العلم ، وهو أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام .

وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله : إنما يعطى الرجل على قدر نيته .

وقال التستري[2] رحمه الله : نظر الأكياس في تفسير الإخلاص ، فلم يجدوا غير هذا أن تكون حركاته وسكونه في سره وعلانيته لله تعالى وحده لا يمازجه شيء ، لا نفسٌ ولا هوى ولا دنيا .

وقال القشيري في رسالته المشهورة : الإخلاص إفراد الحق في

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود وأحمد .

(٢) هو سهل بن عبد الله بن يونس التستري ، أحد الأئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضات وعيوب الأفعال ، له كتب (تفسير القرآن) و (رقائق المحبين) ت عام (٢٨٣ هـ)

[سير أعلام النبلاء : ١٣/ ٣٣٠] .

الطاعة بالقصد ، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر من تصنُّع لمخلوق ، أو اكتساب محمدة عند الناس ، أو محبة مدح من الخلق أو شيء سوى التقرب إلى الله تعالى ، ثم قال : الإخلاص تصفية العقل عن ملاحظة الخلق ، والصدق هو التنقّي عن مطالعة النفس (مطاوعة النفس) .

* * *

يا مأوى كل شر!!

يقول الإمام الشعراني في طبقاته الكبرى :

كان سعيد بن المسيب يقول لنفسه إذا دخل الليل : قومي يا مأوى كلِّ شر ، والله لأدعنَّك تزحفين زحف البعير ، فكان يصبح وقدماه منتفختان ، فيقول لنفسه : بذا أمرتِ ، ولذا خلقت!

ذلك أن التهجد في الليل سنَّة نبوية أمرنا القرآن بها ، فهي فرض على النبي ﷺ ، ونافلة لأمته :

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾

[الإسراء : ٧٩] .

وفي الحديث القدسي الذي يرويه البخاري عن أبي هريرة :

« ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبّه ، فإذا أحببته ، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي عليها ، ولئن سألني لأعطينَّه ، ولئن استعاذني لأعيذنَّه » .

وقال ابن حرملة رحمه الله : حفظت صلاة سعيد بن المسيب وعمله بالنهار ، فسألت مولاه عن عمله بالليل ، فأخبرني قائلاً : وكان لا يدع أن

يقرأ (بصاد والقرآن) كل ليلة ، فسألته لم ذلك ؟ قال : لقد سألته عن ذلك فقال : كان رجل من الأنصار يصلي إلى شجرة ، فقرأ بسورة صاد ، فلما مرَّ بالسجدة سجد ، وسجدت الشجرة معه ، فسمعها تقول : اللهم أعطني بهذه السجدة أجراً ، وضع عني بها وزراً ، وارزقني بها شكراً ، وتقبَّلها منّي كما تقبلتها من عبدك داود عليه السلام[1] .

وقال الإمام الأوزاعي : كانت لسعيد بن المسيب فضيلة لا نعلمها كانت لأحد من التابعين : لم تفته الصلاة في جماعة أربعين سنة[2] .

* * *

أول خطبة وآخر خطبة :

لما بويع سيدنا عثمان ذو النورين رضي الله عنه خطب في الناس قائلاً :

أيها الناس ، أول كل مركب صعب ، وإن بعد اليوم أياماً ، وإن أعش تأتكم الخطب على وجهها ، وما كنا خطباء ، وسيعلمنا الله .

وفي خطبة بعدها قال : أيها الناس اتقوا الله فإن تقوى الله غنم ، وإن أكسب الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، واكتسب من نور الله نوراً لظلمة القبر ، وليخش عبد أن يحشره الله أعمى وقد كان بصيراً ، وقد يلقى الحكيم جوامع الكلم ، ولكن الأصمَّ ينادى من مكان بعيد ، واعلموا أن من كان الله له لم يخف شيئاً ، ومن كان الله عليه فمن يرجوه بعده ؟

---

(١) طبقات ابن سعد : ٥/ ١٣٢ .

(٢) شذرات الذهب : ١/ ١٠٣ وتاريخ الذهبي : ٤/ ٥ .

أما آخر خطبة خطبها أمير المؤمنين عثمان ، فإنه قال فيها :

إن الله إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطيكموها لتركنوا إليها ، إن الدنيا تفنى والآخرة تبقى ، لا تبطرنكم الفانية ، ولا تشغلنكم عن الباقية ، وآثروا ما يبقى على ما يفنى ، فإن الدنيا منقطعة ، وإن المصير إلى الله ، اتقوا الله فإن تقواه جُنّة من بأسه ، ووسيلة عنده ، واحذروا من الله الغير[1] ، والزموا جماعتكم ولا تصيروا أحزاباً .

﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٣-١٠٤] .

* * *

مع أم كلثوم!!

من الأدلة القاطعة على الحب الذي كان بين الفاروق عمر وعلي رضي الله عنهما ، أن سيدنا عمر أراد أن يتوّج هذه الصّلة ويقوّيها برباط الزواج من ابنة الإمام علي .

ونقل ابن كثير عن الواقدي قال : في سنة (١٧ هـ) تزوج عمر بأم كلثوم بنت علي ، وبنت فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، ولما سأله الصحابة الأكارم عن ذلك الإصرار ، قال عمر : إنما تزوجتها لقول رسول الله ﷺ :

« كل سببٍ ونسبٍ ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي » .

---

(١) الغير : تغير الحال ، وانتقالها من الخير إلى الشر والفساد .

ولقد خطبها من أبيها وأمهرها أربعين ألف درهم[1] .

لكن كيف كان حال أم كلثوم مع عمر رضي الله عنه ؟ وأيُّ قصرٍ أنزلها ؟!

لما جاء رسول سارية (صاحب قصة يا سارية الجبل ، الشهيرة) إلى عمر وجده يوزِّع الأخماس على المسلمين ، وبيده عصا وهو يطعم المسلمين سماطهم ، فلما رآه عمر قال له : اجلس ـ ولم يكن يعرفه ـ فجلس الرجل فأكل مع الناس ، فلما فرغوا انطلق عمر إلى منزله واتبعه الرجل ، فاستأذن فأذن له ، وإذا هو قد وضع له خبز وزيت وملح ، فقال عمر : ادْنُ فَكُلْ ، قال : فجلست ، فجعل عمر يقول لامرأته : ألا تخرجين يا هذه فتأكلين ؟ فقالت أم كلثوم : إني أسمع حسَّ رجلٍ عندك .

فقال : أجل ، قالت : لو أردت أن أبرز للرجال اشتريت لي غير هذه الكسوة!!

فقال : أوما ترضين أن يُقال : أم كلثوم بنت علي وامرأة عمر . . .

فقالت : ما أقلّ غناء ذلك عنِّي . .[2] .

أهذه زوج أمير المؤمنين التي تهابه أكاسرة الفرس وأقاصرة الروم! ؟

أهذه بنت بنت رسول الله ﷺ أم كلثوم! ؟

أيُّ زهدٍ هذا يا أم كلثوم ؟ يا زوج الفاروق ؟ يا بنت علي وفاطمة! ؟

لقد أصاب عمر بنظره الثاقب حين أصرَّ على الزواج منكِ ، وعمر لا همَّ له إلا الاتصال برسول الله ﷺ ، وبكلِّ ما يمتُّ إليه بصلة ، علماً أن كثيراً من الفتيات يرغبن في الزواج من أمير المؤمنين ، لكن عمر سما فوق

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير : ٧/ ١٣١ـ١٣٩ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير : ٧/ ١٣١ـ١٣٩ .

الشهوة الجنسية ، وتطلّع إلى ذاك البيت الطاهر الذي شُـرِّفَ بانتمائه إلى عمود البيت ورأسه سيدنا رسول الله ﷺ .

* * *

أنت مع من أحببت :

عن أبي ذر رضي الله عنه قلت : يارسول الله ، الرجل يحبُّ القوم ولا يستطيع أن يعمل عملهم ؟ قال : « أنت يا أبا ذر مع من أحببت »[١] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قيل : يارسول الله ، أيُّ جلسائنا خير ؟ قال :

« من ذكَّركم الله رؤيته ، وزاد في عملكم منطقه ، وذكَّركم في الآخرة عمله »[٢] .

وعن حنظلة رضي الله عنه قال : لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟

قلت : نافق حنظلة! قال : سبحان الله! ما تقول ؟ قلت : نكون عند رسول الله ﷺ يذكّرنا بالجنة والنار كأنّا رأي عين ، فإذا خرجنا من عنده عافسنا[٣] الأزواج والأولاد والضيعات ، فنسينا كثيراً ، قال أبو بكر رضي الله عنه : فوالله إنا لنلقى مثل هذا .

فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ ، فقلت : نافق حنظلة يارسول الله ، فقال رسول الله ﷺ :

---

(١) رواه أبو داود .

(٢) رواه أبو يعلى .

(٣) عافسنا : عالجنا ولاعبنا واختلطنا .

« وما ذاك » ؟ قلت : يارسول الله ، نكون عندك وتذكّرنا بالنار والجنة ، فما إن نخرج من عندك حتى نكون قد نسينا شيئاً كثيراً ، فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي في الذكر لصافحتكم الملائكة على فُرُشكم وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة . . » وكررها ثلاث مرات[1] .

وفي حديث آخر : يقول سيد الوجود رسول الله ﷺ :

« الرجل على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل »[2] .

* * *

غرفٌ من فوقها غرف :

أكّد الله تعالى في كتابه العزيز أن جزاء المؤمنين غرفٌ مبنية بناء حقيقة لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل ، بل هي غرف مبنية كالعلالي بعضها فوق بعض كما في قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ [الفرقان : ٧٥] .

وقوله : ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ ﴾ [الزمر : ٢٠] .

وقوله : ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ : ٣٧] .

أما النّبي المصطفى صلوات الله عليه ، فكرر ذلك في أحاديثه ، ومن ذلك ما رواه الإمام علي كرم الله وجهه قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن في الجنة لغرفاً يُرى ظهورها من بطونها ، وبطونها من ظهورها »

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه أبو داود .

فقام أعرابي فقال : يارسول الله ، لمن هي ؟ قال : « لمن طيَّب الكلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام »[1] .

وقوله : « إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوَّفة طولها ستون ميلاً ، فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً »[2] .

وقوله : « أُدْخِلْتُ الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب ، فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا : لشاب من قريش ، فظننت أني أنا هو ، فقلت : ومن هو ؟ قالوا : لعمر بن الخطاب »[2] .

وفي هذا المجال أحاديث كثيرة ، نسأل الله أن يجعلنا من أهل تلك الغرف في الجنة إنه على ما يشاء قدير .

❊ ❊ ❊

الكاتمون أحوالهم!!

عن أبي العباس الهاشمي عن صالح بن المأمون قال : دخلت على الحارث المحاسبي رحمه الله فقلت له : يا أبا عبد الله ، هل حاسبت نفسك ؟ فقال : كان هذا مرة . فقلت : فاليوم ، قال : أكاتم حالي إني لأقرأ آية من كتاب الله تعالى فأضنُّ بها أن تسمعها نفسي ، ولولا أن يغلبني فيها فرح ما أعلنت بها ، ولقد كنت ليلة قاعداً في محرابي ، فإذا أنا بفتى حسن الوجه طيب الرائحة ، فسلَّم عليَّ ثم قعد بين يديَّ ، فقلت له : من أنت ؟ فقال : أنا واحد من السياحين أقصد المتعبدين في محاريبهم ، ولا أرى لك اجتهاداً ، فأيُّ شيء عملك ؟ قال : قلت له : كتمان المصائب

---

(١) رواه الترمذي .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

واستجلاب الفوائد ، قال : فصاح وقال : ما علمت أن أحداً بين جنبي المشرق والمغرب هذه صفته ، قال الحارث : فأردت أن أزيد عليه فقلت له : أما علمت أن أهل القلوب يخفون أحوالهم ، ويكتمون أسرارهم ، ويسألون الله كتمان ذلك عليهم ، فمن أين تعرفهم ؟ قال : فصاح صيحة غشي عليه منها ، فمكث عندي يومين لا يعقل ، ثم أفاق وقد أحدث في ثيابه ، فعلمت إزالة عقله ، فأخرجت له ثوباً جديداً ، وقلت له : هذا كفني قد آثرتك به ، فاغتسل وأعد صلاتك ، فقال : هات الماء ، فاغتسل وصلى ، ثم التحف بالثوب وخرج ، فقلت له : أين تريد ؟

فقال لي : قم معي ، فلم يزل يمشي ، حتى دخل على الخليفة المأمون فسلَّم عليه وقال : يا ظالم ، أنا ظالم إن لم أقل لك يا ظالم ، أستغفر الله من تقصيري فيك ، أما تتقي الله تعالى فيما قد ملكك ، وتكلم بكلام كثير ، ثم أقبل يريد الخروج وأنا جالس بالباب ، فأقبل عليه المأمون وقال : من أنت ؟ قال : أنا رجل من السياحين فكرت في عمل الصدّيقين قبلي ، فلم أجد لنفسي فيه حظاً ، فتعلقت بموعظتك لعلّي ألحقهم ، فأمر المأمون بضرب عنقه ، وأُخرج وأنا قاعد على الباب ، ملفوفاً بذلك الثوب ، ومنادٍ ينادي : من وليُّ هذا فليأخذه ؟ قال الحارث : فاختبأت عنه ، فأخذه أقوام غرباء فدفنوه وكنت معهم لا أعلمهم بحاله ، فأقمت في مسجد بالمقابر محزوناً على الفتى ، فغلبتني عيناي فإذا هو بين وصائف لم أر أحسن منهنَّ ، وهو يقول : أنت والله من الكاتمين الذين يخفون أحوالهم ، ويطيعون ربهم ، قلت : وما فعلوا ؟ قال : الساعة يلقونك!

فنظرت إلى جماعة ركبان فقلت : من أنتم ؟ قالوا : الكاتمون أحوالهم ، حرَّك هذا الفتى كلامك له فلم يكن في قلبه مما وصفت شيء فخرج للأمر والنهي ، وإن الله تعالى أنزله معنا وغضب لعبده .

الصبر أفضل الجهاد!!

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله[1] : الصبر هو الجهاد ، بل أفضل منه وأكمل من ثلاثة أوجه :

١ـ الصبر على المحرمات أفضل من الصبر على المصائب .

٢ـ إن ترك المحرمات مع القدرة عليها ، وطلب النفس لها أفضل من تركها من دون ذلك .

٣ـ إن طلب النفس لها إذا كان بسبب أمر ديني ـ كمن خرج لصلاة ، أو طلب علم ، أو جهاد فابتُلي بما يميل إليه من ذلك ـ فإن صبره عن ذلك يتضمَّن فعل المأمور وترك المحظور ، بخلاف ما إذا مالت نفسه إلى ذلك في عمل صالح .

ثم إن الله تعالى أمر نبيَّه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالهجر الجميل ، والصفح الجميل ، والصبر الجميل .

ـ فالهجر الجميل : هجر بلا أذى .

ـ والصفح الجميل : صفح بلا عتاب .

ـ والصبر الجميل : صبر بلا شكوى .

لذا قال سيدنا يعقوب عليه السلام كما ورد في القرآن الكريم :

﴿ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [يوسف : ٨٦] .

مع قوله :

﴿ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف : ١٨] .

---

(١) للتوسع راجع مجموع الفتاوي الكبرى للإمام ابن تيمية رحمه الله .

فالشكوى إلى الله تعالى لا تنافي الصبر الجميل ، وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه يقرأ في صلاة الفجر ذات يوم قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف : ٨٦] .

فغلب عليه البكاء ، وسمع نشيجه من في آخر الصفوف ، وهذا بخلاف الشكوى إلى المخلوق ، ولابدَّ للإنسان من شيئين :

طاعته بفعل المأمور وترك المحظور ، وصبره على ما يصيبه من القضاء المقدور ، فالأول : هو التقوى ، والثاني : هو الصبر ، وقد جمعت الآية الكريمة ذلك :

﴿ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [آل عمران : ١٨٦] .

وقوله : ﴿ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ [آل عمران : ١٢٠] .

❊ ❊ ❊

بوابة الجَنَّة الصِّدق :

وبوابة جهنَّم الكذب :

حذَّر سيدنا المصطفى من أن يستخدم الإنسان لسانه في الكذب ، لما للكذب من نتائج وخيمة في الدنيا ، وبالتالي فهو أحد بوابات جهنم ، فيقول صلوات الله عليه :

« عليكم بالصدق فإنه من أبواب الجنة ، وإياكم والكذب فإنه باب من أبواب النار » .

ويقول مفصلاً في حديث آخر :

« عمل الجنة الصدق ، وإذا صدق العبد برّ ، وإذا برّ أمن ، وإذا أمن دخل الجنة ، وعمل النار الكذب ، وإذا كذب العبد فجر ، وإذا فجر دخل النار » .

ثم يبيِّن المصطفى أن الكذب هو الطريق الموصل إلى الفجور ، ومن ثم إلى نار جهنم ، فيقول صلوات الله عليه :

« عليكم بالصدق فإنه مع البرّ ، والبرُّ يهدي إلى الجنة ، وإياكم والكذب فإنه مع الفجور ، والفجور يهدي إلى النار » .

بل يزيد النَّبي ﷺ الأمر تحذيراً حتى يصل إلى نفي الإيمان عن الكذاب ! !

وها هو ذا رجلٌ يأتيه فيسأله : أيكون المؤمن كذاباً ؟

قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « لا » .

إذاً ما هي مثوبة الصادقين يوم الدين ؟

تعالوا إلى كتاب الله تعالى نختصر الأمور كلها بكلمات موجزة بسيطة ، فيقول ربنا عز وجل في سورة المائدة :

﴿ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾

[المائدة : ١١٩] .

اللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين .

❊ ❊ ❊

الامتحان العجيب!

جاء في كتاب المستطرف[1] ما نصُّه :

روي عن الهيثم بن عدي أنه قال : تمارى ثلاثة نفر في الأجواد ، فقال رجل : أسخى الناس في عصرنا هذا عبد الله بن جعفر ، فقال الآخر : أسخى الناس قيس بن سعيد بن عبادة ، فقال الآخر : أسخى الناس اليوم عرابة الأوسي ، فتنازعوا بفناء الكعبة ، فقال لهم رجل : لقد أفرطتم في الكلام ، فليمض كل واحد منكم إلى صاحبه فيسأله حتى ننظر بما يعود ، فنحكم على العيان ، فقام صاحب عبد الله بن جعفر فوافاه وقد وضع رجله في ركاب راحلته يريد ضيعة له ، فقال الرجل : يا بن عم رسول الله ﷺ ابن سبيل ومنقطع به ، فأخرج رجله وقال : ضع رجلك واستو على الناقة وخذ ما في الحقيبة ، وكان فيها مطارف خزٍّ وأربعة آلاف دينار .

ومضى صاحب قيس ، فوجده نائماً ، فقالت له جارية قيس : ما حاجتك ؟

فقال : ابن سبيل ومنقطع به ، فقالت الجارية : حاجتك أهون من إيقاظه ، هذا كيس فيه سبعمئة دينار ، ما في دار قيس غيرها ، وامض إلى معاطل (زرائب) الإبل فخذ راحلة من رواحله وما يصلحها ، وعبداً ، وامض لشأنك ، ولما انتبه قيس أخبرته الجارية بما صنعت ، فأعتقها . . .

وأما صاحب عرابة فانطلق إليه ، فوجده وقد خرج إلى الصلاة ، فقال : يا عرابة ، ابن سبيل ومنقطع به ، وكان معه عبدان ، فصفَّق بيده اليمنى على اليسرى وقال : أواه أواه ، والله ما أصبح ولا أمسى الليلة عند

---

(١) المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي ص ١٨٠ .

عرابة شيء ، ولا تركت له الحقوق مالاً ، ولكن خذ هذين العبدين ، فقال الرجل : والله ما كنت بالذي يسلبك عبديك ، فقال : إن أخذتهما وإلا فهما حُرّان لوجه الله تعالى ، فإن شئت فاعتق ، فأخذ الرجل العبدين ومضى .

ثم اجتمعوا وذكروا قصة كل واحد ، فحكموا لعرابة بالجود والسخاء والكرم أكثر من الآخرين ، وذلك لأنه أعطى على جهد .

* * *

ربح البيع!

للبيع أنواع كثيرة ، ولكن أسماها هو بيع النفس في سبيل الله تعالى .

من هنا نجد الأئمة الأعلام ، والعلماء المخلصين يرددون عبارة البيع هذه ويدفعون الثمن لذلك ، وهذا ما كان يردده العالم (عبد الله بن المبارك) رحمه الله تعالى كلما خرج إلى ردّ العدو فيقول :

بغضُ الحياة وخوفُ الله أخرجني ... وبيعُ نفسي بما ليستْ لهُ ثمنا
إنّي وزنتُ الذي يبقى ليعدله ... ما ليسَ يبقى فلا والله ما اتَّزنا[1]

إن هذه البيع ضرب من ضروب الجهاد . ودرجة عالية في الجنة . وسبيل عزّة المسلمين وانتصارهم على أعدائهم .

لقد طلّقوا الدنيا ثلاثاً لا رجعة بعدها... لقد باعوا أنفسهم في سبيل الله .

فهان كلُّ شيء أمام ذلك.. فخاف أعداؤهم منهم...

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/١٦٦ .

وهذا ما عبَّر عنه سيف الله (خالد بن الوليد) رضي الله عنه وهو يصف الجنود المسلمين الذين فتح الله على أيديهم العراق . قال للفرس :

(لقد أتيتكم بأقوامٍ هم أحرص على الموت منكم على الحياة)[1] .

* * *

إلهي... عجبت :

قال الإمام التابعي : وهب[2] رحمه الله تعالى :

بينما كنت أسير في أرض الروم ، إذ سمعت صوتاً من شاهق الجبل يقول :

إلهي!

عجبت لمن عرفك ، كيف يتعرض لسخطك برضاء غيرك ؟

إلهي!

عجبت لمن عرفك ، كيف يرجو غيرك ؟

فاتَّبعت الصوت ، فإذا أنا بشيخ ساجد يقول :

سبحانك ، سبحانك ، عجباً للخليقة كيف يريدون بك بدلاً ؟!

سبحانك ، عجباً كيف يشتغلون بخدمة غيرك ؟!

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٣٤٤ .

(٢) وهب : بن منبه الصنعاني الذماري ، أبو عبد الله : مؤرخ كثير الأخبار عن الكتب القديمة ، عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات ، يعد في التابعين .
ولد سنة (٣٤ هـ) في صنعاء وتولى القضاء فيها زمن الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه . توفي (١١٤ هـ) :

[سير أعلام النبلاء : ٤/ ٥٤٤] .

سبحانك ، عجباً للخليقة كيف يشتاقون إلى غيرك ؟!

سبحانك ، سبحانك ، كيف يتلذذون بغيرك وبشيء دونك ؟!

فمضيت ، وما أشغلته عما رأيته[1] .

* * *

إن الله يدافع عن الذين آمنوا...

في مدينة الموصل وفي أوائل هذا القرن حدثت هذه الحادثة :

سارق مشهور واسمه (عبّود) له عصابة من اللّصوص مدربة .

وفي يوم من الأيام أراد سرقة دار جاره ، فعبر الحائط واستقر فوق السطح مع عصابته ، وأخذ يستطلع من عَلٍ على حركة أهل الدار وسكناتهم ، حتى يفاجئهم حين ينامون .

لكنهم رأوا في إيوان الدار ـ وكانت الدار مكشوفة من الطراز القديم ـ رأوا حلقة للذكر فيها جمع من الناس يذكرون الله . .

وانتظر حتى الصباح ، ثم غادر الدار مع عصابته ليعود إليها سبعة أيام متتالية ، وليرى حلقة الذكر حافلة بالناس يذكرون الله .

وفي اليوم الثامن ، زار اللص بيت جاره ـ وكان الجار ورعاً تقياً كثير التدين مهتماً بأحوال الفقراء والمساكين والمحتاجين ـ وسأله :

أفي كل يوم تقيم حلقة للذكر في دارك ؟

فاستغرب الجار وقال : لم أعقد حلقة للذكر منذ سنوات!

قال اللص : الآن حصحص الحق ـ وقص عليه القصة ـ .

---

(١) حالة أهل الحقيقة مع الله : للرفاعي/ ١٢٥ .

فقال الجار : لقد صدق الله العظيم حينما قال :

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴾

[الحج : ٣٨] .

❊ ❊ ❊

فالصّمت درٌّ زانه الياقوت!

قال أحد الشعراء :

وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن ... ثرثارةً في كل نادٍ تخطب

واحفظ لسانك واحترز من لفظه ... فالمرء يسلم باللسان ويعطب

وقال آخر :

تكلم وسدِّد ما استطعت فإنما ... كلامك حيٌّ والسكوت جماد

فإن لم تجد قولاً سديداً تقوله ... فصمتك عن غير السديد سداد

وقال غيره :

رأيت العز في أدبٍ وعقلٍ ... وفي الجهل المذلَّة والهوان

وما حُسن الرجال لهم بحسنٍ ... إذا لم يُسْعِدِ الحُسن البيان

كفى بالمرء عيباً أن تراه ... له وجه وليس له لسان

وقال آخر :

تحدثت في قومٍ لتؤنسهم ... بما تحدَّث من ماضٍ ومن آت

فلا تعد لحديثه إن طبعه ... موكل بمعاداة المعادات[1]

---

(١) كره وبغض التكرار .

وقال غيره :

إن القليل من الكلام بأهله حسنٌ وإن كثيره ممقوت
ما زلَّ ذو صمتٍ وما من مكثر إلا يزلُّ وما يعاقب صموت
إن كان ينطق ناطقٌ من فضة فالصمت درٌّ زانه ياقوت

* * *

من وفاء الرسول ﷺ :

روى ابن كثير[1] من طريق عبيد الله بن رماحس الكلبي الرملي عن زياد ابن طارق الجشمي عن أبي صرد زهير بن جرول ـ وكان رئيس قومه ـ قال : لما أَسَرَنَا رسول الله ﷺ يوم حُنين ، فبينا هو يميز بين الرجال والنساء وثبْتُ حتى قعدتُ بين يديه وأسمعته شعراً ، أذكره حين شبَّ ونشأ في هوازن حيث أرضعوه :

امنن علينا رسول الله في كرمٍ فإنك المرء نرجوه وننتظر
امنن على بيضةٍ قد عاقها قَدَرٌ ممزقٌ شملُها في دهرها غِيَرُ[2]
أبقى لنا الدهرَ هتّافاً على حَزَنٍ على قلوبهم الغمَّاءُ والغمرُ
إن لم تداركها نعماءُ تنشرُها يا أرجحَ الناس حِلماً حين يُختبر
امنن على نسوةٍ قد كنتَ ترضعُها إذ فوكَ تملؤهُ من مخضها الدِّرَرُ
إذ أنت طفل صغير كنت ترضعها وإذ يزينك ما تأتي وما تذر
لا تجعَلَنّا كمن شالتْ نعامته واستبقِ منّا فإنا معشرٌ زُهر
إنا لنشكر للنعمى وإن كفرت وعندنا بعد هذا اليوم.. مدَّخر

---

(١) من البداية والنهاية : ٤/٢٥٣ .

(٢) بيضة : جارية .

فألبس العفو من قد كنت ترضعه ... من أمهاتك إن العفو مشتهر

إنا نؤمِّل عفواً منك تُلبسه ... هذي البريَّة إذ تعفو وتنتصر

فاغفر عفا الله عما أنت راهبه ... يوم القيامة إذ يُهدى لك الظفر

قال : فقال رسول الله ﷺ : « أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لله ولكم » .

فقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لله ورسوله ، فأطلق لهم الذرية وكانت ستة آلاف ما بين صبي وامرأة ، وأعطاهم أنعاماً وأناسي كثيراً ، حتى قال أبو الحسين بن فارس : فكانت قيمة ما أطلق لهم يومئذٍ خمسمئة ألف ألف درهم ، وهذا كله من بركته العاجلة في الدنيا ، فكيف ببركته على من اتبعه في الدار الآخرة .

* * *

من أخبار يزيد :

جاء في كتاب المختار للمقري :

قدم عبد الله بن جعفر على يزيد بن معاوية[1] ، فقال له يزيد : ما كان أمير المؤمنين يعطيك إذا قدمت عليه ؟ (ويعني بذلك أباه معاوية) .

قال : كان رحمه الله يعطيني مئة ألف درهم .

قال : هي لك ولقولك رحمه الله مئة ألف درهم أخرى .

قال : بأبي أنت وأمي .

---

(١) ثاني خلفاء الدولة الأموية في الشام ، نشأ بدمشق وولي الخلافة بعد وفاة والده (٦٠ هـ) .

قال : ولهذه الكلمة مئة ألف ثالثة .

قال : أحسن الله إليك .

قال : ولهذه الدعوة مئة ألف .

قال : يكفي يا مولاي ، قال : ولهذه الكلمة مئة ألف .

قال : فحمل عبد الله المال وانصرف ، فقيل ليزيد : أنفدت المال وأجحفت بالخزانة ، دفعت لرجل واحد خمسمئة ألف درهم!!

قال يزيد : ما دفعتها له وحده ، وإنما دفعتها لسائر أهل المدينة ، لأنه ما يملك درهماً إلا جاد به ، فلما رجع عبد الله إلى المدينة لم ينزل عن ناقته حتى فرَّقها لمستحقيها ، فعوتب في ذلك فقال : إن الله عوَّدني عادة ، وعوَّدتُ خلقه عادة ، عوَّدني أن يمدَّني بالرِّزق ، وعوَّدتُ خلقه بالبرِّ ، فأكره أن أقطع العادة ، فيقطع عنِّي المادَّة .

❊ ❊ ❊

التعصُّب الأعمى!!

من مداخل الشيطان التعصب للمذاهب والأهواء والحقد على الخصوم ، والنظر إليهم بعين الازدراء والاستحقار ، وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعاً ، فإن الطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصهم صفة مجبولة في الطبع من الصفات السبعية ، فترى الواحد منهم يتعصَّب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب ، ومتعاطٍ لأنواع الفساد ، ولو رآه أبو بكر لكان أول عدوٍ له ، إذ موالي أبي بكر من أخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ ما بين لحييه ، وكان من سيرته رضي الله عنه أن يضع حصاة في فمه ليكفَّ لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه ، فأنَّى لهذا الفضولي أن يدَّعي ولاءه وحبَّه ولا يسير بسيرته .

وترى فضولياً آخر يتعصَّب لعلي رضي الله عنه ، وكان من زهد علي وسيرته ، أنه لبس في خلافته ثوباً اشتراه بثلاثة دراهم ، وقطع رأس الكمَّين إلى الرُّسغ ، ونرى الفاسق لابساً لثياب الحرير ومتجمِّلاً بأموال اكتسبها من حرام ، وهو يتعاطى حبَّ علي رضي الله عنه ويدعيه ، وهو أول خصمائه يوم القيامة .

. . . وهكذا حكم المتعصبين للشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد ، وغيرهم من الأئمة ، فكلٌّ من ادَّعى مذهب إمام وهو ليس يسير بسيرته ، فذلك الإمام هو خصمه يوم القيامة ، إذ يقول له : كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان ، وكان الحديث باللسان لأجل العمل لا لأجل الهذيان ، فما بالك خالفتني في العمل والسيرة ، التي هي مذهبي ومسلكي الذي سلكته وذهبت فيه إلى الله تعالى ، ثم ادَّعيتَ مذهبي كاذباً .

وهذا مدخلٌ عظيم من مداخل الشيطان قد أهلك به أكثر العالم ، وقد سلمت المدارس لأقوام قلَّ من الله خوفهم ، وضعفت في الدين بصيرتهم ، وقويت في الدنيا رغبتهم ، واشتدَّ على الاستتباع حرصهم ، ولم يتمكَّنوا من الاستتباع وإقامة الجاه إلا بالتعصُّب .

فحبسوا ذلك في صدورهم ، ولم ينبهوهم على مكايد الشيطان فيه ، بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكيدته ، فاستمرَّ الناس عليه ، ونسوا أمهات دينهم ، فقد هلكوا وأهلكوا ، فالله تعالى يتوب علينا وعليهم[١] .



(١) بتصرف من إحياء علوم الدين للغزالي : ٣/١٥٣ .

ما هي درجة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه العلمية ؟

كان عمر بن عبد العزيز تابعياً جليلاً ، أخذ العلم عن بعض الصحابة وكبار التابعين وأعلام الفقهاء ، وروى الحديث عن جماعة من الصحابة وهم : أنس بن مالك (٩٠ هـ) وعبد الله بن عمر (٧٤ هـ) وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب (٨٠ هـ) والسائب بن يزيد ، ويوسف بن عبد الله بن سلام ، ويوسف صحابي صغير ، وأرسل الحديث عن عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانيء ، وروى أيضاً عن جماعة من كبار التابعين وهم : سعيد بن المسيب (٩٤ هـ) سيد التابعين ، وأبو بكر بن عبد الرحمن ، وعبد الله بن إبراهيم بن قارظ ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود (٩٩ هـ) .

وقد روى عمر عن ابن عتبة هذا أكثر مما روى عن جميع الناس ، وروى أيضاً عن أبيه وعن سالم وأبي سلمة وعروة بن الزبير (٩٤ هـ) وخارجة بن زياد ، وعامر بن سعد بن أبي وقاص وأبي بردة بن أبي موسى ، والربيع بن سبرة ، وعراك بن مالك ، وأبي حازم ، والزهري ، والقرظي ، وغيرهم ، وهم خلق كثير يطول ذكرهم .

جاء في مكانته العلمية بعض الأقوال منها :

ما قاله الليث بن سعد : حدثني رجل كان قد صحب ابن عمر وابن عباس ، وكان عمر بن عبد العزيز يستعمله على الجزيرة فقال : ما التمسنا علم شيء إلا وجدنا عمر بن عبد العزيز أعلم الناس بأصله وفرعه ، وما كان العلماء عند عمر بن عبد العزيز إلا تلامذة .

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : لا أدري قول أحد من التابعين حجة إلا قول عمر بن عبد العزيز .

وقال ميمون بن مهران (ت ١١٧ هـ) : كان العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلامذة . وقال أيضاً : كان عمر بن عبد العزيز يعلِّم العلماء .

وقال مجاهد : أتينا عمر نعلِّمه ، فما برحنا حتى تعلَّمنا منه[١] .

* * *

من ذكاء لقمان الحكيم :

كان لقمان عبداً أسود ، لكن الله أعطاه الحكمة ، وكان لرجلٍ من بني إسرائيل اشتراه بثلاثين مثقالاً ، لكن مولاه هذا كان يلعب بالنرد يقامر عليه ، وكان على بابه نهر جارٍ ، فلعب يوماً بالنرد على أن مَن قمر صاحبه شرب الماء الذي في النهر كله أو افتدى منه ، فقُمِرَ سيد لقمان ، فقال له القامر : اشرب ما في النهر وإلا فافتد منه ، قال : فسلني الفداء ، قال : عينيك أفقؤها أو جميع ما تملك ، قال : أمهلني يومي هذا ، قال : لك ذلك ، قال : فأمسى كئيباً حزيناً إذ جاءه لقمان وقد حمل حزمة على ظهره ، فسلَّم على سيده ثم وضع ما معه ورجع إلى سيده ، وكان سيده إذا رآه عبس به ، ويسمع منه الكلمة الحكيمة فيعجب منه ، فلما جلس إليه قال لسيده : ما لي أراك كئيباً حزيناً ؟ فأعرض عنه ، وكرر ذلك ثلاثاً .

فأخبره بما حدث مع شريكه المقامر ، فقال له لقمان : لا تغتم فإن لك عندي فرجاً .

قال : وما هو ؟ قال : إذا أتاك الرجل فقال لك : اشرب ما في

---

(١) للتوسع في ذلك يراجع :
- صفة الصفوة لابن الجوزي : ٢/ ٧٢ .
- تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٢٢٩ .
- سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي : ٨ وما بعد .

النهر ، فقل له : أشرب ما بين ضفتي النهر أو المد ؟[1] ، فإنه سيقول لك : اشرب ما بين الضفتين ، فإذا قال لك ذلك ، فقل له : احبس عني المدَّ حتى أشرب ما بين الضفتين ، فإنه لا يستطيع أن يحبس عنك المد ، وتكون قد خرجت مما ضمنت له . فعرف سيده أنه قد صدق ، فطابت نفسه . فلما أصبح جاءه الرجل ، فقال له : فِ لي بشرطي .

قال له : نعم أشرب ما بين الضفتين أو المد ؟

قال : لا ، بل ما بين الضفتين .

قال : فاحبس عني المد .

قال : كيف أستطيع ؟ قال : فخصمه .

قال : فأعتقه مولاه[2] .

* * *

الحسد في اثنتين :

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٩] .

وقال أيضاً : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة : ١١] .

وقال أيضاً : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر : ٢٨] .

أما الأحاديث النبوية الشريفة فكثيرة في هذا المجال :

« من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين »[3] .

---

(١) مدّ النهر : مدداً يعني زاد ماؤه وامتدّ

(٢) من الأذكياء للحافظ أبي الفرج بن الجوزي : ٢٤ .

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد والبغوي .

« إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم ، كمثل غيثٍ أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيِّبة ، قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادبُ أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعانٌ ، لا تمسك الماء ، ولا تنبت كلأً ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلَّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلتُ به »[1] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال النَّبي ﷺ :

« لا حسد إلا في اثنتين : رجلٌ آتاه الله مالاً فسلَّطه على هلكته في الحق ، ورجلٌ آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلِّمها »[2] .

والمراد بالحسد الغبطة ، وهي أن يتمنى مثله ، ومعناه : ينبغي أن لا يغبط أحداً إلا في هاتين الخصلتين الموصلتين إلى رضا الله تعالى .

وقد روى أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع »[3] .

و « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ، وإن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت ليصلُّون على معلِّمي الناس الخير »[4] .

* * *

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد والبغوي وأبو يعلى .

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجه والبغوي وأبو يعلى .

(٣) رواه الترمذي .

(٤) رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه وابن حبان والبغوي والدارمي .

يا جنيدُ ما لكَ لا تتحرك ؟!

قال الإمام الشافعي رحمه الله : الشعر كلام ، فحسنه حسن ، وقبيحه قبيح .

وعلّق النووي على ذلك : لا بأس بإنشاد الشعر في المسجد إذا كان مدحاً للنبوة أو الإسلام ، أو كان حكمة ، أو في مكارم الأخلاق ، أو الزهد ونحو ذلك من أنواع الخير .

ويروي أبو بكر الأنباري أن كعب بن زهير لما جاء تائباً قال قصيدته المشهورة :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   متيّمٌ إثرها لم يُفْدَ مكبولُ

إلى أن وصل إلى قوله :

إن الرسول لسيفٌ يستضاء به   مهنّدٌ من سيوف الهند مسلولُ

رمى ﷺ إليه بردة كانت عليه ، وإن معاوية بذل فيها عشرة آلاف ، فقال : ما كنت لأوثر بثوب رسول الله ﷺ أحداً ، فلما مات كعب بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألفاً فأخذها منهم .

ويروي البخاري في صحيحه عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : خرجنا مع النّبي ﷺ إلى خيبر ، فسرنا ليلاً ، فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع : ألا تسمعنا من هُنَيهاتك ؟ وكان عامر رجلاً شاعراً ، فنزل يحدو بالقوم :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا   ولا تصدَّقنا ولا صلينا

فاغفر فداءٌ لك ما اقتضينا   وثبّتِ الأقدام إن لاقينا

وألقين سكينة علينا   إنا إذا صيح بنا أتينا

وبالصياح عوّلوا علينا

فقال رسول الله صلوات الله عليه : « من هذا السائق » ؟ قالوا : عامر ، قال : « يرحمه الله » فقال رجل : وجبت يارسول الله لولا أمتعتنا به ، فأصيب . . .

لكن المبتدئين في هذا الفن (الذكر) يلحق بهم الوجد فيصرخون ويشهقون . . ! !

أما الواصلون فيغلب عليهم السكون ، لذلك قالوا للجنيد رحمه الله : ما لنا لا نراك تتحرك عند السماع ؟ فقال :

﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ [النمل : ٨٨] .

❊ ❊ ❊

ما الذي يعين على الحلم ؟

١ـ أن يذكر ثواب العفو وجزاء الصفح ، فيقهر نفسه على الغضب رغبةً في الجزاء والثواب ، كما قال الله عز وجل :

﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى : ٤٠] .

ولذلك عندما أسمع رجل الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كلاماً سيئاً ، فقال عمر : أردت أن يستفزَّني الشيطان لعزَّة السلطان ، فأنال منك ما تناله فيَّ غداً ، انصرف رحمك الله !

٢ـ أن ينقل عن الحالة التي هو فيها إلى حالة غيرها ، فإن كان قائماً مثلاً جلس ، فيزول الغضب لتغير الأحوال وقد ورد :

« إذا غضب القائم فليجلس ، وإذا غضب الجالس فليقم » .

٣ـ أن يذكر انعطاف القلوب عليه ، وميل النفوس إليه ، ولذلك قال بعض البلغاء : ليس من عادة الكرام سرعة الانتقام ، ولا من شروط الكرم

إزالة النعم ، لذلك عندما عفا المأمون عن إبراهيم بن المهدي الذي حاول قتله أنشد إبراهيم هذا :

لئن جحدتك معروفاً مننت به ... إني لفي اللؤم أحظى منك بالكرم
تعفو بعدلٍ وتسطو إن سطوت به ... فلا عدمناك من عافٍ ومنتقم

٤ـ أن يذكر الله عز وجل فيدعوه ذلك إلى الخوف منه ويبعثه الخوف منه على الطاعة له ، فيرجع إلى أدبه فيزول غضبه ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف : ٢٠٠] .

٥ـ أن يتذكر ما يؤول إليه الغضب من الندم ومذمّة الانتقام :

وإذا ما اعترتك في الغضب عزَّ ... ة فاذكر تذلُّل الاعتذار[١]

* * *

هنيئاً لك يا زهراء :

ورد في حق فاطمة الزهراء رضي الله عنها أحاديث نبوية كثيرة نختار منا :

في مسند الإمام أحمد : « أفضل نساء أهل الجنة : خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وآسية بنت مزاحم (امرأة فرعون) » : ٢/ ٢٩٣ .

وفي صحيح البخاري : « فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها فقد أغضبني » : ٥/ ٢١ .

---

(١) من كتاب الأخلاق الإسلامية للناشئة : ٣/ ٧٧ ط/ دار المحبة .

وفي مسند أحمد : أن النَّبي ﷺ أخذ بيد الحسن والحسين وقال :

« من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي في الجنة يوم القيامة » .

وعند البخاري وأحمد أن النَّبي ﷺ دخل على فاطمة فقال لها :

« يا فاطمة ، ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين ؟ أو : سيدة نساء هذه الأمة » وفي رواية : « سيدة نساء أهل الجنة » ٤/ ٦٤ و ٦/ ٣٨٢ .

وعند الترمذي وابن ماجه : أن النَّبي ﷺ نظر إلى عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين وقال : « أنا حربٌ لمن حاربتم ، وسلمٌ لمن سالمتم » . وفي رواية أخرى : « حربكم حربي وسلمكم سلمي » : ٥/ ٣٦٠ و ١/ ٥٢ .

وفي مجمع الزوائد للهيثمي : أنه سُئل النَّبي ﷺ : من هم قرباك في قوله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ﴾ [الشورى : ٢٣] ؟

فقال : « علي وفاطمة والحسن والحسين » ٧/ ١٠٣ .

وعند الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : « ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلاً وهدياً برسول الله ﷺ في قيامها وقعودها من فاطمة ، وقالت : وكانت إذا دخلت على النَّبي ﷺ قام إليها فقبّلها وأجلسها في مجلسه ، وكان النَّبي ﷺ إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبّلته وأجلسته في مجلسها » ٢/ ٣١٩ .

* * *

تعالوا نبايع :

بايع الصحابة الكرام رسول الله ﷺ ، وكانت أشكال البيعة مختلفة ومتنوعة ، من ذلك :

١ـ بيعة الرجال : عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال :

« بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا في معروف ، فمن وفَّى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفَّارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله ، إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه » فبايعناه على ذلك[1] .

٢ـ بيعة النساء : وعن أميمة بنت رُقَيْقة قالت : أتيت رسول الله ﷺ في نسوة فبايعناه فقلن : « نبايعك يارسول الله على أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيك في معروف » ، فقال رسول الله ﷺ : « فيم استطعتنَّ وأطقتنَّ » ، فقلن : الله ورسوله أرحم بنا منّا من أنفسنا ، هلمَّ بنا نبايعك يارسول الله ، فقال : « إني لا أصافح النساء ، إنما قولي لمئة امرأة كقولي لامرأة واحدة »[2] .

٣ـ بيعة الصغار : وعن محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم ، أن النَّبي ﷺ بايع الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر

---

(١) رواه البخاري في صحيحه .

(٢) رواه الإمام الترمذي .

رضي الله عنهم وهم صغار ولم يُبقلوا[1] ولم يبلغوا ، ولم يبايع صغيراً إلا منا[2] .

❊ ❊ ❊

مع سيد التابعين :

لو تتبعنا مسيرة سيد التابعين سعيد بن المسيب رحمه الله لوجدنا العجب العُجاب :

يروي صاحب صفة الصفوة : كان رحمه الله يسرُّ الصوم ويصوم الدهر ، ويفطر أيام العيدين ، والتشريق (الثلاثة أيام التي تلي عيد الضحى) .

ويروي صاحب وفيات الأعيان عن ابن حرملة قال :

سمعت ابن المسيب رحمه الله يقول : لقد حججت أربعين حجَّة .

أما تحصيله للعلوم الشرعية فيروي صاحب شذرات الذهب :

جمع ابن المسيب بين الحديث والتفسير والفقه والورع والعبادة .

وفي مجال العبادة والدعاء يقول صاحب حلية الأولياء :

قال ابن المسيب مرَّةً : دخلتُ المسجد في ليلة من الليالي ، قال : وأظن أني قد أصبحت ، فإذا الليل على حاله ، فقمت أصلي ، فجلست أدعو ، فإذا هاتف يهتف من خلفي : يا عبد الله ، قل ما أقول لك :

فقال : اللهم إني أسألك بأنك مالك الملك ، وأنك على كلِّ شيء

---

(١) لم يبقلوا : لم تنبت لحاهم بعد (صغار السن) .

(٢) رواه الطبراني .

قدير ، وما تشاء من أمر يكن ، قال سعيد : فما دعوت بها قطُّ إلا رأيت نجحة .

وأما صاحب البداية والنهاية فيقول : كان سعيد بن المسيب من أورع الناس فيما يدخل بيته وبطنه ، وكان من أزهد الناس في فضول الدنيا ، وروي عنه : من استغنى بالله افتقر إليه الناس .

وقوله : إن الدنيا نذلة ، وهي إلى كل نذلٍ أميل ، وأنذل منها من أخذها بغير حقِّها ، وطلبها بغير وجهها ، ووضعها في غير سبيلها .

وقوله : يد الله فوق عباده ، فمن رفع نفسه وضعه الله ، ومن وضعها رفعه الله ، الناس تحت كنفه يعملون أعمالهم ، فإذا أراد الله فضيحة عبد أخرجه من تحت كنفه ، فبدت للناس عورته .

رحم الله سيد التابعين رحمةً واسعة .

* * *

الوسيلة :

. . . عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« إذا صليتم فسلوا الله لي الوسيلة » ، قيل : يارسول الله ، وما الوسيلة ؟ قال : « أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل واحد ، وأرجو أن أكون أنا هو »[1] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « جاء رجل إلى النَّبي ﷺ فقال : يارسول الله ، والله إنك لأحبُّ إليَّ من نفسي ، وإنك لأحبُّ إليَّ من أهلي ، وأحبُّ إليَّ من ولدي ، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر

---

(١) رواه الإمام أحمد .

حتى آتيك فأنظر إليك ، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النَّبيِّين ، وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك ، فلم يرد عليه النَّبي ﷺ حتى نزل جبريل بهذه الآية :

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾[1] [النساء : ٦٩] » .

وعلَّق ابن قيم الجوزية رحمه الله على ذلك بقوله : وسميت درجة النَّبي ﷺ الوسيلة ، لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن ، وهي أقرب الدرجات إلى الله ، وأصل اشتقاق لفظ الوسيلة من القرب ، وهي فعيلة من وسل إليه تقرَّب إليه .

وقال الفضيل بن عياض : أتدرون لم حسنت الجنة ؟ لأن عرش رب العالمين سقفها ، وقال الكلبي : اطلبوا إليه القربة بالأعمال الصالحة ، وقد كشف سبحانه عن هذا المعنى كل الكشف بقوله :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ [الإسراء : ٥٧] .

فقوله : أيهم أقرب هو تفسير للوسيلة التي يبتغيها هؤلاء الذين يدعوهم المشركون من دون الله فيتنافسون في القرب منه .

❁ ❁ ❁

قَطَعَ.. وبَتَرَ.. وأعمى.. وأدخلك النار!!

عثمان بن عفان : من العشرة المبشرين بالجنة . . . عُرف عنه أنه كان مستجاب الدعوة ، وإليك هذه القصة :

مرَّ رجل من التابعين برجل أعمى مقطوع اليدين مبتور الساقين ، مكباً

---

(١) رواه أبو نعيم .

على وجهه ، ينادي بأعلى صوته : النار! النار!!

فسأله التابعي رضي الله عنه : ما شأنك ؟ وما هي النار ؟

فقال الرجل :

كنت من الذين دخلوا على عثمان بن عفان الدار لأقتله ، فلما كنت على بُعْد خطوات منه شاهراً سيفي ، دافعت عنه امرأته وحاولت صدِّي ، فلطمتها لطمة شديدة ، ودفعتها عني لأخلص إلى عثمان فأقتله!

فلما رآني عثمان بن عفان ألطم زوجته صاح بي : ما لك ؟! قطع الله يديك ، وبتر ساقيك ، وأعمى عينيك ، وأدخلك النار ، وأدخلك النار .

واستجاب الله دعاء عثمان ، وها أنا كما تراني ، ولم يبق من دعوته إلا النار! إلا النار!!

فرضي الله عن ذي النورين عثمان بن عفان .

* * *

الراضون عن ربهم :

ـ كان مكتوباً على سيف عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

قد قضى فيك حكمه فانقضى ما يريده
فأرد ما يكون إن لم يكن.. ما تريده

وكان الإمام علي ينشد وقت المعركة :

أيَّ يوميَّ من الموت أفرُّ يوم لا يُقدر أم يوم قُدر!
يوم لا يُقدر لا يأتي به ومن المقدور ما يُنجي الحذر

ـ وقال رجل عند الإمام الحسين رضي الله عنه إن أبا ذر رضي الله عنه كان يقول :

الفقر أحب إليَّ من الغنى ، والسقم أحبُّ إليَّ من الصحة .

فقال : رحم الله أبا ذر : أما أنا فأقول : من رضي بحسن اختيار الله تعالى ، لم يتمنَّ غير ما اختاره الله له . . .

ـ وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : ليس الشأن في أكل خبز الشعير ، ولبس الصوف ، لكن الشأن في الرضا عن الله تعالى .

ـ وقيل لسفيان الثوري رحمه الله تعالى : متى يكون العبد عن الله راضياً ؟

قال : إذا سرَّته المصيبة ، كما سرَّته النعمة . . !![1] .

* * *

العالم أعظم أجراً من الصائم!

عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : أن العالم لأعظم أجراً من الصائم القائم الغازي في سبيل الله ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : باب من العلم نتعلَّمه أحبُّ إلينا من ألف ركعة تطوع ، وباب من العلم نعلِّمه عُمِلَ به أو لم يُعمل أحبُّ إلينا من مئة ركعة تطوع .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : مذاكرة العلم ساعة خير من قيام الليل .

وعن الإمام سفيان الثوري : ليس شيء بعد الفرائض أفضل من طلب العلم .

وعن أحمد بن حنبل ، وقد قيل له : أيُّ شيء أحبُّ إليك ؟ جلوسك بالليل للنّسخ ، أم الصلاة تطوعاً ؟!

---

(١) بتصرف من حالة أهل الحقيقة مع الله : للرفاعي/ ٢٣٩ .

قال : بل نسخي للعلم ، لأني بذلك أتعلم أمر دينك ، وهذا أحبُّ إليّ من صلاة نافلة .

وعن أبي هريرة قال : لأن أعلم باباً من العلم في أمر ونهي أحبُّ إليَّ من سبعين غزوة في سبيل الله .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال ﷺ : « فقيه واحد أفضل عند الله من ألف عابد »[١] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال :

خرج رسول الله ﷺ فإذا في المسجد مجلسان ، مجلسٌ يتفقَّهون ، ومجلسٌ يدعون الله ويسألونه ، فقال : « كلا المجلسين خيرٌ ، أما هؤلاء فيدعون الله تعالى ، وأما هؤلاء فيتعلمون ويفقِّهون الجاهل ، هؤلاء أفضل ، وبالتعليم أُرسلت » ثم قعد معهم[٢] .

وعن سعيد بن المسيب[٣] قال : ليست عبادة الله بالصوم والصلاة ، ولكن بالفقه في دينه .

وعلَّق الإمام النووي على ذلك بقوله : يعني ليس أعظمها وأفضلها الصوم ، بل الفقه .

أما سفيان بن عيينة فيقول : أرفع الناس عند الله تعالى منزلة من كان بين الله وعباده ، وهم الرسل والعلماء .

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه والبخاري في التاريخ الكبير .

(٢) رواه ابن ماجه .

(٣) وهو : سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي القرشي ، أبو محمد ، سيد التابعين ، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، جمع بين الحديث والفقه والورع والزهد ، وكان يعيش من التجارة ولا يأخذ عطاء من أحد ، توفي عام (٩٤ هـ) .

[من حلية الأولياء : ٢/ ١٦١] .

ذكاء القضاة :

عُرف عن القضاة المسلمين السابقين سرعة البديهة والذكاء الحاد ، ممّا ساعدهم على الوصول إلى الحلول الناجعة والمفيدة من ذلك :

أن امرأةً جاءت إلى القاضي شُريح تخاصم رجلاً ، فأرسلت عينيها فبكت ، فقال الشعبي : يا أبا أمية ، ما أظنُّ هذه البائسة إلا مظلومة .

فقال شُريح : إنَّ إخوة يوسف عليه السلام قال عنهم القرآن الكريم : ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴾ [يوسف : ١٦] .

أما أبو حازم القاضي فيقول : وُلِّيَ يحيى بن أكثم قضاء البصرة وسنُّه عشرون أو نحوها ، فقال له أحدهم : كم سنُّ القاضي ؟ فعلم يحيى أنه قد استُصغر فقال له : أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذي وجَّه به النَّبي ﷺ قاضياً على أهل مكة يوم الفتح ، وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذي وجَّه به النَّبي ﷺ قاضياً إلى اليمن ، وأنا أكبر من كعب بن سور الذي وجَّه به عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قاضياً على أهل البصرة . . .

. . . وقال ابن الجوزي رحمه الله : بلغني أن رجلاً جاء إلى أبي حازم ، فقال له : الشيطان يأتيني فيقول : إنك قد طلقت زوجتك فيشككني .

فقال أبو حازم : أو ليس قد طلقتها ؟ قال : لا ، قال : ألم تأتني أمس فطلَّقتها عندي ؟ فقال : والله ما جئتك إلا اليوم ، ولا طلَّقتها بوجه من الوجوه .

قال : فاحلف للشيطان إذا جاءك كما حلفت لي وأنت في عافية .

. . . ودخل أحمد بن أبي دؤاد على الواثق ، فقال له : كان عندي الساعة محمد بن عبد الملك الزيات ، فذكرك بكل قبيح ، فقال : الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي أحوجه إلى الكذب عن قول الصدق عليَّ ورغبني عنه .

لماذا يكذب الكذّاب ؟

قال الإمام الماوردي رحمه الله في ذلك :

١ـ اجتلاب النفع واستدفاع الضرّ ، فيرى أن الكذب أسلم وأغنم ، فيرخص لنفسه فيه اغتراراً بالخدع واستشفافاً للطمع ، لكن هل يجني من الشوك العنب ؟ وهل يجني من الكرم الحنظل ؟

ومن هنا كان الفاروق عمر رضي الله عنه يقول : لأن يضعني الصدق وقلَّما يفعل ، أحبُّ إليَّ من أن يرفعني الكذب وقلَّما يفعل .

٢ـ أن يؤثر أن يكون حديثه مستعذباً وكلامه مستظرفاً ، فلا يجد صدقاً يعذب ولا حديثاً يستظرف ، فيستحلي الكذب الذي ليست غرائبه معوزة ، ولا ظرائفه معجزة ، وهذا النوع أسوأ حالاً ممّا قبل ، لأنه يصدر عن مهانة النفس ودناءة الهمَّة ، لذلك قال الجاحظ :

لم يكذب أحدٌ قطُّ إلا لصغر قدر نفسه عنده .

٣ـ أن يقصد بالكذب التشفِّي من عدوه فيسمه بقبائح يخترعها عليه ، ويصفه بفضائح ينسبها إليه ، ويرى أن معرَّة الكذب غُنْم ، وأن إرسالها في العدو سهم وسمٌّ ، وهذا أسوأ حالاً من النوعين الأولين ، لأنه قد جمع بين الكذب المعرِّ والشرِّ المُضرِّ ، ولذلك ردع في الشرع برد شهادة العدو على عدوه .

٤ـ أن تكون دواعي الكذب قد ترادفت عليه حتى ألفها ، فصار الكذب له عادة ونفسه إليه منقادة ، حتى لو رام مجانبة الكذب عسر عليه ، لأن العادة طبع ثانٍ ، وقد قال الحكماء : من استحلى رضاع الكذب عسر فِطامه ! ![(١)] .

---

(١) من أدب الدنيا والدين لأبي الحسن البصري الماوردي : ٢٦٩ .

يا بنيّ :

حينما اقترب الأجل ، طلب الخليفة عمر بن عبد العزيز أولاده ليودعهم ويعزيهم ويوصيهم بوصية تكون دستوراً لهم من بعده ، فقال مسلمة بن عبد الملك :

يا أمير المؤمنين ، إنك قد أقفرت أفواه ولدك من هذا المال ، فلو أوصيت بهم إليَّ أو إلى نظرائي من قومك ، فكفوك مؤونتهم ، فلما سمع مقالته قال : أجلسوني ، فأجلسوه ، فقال : أمّا قولك إني أقفرت أفواه ولدي من هذا المال ، فوالله ما ظلمتهم حقاً هو لهم ، ولم أكن لأعطيهم شيئاً لغيرهم .

وأما ما قلت في الوصية ، فإني وصيتي فيهم بقوله تعالى :

﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٦] .

وإنما ولد عمر أحد رجلين : إما رجل صالح فسيغنيه الله ، وإما غير ذلك ، فلن أكون أول من أعانه على معصية الله ، ادعُ لي بنيَّ ، فأتوه ، فلما رآهم ترقرقت عيناه ، وقال : بنفسي فتية تركتهم عالة لا شيء لهم ، وبكى .

يا بنيَّ ، إني قد تركت لكم خيراً كثيراً ، لا تمرون بأحدٍ من المسلمين وأهل ذمَّتهم إلا رأوا لكم حقاً .

يا بنيَّ ، إني قد مثلت بين أمرين ، إما أن تستغنوا وأدخل النار ، أو تفتقروا إلى آخر يوم الأبد وأدخل الجنة ، فأرى أن تفتقروا ، إلى ذلك أحبُّ إليَّ ، قوموا عصمكم الله ، قوموا رزقكم الله ، وأحسن الخلافة عليكم(١) .

---

(١) للتوسع راجع حلية الأولياء لأبي نعيم : ٥/ ٣٣٣ .

فماذا حدث بعد وفاته ؟ .

تقول كتب التاريخ : لقد كان بعض أولاد عمر يحمل على ثمانين فرساً في سبيل الله ، وكان بعض أولاد سليمان بن عبد الملك ـ مع المال الوافر الذي تركه لهم أبوهم ـ يسأل أولاد عمر ! !

كيف حدث هذا ؟ إن أولاد سليمان وغيره تركوا أولادهم معتمدين على تلك الكنوز التي خلَّفوها لهم من حلال أو حرام ، لكن عمر ترك أولاده لله الرازق ، وشتَّان أن يضيع أولادٌ تركوا إلى الله .

* * *

طرق التعرُّف على عيوب النفس :

عدَّد الإمام الغزالي تلك الطرق فقال :

١ـ أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس ، مُطَّلع على خفايا الآفات ، ويحكمه في نفسه ، ويتبع إشارته في محادثته ، وهذا شأن المريد مع شيخه ، والتلميذ مع أستاذه ، فيعرف أستاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرف طريق علاجه ، وهذا قد عزَّ في هذا الزمان وجوده ! ![1] .

٢ـ أن يطلب صديقاً صدوقاً ، بصيراً متديِّناً ، فينصبه رقيباً على نفسه ، ليلاحظ أحواله وأفعاله ، وقد كان الفاروق عمر يسأل الصحابة عن نفسه ، فسأل مرةً سلمان عن عيوبه ، قال : اعفني من ذلك ، فألحَّ عمر

---

(١) إذا كان هذا قول الغزالي : وقد عزَّ في هذا الزمان وجوده (عن الشيخ المخلص) والغزالي قد عاش ما بين ٤٥٠ـ٥٠٥ هـ وكان واقع المسلمين ما كان ، فكيف لو عاش الغزالي في وقتنا الحاضر ، فماذا كان سيقول عند ذلك ؟! .

رضي الله عنه ، حينها قال سلمان : بلغني أنك جمعت بين إدامين على مائدة!!

وأن لك حلَّتين ، حلَّة بالنهار وحلَّة بالليل ، قال : وهل بلغك غير هذا ؟ قال : لا ، قال : أما هذان فقد كفيتهما .

وكان رضي الله عنه يسأل حذيفة قائلاً له : أنت صاحب سرِّ رسول الله ﷺ في المنافقين ، فهل ترى عليَّ شيئاً من آثار النفاق ؟!

٣ـ أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه ، فإن عين السخط تبدي المساويَ ، ولعلَّ انتفاع الإنسان بعدوٍّ مشاحن يذكِّره عيوبه ، أكثر من انتفاعه بصديقٍ مداهن ، يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه ، إلا أن الطبع مجبول على تكذيب العدو ، وحمل ما يقوله على الحسد ، ولكنَّ البصير لا يخلو من الانتفاع بقول أعدائه ، فإن مساويه لابدَّ أن تنتشر على ألسنتهم .

٤ـ أن يخالط الناس ، فكل ما رآه مذموماً فيما بين الخلق ، فليطالب نفسه به ، وينسبها إليه ، فإن المؤمن مرآة المؤمن ، فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ، ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى ، فما يتصف به واحد من الأقران لا ينفك القرن الآخر عن أصله ، أو عن أعظم منه ، أو عن شيء منه ، فليتفقد نفسه ، ويطهرها من كل ما يذمه من غيره ، وناهيك بهذا تأديباً ، فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب .

قيل لعيسى عليه السلام : من أدَّبك ؟ قال : ما أدَّبني أحد ، رأيت جهل الجاهل شيناً فاجتنبته .

❊ ❊ ❊

ما أعجب ما رأيت منه ؟

حُكي عن حذيفة المرعشي رضي الله عنه ، وكان خدم إبراهيم الخواص[1] رضي الله عنه وصحبه مدة ، فقيل له : ما أعجب ما رأيت منه ؟ فقال : بقينا في طريق مكة أياماً لم نأكل طعاماً ، فدخلنا الكوفة ، فأوينا إلى مسجد خرب ، فنظر إليَّ إبراهيم وقال : يا حذيفة أرى بك أثر الجوع ، فقلت : هو كما ترى ، فقال : عليَّ بدواة وقرطاس ، فأحضرتهما إليه فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، أنت المقصود بكل حال ، والمشار إليه بكل معنى ، ثم قال :

أنا حامدٌ أنا شاكرٌ أنا ذاكر   أنا جائعٌ أنا ضائعٌ أنا عاري
هي ستَّةٌ وأنا الضمين لنصفها   فكن الضمين لنصفها يا باري
مدحي لغيرك لهب نارٍ خضتها   فأجر عُبيدك من لهيب النار

قال حذيفة : ثم دفع إليَّ الرقعة وقال : اخرج بها ولا تعلّق قلبك بغير الله تعالى ، وادفعها إلى أول من يلقاك ، قال : فخرجت ، فأول من لقيني رجل على بغلة ، فناولته الرقعة ، فأخذها وبكى ، وقال : ما فعل بصاحب هذه الرقعة ؟ قلت : هو في المسجد الفلاني ، فدفع إليَّ صرَّة فيها ستمئة درهم ، فأخذتها ومضيت ، فوجدت رجلاً ، فسألته عن هذا الراكب على هذه البغلة ؟ فقال : هو رجل نصراني .

قال : فجئت إبراهيم وأخبرته بالقصة ، فقال : لا تمسَّ الدراهم ،

---

(١) هو إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل أبو إسحاق الخواص ، صوفي ، كان أوحد المشايخ في وقته ، من أقران الجنيد ، ولد في (سرمن رأى) ومات في جامع الري عام (٢٩١ هـ) .

فإن صاحبها يأتي الساعة ، فلما كان بعد الساعة أقبل النصراني راكباً على بغلته ، فترجَّل على باب المسجد ، ودخل ، فأكبَّ على عبد الله يقبِّل رأسه ويديه ويقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

قال : فبكى إبراهيم فرحاً به وسروراً وقال الحمد لله الذي هداك للإسلام وشريعة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام [١] .

* * *

كيف كان صبر رسول الله ؟

منذ بُعِثَ رسول الله صلوات الله عليه حتى هجرته ، لم يذق طعم الراحة قطّ ، إنما العذاب من المشركين ، فماذا كان موقفه ؟

لقد عذَّبوه فصبر ، كذبوه فصبر ، أخرجوه من داره فصبر ، حتى قال عليه الصلاة والسلام :

« ما أوذي أحدٌ مثلَ ما أوذيت في الله »[٢] .

اتهموه : بأنه مجنون! وشاعر! وكذَّاب! وكاهن! . . .

لكنه انتصر عليهم بسلاح الصبر ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، ومن صبره صلوات الله عليه ما جاء في السِّير وكتب التاريخ من ذلك :

أن أبا جهل دخل بيت الله الحرام فوجد النَّبي عليه الصلاة والسلام قُرب الكعبة ، فخرج ثم عاد ومعه عقبة بن أبي معيط ، وهما يحملان فرث (كرش) بعير ، وانتظرا حتى سجد عليه الصلاة والسلام فألقوه عليه!! وكان المسلمون يومها ضعفاء وقلَّة ، لم يستطع أحدٌ منهم أن يدافع

---

(١) بتصرف من المستطرف للأبشيهي : ١٥٩ .

(٢) من كنز العمال: ٥٨١٨ .

عنه ، وبقي الرسول ﷺ تحت الفرث حتى جاءت ابنته الزهراء فاطمة فأزاحته عنه . . . وكلنا يعلم ما جرى معه حينما ذهب يدعو أهل الطائف .

وفقد أولاده كلهم : القاسم وعبد الله وزينب وأم كلثوم ورقية وإبراهيم فصبر صبراً جميلاً .

ثم أتاه أحد المسلمين لما اشتدَّ العذاب عليهم وقال : يارسول الله ، ألا تدعو الله لنا ؟ ألا تستنصره ؟ فلقد أوذينا وعُذِّبنا . فأراد الرسول عليه الصلاة والسلام أن يعطينا وإلى قيام الساعة درساً في الصبر ، فقال :

« إن من كان قبلكم ليؤتى بالرجل فيُحفر له في الأرض حفرة ، ويُجاء بالمنشار فيوضع على رأسه ، فيُجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه »[1] .

* * *

سبيل الراحة :

أفاض شعرنا العربي بالروائع من خلال حضّه على العمل ، من ذلك ما قاله ابن شهاب :

تتبَّع خبايا الأرض وادعُ مليكها ... لعلَّك يوماً أن تُجاب فتُرزقا

فيؤتيكَ مالاً واسعاً ذا متانةٍ ... إذا ما مياه الأرض غارت تدفَّقا

وقال شاعر آخر :

بَصُرْتُ بالراحة الكبرى فلم أرها ... تُنال إلا على جسر من التعب

وقال آخر :

وما طلب المعيشة بالتمنّي ... ولكن ألْقِ دلوكَ في الدِّلاء

---

(١) للتفصيل راجع سيرة ابن هشام ص ٦١ وما بعدها .

تجـيء بملئهـا طـوراً وطـوراً ... تجـيء بحمـأةٍ[1] وقليـل مـاء

ولا تقعـد علـى كسـل التمنّي ... تُحيـل علـى المُقـدّر والقضـاء

فـإنَّ مقـاديـر الـرحمـن تجـري ... بـأرزاق الـرجـال مـن السمـاء

مقـــدَّرة بقبـــضٍ أو ببســـطٍ ... وعجـزُ المـرء أسبـاب البـلاء

وقال غيره :

ومـن أراد العُـلا عفـواً بـلا تعـب ... قضى[2] ولم يقضِ من إدراكها وطرا[3]

لا يُبْلَـغ السـؤل إلا بعـد مـؤلمـة ... ولا تتـمّ المنـى إلا لمـن صبـرا

وقال آخر :

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً ... ندمت على التفريط في زمن البَذْر

* * *

إنَّكِ زوجتي في الجنة!

روى (عبد الله بن نافع) رحمه الله تعالى قال :

أُتي (الربيع بن خُثيم) رحمه الله في منامه ، فقيل له : إن فلانة زوجتك في الجنة ، فلما أصبح سأل عنها فدُلَّ عليها ، فإذا هي ترعى أعنزاً لها ، فقال : لأقيمنَّ عندها فأنظر ما عملها ؟

فأقام ثلاثاً فوجدها لا تزيد على الفريضة ، فإذا أمست جاءت إلى عنيزة لها ، فحلبت ثم شربت ، ثم حلبت فسقته ، فقال لها في اليوم الثالث : يا هذه لم لا تسقيني من غير هذه العنز ؟

---

(١) الحمأة : الطين الأسود .

(٢) قضى : مات وانتهى .

(٣) وطراً : حاجة .

قالت : يا عبد الله إنها ليست لي .

قال : فلم تسقيني من هذه ؟

قالت : إن هذه مُنِحْتُها أشرب من لبنها وأسقي من شئت .

قال : يا هذه أليس لك من العمل أكثر مما أرى ؟

قالت : لا ، إلا أني ما أصبحت على حالٍ قطُّ ، فتمنَّيتُ أني على حالٍ سواها ، رضاً بما قسم الله لي .

فقال : يا هذه علمت أني رأيت في المنام أنك زوجتي في الجنة ؟

قالت له : أنت (الربيع بن خُثيم) ! !

وعلق (عبد الله بن نافع) على هذا الأمر الغريب قائلاً :

لعلها تكون رأت في منامها مثل ما رأى[1] .

* * *

رَفضُ أبي حنيفة تولّي القضاء!!

روى الربيع بن يونس قائلاً :

رأيت أمير المؤمنين (المنصور) ينازل أبا حنيفة في أمر القضاء وهو يقول له :

اتَّق الله ولا تدع أمانتك إلا من يخاف الله ، والله ما أنا بمأمون الرضا ، فكيف أكون مأمون الغضب ؟ ولو اتَّجه الحكم عليك ثم هدَّدتني أن تغرقني في الفرات ، أو إلى الحكم ، لاخترت أن أغرق ! !

لك حاشية يحتاجون إلى من يكرمهم لك فلا أصلح لذلك .

---

(١) صفة الصفوة : لابن الجوزي ٣/ ١٩١ .

فقال المنصور : كذبت إنك تصلح .

فقال أبو حنيفة : قد حكمتَ على نفسك ، كيف يحلُّ لك أن تولِّيَ قاضياً على أمانتك كذَّاباً ؟ ؟

وكانت المحنة . . . وضُرب الإمام (مئة سوط وعشراً) وهو يقول : لا أصلح . ثم قال : اللهم أبعد عنِّي شرَّهم بقدرتك يا كريم . . .

ولما أبى . . . دسُّوا له السمَّ فقتلوه ! !

لكن الشيء الجميل هو الورع الخالص لله ، حيث إن الإمام أبا حنيفة أوصى أن لا يُدفن في أرض اتُّهم أميرها بأنه غصبها . . وأن يُدفن في أرض طيِّبة لم يجر عليها غصب . . .

رضي الله عن هذا العملاق وأرضاه[1] .

* * *

بكاءٌ... وبكاءٌ.. وبكاء!!

● سُئل أحد العارفين بالله تعالى : هل يبكي المنافق ؟

قال : أمّا من الرأس فنعم ، وأمّا من القلب فلا !

● وقال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى : إذا رأيت الرجل يبكي ، وقلبه ساه فهو بكاء منافق ، وإن البكاء بكاء القلب .

● وقال كعب الأحبار رحمه الله تعالى : لأن أبكي دمعة من خشية الله أحبّ إليَّ من أن أتصدَّق بجبل من الذهب .

وقد روي أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام :

---

(١) بتصرف من تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٢٨ . وأبو حنيفة : لأبي زهرة ص ٥١ .

« لن يتقرَّب إليَّ المتقرِّبون ، بمثل البكاء من خشيتي » .

● وروى الإمام أحمد الكبير الرفاعي رحمه الله تعالى أبياتاً رائعة في ذلك :

اللیــل داجٍ والعُصــاة نیــام ... والعـارفـون لـدى الجليـل قيـام

يتلـون آيات الهـدى ودمـوعهـم ... تجري ومنها قد تفيض سجام[1]

لا يصبـرون سُـويعـة عـن ذكـره ... شوقاً ، وليس لمن يحبُّ منام[2]

* * *

خبر ورقة بن نوفل :

روى ابن كثير عن ابن إسحاق قال :

وقد كانت خديجة بنت خويلد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى بن قصي ، وكان ابن عمها ، وكان نصرانياً قد تتبَّع الكتب وعلم من علم الناس ، ما ذكر لها غلامها من قول الراهب وما كان يرى منه ، إذ كان الملكان يظلاّنه ، فقال ورقة : لئن كان هذا حقّاً يا خديجة إن محمداً لنبي هذه الأمة ، قد عرفت إنه كائن لهذه الأمة نبيٌّ يُنتظر هذا زمانه ـ أو كما قال ـ فجعل ورقة يستبطىء الأمر ويقول حتى متى ؟ وقال في ذلك :

لججتُ وكنتُ في الذكرى لجوجا ... لهـمٍّ طـالمـا بعـثَ النَّشيجـا[3]

ووصفٍ من خديجة بعد وصفٍ ... فقـد طـال انتظـاري يـا خـديجـا

ببطـن المكَّتيـن علـى رجـائـي ... حـديثـك أن أرى منـه خـروجـا

---

(١) سجم الدمع : سال .

(٢) بتصرف من حالة أهل الحقيقة مع الله : للرفاعي/ ٢٨٩ .

(٣) النشيج : الغصة في الحلق .

بمـا خبَّـرتِنـا مـن قـول قِـسٍّ ... من الرهبان أكره أن... يعوجا

بـأن محمـداً سيسـودُ قـومـاً ... ويخصم من يكون له حجيجا

ويظهـرُ فـي البـلاد ضيـاء نـور ... يقـوم بـه البـريـة أن تمـوجـا

فيلقـى مـن يحـاربُـه خسـاراً ... ويلقـى من يسـالمُـهُ فلـوجـا[1]

فيـا ليتنـي إذا مـا كـان ذاكـم ... شهـدتُ وكنـت أوَّلهـم ولـوجـا

ولوجاً في الذي كرهت قريشٌ ... ولـو عجَّـت بمكَّتهـا عجيجـا

أرجّي في الذي كرهوا جميعاً ... إلى ذي العرش إن سفلوا عُروجا

وهـل أمـر السفـالـة غيـر كفـرٍ ... بمن يختارُ من سَمَكَ البروجا

فـإن يبقـوا وأبقـى يكـن أمـورٌ ... يضـجُ الكـافـرون لهـا ضجيجـا

وإن أهلـك فكـلُّ فتـى سيلقـى ... مـن الأقـدار متلفـة خـروجـا[2]

* * *

لو فكّر الناس فيما في بطونهم!!

قال العلامة الماوردي رحمه الله :

لو تصوَّر المتكبِّـر ما فُطِرَ عليه من جِبلَّة ، وبُلي به من مهنة ، لخفض جناح نفسه ، واستبدل ليناً من عتوِّه ، وسكوتاً من نفوره ، لذا قال الأحنف بن قيس :

عجبت لمن جرى في مجرى البول مرتين كيف يتكبر ؟!

---

(١) الفلوج : الظفر والفوز والنصر .

(٢) من البداية والنهاية : ٢/ ٢٧٥ .

يا مُظهر الكبر إعجاباً بصورته   انظر خلاك فإن النتن تثريب
لو فكَّر الناس فيما في بطونهم   ما استشعر الكبر شبّان ولا شيب
يا بن التراب ومأكول التراب غداً   أقصر فإنك مأكولٌ ومشروب

وهذا هو رسول الله ﷺ بين أصحابه ، فيدخل عليه رجل ، فتصيبه رعدة وخوف من هيبة المصطفى صلوات الله عليه فيقول له مطمئناً :

« هوِّن عليك ، فإنما أنا ابن امرأةٍ من قريش كانت تأكل القديد »(١) .

إذاً لماذا يتكبَّر المتكبرون ؟ لماذا لا يتواضعون ؟ أو نسي كل واحد منهم أصله ؟

نسي الطين ساعةً أنه طينٌ   حقيرٌ فصال تيهاً وعربدْ
وكسا الخزُّ جسمه فتباهى   وحوى المال كيسه فتمرَّدْ
يا أخي لا تُمل بوجهك عنّي   ما أنا فحمةٌ ولا أنت فرقدْ
أأمانيَّ كلها من ترابٍ   وأمانيُّكَ كلها من عسجدْ ؟
وأمانيَّ كلها للتلاشي   وأمانيكَ للخلود المؤكَّدْ ؟
أدموعي خلٌّ ودمعكَ شهدٌ ؟   وبكائي ذلٌّ ونوحك سؤددْ ؟
أنت مثلي من الثرى وإليه   فلماذا يا صاحبي التِّيه والصدّ ؟
أفتدري ؟ إذن فخبِّر وإلاَّ   فلماذا تظن (أنَّك أوحد ؟ ؟)

لذلك نجد القرآن الكريم يشنُّ حملةً قوية على جميع أصناف الكبر ، من ذلك قوله تعالى :

﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر : ٣٥] .

---

(١) رواه الحاكم ، وابن ماجه ، والقديد : هو اللحم الجاف (المقدَّد) .

﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٠] .

﴿ فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [النحل : ٢٩] .

﴿ فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾

[الأحقاف : ٢٠] .

﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [فصلت : ١٥] .

* * *

في دفع فضول الفرح :

قال العلامة ابن الجوزي[1] رحمه الله :

إذا اشتدَّ الفرح التهب الدم ، وذلك يضرُّ ، وربما قتل إن لم يعدل ، وينبغي للإنسان إذا رأى أسباب الفرح ، أن يدرج نفسه إليه ، فإن يوسف عليه السلام لمّا التقى بأخيه سأله : هل لك من أب ؟

ولم يزل يلاطفه لئلا يفاجئه بالسبب المفرح ، والفرح ينبغي أن يكون بمقدار ليعدل الحزن ، فأما إذا أفرط ، فإنه دليل على الغفلة القزيَّة ، إذ لا وجه للفرح عند العاقل ، فإنما يفرح بالطبع لما يُفرح ، ثم يذكر مصيره وخوف مآله ، فينمحي ذلك الفرح ، ومتى قويت غفلة الروح ، حملت إلى الأشر والبطر ، ومن ذلك قول الله تعالى :

---

(١) هو عبد الرحمن بن علي محمد الجوزي ، أبو الفرج ، نسبته إلى محلّة الجوزة بالبصرة ، كان بها أجداده ، قرشي يرجع نسبه إلى أبي بكر الصديق ، من أهل بغداد ، حنبلي ، علاّمة عصره في الفقه والتاريخ والحديث والأدب ، اشتهر بوعظه المؤثر ، وكان الخليفة يحضر مجلسه ، أكثر من التصنيف ، ولد عام (٥٠٨ هـ) وتوفي عام (٥٩٧ هـ) .

من تصانيفه : تلبيس إبليس ، والضعفاء والمتروكون ، والموضوعات وغيرها .

﴿لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص : ٧٦] .

يعني الأشرين ، الذين خرجوا بالفرح إلى البطر .

وعلاج ذلك ، أي شدّة الفرح ، بالفكر فيما قد سلف من الذنوب ، وفيما بين يدي العبد من الشدائد ، وقد قال الحسن البصري رحمه الله :

فضحَ الموتُ الدنيا ، فلم يترك لذي لبٍّ بها فرحاً[1] .

* * *

يا فارج الهمّ :

قال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه :

لا أحسب الشرَّ جاراً لا يفارقني ... ولا أحزُّ على ما فاتني الوَدَجا
وما نزلت من المكروه منزلة ... إلا وثقت بأن ألقى لها فرجا

وقال السمعاني : حدثني والدي قال : سمعت سعد بن نصر الواعظ يقول : كنت خائفاً من الخليفة لحادث نزل ، واشتدَّ الطلب ، فرأيت في النوم ليلة كأني في غرفة وأنا أكتب شيئاً ، فجاء رجل فوقف بإزائي ، وقال : اكتب ما أملي عليك :

ادفع بصبرك حادث الأيام ... وترجَّ لطف الواحد العلاّم
لا تيأسنَّ وإن تضايق كربها ... ورماك ريب صروفها بسهام
فله تعالى بين ذلك فرجة ... تخفى على الأبصار والأوهام
كم من نجيٍّ بين أطراف القنا ... وفريسةٍ سلمتْ من الضرغام

---

(١) من كتابه الطب الروحاني : ٩٩ .

وروى صاحب المستطرف عن الحسن بن وهب وهو يخاطب أخاه :

اصبر أبا أيوب صبراً يرتضي — فإذا جزعت من الخطوب فمن لها ؟
إن الذي عقد الذي انعقدت به — عقد المكاره فيك يملك حلَّها
الله يفرج بعد ضيق كربها — ولعلَّها أن تنجلي. . . ولعلَّها

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخزرجي :

لا تجزعنَّ إذا نالتك موجعة — واضرع إلى الله يسرع نحوك الفرجُ
ثم استعن بجميل الصبر محتسباً — فيصبح اليُسْرُ بعد العسر ينبلجُ
فسوف يدلج عنك الهمُّ مُرتحلاً — وإن أقام قليلاً ليس يدَّلجُ(١)

* * *

جعفر والنجاشي :

روى الحافظ ابن عساكر في تاريخه من طرق عدَّة منها : عن عبد الله ابن جعفر عن أبيه قال : بعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية من أبي سفيان إلى النجاشي ، فقالوا له ـ ونحن عنده ـ : قد صار إليك ناس من سفلتنا وسفهائنا فادفعهم إلينا ، قال : لا ، حتى أسمع كلامهم ، فقال : ما يقول هؤلاء ؟ قلنا : هؤلاء قوم يعبدون الأوثان ، وإن الله بعث إلينا رسولاً فآمنا به وصدقناه ، فقال لهم النجاشي : أعبيدٌ هم لكم ؟ قالوا : لا ، قال : فلكم عليهم دين ؟ قالوا : لا ، قال : فخلوا سبيلهم ، فقال : فخرجنا من عنده ، فقال عمرو بن العاص : إن هؤلاء يقولون في عيسى غير ما تقول ، قال : إن لم يقولوا في عيسى مثل قولي لم أدعهم في أرضي ساعة من نهار ، فأرسل إلينا فكانت الدعوة

---

(١) مختارات من الأرج في الفرج للعلامة جلال الدين السيوطي .

الثانية أشدّ علينا من الأولى ، قال : ما يقول صاحبكم في عيسى بن مريم ؟ قلنا : يقول : هو روح الله وكلمته ألقاها إلى عذراء بتول ، قال : فأرسل إلى القساوسة والرهبان ، فقال لهم : ما تقولون في عيسى بن مريم ؟ فقالوا : أنت أعلمنا فما تقول ؟ قال النجاشي ـ وأخذ شيئاً من الأرض ـ قال : ما عدا عيسى ما قال هؤلاء مثل هذا ، ثم قال : أيؤذيكم أحد ، قالوا : نعم!

فنادى منادٍ : من آذى أحداً منهم فأغرموه أربعة دراهم ، ثم قال : أيكفيكم ؟ قلنا : لا ، فأضعفها .

قال : فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وظهر بها قلنا له : إن رسول الله ﷺ قد ظهر وهاجر إلى المدينة ، وقتل الذي كنا حدثناك عنهم ، وقد أردنا الرحيل إليه فردَّنا ، قال : نعم!

فحملنا وزودنا ، ثم قال : أخبر صاحبك بما صنعت لكم وهذا صاحبي معكم ، أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله ، وقل له يستغفر لي . قال جعفر : فلما وصلنا المدينة تلقّاني رسول الله ﷺ واعتنقني ثم قال : « ما أدري أنا بفتح خيبر أفرح أم بقدوم جعفر ؟ » .

ووافق ذلك فتح خيبر ، ثم جلس فقال رسول النجاشي : هذا جعفر فسله ما صنع به صاحبنا ، وقصَّ جعفر على رسول الله ﷺ ما حدث ، فقام رسول الله ﷺ فتوضأ ، ثم دعا ثلاث مرات :

« اللهم اغفر للنجاشي » فقال المسلمون : آمين ، ثم قال جعفر : فقلت لرسول النجاشي : انطلق فأخبر صاحبك بما رأيت من رسول الله ﷺ .

* * *

من شعر الرثاء :

قيل : إن أول من رثى رسول الله ﷺ هو أبو بكر الصديق حيث قال بعد دفنه :

لمّـا رأيـت نبيّنـا متجنـدلاً ... ضاقت عليَّ بعرضهنَّ الدُّورُ[1]

فـارتـاع قلبـي عنـد ذاك لمـوتـه ... والعظـم منّـي مـا حييـت كسيـرُ

أعتيقُ ويحك إن خلَّك قد ثوى ... والصبر عندك ما بقيت يسيرُ[2]

يا ليتني من قبل مهلك صاحبي ... غُيِّبـتُ فـي لحـد عليـه صخـورُ

فلتحـدثـنَّ بـدائـعٌ مـن بعـده ... تعيـا بهـنَّ جـوانـحٌ وصـدورُ

ولما توفي أبو بكر الصديق رثاه الفاروق عمر رضي الله عنهما بقوله :

ذهـب الـذيـن أُحبُّهـم ... فعليـكِ يـا دنيـا السـلام

لا تـذكـريـن العيـش لـي ... فـالعيـش بعـدهـم حـرام

إنـي رضيـعُ وصـالهـم ... والطفـل يـؤلمـه الفِطـام

ولمّا توفي معن بن زائدة[3] رثاه الحسن الأسدي قائلاً :

هلمّـا إلـى معـنٍ وقـولا لقبـره ... سقتك الغوادي مربعاً ثم مربعا

فيـا قبـر معـنٍ كنـت أوّل حفـرةٍ ... من الأرض خطَّت للسماحة مضجعا

ويا قبر معنٍ كيف واريت جوده ... وقد كان منه البرُّ والبحر مترعا

---

(١) متجندلاً : مسجّى .

(٢) أعتيق : يعني نفسه ، وكان يلقب أبو بكر بالعتيق .

(٣) هو أبو الوليد الشيباني ، من أشهر الشجعان الفصحاء ، وأشهر أجواد العرب ، ومن مخضرمي الدولة الأموية والعباسية ، ولِّي أمور سجستان وقتل غيلة فيها . . .

بلى قد وسعت الجود والجودُ ميِّتٌ ... ولو كان حيّاً ضقت حتى تصدعا
فتىً عاش في معروفه بعد موته ... أناسٌ لهم بالبرِّ قد كان أوسعا
ولما مضى معن مضى الجود كلّه ... وأصبح عرنين المكارم أجدعا[1]

* * *

أقسام العلوم العقليّة :

العلوم العقليَّة تنقسم إلى دنيوية وأخروية ، فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم ، وسائر الحرف والصناعات ، والأخروية كعلم أحوال القلب ، وآفات الأعمال ، والعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله ، وهما علمان متنافيان ، أعني من صرف عنايته إلى أحدهما حتى تعمَّق فيه ، قَصُرت بصيرته عن الآخر على الأكثر ، ولذلك ضرب علي رضي الله عنه للدنيا والآخرة ثلاثة أمثال فقال : هما ككفتي الميزان ، وكالمشرق والمغرب ، وكالضرَّتين ، إذا أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى ، ولذلك ترى الأكياس في أمور الدنيا وفي علم الطب والحساب والهندسة والفلسفة جهَّالاً في أمور الآخرة ، والأكياس في علوم الآخرة جهَّالاً في علوم الدنيا ، لأن قوة العقل لا تفي بالأمرين جميعاً في الغالب ، فيكون أحدهما مانعاً من الكمال في الثاني ، وقال الحسن في بعض مواعظه : لقد أدركنا أقواماً لو رأيتموهم لقلتم مجانين ، ولو أدركوكم لقالوا شياطين ، فمهما سمعت أمراً غريباً من أمور الدين جحده أهل الكياسة في سائر العلوم ، فلا يغرنَّك جحودهم عن قبوله ، إذْ من

---

(١) عرنين : أنف ، والأجدع : المقطوع .

المحال أن يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد في المغرب ، فكذلك يجري أمر الدنيا والآخرة ، ولذلك قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا ﴾ [يونس : ٧] .

وقال تعالى : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الروم : ٧] .

وقال عز وجل : ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ [النجم : ٢٩-٣٠] .

فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين ، لا يكاد يتيسَّر إلا لمن رسَّخه الله لتدبير عباده في معايشهم ومعادهم ، وهم الأنبياء المؤيدون بروح القدس ، المستمدّون من القوة الإلهية ، التي تتسع لجميع الأمور ولا تضيق عنها ، فأما قلوب سائر الخلق ، فإنها إذا استقلَّت بأمر الدنيا انصرفت عن الآخرة ، وقصَّرت عن الاستكمال فيها[1] .

* * *

الخطبة الأخيرة :

وقف عمر بن عبد العزيز[2] رضي الله عنه فوق المنبر ، وخطب خطبةً لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله تعالى ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

---

(١) بتصرف من إحياء علوم الدين : ٣/ ١٣١ .

(٢) هو عمر بن عبد العزيز بن الحكم ، أبو حفص ، الخليفة الأموي المشهور ، قيل له خامس الخلفاء الراشدين ، له أخبار عجيبة في العدل وحسن السياسة والزهد والورع . ولد عام (٦٦ هـ) وتوفي عام (١٠١ هـ) دامت خلافته سنتين وبضعة أشهر .

أيها الناس ، إنكم لم تُخلَقوا عبثاً ، ولم تُترَكوا سُدى ، وإن لكم معاداً يحكم الله فيه بينكم ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء ، وحُرِمَ الجنة التي عرضها السموات والأرض ، واعلموا أن الأمان غداً لمن خاف ربه ، وباع قليلاً بكثير ، وفانياً بباقٍ ، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين ، وسيخلفها من بعدكم الباقون ، كذلك حتى تردوا إلى خير الوارثين .

ثم أنتم في كلِّ يوم تشيِّعون غادياً أو رائحاً إلى الله ، قد قضى نحبه وبلغ أجله ، ثم تغيِّبونه في صدعٍ من الأرض ، ثم تودِّعونه في موسَّد ولا ممهَّد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وواجه الحساب ، غنيّاً عمّا ترك ، فقيراً إلى ما قدم .

وايم الله ، إني لا أقول لكم هذه المقالة ، وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر ممّا عندي ، فأستغفر الله لي ولكم .

وما تبلغنا حاجة يتَّسع لها ما عندنا إلا سددناها ، ولا أحد منكم إلا وددت أن يده مع يدي ، ويحمي الذين يلونني حتى يستوي عيشنا وعيشكم .

وايم الله ، أن لو أردتُ غير هذا من عيشٍ أو نضارة ، لكان اللسان منّي ناطقاً ذلولاً عالماً بأسبابه ، لكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنَّة عادلة ، دلَّ فيها على طاعته ، ونهى فيها عن معصيته .

ثم بكى عمر وبكى الحاضرون ، وتلقّى دموعه بطرف ردائه ، ثم نزل[1] .

* * *

(١) من البيان والتبيين للجاحظ ٢/ ٦١ .

من أخبار عضد الدولة :

روى الحافظ أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله قال :

وحدث أن بعض التجار قدم من خراسان ليحجَّ ، فتأهَّب للحجِّ وبقي معه من ماله ألف دينار لا يحتاج إليها ، فقال : إن حملتها خاطرت بها ، وإن أودعتها خفت جحود المودع ، فمضى إلى الصحراء ، فرأى شجرة خروع ، فحفر تحتها ودفنها ولم يره أحد ، ثم خرج إلى الحج وعاد ، فحفر المكان فلم يجد شيئاً ، فجعل يبكي ويلطم وجهه ، فإذا سئل عن حاله قال : الأرض أكلت مالي !!

فلما كثر ذلك قيل له : لو قصدت عضد الدولة ، فإن له فطنة ، فقال : أو يعلم الغيب ؟

فقيل له : لا بأس بقصده ، فأخبره بقصته .

فجمع الأطباء وقال لهم : هل داويتم في هذه السنة أحداً بعروق الخروع ؟

فقال أحدهم : أنا داويت فلاناً وهو من خواصِّك .

فقال : عليَّ به ، فجاء ، فقال له : هل تداويت في هذه السنة بعروق الخروع ؟

قال : نعم ، قال : من جاءك به ؟ قال : فلان الفراش .

قال عضد الدولة : عليَّ به ، فلما جاء به قال : من أين أخذت عروق الخروع ؟ فقال : من المكان الفلاني .

قال : فاذهب ومعك هذا التاجر وأره المكان الذي أخذت منه ذلك .

فذهب معه بصاحب المال إلى تلك الشجرة ، وقال : من هذه الشجرة

أخذت ، فقال التاجر : ههنا والله تركت مالي .

ورجع إلى عضد الدولة وأخبره بما جرى .

فقال للفراش : هلمَّ بالمال ، فتلكأ ، فأوعده ، فأحضر المال[1] .

* * *

يا جامع العلم :

نقل الإمام النووي في مقدمة المجموع ما يلي :

من ذلك ما روي عن أبي الأسود الدؤلي رحمه الله قال :

العلم زينٌ وتشريفٌ لصاحبه ... فاطلب هُديتَ فنون العلم والأدبا

لا خير فيمن له أصلٌ بلا أدب ... حتى يكون على ما زانه حدبا

كم من كريمٍ أخي عيٍّ وطمطمة ... فدم لدى القوم معروف إذا انتسبا[2]

في بيت مكرمةٍ آباؤه نُجب ... كانوا الرؤوس فأمسى بعدهم ذَنَبا

وخاملٍ مقرف الآباء ذي أدبٍ ... نال المعالي بالآداب والرتبا

أمسى عزيزاً عظيم الشأن مشتهراً ... في خدِّه صعر قد ظلَّ محتجبا[3]

العلم كنزٌ وذخر.. لا نفاد له ... نعم القرين إذا ما صاحب صحبا

وجامع العلم مغبوط به أبداً ... ولا يحاذر منه الفوت والسلبا

وجامع العلم نعم الذخر تجمعه ... لا تعدلنَّ به درّاً ولا ذهبا

---

(١) روى هذه القصة ابن الجوزي في كتابه الأذكياء ص ٦٣ .

(٢) العيّ : خلاف البيان وعجز في النطق ، والطمطم : الأعجم الذي لا يفصح . الفدم : العيي عن الحجة والكلام مع رخاوة وقلّة فهم ، أو الأحمق الجافي .

(٣) صعر : إذا أعرض تكبراً عن الناس ، ومن ذلك قوله تعالى :
﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا . . . ﴾ [لقمان : ١٨] .

وقال غيره :

عاب التفقُّه قومٌ لا عقول لهم ... وما عليه إذا عابوه من ضَرَرِ
ما ضرَّ شمسُ الضحى والشمس طالعة ... أن لا يرى ضوءَها من ليس ذا بَصَرِ

وقال آخر :

تعلَّم فليس المرء يولد عالماً ... وليس أخو علم كمن هو جاهلُ
وإنَّ كبيـر القـوم لا علـم عنـده ... صغيرٌ إذا التفَّت عليه المحافلُ

وقال غيره :

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهمُ ... على الهدى لمن استهدى أدِلاّء
وقدر كلِّ امرىءٍ ما كان يحسنُهُ ... والجاهلون لأهل العلم أعداء

* * *

من أطاع محمداً أطاع الله :

ليس إلى الجنة إلا طريق واحد ، بينما إلى الجحيم طرقٌ ملتوية وكثيرة ، ودليلنا على ذلك قوله تعالى :

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

وما رواه ابن مسعود : « خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطّاً ثم قال : هذا سبيل الله . ثم خطَّ خطوطاً عن يمينه وعن يساره ، ثم قال : هذه سبل ، وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه » .

وعن جابر ـ كما في رواية البخاري ـ قال : « جاءت ملائكة إلى النَّبي ﷺ ، فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : العين نائمة والقلب

يقظان ، فقالوا : إن لصاحبكم هذا مثلاً ، فاضربوا له مثلاً ، فقالوا : مثله مثل رجل بنى داراً وجعل مأدبة وبعث داعياً ، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة ، فقالوا : أوِّلوها له يفقهها ، فقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان ، الدار الجنة ، والداعي محمد ، فمن أطاع محمداً أطاع الله ، ومن عصى محمداً فقد عصى الله ، ومحمد فرق بين الناس » .

وفي قوله تعالى : ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ [النحل : ٩] .

يقول العلماء المفسرون : أي ومن السبيل جائر عن القصد وهي سبيل الغي .

وقد نقع في إشكال هو أن الله تعالى يقول في مكان آخر : ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة : ١٦] .

وهنا إشارة إلى عدَّة سبل فما الحلّ ؟

قال ابن قيم الجوزية : هي سبل تجمع في سبيل واحد ، وهي بمنزلة الجواد والطرق في الطريق الأعظم ، فهذه هي سبل شعب الإيمان ، يجمعها الإيمان وهو شعبة ، كما يجمع ساق الشجرة أغصانها وشعبها ، وهذه السبل هي إجابة داعي الله بتصديق خبره وطاعة أمره ، وطريق الجنة إجابة الداعي إليها ليس إلا .

* * *

هل لك في زوجة جميلة؟!

حينما قرأنا في تاريخنا السامق عن تزويج سعيد بن المسيب ابنته من تلميذه الفقير أبي وداعة بعد أن رفض تزويجها للوليد بن الخليفة عبد الملك بن مروان!!

كُنَّا نظن أن هذا الأمر لا يتكرر ، لكن الحقيقة هي ما يلي : الذي صنع سعيداً هذا هو قادر على أن يصنع غيره ، وإلى أن تقوم الساعة ، ذلكم هو الدين الحنيف دين الله الخالد ، وقد تكررت هذه القصة مرة أخرى :

أبو الفوارس شاه شجاع الكرماني ، لما زاد في الملك زهد به ، ودخل في طريق القوم ، خطب ابنته بعض الملوك فلم يزوِّجها منه ، وطاف في المساجد ، فوجد فقيراً يحسن صلاته ، فقال أبو الفوارس :

ألك زوجة ؟ قال : لا .

قال : هل لك في زوجة جميلة تقرأ القرآن الكريم ؟!

فقال الرجل : لكني رجل فقير ، لا يزوِّجني أحد .

قال أبو الفوارس : أما تقدر على درهمين ؟ قال : بلى .

قال : فاشتر بدرهم خبزاً وبدرهم طيباً ، فقد تمَّ الأمر .

ففعل الرجل ذلك ، فزوَّجه بابنته ، فلما دخلت ابنته بيت الرجل الفقير ، رأت قرصاً من الخبز فرجعت إلى الوراء!!

فسألها الرجل عن سبب رجوعها فقالت ـ ما معناه ـ : إني لا أرضى أن أبيت على معلوم ، فإما أخرجه ، وإلا خرجت!

فلما أخرج الرغيف طابت نفسها ، فاستقرَّت عنده . . .[1] .

---

(١) من مرآة الجنان وعبرة اليقظان لعبد الله بن أسعد المكي : ١/ ١٨٧ .

ما هي مكانة الزكاة في الإسلام ؟ :

● هي ثالثة دعائم الإسلام وأحد أركانه العظام ، والدليل قوله صلوات الله عليه :

« بُني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحجُّ البيت لمن استطاع إليه سبيلاً »[١] .

● وجعلها القرآن عنوان الدخول في دين الإسلام واستحقاق أخوَّة الإسلام والانتماء إليهم .

﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى الدِّينِ ﴾ [التوبة : ١١] .

● وقد قرنت بالصلاة ، قال ابن مسعود رضي الله عنه :

« أمرتم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، ومن لم يزكِّ فلا صلاة له »[٢] .

● وجعلها الإسلام طريقاً للفلاح ، قال الله تعالى :

﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [النمل : ٢-٣] .

● وجعلها طريقاً للانضمام في زمرة الأبرار الصادقين المحسنين المهتدين :

﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [لقمان : ٣-٤] .

---

(١) متفق عليه .

(٢) من تفسير الطبري : ١٤/١٥٣ .

● ورحمة الله لا تنال إلا المؤمنين المتقين الذين يؤتون الزكاة :

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٦] .

● بل لا نصر إلا لمن حقَّق شروطاً ، منها إيتاء الزكاة :

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَآتَوُا الزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [الحج : ٤٠-٤١] .

* * *

لماذا الصلاة على رسول الله ؟!

يحاول بعض الناس التقليل من شأن رسول الله ﷺ ، لكن هذا أمر خطير ، فعلى كل مسلم أن يعرف فضل المصطفى عليه ، بل عليه أن يوقن تماماً أن محبَّة المصطفى فرض ، وعلى المسلمين ـ ولا سيما اليوم ـ أن يلجؤوا إلى جميع الوسائل المباحة والمشروعة ليؤكِّدوا هذا الحبَّ ، بل يجب أن يتكلموا ويقرؤوا سيرته ، ويكتبوا ، كل ذلك بلغة الحبِّ للنبي صلوات الله عليه .

وما هو الذي يقوي فينا هذا الحب ؟!

قال العارفون بالله : إن أقوى شيء يحبِّبنا برسول الله صلوات الله عليه كثرة الصلاة عليه ، لذلك عدوها أعظم الوسائل للوصول إلى النور الكامل ، ولابدَّ أن يطالبنا بعضهم بالدليل على ذلك!

إن أصدق الحديث كتاب الله : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [الأحزاب : ٤٣] . . وخير الهدي هدي

رسول الله : « من صلَّى عليَّ صلاةً صلَّى الله بها عليه عشراً »[1] .

إذاً ، إذا أردنا تحقيق الآية السابقة : ليصلِّي الله علينا ، يجب أن نصلِّي على رسولنا محمد ﷺ ، ثم إن تكرار الصلاة عليه تجعلنا مستعدين للاقتداء به ، والاقتداء أثر المحبة ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران : ٣١] .

ولن يبلغ المسلم درجة الدخول تحت حزب الله الذي ورد في القرآن إلا بشرط أن يحب الله ورسوله :

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة : ٥٤] .

فصلى الله على سيد الكائنات محمد وعلى آله الطاهرين وصحابته الطيبين أجمعين .

❊ ❊ ❊

قتلى بدر :

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان عن حماد عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثة أيام حتى جيفوا ، ثم أتاهم فقام عليهم فقال : « يا أمية بن خلف ، يا أبا جهل بن هشام ، يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً » ، قال : فسمع عمر صوته فقال : يارسول الله ، أتناديهم بعد ثلاث ، وهل يسمعون ؟ يقول الله تعالى : ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الروم : ٥٢] ، فقال عليه الصلاة والسلام : « والذي نفسي بيده ما

---

(١) متفق عليه : وللحديث روايات كثيرة متقاربة اللفظ .

أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا »[١] .

وقال ابن إسحاق : قال حسان بن ثابت :

عـرفـتُ ديـار زينـب بـالكثيـب ... كخطِّ الوحي في الورق القشيب[٢]

تـداولُهـا الـريـاح وكـلُّ جـونٍ ... من الوسمي... منهمرٌ سكوب[٣]

فـأمسى رسمهـا خلقـاً وأمسـت ... يباباً بعد ساكنها... الحبيب[٤]

ودع عنـك التـذكـر كـل يـومٍ ... وردَّ حـرارة القلـب الكئيـب

وخبِّـر بـالـذي لا عيـب فيـه ... بصـدقٍ غيـر إخبـارِ الكـذوب

بمـا صنـع المليـك غـداة بـدرٍ ... لنا في المشركين من النصيب

غـداة كـأن جمعهـم حـراءٌ ... بـدت أركـانـه جُنح الغـروب

فـلاقينـاهـم منـا بجمـعٍ ... كـأسـد الغـاب مـردانٍ وشيـب

أمـام محمـدٍ قـد وازروه ... على الأعداء في لفح... الحروب

بـأيـديهـم صـوارم مـرهفـاتٌ ... وكل مجرب خاطي الكعوب[٥]

بنـو الأوس الغطـارف وازرتهـا ... بنو النجار في الدين الصليب[٦]

فغـادرنـا أبـا جهـل صـريعـاً ... وعتبـة قـد تـركنا بـالجبوب[٧]

وشيبـة قـد تـركنـا فـي رجـالٍ ... ذوي حسـبٍ إذا نسبـوا حسيـب

---

(١) رواه الإمام مسلم أيضاً .

(٢) الكثيب : التل من الرمل والقشيب : الأبيض .

(٣) جون : نبات أسود .

(٤) يباباً : خراباً .

(٥) صوارم : سيوف ماضية .

(٦) الغطارف : الشباب الحسان .

(٧) الجبوب : اسم للأرض لأنها تجب أي تُحفر .

ينـــاديهـــم رســـول الله لمّـــا قـذفنـاهـم كبـاكـب فـي القليب
ألـم تجـدوا كـلامـي كـان حقـاً وأمــر الله يــأخــذ بـالقلـوب
فمـا نطقـوا ولـو نطقـوا لقـالـوا صدقت وكنت ذا رأيٍ مصيب[1]

* * *

وبعد الضيق تتسع :

قال مسلم بن الوليد : كنت يوماً جالساً عند خياط بإزاء منزلي ، فمرَّ بي إنسان أعرفه ، فقمت إليه وسلمت عليه ، وجئت به إلى منزلي لأضيفه وليس معي دراهم ، بل كان عندي زوج أخفاف ، فأرسلتها مع جاريتي لبعض معارفها فباعتها بتسعة دراهم واشترت بها ما قلته لها من الخبز واللحم ، فجلسنا نأكل وإذ بالباب يُطرق ، فنظرت من شقِّ الباب وإذا بإنسان يسأل : هذا منزل فلان ؟ ففتحت الباب وخرجت ، فقال : أنت مسلم بن الوليد ؟ قلت : نعم ، واستشهدت له بالخياط على ذلك ، فأخرج لي كتاباً وقال : هذا من الأمير يزيد بن مزيد ، فإذا فيه : قد بعثنا لك بعشرة آلاف درهم لتكون في منزلك ، وثلاثة آلاف درهم تتجمَّل بها لقدومك علينا ، فأدخلته إلى داري وزدت في الطعام واشتريت فاكهة وجلسنا فأكلنا ثم وهبت لضيفي شيئاً يشتري به هدية لأهله ، وتوجَّهنا إلى باب يزيد بالرقة ، فوجدناه في الحمام ، فلما خرج استؤذن لي عليه فرد أحسن رد وقال : ما الذي أقعدك عنّا ؟

قلت : قلَّة ذات اليد ، وأنشدته قصيدة مدحته بها ، قال : أتدري لم أحضرتك ؟ قلت : لا أدري ، قال : كنت عند الرشيد منذ ليالٍ أحدِّثه ،

---

(١) من البداية والنهاية : ٣/ ٢٩٥ .

فقال لي : يا يزيد ، من القائل فيك هذه الأبيات :

سلَّ الخليفة سيفاً من بني مضرٍ يمضي فيخترق الأجسام والهاما
كالدهر لا ينثني عمّا يهمُّ به قد أوسع الناس إنعاماً وإرغاما

فقلت : والله لا أدري يا أمير المؤمنين ، فقال : سبحان الله ، أيقال فيك مثل هذا ولا تدري من قاله ؟

فسألت فقيل لي : هو مسلم بن الوليد ، فأرسلت إليك ، فانهض بنا إلى الرشيد ، فسرنا إليه واستؤذن لنا فدخلنا عليه ، فأنشدته ما لي فيه من الشعر ، فأمر لي بمئتي ألف درهم ، وأمر لي يزيد بمئة وتسعين ألف درهم وقال : ما ينبغي لي أن أساوي أمير المؤمنين في العطاء . . .

الأمن والخوف أيامٌ مداولةٌ بين الأنام وبعد الضيق تتسع[1]

* * *

من أخبار المنصور :

جلس الخليفة المنصور في إحدى قباب مدينته ، فرأى رجلاً ملهوفاً مهموماً يجول في الطرقات ، فأرسل من أتاه به ، فسأله عن حاله ، فأخبره الرجل أنه خرج في تجارةٍ فأفاد مالاً ، وأنه رجع بالمال إلى منزله ، فدفعه إلى أهله ، فذكرت امرأته أن المال سُرق من بيتها ولم تر نقباً ولا تسليفاً ، فقال له المنصور : منذ كم تزوجتها ؟ قال : منذ سنة ، قال : أفبكرٌ هي تزوجتها ؟ قال : لا ، قال : فلها ولد من سواك ؟ قال : لا ، قال : فشابَّة هي أم مُسنَّة ؟ قال : بل حديثة ، فدعا له المنصور بقارورة طيب كان يتَّخذ له حادّ الرائحة ، غريب النوع ، فدفعها إليه وقال له : تطيَّب من

---

(١) بتصرف من المستطرف : للأبشيهي .

هذا الطيب ، فإنه يذهب همَّك ، فلما خرج الرجل من عند المنصور ، قال المنصور لأربعة من ثقاته : ليقعد على كل باب من أبواب المدينة واحد منكم ، فمن مرَّ بكم فشممتم منه رائحة هذا الطيب ـ وأشمَّهم منه ـ فليأتني به ، وخرج الرجل بالطيب فدفعه إلى امرأته وقال لها : وهبه لي أمير المؤمنين ، فلما شمَّته بعثت إلى رجلٍ تحبُّه ، وقد كانت دفعت المال إليه ، فقالت له : تطيَّب من هذا الطيب ، فإن أمير المؤمنين وهبه لزوجي ، فتطيَّب منه الرجل ومرَّ مجتازاً ببعض الأبواب ، فأخذوه إلى المنصور .

فقال له المنصور : من أين استفدت هذا الطيب ، فإن رائحته غريبة معجبة ؟ قال : اشتريته ، قال : ممن ؟ وخاف الرجل وتلجلج ، فاستدعى المنصور صاحب شرطته ، فقال له : خذ هذا الرجل إليك فإن أعاد المال فخلِّه يذهب حيث شاء ، وإلا فاضربه ألف سوط من غير مؤامرة ، فلما خرج من عنده دعا صاحب شرطته فقال : هوِّل عليه وجرِّده ولا تقدمنَّ بضربه حتى تؤامرني ، فخرج صاحب شرطته ، فلما جرَّده وسجنه أذعن بردِّ الدنانير وأحضرها بهيئتها ، فأعلم المنصور بذلك ، فدعا صاحب الدنانير ، فقال له : رأيتك إن رددت عليك الدنانير بهيئتها أتحكمني في امرأتك ؟

قال : هذه دنانيرك ، وقد طلقت المرأة عليك وخبره خبرها .

* * *

العفو والرعيل الأول :

● عن هشام بن محمد قال : أُتِيَ النعمان بن المنذر برجلين قد أذنب أحدهما ذنباً عظيماً ، فعفا عنه ، والآخر أذنب ذنباً خفيفاً فعاقبه ، وقال :

تعفــو الملــوك عــن العظيــ ـــم مــن الــذنــوب بفضلهــا

ولقـــد تعـــاقـــب فـــي اليسيـــــــــر وليـــس ذاك لجهلهـــــا
إلا ليعـــــــرف حلمهـــــــا ويخـــاف شـــدة دخلهـــا

● وجلس عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في السوق يبتاع طعاماً ، فابتاع ، ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته ، فوجدها قد خلت ، فقال : لقد جلست وإنها لمعي ، فجعل الناس يدعون على من أخذها ويقولون : اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها ، اللهم افعل به كذا . . .

فقال عبد الله : اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة فبارك فيها ، وإن كان حمله جرأة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه ! !

● وروي أن راهباً دخل على هشام بن عبد الملك ، فقال للراهب : أرأيت ذا القرنين ، أكان نبياً ؟ فقال : لا ، ولكنه إنما أُعطي ما أُعطي بأربع خصال كُنَّ فيه : كان إذا قدر عفا ، وإذا وعد وفى ، وإذا حدَّث صدق ، ولا يجمع شغل اليوم لغد .

● وقال مالك بن دينار : أتينا منزل الحكم بن أيوب ليلاً ، وهو على البصرة أمير ، وجاء الحسن وهو خائف ، فدخلنا معه عليه ، فما كنا مع الحسن إلا بمنزلة الفراريج ، فذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع به إخوته من بيعهم إياه ، وطرحهم له في الجبِّ ، فقال : باعوا أخاهم ، وأحزنوا أباهم ، ثم ذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس ، ثم قال : أيها الأمير ، ماذا صنع الله به لقد رفع ذكره ، وأعلى كلمته ، وجعله على خزائن الأرض ، فماذا صنع حين أكمل له أمره ؟ وجمع له أهله ؟

قـال : ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف : ٩٢] .

فقال الحكم : وأنا أقول : لا تثريب عليكم اليوم ، ولو لم أجد إلا ثوبي هذا لواريتكم تحته .

شرار الناس شرار العلماء :

مع ما للعلم من قيمة سامقة ، يصبح العلم ذاته وبالاً على صاحبه وذلك :

إذا كان طلب العلم لغرض دنيوي لا لوجه الله تعالى ، لذلك يقول تعالى :

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى : ٢٠].

وفي مكان آخر يقول عز وجل : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء : ١٨] .

وهل يستطيع المتعلِّم أن يكذب على المطَّلع على كل تفصيلات الأمور ، وعلى السر وما أخفى من ذلك ؟ لذلك قال المصطفى صلوات الله عليه :

« إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجلٌ استشهد فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلتُ فيك حتى استُشهدت ، قال : كذبت! ولكنك قاتلت ليُقال جريء ، فقد قيل ، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار ، ورجل تعلَّم العلم وعلَّمه ، وقرأ القرآن ، فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلَّمتُ العلم وعلَّمته ، وقرأتُ فيك القرآن ، قال : كذبت! ولكنك تعلَّمت ليُقال عالم ، وقرأت القرآن ليُقال قارىء ، وقد قيل ، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار »[1] .

---

(١) رواه مسلم والترمذي والنسائي وأحمد وأبو نعيم .

ويقول : « من طلب العلم ليُماري به السفهاء ، ويُكاثر به العلماء ، أو يصرف به وجوه الناس إليه ، فليتبوَّأ مقعده من النار »[1] ، ويقول أيضاً :

« من تعلَّم علماً مما يُبتغى به وجه الله عز وجل ، لا يتعلَّمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا ، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة »[2] ، أي ريحها .

* * *

ما أجمل هذا الحوار :

دخل رجلان من الخوارج على الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقالا : السلام عليك يا إنسان! فقال : وعليكما السلام يا إنسانان .

قالا : طاعة الله أحق ما اتبعت ؟ قال : من جَهِلَ ذلك ضلَّ .

قالا : مال الله يقسم على أهله . قال : الله بيَّن في كتابه تفصيل ذلك .

قالا : تقام الصلاة لوقتها . قال : هو من حقِّها .

قالا : إقامة الصفوف في الصلوات . قال : هو من تمام السنَّة .

قالا : إنّا بُعثنا إليك . قال : بلِّغا ولا تهابا .

قالا : ضع الحق بين الناس . قال : الله أمر به قبلكما .

قالا : لا حكم إلا لله . قال : كلمة حقٍّ إن لم تبتغوا بها باطلاً .

قالا : ائتمن الأمناء . قال : هم أعواني .

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه .

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم وأحمد .

قالا : احذر الخيانة . قال : السّارق محدود .

قالا : فالخمر ولحم الخنزير . قال : أهل الشرك أحقُّ به .

قالا : فمن دخل في الإسلام فقد أمن . قال : لولا الإسلام ما أمنّا .

قالا : أهل عهود رسول الله ﷺ . قال : لهم عهودهم .

قالا : لا تكلِّفهم فوق طاقتهم . قال : لا يكلِّف الله نفساً إلا وسعها .

قالا : خرِّب الكنائس . قال : هي من صلاح رعيتي .

قالا : ذكرنا بالقرآن . قال : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ .

قالا : تردّنا إلى من أرسلنا . قال : ما أحبسكما .

قالا : فبم نقول لإخواننا . قال : ما رأيتما وسمعتما .

قالا : تردّنا على دواب البريد ؟ قال : هو مال الله لا نطيبه لكما .

قالا : فليس معنا نفقة . قال : أنتما إذاً أبناء سبيل ، عليَّ نفقتكما[1] .

* * *

قاسم الكرخي :

يُكنى أبا عبد الملك ، من أفاضل المشايخ ، صحب أبا سليمان الداراني وغيره ، وكان من أقران السرّي والحارث المحاسبي ، ومن كلامه : من أصلح فيما بقي من عمره غفر له ما مضى وما بقي ، ومن أفسد فيما بقي من عمره أُخذ بما مضى وما بقي . وقال : السلامة كلها في اعتزال الناس ، والفرح كله في الخلوة بالله عز وجل . وسئل عن التوبة

---

(١) من سيرة عمر بن العزيز لابن الحكم : ١٦٧ .

فقال : التوبة رد المظالم وترك المعاصي وطلب الحلال وأداء الفرائض .

وقال لأصحابه : أوصيكم بخمس : إن ظُلمتم فلا تظلموا ، وإن مُدحتم فلا تفرحوا ، وإن ذُممتم فلا تحزنوا ، وإن كُذِّبتم فلا تغضبوا ، وإن خانوكم فلا تخونوا .

وقال يوماً : إن لله عباداً قصدوا الله بهممهم فأفرده بطاعتهم واكتفوا به في توكُّلهم ، ورضوا به عوضاً عن كلٍّ ما خطر على قلوبهم من أمر الدنيا ، فليس لهم حبيب غيره ، ولا قرَّة عين إلا فيما قرّب إليه ، وكان يقول : قليل العمل مع المعرفة خير من كثير العمل بلا معرفة ، ثم قال : اعرف وضع رأسك ونم ، فما عبد الله الخلق بشيءٍ أفضل من المعرفة .

وروي عنه قوله : رأيت في الطواف حول البيت رجلاً فتقرَّبت منه ، فإذا هو لا يزيد على قوله : اللهم قضيت حاجة المحتاجين ، وحاجتي لم تنقض ، فقلت له : ما لك لا تزيد على هذا الكلام ؟

فقال : كنا سبعة رفقاء من بلاد شتى ، غزونا أرض العدو ، فاستأسرونا كلنا ، فاعتزل بنا لتضرب أعناقنا ، فنظرتُ إلى السماء ، فإذا سبعة أبواب مُفتَّحة عليها سبع جوار من الحور العين ، في كل باب جارية ، فقُدِّم رجل منّا فضُربت عنقه ، فرأيت جارية في يدها منديل قد هبطت إلى الأرض ، فضُربت أعناق الستة وبقيت أنا ، وبقي باب وجارية ، فلما قُدِّمتُ لتُضرب عُنقي استوهبني بعض خواص الملك فوهبني له ، فسمعتها تقول : بأيِّ شيءٍ فاتك هذا يا محروم ؟

وأُغلق الباب ، فأنا يا أخي مُتحسِّرٌ على ما فاتني . قال قاسم الكرخي : أراه أفضلهم ، لأنه رأى ما لم يروا ، وتُركَ يعمل على الشوق[1] .

---

(١) بتصرف من المستطرف للأبشيهي : ص ١٥٥ .

أبو حنيفة لحلّ المشكلات :

روى محمد بن الحسن قال : دخل اللصوص على رجل ، فأخذوا متاعه واستحلفوه بالطلاق ثلاثاً أن لا يُعلم أحداً ، قال : فأصبح الرجل وهو يرى اللصوص يبيعون متاعه ، وليس يقدر أن يتكلَّم من أجل يمينه ، فجاء الرجل يشاور أبا حنيفة .

فقال أبو حنيفة : أحضرني أمام حيِّك والمؤذن والمستورين منهم ، فأحضره إياهم ، فقال لهم أبو حنيفة : هل تحبُّون أن يردَّ الله على هذا متاعه ؟ قالوا : نعم .

قال : فاجمعوا كل ذي فُجْر عندكم وكل منهم فأدخلوهم في دار أو مسجد ، ثم أخرجوا واحداً واحداً ، فقولوا : هذا لِصُّكَ ، فإن كان ليس بلصِّه فليتكلم ، وإن كان لصُّه فليسكت ، فإذا سكت فاقبضوا عليه ، ففعلوا ما أمرهم به أبو حنيفة ، فردَّ الله عليه جميع ما سُرق منه .

وروى ابن الجوزي رحمه الله : أن رجلاً جاء إلى أبي حنيفة فشكا له أنه دفن مالاً في موضع ولا يذكر الموضع ، فقال أبو حنيفة : ليس هذا فقهاً فأحتال لك فيه ، ولكن اذهب فصلِّ الليلة إلى الغداة ، فإنه ستذكره إن شاء الله تعالى .

ففعل الرجل ذلك ، فلم يمض إلا أقلَّ من ربع الليل حتى ذكر الموضع ، فجاء إلى أبي حنيفة فأخبره فقال : قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلي حتى تذكر ، فهلاّ أتممت ليلتك شكراً لله .

وحدَّث عبد الواحد بن غياث قال : كان أبو العباس الطوسي سيىء الرأي في أبي حنيفة رحمه الله تعالى ، وكان أبو حنبفة يعرف ذلك ، فأقبل عليه فقال : يا أبا حنيفة ، إن أمير المؤمنين يدعو الرجل منّا فيأمر بضرب

عنق الرجل وهو لا يدري ما هو ، أيسعه أن يضرب عنقه ؟

فقال أبو حنيفة : يا أبا العباس ، أمير المؤمنين يأمر بالحق أو بالباطل ؟

قال : بل بالحق .

قال : أنفذ الحق حيث كان ولا تسأل عنه .

ولما خرج الرجل قال أبو حنيفة لمن حوله : أراد أن يوثِّقني فربَّطته .

❊ ❊ ❊

أشجار الجنة وبساتينها :

جاء في كتاب حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم رحمه الله :

قال تعالى : ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ [الواقعة : ٢٧ـ٣٣] .

والمخضود : الذي خضد شوكه ، أي نُزع وقُطع ، فلا شوك فيه ، وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبي الأحوص وغيرهم .

وأما الطلح : فأكثر المفسرين قالوا : إنه شجرة الموز .

وفي الصحيحين عن سهل بن سعد ، عن رسول الله ﷺ قال :

« إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها » .

وفي جامع الترمذي من حديث أبي حامد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« يقول الله : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، اقرؤوا إن شئتم : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧] ، وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها ، اقرؤوا إن شئتم : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ [الواقعة : ٣٠] وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، اقرؤوا إن شئتم : ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾[1]

[آل عمران : ١٨٥] » .

* * *

أسماء أصوات الإنسان :

صوت الإنسان في اللغة العربية له تسميات ذوات مدلولٍ ، منها الحسن ومنها القبيح ، ومن ذلك ما يلي :

الشجيّ : هو أحسن الأصوات وأحلاها وأصفاها وأكثرها نغماً .

المخلخل : وهو العالي الحاد للنغم بحلاوة وجهارة .

المصهرج : وهو الصَّوت الثقيل بلا ترجيع ولا نغمة .

الخادمي : وهو ما كان غريب الموقع كأصوات العبيد .

الجهير : وهو الغليظ الذاهب في الأسماع .

الأجشّ : وهو الجهير ببحوحة مليحة ونغمة مفخَّمة .

الناعم : وهو الصوت المليح الموقع الصافي النغم .

الأبحّ : وهو على ثلاثة أوجه : خلقة ، تعب ، علّة ، وخلقة أحسن .

---

(١) رواه النسائي وابن ماجه واللفظ هنا للترمذي .

الكرواني : وهو يشبه الكروانات دقَّة وصفاء وتسلسلاً .

الزوايدي : وهو الذي تكون نغمته زائدة عن مقادير الغناء .

المقمقع : وهو الذي يشبه كلام البادية بلا حلاوة .

المصلصل : وهو الدقيق اليابس المجيد بغير شجى .

المرتعد : وهو الذي كأن صاحبه مقرور بالحمى .

الصيرصوري : وهو الدقيق الحاد القبيح الموقع .

الأغن : وهو الذي فيه الغنة والحلاوة والنغم .

الرطب : وهو ما كان كالماء الجاري بلا كلفة وفيه حلاوة .

الصياحي : وهو الذي يتغير عن الوتر إلى زيادة ونقصان .

اللقمي : وهو الذي كأن في فم صاحبه لقمة من الطعام .

الأملس : وهو المعتدل الصافي الخالي من النغم والترجيح .

المظلم : وهو الذي ليس فيه نغمة ولا يكاد يُسمع .

الدقيق : وهو الذي يضعف ويكاد يخفى .

* * *

التواضع النبوي :

كان رسول الله ﷺ أشدَّ الناس تواضعاً على علوِّ مكانته[1] ، قال ابن عامر : رأيته يرمي الجمرة على ناقة شهباء ، لا ضرب ولا طرد[2] وكان

---

(١) رواه الضحاك عن أبي سعيد الخدري .

(٢) رواه النسائي والترمذي وابن ماجه وأبو الشيخ .

يركب الحمار موكفاً عليه قطيفة ، وكان مع ذلك يستردف[1] ، وكان يعود المريض ، ويتبع الجنازة ، ويجيب دعوة المملوك ، ويخصف نعله ، ويرقع ثوبه ، وكان يصنع في بيته مع أهله في حاجتهم ، وكان أصحابه لا يقومون له ، لما عرفوا كراهته لذلك ، وكان يمرُّ على الصبيان فيسلِّم عليهم ، وأُتي برجل فأرعد من هيبته فقال له : « هوِّن عليك فلست بملكٍ ، إنما أنا ابن امرأةٍ من قريش تأكل القديد »[2] .

وكان يجلس بين أصحابه مختلطاً بهم كأنه أحدهم ، فيأتي الغريب فلا يدري أيهم حتى يسأل : أيكم محمد ؟ حتى طلبوا إليه أن يجلس مجلساً يعرفه الغريب ، فبنوا إليه دكاناً من طين ، فكان يجلس عليه .

وقالت له عائشة رضي الله عنها : كل جعلني الله فداك متكئاً ، فإنه أهون عليك ، قال : فأصغى رأسه حتى كاد أن تصيب جبهته الأرض ثم قال :

« بل آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد »[3] .

وكان لا يأكل على خوان[4] ، ولا سُكُرُّجة[5] حتى لحق بالله تعالى ، وكان لا يدعوه أحد من أصحابه وغيرهم إلا قال : لبيك ، وكان إذا جلس مع الناس إن تكلموا في معنى الآخرة أخذ معهم ، وإن تحدَّثوا في طعام أو شراب تحدَّث معهم ، وإن تكلَّموا في الدنيا تحدَّث معهم ، رفقاً بهم وتواضعاً لهم ، وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحياناً ، ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية ، ويضحكون فيبتسم هو إذا ضحكوا ، ولا يزجرهم إلا عن حرام ، صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم .

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه الحاكم .

(٣) رواه البخاري .

(٤) الخوان : هو ما يوضع عليه الطعام عند الأكل .

(٥) سكرجة : إناء صغير تؤكل فيه الشيء القليل من الأدام .

يا نفس توبي من العصيان واجتهدي :

جاء في كتاب الروض الفائق :

إخواني : كأني بكم وقد بلغتم يومكم الموعود ما لم تفتدوا منه بوالد ولا مولود ، مقام تشهد عليكم فيه الألسنة والجلود ، وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر . قال الجنيد رحمه الله : دخلت على سري السقطي عند الموت ، وكان ممن أحرق قلبه الخوف فقلت له : كيف نجدك ؟ قال :

كيف أشكو إلى طبيبي ما بي   والذي بي أصابني من طبيبي!

فأخذتُ المروحة لأروِّح عليه ، فقال : كيف يجد ريح المروحة من قلبه يحترق ، ثم قال :

القلب محترق والدمع مستبق   والقلب مجتمع والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار له   مما جناه الأسى والشوق والقلق ؟

ثم ذكر الله ومات ـ رحمه الله ـ .

إخواني : ما الذي أعددتم من حلاوة الطاعة لتجرُّع مرارة الموت ، وما الذي قدَّمتموه من زاد التقوى قبل حلول الفوت ، كم ينادي الغافلين منا مناد المواعظ فلا يستجيبون ؟

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم : ٣٩] .

قال إبراهيم التيمي رحمه الله : مثلتُ نفسي في الجنة آكل من ثمارها ، وأشرب من أنهارها ، ثم مثل نفسي في النار آكل من زقّومها ، وأشرب من صديدها ، ثم قلت لنفسي : ما تريدين ؟ قالت : أُرَدُّ إلى الدنيا فأعمل صالحاً ، قلت : فأنت في الأمنية فاعملي .

يا نفس قد طاب في إمهالك العمل	فاستدركي قبل أن يدنو لك الأجل
إلى متى أنتِ في لهوٍ وفي لعبٍ	يغرُّكِ الخادعان : الحرص والأمل
وأنتِ في سكر لهوٍ ليس يدفعه	عن قلبك الناصحان : العتب والعذل
تزوَّدي لطريق أنت سالكة	فيها فعمّا قليل يأتكِ المثل
ولا تغرُّكِ أيام الشباب ففي	أعقابها الموبقان : الشيب والأجل
يا نفس توبي من العصيان واجتهدي	ولا يغرَّنّك : الإبعاد والملل
ثم احذري موقفاً صعباً لشدَّته	يغشى الورى المتلفان : الحزن والوجل

* * *

والله لو كنتَ إلهاً لم تكن!!

روى ابن إسحاق أن عمرو بن الجموح كان من سادات بني سلمة وأشرافهم ، وكان قد اتَّخذ صنماً من خشب في داره يُقال له (مناة) يعظِّمه ويظهره ، ولكن ابنه معاذ أسلم وكان له أصدقاء كمعاذ بن جبل ، فكانوا يأتون ليلاً على صنم عمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة وفيها عذر الناس منكساً على رأسه ، فإذا أصبح عمرو قال : ويحكم ، من عدا على إلهنا هذه الليلة ؟ ثم يأتي به فيغسله ويطيِّبه ثم يقول : لو أعلم من يفعل بك هذا لأخزينَّه ، وتكرر ذلك الموقف ، وفي إحدى الليالي جاء بسيفه وعلَّقه عليه ثم قال له : إني و الله لا أعلم من يصنع بك ما أرى ، فإن كان فيك خير فامتنع ، هذا السيف معك ، فلما نام عمرو عدوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ، ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة فيه عذر من عذر الناس ، فلما استيقظ عمرو لم يجده في مكانه ، فخرج يتبعه ، حتى إذا وجده في تلك

البئر منكَّساً مقروناً بكلب ميِّت ، فلما رآه أبصر شأنه وكلمه من أسلم من قومه ، فأسلم برحمة الله وحسُن إسلامه .

فقال حين أسلم ، وعرف من الله ما عرف ، وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره ، ويشكر الله الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة ويقول :

والله لـو كنـتَ إلهـاً لـم تكـن ... أنت وكلبٌ وسط بئرٍ في قَرَنْ[1]

أُفٌّ لملقـاكَ إلهـاً مسـتـدن ... الآن فتشناك عن سوء الغَبَنْ[2]

الحمـد لله العلـيِّ ذي المِنـن ... الـواهـب الـرزّاق ديّـان الـدِّيَـنْ

هـو الـذي أنقـذني مـن قبـل أن ... أكون في ظلمة قبرٍ مُرتَهَنْ[3]

* * *

اكتبوا عبدي هذا في المتجبرين :

أعطى الله سبحانه وتعالى رسوله صلوات الله عليه هيبةً لم يعطها أحداً من العالمين ، ومع ذلك فقد كان صلوات الله عليه قِمَّةً في التواضع .

فها هو ذا يأتيه رجلٌ إلى المدينة المنوَّرة ، وما إن دخل عليه حتى دخل الخوف قلب الرجل وأصابته رعدة شديدة ، ولاحظ رسول الله ﷺ ذلك على وجه الرجل فقال له : « هوِّن عليكَ ، فإنَّما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد[4] »[5] .

---

(١) القَرَن : هو الحبل الذي يُشدُّ به الأسير .

(٢) الغبن : الخديعة .

(٣) من البداية والنهاية لابن كثير : ٣/ ١٦٤ .

(٤) القديد : اللحم المجفف (المقدَّد) .

(٥) رواه ابن ماجه .

ويأتيه عمُّه العبّاس فيقول له ﷺ :

« أنهاكَ عن الشِّرك والكِبْر ، فإن الله يحتجب منهما » .

ثم يؤكِّد للأمَّة حقيقة مفادها : أن التواضع لله نتيجته الحتمية الفوز بدرجات العُلَى ، والرفعة الأبدية ، فيقول صلوات الله عليه :

« ما تواضع أحد لله إلا رفعه »(١) .

ثم يحذِّر من التكبر تحذيراً شديد اللهجة ، ويوصف المتكبرين وصفاً لائقاً بهم فيقول عليه الصلاة والسلام :

« اجتنبوا الكبر فإن العبد لا يزال يتكبَّر حتى يقول الله تعالى لملائكته : اكتبوا عبدي هذا في الجبارين »(٢) .

ويزيد الأمر إيضاحاً ليعطينا القول الفصل في الكبر ـ سواءً كان كثيراً أو قليلاً ـ ويبيِّن لنا ما يؤول إليه هؤلاء يوم ننقلب إلى الله تعالى فيقول :

« لا يدخل الجنة من كان في مثقال حبَّة من كِبر »(٣) .

نسأل الله أن يبعدنا عن الكِبر ، وأن يجعلنا من عباده المتواضعين .

❊ ❊ ❊

كيف نؤدِّي الشكر ؟

روي أن كليم الله موسى عليه السلام قال : يا رب ، كيف لي أن أؤدِّي شكر نعمك ، ولك عليَّ في كل شعرة نعمتان ؟ فجاءه الجواب : يا موسى ، إذا عرفت أنك عاجز عن شكري فقد شكرتني .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) السيوطي في ضعيف الجامع الصغير .

(٣) رواه مسلم والترمذي .

وروي أن الله تعالى أوحى إلى سيدنا داود عليه السلام : اشكر نعمتي عليك .

فقال داود : إلهي ، وكيف لي أن أشكرك ، وشكري لك على النعم أعظم نعمةً عليَّ ؟

فأوحى الله تعالى إليه : إذا علمتَ ذلك فأنت أشكر العباد لي .

وقد قيل في قول الله تعالى : ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ : ١٣] .

أي : قليلٌ من يرى منَّتي عليه ، عند شكره لي .

من هنا وضع العلماء خمس قواعد للشكر ، كي نحفظها ونطبِّقها وقالوا : عليها يقوم بناء الشكر ، ومتى عُدِمَ منها واحدة اختلَّ من قواعد الشكر قاعدة ، وهي :

١ـ خضوع الشاكر للمشكور .

٢ـ حب الشاكر للمشكور .

٣ـ اعتراف الشاكر بنعمة المشكور .

٤ـ ثناء الشاكر على المشكور بنعمته .

٥ـ أن لا يستعملها فيما يكره المشكور .

* * *

تفسير رائع للصراط المستقيم :

لسلفنا الصالح تفسيرات رائعة لقوله تعالى : ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة : ٦] .

من ذلك قولهم : الصراط المستقيم وأهله هم : أبو بكر وعمر ، وأصحاب رسول الله ﷺ ، ورضي الله عنهم ، وهو كما فسروه ، فإنه

صراط الذي كانوا عليه ، وهو عين صراط نبيهم ، وهم الذين أنعم الله عليهم ، وغضب على أعدائهم ، وحكم لأعدائهم بالضلال .

وقال أبو العالية ـ رُفيع الرياحي ـ والحسن البصري ، وهما من أَجلِّ التابعين : الصراط المستقيم : رسول الله ﷺ وصاحباه ، وقال أبو العالية أيضاً في قوله تعالى : ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] وهم آل[1] رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر .

وهذا حقّ ، فإن آله وأبا بكر وعمر على طريق واحدة ، ولا خلاف بينهم وموالاة بعضهم بعضاً ، وثناؤهم عليها ، ومحاربة من حاربا ، ومسالمة من سالما : معلومة عند الأمة ، خاصها وعامها ، وقال زيد بن أسلم : الذين أنعم عليهم هو رسول الله وأبو بكر[2] .



---

(١) الآل : هو كل من يؤول إلى النبي ﷺ بأخص صفاته وأبرز مزاياه ، وليست الولادة البشرية من خصائص رسول الله ، بل هو فيها مثل غيره من البشر ، كما جاء صريحاً في كتاب الله ، وكما تقتضيه كلمات الله .
وإنما خصوصيته ﷺ : هي الرسالة والهدى والعلم والحكمة ، التي أخرج الله بها من الظلمات إلى النور ، فآله : هم أتباعه في هذه الرسالة وهداها ـ بقطع النظر عن الزمان والمكان والأب والجدّ ـ على علم وبصيرة من ربهم ، كما قال أن آل فرعون : هم أتباعه على ظلمه وبغيه وكفره في كل زمان ومكان ، وبأيّ اسم ، وقد صرح الله سبحانه بما يقتضي هذا جلياً في قوله :
﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

(٢) للتوسع راجع مدارج السالكين لابن قيم الجوزية : ١/ ٨٤ .

مؤذّنٌ لا مثيل له!!

كان لسليمان بن عبد الملك[1] مؤذّنٌ يؤذن في قصره بأوقات الصلاة ، فجاءته جارية له مولّدة فقالت : يا أمير المؤمنين ، إن فلاناً المؤذّن إذا مررتُ به لم يقلع ببصره عنّي ، وكان سليمان أشدّ الناس غيرة ، فهمَّ أن يأمر بالمؤذّن ، ثم قال : تزيّني وتطيّبي وامضي إليه فقولي له : إنه لم يخفَ عنّي نظرك إليَّ ، وبقلبي منك أكثر ممّا بقلبك منّي ، فإن تكن لك حاجة فقد أمكّنك مني ما تريد ، وهذا أمير المؤمنين غافل ، فإن لم تبادر وإلا لم أرجع إليك أبداً .

فمضت إلى المؤذّن وقالت له ما قال لها ، فرفع طرفه إلى السماء وقال : يا جليل ، أين سترك الجميل ؟ ثم قال : اذهبي ولا ترجعي ، فعسى أن يكون الملتقى بين يدي من لا يخيّب الظنَّ ! !

فرجعت إلى سليمان وأخبرته فأرسل إليه ، فلما دخل على سليمان قال له الحاجب : إن أمير المؤمنين رأى أن يَهَب لك فلانة ، ويحمل إليك معها خمسين ألف درهم تنفقها عليها ، قال : هيهات يا أمير المؤمنين ، إني و الله ذبحتُ طمعي منها من أول لحظة رأيتها ، وجعلتها ذخيرة لي عند الله ، وأنا أستحيي أن أسترجع شيئاً ادّخرته عنده ، فجهد به سليمان

(١) الخليفة الأموي السادس ، ولد في دمشق ، وولي الخلافة بعد وفاة أخيه الوليد (٩٦ هـ) ، أطلق الأسرى وأخلى السجون وعفا عن المجرمين وأحسن إلى الناس ، كان عاقلاً فصيحاً طموحاً إلى الفتوح ، جهّز جيشاً كبيراً وسيّره في السفن بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك لحصار القسطنطينية ، وفي عهده فُتحت طبرستان وجرجان ، أوصى لعمر بن عبد العزيز من بعده ، توفي في مرج دابق شمالي حلب عام (٩٩ هـ) .

أن يأخذ المال والجارية فلم يفعل ، فكان يُعجب منه ، ولا يزال يحدِّث أصحابه بحديثه[1] .

* * *

مخالفة الشهوة :

كان في الكوفة شابٌّ متعبِّد ، لازم المسجد الجامع لا يفارقه ، وكان حسن الوجه والقامة والسَّمت ، فنظرت إليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت به ، وطال عليها ذلك ، فلما كان ذات يوم ، وقفت له على الطريق وهو يريد المسجد ، فقالت : يا فتى ، اسمع مني كلمات أكلِّمك بهنَّ ، ثم اعمل ما شئت ، فمضى ولم يكلِّمها ، ولما عاد إلى بيته استوقفته لتكلِّمه ، فقال : هذا موقف تهمة ، وأنا أكره أن أكون للتهمة موضعاً ، فقالت له : و الله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بأمرك ، ولكن معاذ الله أن يتشوَّف العباد إلى مثل هذا منِّي ، والذي حملني على أن لقيتك في مثل هذا الأمر بنفسي ، لمعرفتي أن القليل من هذا عند الناس كثير ، وأنتم معاشر العبَّاد على مثال القوارير أدنى شيء يعيبها ، وجملة ما أقول لك : إن جوارحي كلها مشغولة بك ، فالله الله في أمري وأمرك ، فمضى الشاب إلى منزله وأراد أن يصلي فلم يعقل كيف يصلي ، فأخذ قرطاساً وكتب كتاباً ثم خرج من منزله ، وإذا بالمرأة واقفة في موضعها ، فألقى الكتاب إليها ورجع إلى منزله ، وكان فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم : اعلمي أيتها المرأة ، أن الله عز وجل إذا عصاه العبد حلم ، فإذا عاد ستره ، فإذا لبس لها ملابسها غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منها السموات والأرض والجبال والشجر والدواب ،

---

(١) بتصرف من المستجاد للإمام التنوخي : ٢٢٨ .

فمن ذا يطيق غضبه ؟ فإن كان ما ذكرتِ باطلاً ، فإني أذكِّركِ يوماً تكون السماء فيه كالمهل ، وتصير الجبال كالعِهن ، وتجثو الأمم لصولة الجبار العظيم ، وإني و الله قد ضعفتُ عن إصلاح نفسي ، فكيف بإصلاح غيري ، وإن كان ما ذكرتِ حقّاً ، فإني أدلُّكِ على طبيب هدى يداوي الكلوم الممرضة ، والأوجاع ؟ ذلك الله رب العالمين ، فاقصديه بصدق المسألة فإني مشغول عنكِ بقوله :

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر : ١٨-١٩] فأين المهرب من هذه الآية ؟

وهكذا لزمت المرأة بيتها ، عاكفةً على العبادة والبكاء والاستغفار ، ثم أرسلت له رسالة فيها :

لا كان الملتقى بعد ذاك اليوم أبداً ، إلا غداً بين يدي الله تعالى ، ثم توفيت إلى رحمة الله تعالى(١) .

* * *

واذكر الموت وما بعده!!

كتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز لمّا تولّى الخلافة ما يلي :

الإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده ، يسعى لهم صغاراً ، ويعلّمهم كباراً ، يكتسب لهم في حياته ، ويدَّخر لهم بعد مماته .

---

(١) بتصرف من إحياء علوم الدين للغزالي : ٣/ ٢٤٥ .

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرَّة الرَّفيقة بولدها ، حملته كرهاً ، ووضعته كرهاً ، وربَّته طفلاً ، تسهر بسهره ، وتسكن بسكونه ، ترضعه تارة ، وتفطمه أخرى ، وتفرح بعافيته ، وتغتمُّ بشكايته .

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح ، تصلح جوانحه بصلاحه ، وتفسد بفساده .

والإمام العادل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده ، يسمع كلام الله ويُسمعهم ، وينظر إلى الله ويُريهم ، وينقاد إلى الله ويقودهم ، فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملَّكك الله كعبد ائتمنه سيِّده واستحفظه ماله وعياله ، فبدَّد المال ، وشرَّد العيال ، فأفقر أهله ، وفرَّق ماله .

واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش ، فكيف إذا أتاها من يليها ؟ وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده ، فكيف إذا قتلهم من يقتصُّ لهم ؟

واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده ، وقلَّة أشياعك عنده وأنصارك عليه ، فتزوَّد له ولما بعده من الفزع الأكبر .

واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلاً غير منزلك الذي أنت فيه ، يطول فيه ثواؤك ، ويفارقك أحباؤك ، ويسلمونك في قعره فريداً وحيداً ، فتزوَّد له ما يصحبك يوم يفرُّ المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه[(١)] .

* * *

---

(١) من أخبار أبي حفص وسيرته لأبي بكر الآجري (محمد بن الحسين) : ٧٣ .

من أخبار الزُّهّاد :

روى الحافظ ابن الجوزي عن الحسين بن جعفر الرازي عن يوسف بن الحسين قال : قيل لي أن ذا النون المصري[1] رحمه الله تعالى كان يعرف اسم الله الأعظم ، فدخلت مصر وخدمته سنة ، ثم قلت : يا أستاذي ، إني قد خدمتك وقد وجب حقّي عليك ، وقيل لي : إنك تعرف اسم الله الأعظم ، وقد عرفتني ولا تجد له موضعاً مثلي ، فأحبُّ أن تعلِّمني إيّاه .

فسكت عني ذو النون ولم يجبني ، وكأنه أومأ إليَّ أنه يخبرني ، قال : فتركني بعد ذلك ستة أشهر ، ثم أخرج لي من بيته طبقاً ومكبَّة مشدودة في منديل ، وكان ذو النون يسكن الجيزة (في مصر) ، فقال : تعرف فلاناً صديقنا من الفسطاط ؟ قلت : نعم ، قال : فأحبُّ أن تؤدِّي هذه إليه .

قال : فأخذت الطبق وهو مشدود وجعلت أمشي طول الطريق وأنا متفكر فيه ، مثل ذي النون يوجِّه إلى فلان بهدية ؟ تُرى أيُّ شيء هي ؟! فلم أصبر إلى أن بلغْتُ الجسر ، فحللتُ المنديل ، ورفعتُ المكبَّة ، فإذا فأرة قفزت من الطبق وفرَّت!!

قال : فاغتظت غيظاً شديداً ، وقلت : ذو النون يسخر مني ويوجِّه مع مثلي فأرة ، فرجعت على ذلك الغيظ ، فلما أن رآني عرف ما في وجهي ، فقال : يا أحمق ، إنما جرَّبناك ، ائتمنتُكَ على فأرة فخنتني ، أفأئتمنك على اسم الله الأعظم ؟! اخرج من عندي فلا أراك بعدها .

---

(١) ذو النون المصري : هو ثوبان بن إبراهيم المصري ، أبو الفيض ، أحد الزهَّاد والعبَّاد المشهورين ، له أقوال وكلمات مشهورة في التصوّف ، توفي عام (٢٤٥ هـ) ، وردت ترجمته في طبقات الأولياء : ٢١٨ ، وطبقات الصوفية : ١٥ ، والرسالة القشيرية : ٢/ ١٤ .

يمشي مرة ويكبو مرة :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« آخر من يدخل الجنة رجل يمشي على الصراط مرة ويكبو مرة ، وتسعفه النار مرة فإذا جاوزها التفت إليها ، فقال : تبارك الذي نجَّاني منك ، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين ، فترتفع له شجرة ، فيقول : أي ربِّ أدنني من هذه الشجرة أستظلُّ بظلِّها وأشرب من مائها ، ويعاهده أن لا يسأله غيرها وربُّه يعذره ، لأنه يرى ما لا صبر له عليه ، فيُدنيه منها فيستظلُّ بظلِّها ويشرب من مائها ، ثم تُرفع له شجرة هي أحسن من الأولى ، فيقول : يا ربِّ ، أدنني من هذه لأشرب من مائها ، وأستظلَّ بظلِّها ، لا أسألك غيرها ، فيقول : يا بن آدم ألم تعاهدني أنك لا تسألني غيرها ؟

فيقول : لعلِّي إن أدنيتك منها أن تسألني غيرها ، فيعاهده أن لا يسأله غيرها ، وربُّه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيُدنيه منها ، فيستظل بظلِّها ، ويشرب من مائها ، ثم تُرفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين ، فيقول : أي ربِّ أدنني من هذه الشجرة لأستظلَّ بظلِّها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها ، فيقول : يا بن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها ؟

قال : بلى يا رب ، هذه لا أسألك غيرها ، وربه يعذره ، لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيُدنيه منها ، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنّة فيقول : يا رب أدخلنيها ، فيقول : يا بن آدم ، ما يُرضيك مني ؟ أيرضيك أني أعطيك الدنيا ومثلها معها ؟

قال : يا رب أتستهزىء بي وأنت رب العالمين ؟

فضحك ابن مسعود ، فقال : ألا تسألوني مما أضحك ؟ لقد ضحك رسول الله ﷺ فقالوا : مم تضحك ؟ قال : من ضحك رب العالمين حين قال : أتستهزىء بي وأنت رب العالمين ، فيقول : لا أستهزىء بك ولكني على ما أشاء قادر »[1] .

* * *

من تفسيرات التابعين :

في قول الله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة : ٢٠٧] .

روى سعيد بن المسيب سبب نزولها فقال : أقبل صُهيب مهاجراً نحو النَّبي ﷺ ، فاتبعه نفر من قريش ، فنزل عن راحلته ، واستخرج ما في كنانته ، ثم قال : يا معشر قريش ، قد علمتم أني من أرماكم رجالاً ، وأنتم و الله لا تصلون إليَّ حتى أرمي بكل سهم في كنانتي ، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء ، ثم افعلوا ما شئتم ، وإن شئتم دللتكم على مالي بمكة ، وخليتم سبيلي ، قالوا : نعم .

فلما قدم النَّبي ﷺ قال : « ربح البيع » فنزلت هذه الآية .

وقال في قول الله تعالى : ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف : ٤٦] .

قال رحمه الله : الباقيات الصالحات هي سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، و الله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

---

(١) رواه الإمام مسلم .

وقال في قول الله تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال : ١٧] .

أُنزلت في رمية النَّبي ﷺ يوم أُحُد أُبيّ بن خلف بالحربة وهو في لأمته (درعه) ، فخدشه في ترقوته ، فجعل يتدأدأ(١) عن فرسه مراراً ، حتى كانت وفاته بعد أيام ، قاسى فيها العذاب الأليم موصولاً بعذاب البرزخ المتصل بعذاب الآخرة .

وقال في قوله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة : ١٠٥] .

إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر فلا يضرُّك من ضلَّ إذا اهتديت .

* * *

كيف أنت وحالكا ؟

يروي أبو حاتم بن حبان البستي فيقول : كان أعرابي بالكوفة ، وكان له صديق ، وكان يُظهر له مودة ونصيحة ، فاتَّخذه الأعرابي من عُدده للشدائد إذا حَزَب الأعرابي أمر ، فأتاه فوجده بعيداً مما كان يظهر للأعرابي ، فأنشأ يقول :

إذا كان ودُّ المرء ليس بزائدٍ ... على « مرحباً » أو « كيف أنت » وحالكا!

ولم يك إلا كاشراً ، أو محدثاً ... فأُفٍّ لودٍّ ، ليس إلا كذلكا

---

(١) دأدأ عن فرسه : سقط عنه .

لســانــك معســول ونفســك بشَّــة   وعند الثريا... من صديقك مالُكا
وأنــت إذا همَّــت يمينــك مــرَّةً   لتفعـل خيـراً ، قـاتلتهـا شمـالكـا

ثم يقول : سمعت محمد بن المنذر يقول : سمعت عبد العزيز بن عبد الله يقول : قال محمد بن حازم :

وإن مـن الإخـوان إخـوانَ كشـرةٍ   وإخوانَ « حيَّاك الإله » و « مرحبا »
وإخوان : كيف الحالُ والأهل كله ؟   وذلــك لا يســوى نقيــراً متــرَّبــا
جــواد إذا استغنيــت عنــه بمــالــه   يقول : إليَّ القرض ، والقرض فاطلبا
فإن أنت حاولت الذي خَلْف ظهره   وجدتَ الثريا منه في البعد أقربا

ثم يقول : العاقل لا يصادق المتلوِّن ، ولا يؤاخي المتقلِّب ، ولا يُظهر من الوداد إلا مثل ما يُضمر ، ولا يُضمر إلا فوق ما يُظهر ، ولا يكون في النوائب عند القيام بها إلا ككونه قبل إحداثها والدخول فيها ، لأنه لا يحمد من الإخاء ما لم يكن كذلك ، وقال رجل من خزاعة شعراً :

وليـس أخـي مـن ودَّنـي بلسـانـه   ولكنَّ أَخي من ودَّني في النوائب
ومَن ماله مالي إذا كنتُ مُعدماً   ومالي له ، إن عضَّ دهر بغارب
فلا تحمدنْ عند الرخاء... مؤاخياً   فقد تُنكر الإخوان عند المصائب
ومـا هـو إلا كيـف أنـت ومـرحبـاً   وبـالبيـض روَّاغ كـروغ الثعـالـب[1]

* * *

(١) أراد بالبيض هنا الدراهم .

لا منجى من الموت!!

نقل المسعودي في مروج الذهب قال :

وذكر لوط بن يحيى وابن دأب والهيثم بن عدي وغيرهم أن معاوية لما احتضر تمثَّل :

هو الموت، لا منجى من الموت، والذي تحـاذر بعـد المـوت أدهـى وأفظـع

ثم قال : اللهم أقِل العثرة ، واعفُ عن الزلَّة ، وجُدْ بحلمك على جهل لم يرج غيرك ، ولم يثق إلا بك ، فإنك واسع المغفرة ، وليس لذي خطيئة مهرب . فبلغ ذلك سعيد بن المسيب ، فقال : لقد رغب إلى من لا مرغوب إليه مثله ، وإني لأرجو أن لا يعذبه الله .

وذكر محمد بن إسحاق وغيره من نقلة الآثار ، أن معاوية دخل الحمّام في بدء علَّته التي كانت وفاته فيها ، فرأى نحول جسمه ، فبكى لفنائه وما قد أشرف عليه من الدّثور الواقع بالخليقة ، وقال متمثِّلاً :

أرى الليالي أسرعت في نقضي أخـذن بعضـي وتـركـن بعضـي

حنيـن طـولـي وحنيـن عـرضـي أقعدنني من بعد طول نهضي

ولما أزف أمره ، وحان فراقه ، واشتدَّت علَّته ، وأيس من برئه قال :

فيا ليتني لم أعن في الملك ساعة ولم أكُ في اللّذات أعشى النواظر

وكنت كذي طِمْرَيْن عاش ببُلْغة من الدهر حتى زار أهل المقابر

* * *

كرامات من القرآن الكريم :

هناك أدلَّة واضحة في كتاب الله تعالى على ما أنكره ـ كليّاً ـ بعض الناس ، وعلى ما أنكر بعضها وأيَّد بعضها بعض الناس ، وعلى ما صدَّقها كلها بعضهم الآخر ، من الكرامات .

● من ذلك قصة زكريا عليه السلام : أنه كان كلما دخل على مريم ـ وهي ليست نبية لنقول إنها معجزة ـ المحراب وجد عندها رزقاً ، وكان لا يدخل عليها أحد غيره عليه السلام ، فيقول : يا مريم أنّى لكِ هذا ؟ تقول : هو من عند الله ، قال ربنا عز وجل :

﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران : ٣٧] .

● وقصة أصحاب الكهف ، فقد ناموا ثلاثمئة وتسع سنين ، وبَقَوا أحياء سالمين ، وكان الذي يحفظهم هو الله تعالى :

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَـٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَـٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَـٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَـٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ

كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ [الكهف : ١٨-٢٥] .

وقد سُمِّيت سورة كاملة في القرآن باسمهم وهي سورة الكهف .

● أما الذي عنده علم من الكتاب ، فيقول جمهور المفسرين أنه آصف ابن برخيا ، كان يجلس مع سيدنا سليمان عليه السلام عندما أتاه الهدهد بخبر ملكة اليمن بلقيس وعرشها وجنودها ، وطلب النبي سليمان أن يؤتى بعرشها :

﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾

[النمل : ٤٠] .

وجاء آصف ـ بقدرة الله ـ بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين قبل ارتداد الطرف .

● وحينما جاء المخاض للسيدة مريم وهي تلد ابنها عيسى عليه السلام ، جاءها الأمر أن هُزِّي جذع تلك النخلة اليابسة!! ولما فعلت اخضرَّ ورقها وحملت ثمراً ، ثم تساقط الرطب الجني في غير أوانه ، اسمع قول الخالق عز وجل :

﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم : ٢٥] .

* * *

وصية علي للحسن والحسين :

حين حضرت الإمام علي الوفاة ـ كما روى ذلك ابن كثير ـ قال للحسن والحسين :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحقّ ليُظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربِّ العالمين ، لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا من المسلمين ، أوصيك يا حسن وجميع ولدي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ربكم ، ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرَّقوا ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام » .

. . . الله الله في الأيتام فلا تعفوا أفواههم ولا يضيعنَّ بحضرتكم ، و الله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم ، الله الله في القرآن فلا يسبقنَّكم إلى العمل به غيركم ، و الله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم ، و الله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، و الله الله في الزكاة فإنها تُطفىء غضب الرب ، و الله الله في ذمَّة نبيكم لا تظلمنَّ بين ظهرانيكم ، و الله الله في أصحاب نبيكم فإن رسول الله ﷺ أوصى بهم ، و الله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معاشكم ، و الله الله فيما ملكت أيمانكم ، فإن آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ أن قال :

« أوصيكم بالضعيفين ؛ نسائكم وما ملكت أيمانكم » .

الصلاة الصلاة ، لا تخافنَّ في الله لومة لائم ، يكفكم من أرادكم وبغى عليكم ، وقولوا للناس حُسناً كما أمركم الله ، ولا تتركوا الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر فيولي الأمر شراركم ثم تدعون فلا يُستجاب لكم ، وعليكم بالتواصل والتباذل ، وإياكم والتدابر والتقاطع والتفرُّق ، وتعاونوا على البرِّ والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب ، حفظكم الله من أهل بيت ، وحفظ عليكم نبيكم ، أستودعكم الله ، وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله .

* * *

المولد النبوي :

كثر الحديث عن المولد النبوي بين مؤيِّد ومتشدّد ، وأصبح من أكثر الموضوعات أهمية ، بل كادت تحدث فتن من ورائه حتى أسماه أحد العلماء : معركة المولد ! !

فما الكلام الفصل في ذلك ؟

يكفينا رأي واحد هو رأي الإمام ابن تيمية رحمه الله مع أنه عُرف عنه التشدُّد ، يقول في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم) :

« وكذلك ما يحدثه بعض الناس إمّا مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام ، وإمّا محبّة للنبي ﷺ وتعظيماً له ، و الله قد يُثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد لا على البدع ، وأكثر هؤلاء الذين تجدونهم حرصاء على أمثال هذه البدع ، مع ما لهم فيها من حسن القصد والاجتهاد الذي يُرجى لهم به المثوبة ، تجدونهم فاترين في أمر الرسول صلوات الله عليه عمّا أُمروا بالنشاط فيه .

واعلم أن من الأعمال ما يكون فيه خير لاشتماله على أنواع من المشروع ، وفيه أيضاً شرٌّ من بدعة وغيرها ، فيكون ذلك العمل شرّاً بالنسبة إلى الإعراض عن الدين بالكليّة كحال المنافقين والفاسقين .

وهذا قد ابتُلي به أكثر الأمَّة في الأزمان المتأخرين ، فعليك هنا بأدبين :

١ـ أن يكون حرصك على التمسُّك بالسنَّة باطناً وظاهراً في خاصَّتك وخاصة من يعطيك ، واعرف المعروف ، وأنكر المنكر .

٢ـ أن تدعو إلى السنَّة بحسب الإمكان ، فإذا رأيت من يعمل هذا ولا يتركه إلا إلى شرٍّ منه ، فلا تدعُ إلى ترك منكر بفعل ما هو أنكر منه ، أو بترك واجب أو مندوب تركه أضرُّ من فعل ذلك المكروه ، ولكن إذا كان في البدعة نوع من الخير فعوِّض عنه من الخير المشروع بحسب الإمكان ، إذ النفوس لا تترك شيئاً إلا بشيء ، ولا ينبغي لأحد أن يترك خيراً إلا إلى مثله أو إلى خير منه ، فإنه كما أن الفاعلين لهذه البدع معيبون قد أتوا مكروهاً فالتاركون أيضاً للسنن مذمّون ، فتعظيم المولد واتخاذه موسماً ، قد يفعله بعض الناس ويكون له فيه أجر عظيم لحُسن قصده ، وتعظيمه لرسول الله ـ كما قدمته لك ـ أن يحسن من بعض الناس ما يُستقبح من المؤمن المسدد ، ولهذا قيل للإمام أحمد عن بعض الأمراء : إنه أنفق على مصحف ألف دينار ونحو ذلك ، فقال : دعه ، فهذا أفضل ما أنفق فيه الذهب » .

* * *

من أخبار جعفر الصادق :

عن الفضل بن الربيع قال[(١)] :

حجَّ أبو جعفر المنصور فقدم المدينة المنوَّرة ، فقال : ابعث إلى جعفر بن محمد من يأتيني به ، قتلني الله إن لم أقتله ، فجاء فدخل ،

---

(١) من الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا : ٢٢ .

فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال : لا سلَّم الله عليك يا عدوَّ الله ، ما تُلحد في سلطاني وتبغيني الغوائل في ملكي ، قتلني الله إن لم أقتلك!

فقال الإمام جعفر : يا أمير المؤمنين ، إن سليمان عليه السلام أُعطي فشكر ، وإن أيوب عليه السلام ابتُلي فصبر ، وإن يوسف عليه السلام ظُلم فغفر ، وأنت أشحُّ من ذلك ، فنكس رأسه طويلاً ثم رفع رأسه فقال : إليَّ يا أبا عبد الله ، وقرَّبه ووصله وانصرف ، فلحقته فقلت : قد رأيتك تحرِّك شفتيك ، فما الذي قلت ؟

قال : « اللهم احرسني بعينك التي لا تنام ، واكنفني بركنك الذي لا يُرام ، واغفر لي بقدرتك عليَّ ، ولا أهلك وأنت رجائي ، كم من نعمة أنعمت بها عليَّ قلَّ لك عندها شكري ، وكم من بليَّة ابتليتني بها قلَّ عندها صبري ، فيا من قلَّ عند نعمته شكري فلم يحرمني ، ويا من قلَّ عند بليته صبري فلم يخذلني ، ويا من رآني على الخطايا فلم يفضحني ، يا ذا المعروف الذي لا ينقضي أبداً ، ويا ذا النعم التي لا تُحصى أبداً ، أسألك أن تصلي على محمد وعلى آل محمد ، اللهم إنه عبد من عبادك مثلي ألقيت عليه سلطانك ، فخذ بسمعه وبصره وقلبه إلى ما فيه صلاح أمري ، وبك أدرأ في نحره ، وأعوذ بك من شره ، اللهم أعنِّي على ديني بالدنيا ، وأعنِّي على آخرتي بالتقوى ، واحفظني فيما غبتُ عنه ، ولا تكلني إلى نفسي فيما حضرته ، يا من لا تضرُّه الذنوب ، ولا تُنقصه المغفرة ، اغفر لي ما لا يضرُّك وأعطني ما لا ينقصك ، إنك أنت الوهَّاب ، أسألك فرجاً قريباً وصبراً جميلاً ورزقاً واسعاً ، والعافية من جميع البلاء ، وشكراً على العافية » .

* * *

الشافعي والقناعة :

قال الإمام الشافعي[1] في القناعة وغنى النفس :

بلوت بني الدنيا فلم أر فيهم ... سوى من غدا والبخل ملء إهابه[2]

فجردت من غمد القناعة صارماً ... قطعت رجائي منهم بذبابه[3]

فلا ذا يراني واقفاً في طريقه ... ولا ذا يراني قاعداً عند بابه

غنيٌّ بلا مال عن الناس كلِّهم ... وليس الغنى إلا عن الشيء لا به

إذ ما ظالمٌ يستحسن الظلم مذهباً ... ولجَّ عتواً في قبيح اكتسابه[4]

فكِلْه إلى صرف الليالي فإنها ... ستبدي له ما لم يكن في حسابه[5]

فكم قد رأينا ظالماً متمرداً ... يرى النجم تيهاً تحت ظلِّ ركابه[6]

فعمّا قليلٌ وهو في غفلاته ... أناخت صروف الحادثات ببابه

فأصبح لا مالٌ ولا جاه يُرتجى ... ولا حسنات تلتقي في كتابه

وجُوزِيَ بالأمر الذي كان فاعلاً ... وصبَّ عليه الله سوط عذابه[7]

---

(١) هو محمد بن إدريس بن عثمان بن شافع من بني المطلب من قريش ، أحد أئمة المذاهب الأربعة ، جمع علم الفقه والقراءات وعلم الأصول والحديث واللغة والشعر ، ولد عام (١٥٠ هـ) وكان شديد الذكاء ، نشر مذهبه بالحجاز والعراق ، ثم انتقل إلى مصر (١٩٩ هـ) فنشر فيها مذهبه الجديد ، توفي في مصر ودُفن فيها في مقبرة تُعرف بمقبرة الشافعي وذلك عام (٢٠٤ هـ) من تصانيفه : الأم : في الفقه ، والرسالة : في أصول الفقه ، وأحكام القرآن .

(٢) الإهاب : الجلد .

(٣) ذباب السيف : حدُّه .

(٤) عتواً : استكباراً .

(٥) كِلْه : اتركه .

(٦) تيهاً : افتخاراً .

(٧) من ديوان الشافعي رحمه الله : ٣١ .

الزواج من الثانية!!

كان لأبي محجن امرأة سوداء طاعنة في السنّ ، فاشتاق إلى البياض ، فتزوَّج امرأة سرية بيضاء ، فغضبت أم محجن وغارت عليه .

فقال لها : و الله يا أم محجن ما مثلي يُغار عليه ، إني شيخ كبير ، وما مثلك يغار إنكِ لعجوز كبيرة ، وما أحد أكرم عليَّ منك ولا أوجب حقّاً ، فجوزي هذا الأمر ولا تكدريه عليَّ ، فرضيت وقرَّت ، ثم قال لها بعد ذلك :

هل لك أن أجمع إليكِ زوجتي الجديدة ، فهو أصلح لذات البين ، وألمُّ للشعث ، وأبعد للشماتة ، فقالت : نعم افعل ، وأعطاها ديناراً وقال لها : إني أكره أن ترى بكِ خصاصة أن تفضل عليك ، فاعملي لها إذا أصبحت عندكِ غداءً بهذا الدينار ، ثم أتى زوجته الجديدة فقال لها : إني أردتُ أن أجمعكِ إلى أمِّ محجن ، فخذي هذا الدينار فأعدِّي لها به إذا أصبحتِ عندها غداءً لئلا ترى بكِ خصاصة ولا تذكري لها الدينار .

ثم أتى صاحباً له يستنصحه فقال : إني أريد أن أجمع زوجتي الجديدة إلى أُم محجن غداً ، فأتني مسلِّماً ، فإني سأستجلسك للغداء ، فإذا تغدَّيت فسلني عن أحبِّهما إليَّ ، فإني سأنفر وأعظِّم ذلك ، فإذا أبيتُ عليكَ أن لا أخبرك فاحلف عليَّ ، فلما كان الغد زارت زوجته الجديدة أمَّ محجن ، ومرَّ به صديقه ، فاستجلسه ، فلما تغديا أقبل الرجل عليه ، فقال : يا أبا محجن ، أُحبُّ أن تخبرني عن أحبِّ زوجتيك إليك ، فقال : سبحان الله! أتسألني في هذا وهما يسمعان ؟ ما سأل عن مثل هذا أحد ، قال : فإني أقسم عليك لتخبرني ، فو الله لا عذرتك ولا أقبل إلا ذاك ، قال : أما إذا فعلت فأحبُّهما إليَّ صاحبة الدينار ، و الله لا أزيد على هذا شيئاً ، فأعرضت كل واحدة منهن وهي تضحك ونفسها مسرورة ، وهي تظنُّ أنه عناها بذلك القول .

فما ظنُّك بزماننا هذا ؟!

في حديثٍ يرويه البخاري والنسائي وأحمد ، يقول فيه المصطفى صلوات الله عليه :

« لا يأتي عليكم عام ، ولا يوم ، إلا والذي بعده شرٌّ منه حتى تلقوا ربكم » .

ثم يأتي زمان الإمام علي كرم الله وجهه فيتغيَّر الناس ، فيقول :

نحن في زمان لم يبق من أهله إلا حُثالةٌ كحثالة القرظ[1] ، وقراضة كقراضة الجلم[2] .

أما السيدة عائشة رضي الله عنها فقد كانت تتمثَّل بأبيات للبيد :

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم   وبقيتُ في خلفٍ كجلد الأجرب

لا ينفعون ولا يُرجَّى خيرهم   ويُعابُ قائلهم وإن لم يُطرب

لكن أبا الدرداء رضي الله عنه عبَّر تعبيراً رائعاً يصف حال أهل زمانه ! !

وكان الناس ورقاً لا شوك فيه ، وقد صاروا شوكاً لا ورق فيه .

ثم يأتي الأحنف بن قيس رحمه الله ت (٧٩ هـ) فيقول :

لم يبق في الناس إلا حاسدٌ نعمة أو شامتٌ بمصيبة .

ثم يأتي الشاعر البستي ، ليقول :

---

(١) القرظ : ورق السَّلم يدبغ به ، ويقال : إنه قشر البلوط [مختار الصحاح] .

(٢) قراضة : فضالة ما يقرض الفأر من خز أو ثوب ، والجلم : المقراض الذي يُجزُّ به الشعر والصوف .

لقـاءُ أكثـر مـن زاروك أوزارُ   فلا تبالِ أغابوا عنك أو زاروا
لهـم بِـديـك إذا جاؤوك أوطـارُ   إذا قضوها تنحّوا عنك أو طاروا
أخـلاقُهـم ـ فتجنبهُـنَّ ـ أوعـارُ   وقـربُهـم مـأثـمٌ للمـرء أو عـارُ
أوضار[1] أفعالهم تعدي معاشرهم   فلا يروك فقدماً من رأوا ضاروا

ثم يأتي الطغرائي ت (٥١٣ هـ) ليقول :

أعدى عدوّك أدنى من وثقت به   فحاذر الناس واصحبهم على دَخَلِ
وإنمـا رجـل الـدنيـا وواحـدهـا   من لا يُعَوِّلُ في الدنيا على رجلِ
غاض الوفاء وفاض الغدر وانفرجت   مسافة الخُلف بين القول والعملِ

هذا كله قبل انقضاء القرن الخامس الهجري ، فما ظنُّكَ بزماننا هذا ؟!

* * *

أفضل العدّة الصبر مع الشدة :

دخلت أعرابية قرية في العراق ، فسمعت صراخاً في دارٍ فقالت : ما هذا ؟ فقيل لها : مات لهم إنسان ، فقالت : ما أراهم إلا من ربهم يستغيثون ، وبقضائه يتبرّمون ، وعن ثوابه يرغبون .

وقد ورد على لسان عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أفضل العدَّة الصبر مع الشدة .

أما الإمام علي كرم الله وجهه فقد قال : الصبر مطيَّة لا تكبو ، والقناعة سيف لا ينبو[2] .

وجاء على لسان حكيم : من صبر ظفر .

---

(١) أوضار : أوساخ وأقذار [المصباح المنير] .
(٢) ينبو : يغدر .

وقال كعب الأحبار : قرأت في التوراة : من أصابه مصيبة فشكا إلى الناس فإنما يشكو ربه .

وقال أحد الصالحين : اصبر لحكم من لا تجد معولاً إلا عليه ، ولا مفزعاً إلا إليه .

ورووا عن عبد الله بن المبارك قوله : المصيبة واحدة ، فإذا جزع صاحبها فهما اثنتان ، لأن إحداهما المصيبة بعينها ، والثانية ذهاب أجره ، وهو أعظم من المصيبة .

وقال حكيم : مَن أحبَّ البقاء فليُعدَّ للمصائب قلباً صبوراً .

وقال عاقل : بالصبر على مواقع الكره تُدرك الحظوظ .

وما أجمل قول سيدنا علي للأشعث بن قيس : إن صبرت جرى عليك القلم وأنت مأجور ، وإن جزعت جرى عليك القلم وأنت مأزور[1] .

فما جزاء الصابرين ؟

يقول الله عز وجل : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة : ١٥٥-١٥٦] .

* * *

من اقتصادياتنا..

الإسلام دين الفطرة ، ودين الوسطية والاعتدال ، فلا تطرُّف ولا إفراط ولا تفريط ، ففي الطعام والشراب مثلاً ، على المسلم :

١- ألا يأكل ولا يشرب كل ما هو ضارٌّ له ، وخاصَّة المحرَّم : كالخمر .

---

(١) مأزور : يناله الإثم .

٢ـ ألا يُسرف : ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [الأعراف : ٣١] .

٣ـ أن يأكل ويشرب باعتدال ، وذلك لقول الرسول عليه الصلاة والسلام :

« ما ملأ آدميٌ وعاءً شرّاً من بطنه ، حسب الآدميّ لُقيمات يُقمن صلبه ، فإن غلبته نفسه ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنَفَسِه »[١] .

٤ـ ألا تظهر فيه السُّمنة ، وقد تحدَّث المصطفى ﷺ في معرض الإنكار فقال :

« ويظهر فيهم السِّمن »[٢] وذلك أن السُّمنة نتيجة أخذ الجسم طعاماً فيه حُريرات كثيرة ، إذاً لابدَّ أن يُراعي نوعية الطعام ، وكمية الغذاء فيه ، أيضاً لابدَّ أن يُلاحظ في الطعام والشراب الأثمان المعقولة والمقدار المعتدل ، وأن يكون طيّب المنبت طيّب المطعم فلا ضرر ديني ولا دنيوي .

القياس نفسه في اللباس ، فلا تقشُّف إلى حدٍّ بعيد ، ولا تكديس للألبسة من دون حاجة لها ، وإلا كان هذا إسرافاً ، والاقتصاد ـ كما قالوا ـ نصف المعيشة ، ولا يُفهم من هذا أن الشحَّ هو الاقتصاد! أبداً فالدين الحنيف نهى عن الشحّ والبخل ، لكن حضَّ على الاقتصاد في كل الأمور .

وكم في كتب الأحاديث النبوية من أحاديث تتحدَّث عن ذلك ، بل إن

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد .

(٢) جزء من حديث رواه البخاري وأحمد .

كل ما يقوله الأطباء اليوم محذِّرين من التخمة والأكل الكثير إنما جاء به الإسلام منذ زمنٍ بعيد ، حتى ما يقوله أطباء الأسنان من المحافظة على الأسنان وتنظيفها ، جاءت به السنَّة الشريفة لتحضَّ على السواك وأنه من الفطرة .

* * *

الحب :

الحب الحقيقي الخالد هو حب الله سبحانه وتعالى ، لكن للحب في هذا النوع طرقاً وتعريفاتٍ وأقوالاً ، من ذلك قولهم :

لله قـومٌ أخلصـوا فـي حبِّـه ... فاختارهم ورضي بهم خُدَّاما
قـوم إذا جـنَّ الظـلام عليهـم ... أبصـرت قـومـاً سُجَّـداً وقيـامـا
يتلـذَّذون بـذكـرهـم فـي ليلهـم ... ويكـابـدون بـذي النهـار صيـامـا
فسيغنمـون عـرائسـاً بعـرائـسٍ ... ويُبـوَّؤون مـن الجنـان خيـامـا
وتقـرُّ أعينهـم بمـا أُخفـي لهـم ... وسيسمعون من الجليل سلاما

وللشيخ أحمد الرفاعي قول رائع :

من أحبَّ الله علَّم نفسه التواضع ، وقطع عنها علائق الدنيا ، وآثر الله تعالى على جميع أحواله واشتغل بذكره ، ولم يترك لنفسه رغبة فيما سوى الله تعالى وقام بعبادته . . .

أما الإمام علي كرم الله وجهه فيقول في ذلك : إن قوماً عبدوا الله رغبة ، فتلك عبادة التجار ، وإن قوماً عبدوا الله رهبة ، فتلك عبادة العبيد ، وإن قوماً عبدوا الله شكراً ، فتلك عبادة الأحرار .

وجاء في الأثر : أن أحد العلماء العارفين مرَّ على رجلٍ يبكي على

قبر ، فسأله عن سبب بكائه ، فقال : إن لي حبيباً قد مات ، فقال العارف : لقد ظلمت نفسك بحبِّك لحبيبٍ يموت ، فلو أحببتَ حبيباً لا يموت لما تعذَّبت بفراقه .

وما أجمل ما وُصف به أولئك الذين أحبُّوا الله وأرادوه :

فما مقصودهم جنات عدنٍ ... ولا الحور الحسانُ ولا الخيام
سوى نظر الحبيب وذا مُناهم ... وهذا مقصد القوم الكرام

لله درُّ أقوام ، إذا جنَّ عليهم الليل ، سمعت لهم أنين الخائف ، وإذا أصبحوا رأيت عليهم تغيُّر الألوان :

إذا ما الليل أقبل كابدوه ... ويسفر عنهم وهم ركوعُ
أطار الشوقُ نومهمُ فقاموا ... وأهل الأمن في الدنيا خشوعُ

* * *

من آداب المتعلم :

١ـ الرضا باليسير من القوت ، والصبر على ضيق العيش ، وقد قال الإمام الشافعي : لا يطلب أحد هذا العلم بالملك وعزِّ النفس فيفلح ، ولكن من طلبه بذُلِّ النفس وضيق العيش وخدمة العلماء أفلح ، ولا يدرك العلم إلا بالصبر على الذل ، وقال الإمام مالك : لا يبلغ أحد من هذا العلم ما يريد حتى يضرَّ به الفقر ويؤثره على كل شيء .

٢ـ أن ينظر إلى معلمه بعين الاحترام ، لذلك ورد أن بعض المتقدمين كان إذا ذهب إلى معلمه تصدق بشيء وقال : اللهم استر عيب معلمي عني ولا تُذهب بركة علمه منِّي ، لذلك قال الشافعي رحمه الله عن نفسه :

كنت أصفح الورقة بين يدي (مالك) صفحاً رقيقاً هيبةً له لئلا يسمع وقعها .

٣ـ أن يتحرّى رضا المعلم ، وقد أجمل الإمام علي كرم الله وجهه ذلك بقوله :

من حقِّ العالِم عليك أن تسلِّم على القوم عامَّة ، وتخصّه بالتحية ، وأن تجلس أمامه ، ولا تشيرنَّ عنده بيدك ، ولا تعمدنَّ بعينك غيره ، ولا تقولنَّ قال فلان خلاف قوله ، ولا تغتابنَّ عنده أحداً ، ولا تسارَّ في مجلسه ، ولا تأخذ بثوبه ، ولا تلحَّ عليه إذا كسل ، ولا تشبع من طول صحبته ، فإنما هو كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيء .

٤ـ أن يكون حريصاً على التعلُّم مواظباً عليه في جميع أوقاته ليلاً ونهاراً ، حضراً وسفراً ، ولا يذهب من أوقاته شيئاً في غير العلم إلا بقدر الضرورة لأكل ونوم واستراحة لإزالة الملال ، وقد قال يحيى بن أبي كثير : لا يستطاع العلم براحة الجسم .

وللفائدة يقول الخطيب البغدادي : أجود أوقات الحفظ الأسحار ثم نصف النهار ثم الغداة وحفظ الليل أنفع من حفظ النهار ، ووقت الجوع أنفع من وقت الشبع ، وأجود أماكن الحفظ الغُرف ، وكل موضع بعُد عن الملهيات[١] .

* * *

من آداب المعلم :

١ـ اجتهاده في تحصيل دروسه ومطالعاته ، وأن يستفيد من كل الناس حتى من الذين هم أصغر سناً ، وقد قال سعيد بن جبير رحمه الله : لا يزال الرجل عالماً ما تعلَّم ، فإذا ترك العلم وظنَّ أنه استغنى واكتفى بما عنده

---

(١) بتصرف واختصار شديد من مقدمة المجموع للنووي رحمه الله .

فهو أجهل ما يكون ، وينبغي أن لا يمنعه ارتفاع منصبه وشهرته من استفادة ما لا يعرفه ، فقد كان كثيرون من السلف يستفيدون من تلامذتهم ما ليس عندهم .

٢ـ عليه أن لا يتعظَّم على المتعلمين بل يلين لهم ويتواضع ، فقد أمر بالتواضع لآحاد الناس ، وقد روى الإمام مسلم عن رسول الله ﷺ :

« إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا » .

وقد قال الفضيل بن عياض رحمه الله : إن الله عز وجل يحبُّ العالم المتواضع ويبغض العالم الجبار .

٣ـ إذا سأل سائل مسألة ولم يكن لديه جواب واضح فعليه أن يقول لا أعلم ، وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه : يا أيها الناس ، من علم شيئاً فليقل به ، ومن لم يعلم فليقل : الله أعلم ، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلمه : الله أعلم .

وقد قال الله تعالى لنبيه محمد صلوات الله عليه :

﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص : ٨٦] .

٤ـ عليه أن يصون يديه عن العبث ، وعينيه عن تفريق النظر بلا حاجة ، ويلتفت على الحاضرين التفاتاً قصداً بحسب الحاجة للخطاب ، ويقدِّم على الدرس تلاوة شيء من القرآن ، ثم يبسمل ويحمد ويصلي على النَّبي ﷺ ويدعو للعلماء الماضين من مشايخه ووالديه والحاضرين وسائر المسلمين ثم يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، اللهم إني أعوذ بك من أن أضِلَّ أو أُضَلَّ ، أو أزِلَّ أو أُزَلَّ ، أو أظلِمَ أو أُظلَم ، أو أجهَلَ أو يُجهَل عليَّ[1] .

---

(١) باختصار شديد من مقدمة المجموع للإمام النووي رحمه الله .

فضل من شهد بدراً من المسلمين :

روى الإمام البخاري بسنده المتصل إلى أنس رضي الله عنه قال : أصيب حارثة يوم بدر فجاءت أمه إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يارسول الله ، قد عرفت منزلة حارثة مني فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب ، وإن تكن الأخرى فترى ما أصنع . فقال : « ويحك أَوَ هبلت ، أَوَجنة واحدة ؟ إنها جنان كثيرة ، وإنه في جنة الفردوس » . وفي رواية أخرى : « إن ابنك أصاب الفردوس الأعلى » .

وفي هذا تنبيه عظيم على فضل أهل بدر ، فإن هذا الذي لم يكن في (بحيحة) القتال ولا في حومة الوغى ، بل كان من النَّظارة من بعيد ، وإنما أصابه سهم غرب وهو يشرب من الحوض ، ومع هذا أصاب بهذا الموقف الفردوس الأعلى ، التي منها تتفجَّر أنهار الجنة ، فما ظنُّك بمن كان واقفاً في نحر العدو ، وعدوهم على ثلاثة أضعافهم عدداً وعُدداً .

وروى البخاري في مكان آخر عن إسحاق بن إبراهيم عن جرير عن يحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي عن أبيه ـ وكان أبوه من أهل بدر ـ قال : جاء جبريل إلى النَّبي ﷺ فقال : « ما تعدُّون أهل بدر فيكم ؟ قال : من أفضل المسلمين ـ أو كلمة نحوها ـ قال : وكذلك من شهد بدراً من الملائكة » .

وروى الإمام أحمد بسنده المتصل إلى أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن الله اطَّلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم »[1] .

---

(١) وكذلك رواه أبو داود والبزار وغيرهم .

وفي قصة حاطب بن أبي بلتعة يوم بعث إلى أهل مكة عام الفتح يخبرهم بما قرر رسول الله ﷺ من فتح مكة ، وهذا يسمى اليوم (الخيانة العظمى) ، ولما افتُضح الأمر قال عمر فيما يرويه علي رضي الله عنهما : أتأذن لي بضرب عنقه يارسول الله ، فإنه قد خان الله ورسوله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « قد شهد بدراً ، وما يدريك لعلَّ الله اطَّلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم »[١] .

* * *

من أخبار هشام بن عبد الملك :

جاء في العقد الفريد ما نصُّه : قال العتبي :

إني لقاعد عند قاضي هشام بن عبد الملك[٢] ، إذ أقبل إبراهيم بن محمد بن طلحة وصاحب حرس هشام حتى قعدوا بين يديه فقال : إن أمير المؤمنين وكّلني في خصومة بينه وبين إبراهيم .

فقال القاضي : شاهديك على الوكالة ، قال : أتُراني قلت على أمير المؤمنين ما لم يقل ، وليس بيني وبينه إلا هذه السترة ؟

فقال : بلى ، ولكنه لا يثبت الحق لك ولا عليك إلا ببيِّنة .

قال : فقام الحرسي فدخل إلى هشام فأخبره ، فلم نلبث أن قعقعت

---

(١) رواها البخاري ومسلم .

(٢) هو هشام بن عبد الملك بن مروان من خلفاء بني أمية في الشام ، ولد في دمشق وبويع فيها بعد وفاة أخيه يزيد (١٠٥ هـ) .
بنى الرصافة قرب الرقة ليسكنها في الصيف ، وتوفي فيها ، كان حسن السياسة يقظاً في أمره ، يباشر الأعمال بنفسه ، اجتمع في أيامه الكثير من المال في خزائن الدولة الإسلامية ما لم يجتمع في عهد آخر ، توفي عام (١٢٥ هـ) .

الأبواب وخرج الحرسي وبسط له مصلًّى ، فقعد عليه وإبراهيم بين يديه ، وكنّا نسمع بعض كلامهم ويخفى عنّا بعضه ، قال : فتكلّما وأحضرا البيِّنة ، فقضى القاضي على هشام ، فتكلَّم إبراهيم بكلمة فيها بعض الخُرْق ، فقال : الحمد لله الذي أبان للناس ظلمك ، فقال له هشام : لقد هممتُ أن أضربك ضربةً ينتثر منها لحمك عن عظمك .

قال : أما والله لئن فعلت لتفعلنَّه بشيخ كبير السن قريب القرابة واجب الحق .

فقال هشام : استرها عليّ .

قال : لا ستر الله عليَّ إذاً ذنبي يوم القيامة إن سترتها .

قال : فإني معطيك عليها مئة ألف .

قال إبراهيم : فسترتُها عليه حياته ثمناً لما أخذتُ منه ، وأذعتها بعد مماته تزييناً .

* * *

الحصن والشيطان :

في كتاب إحياء علوم الدين للغزالي ما يلي :

اعلم أن مثال القلب مثال حصن ، والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن ، فيملكه ويستولي عليه ، ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ، ومواضع ثلمه ، ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدري أبوابه ، وهذه الأبواب كثيرة منها :

١ـ الغضب والشهوة : وقد ذكر أن بعض الأولياء قال لإبليس : أرني كيف تغلب ابن آدم ، فقال : آخذه عند الغضب وعند الهوى .

٢ـ الحسد والحرص : فمهما كان العبد حريصاً على كل شيء ، أعماه حرصه وأصمَّه ، إذ قال عليه الصلاة والسلام : « حبُّك للشيء يعمي ويُصمّ »[1] ، ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان ، فإذا غطّاه الحسد والحرص لم يبصر ، حينئذ يجد الشيطان فرصته .

٣ـ الشبع من الطعام : وإن كان حلالاً صافياً ، لأن الشبع يقوي الشهوات التي هي أسلحة الشيطان .

٤ـ الطمع في الناس : ووقتها سيُرائي حتى يصير المطموع فيه كأنه معبوده .

٥ـ العجلة وترك التثبُّت في الأمور : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ ﴾ [الأنبياء : ٣٧] ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء : ١١] ووقتها يروِّج الشيطان شرَّه على الإنسان من حيث لا يدري .

٦ـ الدراهم والدنانير والعقارات والدواب والعروض : ذلك لأن كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقرٌ للشيطان .

٧ـ البخل وخوف الفقر : وهو الذي يمنع من الإنفاق ويدعو إلى الادّخار والكَنْز .

٨ـ سوء الظن بالمسلمين : قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ ﴾ [الحجرات : ١٢] .

أمّا علاج ذلك كلِّه : فيكون في سدِّ هذه المداخل ، وذلك بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة .

* * *

---

(١) رواه أبو داود .

أهذه أساطير ؟!

لدى التنقيب في بطون الأمهات عن أولئك الأساطين ، ومقارنةً بما نحن عليه اليوم ، تجد أن الأمور وقتها أقرب إلى الخيال ، لكن الإسلام حين يُربِّي أتباعه يفعل أكثر من ذلك ، ففي جانب الزهد يطالعنا التاريخ بما يلي :

● في تاريخ الخلفاء للسيوطي : كان إعراض عمر بن عبد العزيز يصل إلى حدٍّ عجيب ، من ذلك ما رواه عمرو بن مهاجر قال : كانت نفقة عمر كل يوم درهمين ، وكان يجعل كل يوم درهماً من خاصَّة ماله في طعام المسلمين ، ثم يأكل معهم!! وكانت غلَّته حين وُلِّي الخلافة أربعين ألف دينار ، ثم أصبحت حين توفي أربعمئة دينار ، ولو بقي لنقصت!

● وفي سيرة عمر لابن عبد الحكم : دخل عمر على بناته ، فسلَّم عليهنَّ ، فلما أحسسنه وضعن أيديهنَّ على أفواههنَّ ، ثم تبادرن الباب ، فقال للحاضنة : ما شأنهنَّ ؟

قالت : إنه لم يكن عندهن شيء يتعشَّينه إلا عدس وبصل ، فكرهن أن تشمَّ ذلك من أفواههنَّ ، فبكى عمر ، ثم قال لهنَّ : يا بناتي ، ما ينفعكنَّ أن تعشَّين الألوان ، ويُمرَّ بأبيكن إلى النار ، فبكين حتى علت أصواتهنَّ ثم انصرف .

● وفي حلية الأولياء لأبي نعيم : كان لباس عمر بن عبد العزيز في غاية البساطة ، ولم يكن له سوى ثوب واحد ، حتى إنه في اليوم الذي مات فيه طلب مسلمة من أخته فاطمة تغيير ثوب عمر ، فسكتت ، ثم كرر القول ، فقالت : والله ما له قميص غيره!!

● وفي أخبار عمر للآجري : دخلت امرأة على فاطمة زوجة عمر ،

وهي جالسة في بيتها ، وفي يدها قطن تعالجه ، فلما جلست المرأة ، رفعت بصرها ، فلم تر في البيت شيئاً ذا بال ، فقالت : إنما جئت لأُعمِّر بيتي من هذا البيت الخرب!

فقالت لها فاطمة : إنما خرَّب هذا البيت عمارة بيوت أمثالك .

ثم أقبل عمر حتى دخل الدار ، فمال إلى بئر في ناحية البيت ، فانتزع منها دلاءً صبَّها على طين كان بحضرة البيت وهو يكثر النظر إلى فاطمة ، فقالت لها المرأة : استتري من هذا الطيَّان!! فإني أراه يديم النظر إليكِ ، فقالت : ليس هو بطيَّان ، إنما هو أمير المؤمنين!!

* * *

فلسفة الذكر :

كلمة الذكر في القرآن الكريم جاءت على عدَّة معانٍ : فتعني العلم كما في قوله تعالى :

﴿ فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء : ٧] .

ومرَّةً تعني القرآن ذاته : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

ومرَّةً تعني صلاة الجمعة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ﴾ [الجمعة : ٩] .

واصطلاحاً تعني : التسبيح والتكبير والصلاة على النَّبي ﷺ و. . . أي ذكر اللسان والقلب. . . وفي الأحاديث النبوية تكرر ذلك مراراً وتكراراً من ذلك :

« إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا ، هلمُّوا إلى حاجتكم ، قال : فيحفُّون بأجنحتهم

إلى السماء الدنيا ، قال : فيسألهم ربهم عز وجل ـ وهو أعلم بهم ـ ما يقول عبادي ؟ قال : يقولون : يسبحونك ويكبِّرونك ويحمدونك ويمجِّدونك ، قال : فيقول : هل رأوني ؟ قال : فيقولون : لا والله ما رأوك ، قال : فيقول : وكيف لو رأوني ؟ قال : يقولون : لو رأوك كانوا أشدَّ لك عبادةً ، وأشدَّ لك تمجيداً ، وأكثر لك تسبيحاً ، قال : يقول : فما يسألوني ؟ قال : يقولون : يسألونك الجنة ، قال : يقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله يا رب ما رأوها ، قال : يقول : فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو أنهم رأوها لكانوا أشدَّ عليها حرصاً ، وأشدَّ لها طلباً ، وأعظم فيها رغبة ، قال : يقول : فممَّ يتعوَّذون ؟ قال : يقولون : من النار ، قال : يقول : وهل رأوها ؟ لا والله ما رأوها ، قال : يقول : فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشدَّ منها فراراً وأشدَّ لها مخافة ، قال : فيقول : أُشهدكم أني قد غفرتُ لهم ، قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجة ، قال : يقول : هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم »[1] .

* * *

من أخلاق المصطفى ﷺ :

روى الإمام البخاري : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

وروى الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : « ما رأيت رسول الله ﷺ ضرب خادماً قط ، ولا ضرب بيده شيئاً قط ، إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا ينال منه شيء قط فينتقمه من صاحبه ، إلا أن يكون

---

(١) رواه الإمام البخاري .

لله ، فإذا كان لله انتقم منه ، ولا عرض له أمران إلا أخذ الذي هو أيسر إلا أن يكون إثماً ، فإذا كان إثماً كان أبعد الناس منه » .

وروى الإمام مسلم عن جرير عن رسول الله ﷺ : « من يُحرم الرفق يُحرم الخير » .

وروى البخاري ومسلم عن حارثة بن وهب أنه سمع النَّبي ﷺ يقول :

« ألا أدلُّكم على أهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبرَّه » ، وقال : « أهل النار كل جواظ عتلٍّ مستكبر » .

وروى الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال :

« يا عائشة ، إن الله رفيق يحبُّ الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على ما سواه » .

وروى الإمام مسلم عن زيد بن أسلم قال : كان عبد الملك بن مروان يرسل إلى أم الدرداء فتبيت عند نسائه ، ويسائلها الشيء ، قال : فقام ليلةً فدعا خادمة فأبطأت فلعنها ، فقالت : لا تلعن ، فإن أبا الدرداء حدَّثني أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

« إن اللعانين لا يكونون يوم القيامة شفعاء ولا شهداء » .

وروى أبو داود عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« إنكم قادمون على إخوانكم فأصلحوا رحالكم وأحسنوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة في أعين الناس ، فإن الله لا يحبُّ الفحش ولا التفحُّش » .

فصلَّى الله على من قال : « بُعثتُ لأتمِّمَ مكارم الأخلاق » .

❊ ❊ ❊

بركاتٌ.. وبركات!!

في حياة الحيوان للدميري : ٢/ ١٢٩

قال طاووس[1] ، كان رجل له أربعة بنين فمرض ، فقال أحدهم : إما أن تمرضوه وليس لكم من ميراثه شيء ، وإما أن أمرضه وليس لي من ميراثه شيء ، فقالوا : مرِّضه وليس لك من ميراثه شيء ، فمرَّضه حتى مات ، ولم يأخذ من ميراثه شيئاً ، فأتى إليه في النوم ، فقال له : ائْتِ مكان كذا وكذا ، فخذ منه مئة دينار ، فقال في نومه : أفيها بركة ؟ فقال : لا فأصبح فذكر ذلك لامرأته ، فقالت : خذها ، فإن من بركتها أن تكتسي منها وتعيش ، فأبى ، فلما أمسى أتى له في النوم ، فقال له : لا ، فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته ، فقال له مثل مقالتها الأولى ، فأبى أن يأخذها ، وفي الثالثة قال له في المنام : خذ ديناراً ، قال : أفيه بركة ؟ قال : نعم .

فذهب وأخذ الدينار ، ثم خرج إلى السوق ، فإذا هو برجل يحمل سمكتين ، فقال له : بكم هما ؟ فقال : بدينار ، فأخذهما منه بالدينار وانطلق بهما إلى منزله ، فشقَّ بطونهما فوجد فيهما دُرَّتين لم ير الناس مثلهما ، قال : فبعث الملك يطلب دُرَّة ليشتريها ، فلم توجد إلا عنده ، فباعها بوقر (حمل ثقيل) ثلاثين بغلاً ذهباً ، فلما رآها الملك قال : ما تصلح هذه إلا بأخت لها ، اطلبوا أختها وإن أضعفتم الثمن ، فجاؤوا إليه فقالوا له : أعندك أختها ؟ ونحن نعطيك ضعف ما أعطيناك ؟ قال : أو تفعلون ؟ قالوا : نعم ، فأعطاهم إياها بضعف ما أخذوا به الأُولى .

---

(١) طاووس بن كيسان : من أكابر التابعين تفقُّهاً في الدين ورواية الحديث ، وتقشُّفاً في العيش ، عُرف عنه الوعظ المؤثر ، ولد ونشأ باليمن وتوفي فيها عام (١٠٦ هـ) . [الأعلام ٣/ ٢٢٤] [الأثر في العزلة : ٢٢] .

إذا كان الكريم له حجابٌ...

قال القاضي التنوخي في كتابه المستجاد من فعلات الأجواد : ١٩٩

حدَّث الأصمعي قائلاً : قصدتُ في بعض الأيام رجلاً كنت أغشاه لكرمه فوجدتُ على بابه بواباً ، فمنعني من الدخول إليه ، ثم قال : والله يا أصمعي ما أوقعني على بابه لأمنع مثلك من الدخول إليه إلا رقَّة حاله وقصور يده ، فكتبت رقعة فيها :

إذا كـان الكـريـم لـه حجـاب   فما فضل الكريم على اللئيم ؟

ثم قلت له : أوصل رقعتي هذه إليه ، ففعل ، فعادت الرقعة وقد كتب على ظهرها :

إذا كـان الكـريـم قليـل مـال   تستَّر بالحجاب عن الغريم

وأرسل مع الرقعة صرَّة فيها خمسمئة دينار ، فقلت : والله لأُتحفنَّ أمير المؤمنين بهذا الخبر ، فجئت إليه ، فلما رآني قال لي : من أين يا أصمعي ؟ قلت : رجل قراني (أضافني وأطعمني) علمه وماله ، ثم دفعت إليه الرقعة والصُرَّة ، وأعدت إليه الخبر ، فلما رأى الصرَّة أربد وجهه ، فقال : هذا ختم بيت مالي ، ولابدَّ لي من الرجل الذي دفعها إليك ، فقلت : والله يا أمير المؤمنين إني لأستحي أن أروِّعه برُسلك ، فقال لبعض خواصِّه : امض مع الأصمعي ، فإذا أراك الرجل فقل له : أجب أمير المؤمنين بغير إزعاج ولا إظهار شدَّة ، فلما حضر ، قال له : أما أنت بالأمس الذي وقفت في موكبنا وشكوت لنا رقَّة حالك ، ودفعنا لك ، وقد أصابك الفقر ، فقصدك الأصمعي ببيت شعر واحد فدفعتها إليه ؟ قال : والله ما كذبتُ فيما شكوت يا أمير المؤمنين من رقَّة الحال ، وصعوبة الزمان لكني استحيت أن أعيد قاصدي إلا كما أعادني أمير

المؤمنين ، فقال له : لله أنت فما ولدت العرب أكرم منك ، ثم أمر له بألف دينار ، قال الأصمعي : فقلت : الحقني يا أمير المؤمنين ، فتبسَّم ، وأمر أن تكمل لي ألف دينار ، وأعاد الرجل من جملة ندمائه .

* * *

ما قيل في الطمع والحرص :

مما جاء في ذمّ الطمع والحرص أقوال للحكماء وأشعار للشعراء ، ومنها :

قيل للإسكندر : ما سرور الدنيا ؟ قال : الحرص عليها .

وقيل : من جرى في عنان أمله كان عاثراً بأجله ، لو ظهرت الآجال لافتضحت الآمال .

وقال أبو العباس أحمد بن مروان في ذلك :

وذي حرص تراه يلمُّ وفراً لوارثه ويدفع عنه حماه
ككلب الصيد يمسك وهو طاوٍ فريسته ليأكلها سواه

وكان الإمام علي كرم الله وجهه يقول : ما الخمر صرفاً بأذهب لعقول الرجال من الطمع .

وروي أنه اجتمع كعب وعبد الله بن سلام ، فقال له كعب : يا بن سلام ، من أرباب العلم ؟ قال : الذين يعملون به ، قال : فما أذهب العلم عن قلوب العلماء بعد أن علموه ؟ قال : الطمع وشره النفس ، وطلب الحوائج إلى الناس .

وقال أحد العلماء : لما خلق الله آدم عليه السلام عُجن بطينة ثلاثة أشياء : الحرص ، والطمع ، والحسد ، فهي تجري في أولاده إلى يوم

القيامة ، لكن العاقل يخفيها ، والجاهل يُبديها ، ومعناه أن الله تعالى خلق شهوتها فيه .

أما أبو العتاهية فيقول :

لقد لعبتُ وجدَّ الموت في طلبي ... وأن في الموت لي شغلاً عن اللعب

ولو سمت فكرتي فيما خُلقتُ له ... ما اشتدَّ حرصي على الدنيا ولا طلبي

ويقول الأبشيهي رحمه الله تعالى :

أيا من عاش في الدنيا طويلاً ... وأفنى العمر في قيل وقال

وأتعب نفسه فيما سيفنى ... وجمَّع من حرامٍ أو حلال

هب الدنيا تقاد إليك عفواً ... أليس مصير ذلك للزوال ؟!

* * *

ما هي اللحوم المسمومة ؟

يرى الحافظ ابن عساكر رحمه الله أن لحوم العلماء هي اللحوم المسمومة فيقول :

اعلم يا أخي وفَّقني الله وإيَّاك لمرضاته ، وجعلنا ممن يخشاه ويتَّقيه حقَّ تقاته ، أن لحوم العلماء مسمومة ، وعادة الله في هتك أستار منقصهم معلومة ، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب ، بلاه الله قبل موته بموت القلب :

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٣] .

ذلك أن العالم هو الذروة ، وقد نهى الشارع الحكيم عن إيذاء كل

وليّ ، أي كل مؤمن وذلك بتهديدٍ نبوي مخيف ، كما روى ذلك أبو هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ :

« إن الله عز وجل قال : من آذى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب »[1] .

وروى الخطيب البغدادي عن أبي حنيفة رحمه الله قال :

« إن لم تكن الفقهاء أولياء الله فليس له ولي » .

ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما : من آذى فقيهاً فقد آذى رسول الله ﷺ ، ومن آذى رسول الله ﷺ فقد آذى الله عز وجل .

أما كتاب الله تعالى ففيه تحذير شديد اللهجة :

﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء : ١١٢] ، ويقول عز وجل لحبيبه محمد ﷺ ومن بعده :

﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر : ٨٨] ويقول أيضاً :

﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج : ٣٢] .

* * *

في دفع الحقد :

في الطب الروحاني يقول أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله :

الحقد بقاء أثر القبيح من المحقود في نفسه ، ولعمري إن العقل يقضي ببقاء أثر القبيح ، كما يقضي ببقاء أثر الجميل ، وبسنده إلى عبد الله بن كعب بن مالك قال : سمعت كعب بن مالك[2] يحدِّث في حديثه حين

---

(١) رواه البخاري .

(٢) كعب بن مالك : صحابي جليل ، صاحب القصة المشهورة في القرآن الكريم والسيرة النبوية ، حين تخلّف مع اثنين من الصحابة عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك .

تخلَّف عن رسول الله ﷺ ، فذكر القصة ونزول توبته ، قال :

« فدخلتُ المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالسٌ حول الناس ، فقام إليَّ طلحة بن عبيد الله يهرولُ حتى صافحني وهنَّأني ، والله ما قام إليِّ رجل من المهاجرين غيره ، قال : فكان كعب لا ينساها لطلحة »[(١)] .

فإذا ثبت أن الجميل لا يُنسى ، فالقبيح كذلك ، إلا أنه يُستحبُّ الاجتهاد في إزالة أثر القبيح من القلب ، وعلاج ذلك :

أن يكون بالعفو والصفح ، وللعفو محلاّن : أحدهما رؤية الثواب للعافي ، والثاني شكر من جعل هذا في مرتبة من يعفو ، وذلك في منزلة من يهفوه ، ومن كمال العفو حصول الرضا ، وذلك بمحو ما في القلب ، وههنا علاجٌ أدقُّ من هذا : وهو أن يرى الإنسان أن الذي سلَّط عليه لأذاه ، إنما هو بذنب منه ، أو لتكفير خطأ ، أو لرفع درجة ، أو لاختباره في صبر ، وثم علاج أدقُّ من هذا :

وهو أن يرى الأشياء من المقدَّر .

* * *

سبقك بها عكاشة :

روى ابن أبي الدنيا عن حُصين قال : كنّا جلوساً مع سعيد بن جُبير ذات غداة ، فقال لنا : أيُّكم رأى الكوكب الذي انقضَّ البارحة ؟ قال : قلت : أنا ، قال : ثم استدركت نفسي فقلت : إن سهري لم يكن في صلاة ، ولكن لدغني عقرب فسهرت ، فقال سعيد بن جُبير : كيف

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد .

صنعت ؟ قلت : إني استرقيت ، قال : وما حملك على ذلك ؟ قلت : حديث حدَّثناه الشَّعبي ، قال : فما حدَّثكم ؟ قال : قلت : حدَّثنا الشَّعبي عن بريدة بن حصيب الأسلمي أنه قال : لا رقية إلا من عين أو حُمَّة ، فقال سعيد بن جُبير : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ، ولقد حدَّثنا ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :

« عُرضت عليَّ الأمم ، فرأيت النبي يمرُّ ومعه الرهط ، والنبي يمرُّ ومعه الثلاثة ، والنبي يمرُّ ومعه الرجل الواحد ، والنبي يمرُّ وليس معه أحد ، إلى أن رُفع إليَّ سوادٌ عظيم ، فقلت : هذه أمتي ، قيل : ليس بأمتك ، هذا موسى وقومه ، إلى أن رُفع إليَّ سواد عظيم سدَّ الأفق ، فقيل : هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب » ، قال : ثم دخل النَّبي ﷺ ، فخضنا في أولئك السبعين ، وجعلنا نقول : من الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، أهم الذين صحبوا النَّبي ﷺ ؟ أم هُمُ الذين وُلدوا في الإسلام ولم يُشركوا بالله شيئاً ؟ إلى أن خرج النَّبي ﷺ فقال : « ما هذا الذي كنتم تخوضون فيه » ؟ فأخبروه ، فقال : « هُمُ الذين لا يسترقون ولا يكتوون ، وعلى ربهم يتوكلون » ، فقام عكاشة بن محصن فقال : أنا منهم يارسول الله ؟ قال : « أنت منهم » ، وقام رجل آخر من المهاجرين فقال : أنا منهم ؟ قال : « سبقك بها عكاشة »[1] .

* * *

(١) حديث صحيح ، رواه البخاري ومسلم ، والترمذي ، والإمام أحمد ، والحاكم في مستدركه ، والبغوي في شرح السُّنَّة ، والطبراني ، وأبو يعلى .

المخلصون لله :

في مجموعة الفتاوى يقول الإمام ابن تيمية[1] رحمه الله :

إن المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله ما يمنعه من عبوديته لغيره ، ومن حلاوة محبَّته لله ما يمنعه من محبَّة غيره ، إذ ليس عند القلب لا أحلى ، ولا ألذّ ، ولا أطيب ، ولا ألين ، ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمِّن عبوديته لله ، ومحبَّته له ، وإخلاصه الدين والأعمال له ، وذلك يقتضي انجذاب القلب إلى الله ، فيصير القلب مُنيباً إلى الله ، خائفاً منه ، راغباً ، راهباً ، كما قال تعالى :

﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق : ٣٣] .

إذ المحبُّ يخاف من زوال مطلوبه ، وحصول مرغوبه ، فلا يكن عبداً لله ومحبّاً له إلا بين خوف ورجاء ، كما قال الله تعالى :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء : ٥٧] .

فالعبد المخلص لله يجيبه ربه فيُحيي قلبه ، ويجتذبه إليه ، فيصرف عنه ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء ، ويخاف العبد المخلص على حاله هذا من أن يحصل له ضد ذلك الحال ، أو أن يذهب عنه هذا الحال .

---

(١) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ، ولد عام (٦٦١ هـ) في حرّان بالجزيرة السورية ، تلقى العلوم عن والده ، ثم من كبار علماء دمشق في الجامع الأموي ، حفظ القرآن صغيراً ، قرأ على مشايخه أمهات الكتب في الحديث والتفسير والعربية والفلسفة ، أفتى ودرَّس في الأموي وعمره (٢١ عاماً) وذاع صيته ، حارب البدع والشعوذة ، اتُّهم من الحاسدين له ، ونُفي إلى مصر ، ثم أدخل سجن القلعة في دمشق ، ومُنع من المطالعة ، وأُخذت منه الأقلام والمحابر!! توفي في السجن (٧٢٨ هـ) ودُفن في داخل حدود الجامعة السورية اليوم .

ما غاية الزهد ؟

إذا كان الإسلام قد اهتمَّ بالقناعة والزهد إلى هذا الحدِّ ، فهل ذلك لغايةٍ فردية ذاتية فقط ؟

الأمر أكبر من ذلك بكثير ، فإضافةً إلى تربية الفرد المسلم ، هدف الإسلام إلى شيئين رئيسين من وراء الزهد هما :

١ـ العدل : وهذا أسمى ما تريده القوانين ، وأغلى ما تطمح إليه الشعوب ، وقد رأينا في مسيرة الدعوة الإسلامية منذ نزول الوحي على قلب سيدنا محمد صلوات الله عليه ، وحتى الوقت الحاضر ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، أن الزهد خير وسيلةٍ لتسليح المؤمن بالقدرة على إقامة العدل وإحقاق الحق ، وهذا الكلام على جميع الأصعدة (في المال ، في الحكم والإمارة ، في الحياة الأسرية ، في علاقة الأفراد بعضهم ببعض ، في علاقة المسلمين مع سائر الأديان الأخرى . .) .

ولن أضرب هنا الأمثلة الكثيرة ، بل سأكتفي بمثال واحد عن سيدنا الإمام علي كرم الله وجهه ، حيث كان يرى الإمارة عبارة عن وسيلة لإقامة الحق ودفع الباطل ، ولم تكن الإمارة بنظره سُلَّماً يرتقي بها على عباد الله ، ولم تكن غاية لسحق الخصوم والمعارضين والأعداء ، ولم يكن ليصل إليها عن طريق الجماجم والرؤوس .

مطلقاً . . . فمن خلال الزهد حقَّق العدل المنشود ، ها هو ذا يُصلح نعله ذات يوم فيقول لمن حوله : لَهِيَ أحبُّ إليَّ من إمرتكم ، إلا أن أقيم حقّاً ، أو أدفع باطلاً! إنه يرى الإمارة أقلَّ قيمة من هذا النعل الذي يصلحه ، إلا أن يُحِقَّ الحقَّ ويُبْطِلَ الباطل ، وهذه غاية العدل .

٢ـ عصمة النفس : ضمن المستطاع ، وقد ورد على لسان الإمام علي

رضي الله عنه قوله : إنما هي نفس أروِّضها بالتقوى ، لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر .

وهذا ليس إذلالاً لإنسانية الإنسان ، بل هو ارتقاء به إلى أعلى درجات الكمال .

* * *

الخلفاء الراشدون الورعون :

لما تولى أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه خلافةَ المسلمين ، حمل أقمشته على كتفه وخرج ليبيعها ، وكان يتعيَّش قبل الخلافة من تجارة القماش ، فلقيه في الطريق عمر رضي الله عنه فسأله : أين تريد ؟ قال الخليفة : السوق يا عمر! قال : تصنع ماذا وقد وُلِّيت أمر المسلمين ؟ قال : ومن أين أُطعم عيالي ؟!!

قال عمر : انطلق إلى خازن بيت المال ـ وكان وقتها أبو عبيدة ـ ليفرض لك مرتَّباً ، وينطلقان ، فيقول أبو عبيدة للخليفة : أفرض لك قوت رجل من المهاجرين وكسوة الشتاء والصيف ، وهكذا فرض له أربعة آلاف درهم في السنة!!

لكن لما حضرته الوفاة قال : إذا أنا متُّ خذوا من مالي ثمانية آلاف وردُّوها إلى بيت المال!!

ويصل الفاروق إلى سُدَّة الحكم ، وتُفتح في زمنه البلاد ، وتفيض الأموال ، لكن عمر كان يقول : لا يحلُّ لي من مال الله سوى كسوتين للصيف والشتاء ، ومعاش رجلٍ من أوسط قريش يأخذه لعياله ، وأنا بعد ذلك رجلٌ من عامَّة المسلمين .

ثم يقرر في إحدى خطبه : إن هذا المال لا يصحُّ فيه سوى خلالٍ ثلاث :

ـ أن يؤخذ بالحق .

ـ وأن يُعطى بالحق .

ـ ويمنع من الباطل ، وإنما أنا ومالكم كوليِّ اليتيم إن استغنيت استعففت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف[1] .

ويأتي ذو النورين عثمان رضي الله عنه ـ وكان أحد التجار الأغنياء ـ لكن ورعه حجزه أن تمتدَّ يده إلى بيت المال ، بل ورعه جعله لا يحسب زكاة ماله قطُّ ، بل كان يقول لعماله : اقسموا المال قسمين ، قسم للزكاة ، وقسم لي!!

أما عليٌّ فيحدِّثنا عنه النضر بن علقمة فيقول : دخلتُ على علي رضي الله عنه فإذا بين يديه لبن حامض آذتني حموضته ، وكسر يابسة!!

فقلت : يا أمير المؤمنين ، أتأكل هذا وقد فتح الله عليك ؟!

فقال : يا أبا الجنوب ، كان رسول الله ﷺ يأكل أيبس من هذا ، ويلبس أخشن من هذا ، فإن لم آخذ به خفتُ ألا ألحق به!![2] .

* * *

نتائج الغيبة :

حين سأل رجل الإمام ابن تيمية رحمه الله عن الغيبة ، أجابه الإمام : هي كما فسَّرها رسول الله ﷺ ، وذلك بقوله :

« ذِكْرُكَ أخاك بما يكره » ، قيل : يارسول الله ، أرأيتَ إن كان في

---

(١) من الخراج لأبي يوسف : ١١٧ .

(٢) من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ١٨٢ .

أخي ما أقول ؟ قال : « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتَّه »[1] .

لقد فرّق بين البهتان والغيبة ، فالكذب عليه بُهت له كما في قوله تعالى :

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾

[النور : ١٦] .

إذاً ما هي نتائج الغيبة ؟

ـ يرتكب حراماً : لما ورد عن رسول الله ﷺ :

« إنَّ من أربا الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حقٍّ »[2] .

ـ ينال عقاب الله في القبر : وقد مرَّ المصطفى صلوات الله عليه على قبرَيْن يُعذَّب صاحباهما ، فقال الأصحاب : وما ذنبهما ؟ قال : « أمّا فلان فإنه كان لا يستبرأ من البول (لا يتطهر منه) ، وأما فلان فكان يأكل لحوم الناس (يتكلم بالغيبة) »[3] .

ـ ينال غضب رسول الله ﷺ عليه : تلك السيدة صفية (أم المؤمنين) يمرض بعيرها ، فيقول رسول الله ﷺ لزينب : « أعطها بعيراً » فقالت : أنا أعطي تلك اليهودية!! فغضب رسول الله ﷺ وهجرها ذا الحجة والمحرَّم وبعض صفر[4] .

ـ لا يغفر الله له إلا إذا استسمح من اغتاب عليه وغفر له .

---

(١) رواه مسلم وأحمد والدارمي .

(٢) رواه أبو داود .

(٣) رواه أحمد والطبراني .

(٤) رواه أبو داود .

ـ لم ينفعه صومه .

ـ يأكل من لحم أخيه ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات : ١٢] .

ـ يُذهب الله نور وجهه ، ويذهب إسلامه .

ـ يشرب شراب عرق أهل جهنم : « من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال »[1] .

ـ يمحو الله حسناته من الصحف ، ولا يجد كفَّارة لعمله هذا ، ولا ينصره الله في الدنيا والآخرة .

* * *

لتُبيّنُنّه للناس ولا تكتمونه :

للأمانة أنواع متعددة ، يأتي على رأسها أمانة العلم والعلماء ، فيقول في ذلك الشيخ محمد عبده رحمه الله :

الأمانة حق عند المكلَّف ، يتعلَّق به حق غيره ويودعه لأجل أن يوصله ذلك الغير ، كالمال والعلم ، سواءً كان المودع عنده ذلك الحق قد تعاقد مع المودع على ذلك بعقد قولي خاص صرَّح فيه بأنه يجب على المودع عنده أن يؤدي كذا إلى فلان مثلاً ، أم لم يكن كذلك ، فإن ما جرى عليه التعامل بين الناس في الأمور العامة ، هو مثل ما يتعاقد عليه الأفراد في الأمور الخاصة .

فالذي يتعلم العلم قد أودع أمانة ، وأخذ عليه العهد ـ بالتعامل والعُرف ـ بأن يؤدي هذه الأمانة ، ويفيد الناس ويرشدهم بهذا العمل .

---

(١) رواه أبو داود ، وردغة الخبال : عصارة أهل النار .

وقد أخذ الله العهد العام على الناس بهذا التعامل المتعارف بينهم شرعاً وعرفاً بنصٍّ قوله عز وجل :

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾

[آل عمران : ١٨٧] .

ولذلك عدَّ علماء أهل الكتاب خائنين بكتمان صفات النَّبي ﷺ ، فيجب على العالم أن يؤدي أمانة العلم إلى الناس ، كما يجب على من أودع المال أن يردَّه إلى صاحبه ، ويتوقف أداء أمانة العلم على تعرُّف الطرق التي توصل إلى ذلك ، فيجب أن تعرف هذه الطرق لأجل السير فيها .

وإعراض العلماء عن معرفة الطرق التي تتأدّى بها هذه الأمانة بالفعل هو ابتعاد عن الواجب الذي أُمروا به ، وإخفاء الحق بإخفاء وسائله هو عين الإضاعة للحق ، فإذا رأينا الجهل بالحق والخير فاشياً بين الناس ، واستُبدلت به الشرور والبدع ، ورأينا العلماء لم يعلِّموهم ما يجب في ذلك ، فيمكننا أن نجزم بأن هؤلاء العلماء لم يؤدوا الأمانة ، وهي ما استُحفظوا عليه من كتاب الله ، ولا عذر لهم في ترك استبانة الطريق الموصل إلى ذلك بسهولة وقرب .

* * *

شروط الزواج :

للزواج شروط في الصيغة وفي العاقدين وفي الشهود (وهي هنا على مذهب الإمام أبي حنيفة) .

ـ أما شروط الصيغة (وهي الإيجاب والقبول) فهي :

١ ـ أن تكون بألفاظ مخصوصة : إما صريحة (وهي التي ما كانت بلفظ التزويج والإنكاح وما اشتق منهما سواء بلفظ الماضي أو المضارع أو

الأمر : زوجني. . .) وإما بالكناية : وهي التي تحتاج إلى نية (ألفاظ الهبة أو التمليك أو الصدقة مع نية بمعنى الزواج) .

٢ـ أن يكون الإيجاب والقبول في مجلس واحد .

أن لا يخالف القبول والإيجاب .

أن تكون الصيغة مسموعة للعاقدين .

أن لا يكون اللفظ مؤقتاً بوقت كشهر ، وهو نكاح المتعة .

ـ وأما شروط العاقدين وهما الزوج والزوجة فهي :

١ـ العقل : وهو شرط في انعقاد الزواج ، فلا ينعقد زواج المجنون والصبي غير المميز .

٢ـ البلوغ والحرية وهما شرطان للنفاذ .

٣ـ أن يضاف الزواج إلى المرأة أو إلى جزء يعبِّر عن الكل كالرأس والرقبة . فلا ينعقد الزواج بقوله : زوِّجني نصفها أو يدها أو رجلها .

ـ وأما الشهادة : فهي شرط لصحة الزواج ، وتكون بشهادة رجلين أو رجل وامرأتين ، ولو كانا محرمين بالنسك ، وشروط الشهادة خمسة :

١ـ العقل .

٢ـ والبلوغ .

٣ـ والحرية : فلا تصح بشهادة مجنون أو صبي أو عبد .

٤ـ الإسلام في أنكحة المسلمين : فلا يصح زواج المسلمين بشهادة الذمّيين ، إلا إذا كانت المرأة ذمِّية والرجل مسلماً فيصحُّ زواجهما بشهادة ذمِّيين .

٥ـ أن يسمع الشهود كلام العاقدين معاً ، فلا يصح بشهادة نائمين ، وتصحُّ شهادة الأخرس وفاقد النطق إذا كان يسمع ويفهم ، ولا يشترط

فهم الشهود معنى اللفظ بخصوصه ، وإنما يشترط أن يعلموا أن هذا اللفظ ينعقد به الزواج ، فإذا تزوج عربي بحضرة أعجميين صحَّ الزواج إذا عرفا أن الإيجاب والقبول ينعقد بهما الزواج[1] .

إلى غير ما هنالك من تفصيلات في كتب الفقه ، وعلى بقية المذاهب الأخرى .

* * *

من كلام الأعراب :

روى الأصمعي فقال : أصابت الأعراب أعوام جدب وشدة وجهد ، فدخلت طائفة منهم البصرة وبين أيديهم أعرابي يقول :

أيها الناس ، إخوانكم في الدين ، وشركاؤكم في الإسلام ، وعابرو سبيل ، وظلال بؤس ، وصرعى جدب ، تتابعت علينا سنون ثلاث ، غيَّرت النعم ، وأهلكت النعم ، فأكلنا ما بقي من جلودها فوق عظامها ، فلم نزل نعلِّل بذلك أنفسنا ، ونُمنِّي بالغيث قلوبنا حتى عاد مخنا عظاماً ، وعاد إشراقنا ظلاماً ، وأقبلنا إليكم يصرعنا الوعر ، وهذه آثار مصائبنا لائحة في سماتنا ، فرحم الله متصدِّقاً من كثير ، ومواسياً من قليل ، فلقد عظمت الحاجة ، وكسف البال ، وبلغ المجهود ، والله يجزي المتصدقين .

. . . وذاك أعرابي يوصي أخاه فيقول :

آثر بعملك معادك ، ولا تدع لشهوتك رشادك ، وليكن عقلك وزيرك يدعوك إلى الهدى ، ويعصمك من الردى ، وألجم هواك عن الفواحش ،

---

(١) بتصرّف من (الفقه الإسلامي وأدلته) للدكتور وهبة الزحيلي : ٧/ ٩١ .

وأطلقه في المكارم ، فإنك تبزُّ بذلك سلفك ، وتشيد شرفك ، وابذل الصداقة تستفد إخواناً ، وتتَّخذ أعواناً ، فإن العداوة موجودة عتيدة ، والصداقة متعذِّرة بعيدة ، وجنِّب كرامتك اللئام ، فإنك إن أحسنت إليهم لم يشكروا ، وإن نزلت شديدة لم يصبروا .

. . . وخرج الحجاج ذات يوم فأصحر[1] وحضر غداؤه فقال : اطلبوا لي من يتغدّى معنا ، فطلبوا فلم يجدوا إلا أعرابياً في شملة فأتوه به .

قال : هلمَّ .

قال الأعرابي : قد دعاني من هو أكرم منك فأجبته !

قال : ومن هو ؟ قال : الله تبارك وتعالى دعاني إلى الصيام ، فأنا صائم .

قال : صوم في مثل هذا اليوم على حرٍّ ؟!

قال : صمتُ ليومٍ هو أحرُّ منه . قال : فأفطر اليوم وتصوم غداً .

قال : أو يضمن الأمير لي أن أعيش إلى غد ؟!

قال : ليس ذلك لي .

قال : فكيف تسألني عاجلاً بآجل ليس إليه سبيل ؟

قال : إنه طعام طيِّب .

قال : والله ما طيَّبه خبَّازك ولا طبَّاخك ، ولكن طيَّبته العافية .

قال الحجاج : تا الله ما رأيت كاليوم ، أخرجوه عني !

* * *

(١) أصحر : بلغ الصحراء ودخل في عمقها .

من هو الشيخ ؟

كي لا يتلبَّس علينا المتلبِّسون ، وكي لا تختلط الأوراق ، لابدَّ أن نعاود أدراجنا لنفهم هل الشيخ هو الذي يحمل السُّبحة الطويلة ، ويلبس الجُبَّة ذات الأكمام الواسعة ، ويُطيل اللحية ، ويفتنُّ بلبس العمامة ؟!

يقول الإمام الغزالي :

يحتاج المريد إلى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه سواء السبيل ، فإن سبيل الدين غامض ، وسُبل الشيطان كثيرة ظاهرة .

فمن لم يكن لديه شيخ يهديه ، قاده الشيطان إلى طرقه لا محالة ، فمن سلك سبل البوادي المهلكة بغير خفير فقد خاطر بنفسه وأهلكها ، ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فإنها تجفُّ على القرب ، وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر ، فمعتصم المريد شيخه ، فليتمسك به[1] .

❊ ❊ ❊

سلعة الله الغالية :

روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إنّ سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة » ، رواه الترمذي .

وقد جعل الله تعالى الجنة ثمناً لنفوس المؤمنين وأموالهم ، بحيث إذا بذلوها فيه استحقوا الثمن ، وعقد معهم هذا العقد وأكّده فقال عز وجل :

---

(١) من إحياء علوم الدين : ٣/ ٦٥ .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١١١] .

وجاءت الإشارات النبوية الكثيرة في ذلك :

فعن أنس رضي الله عنه قال : جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال : ما ثمن الجنة ؟ قال : « لا إله إلا الله » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله ، دُلَّني على عمل إذا عملته دخلت الجنة ؟ فقال : « أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان » ، قال : والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئاً ولا أنقص منه ، فلما ولّى قال : « من سرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا »(١) .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« أتاني آت من ربي فأخبرني ـ أو قال : فبشَّرني ـ أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق »(٢) .

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

حِكَمٌ على ألسنة الحيوان!!

قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى : مثل قرّاء هذا الزمان كمثل رجلٍ نصب فخاً ونصب فيه برّة ، فجاء عصفور ، فقال : ما غيَّبك في التراب ؟ قال : التواضع ، قال : لأي شيء نحلت ؟ قال : من طول العبادة ، قال : فما هذه البرَّة المنصوبة فيك ؟ قال : أعددتها للصائمين ، فقال : نعم الخبز أنت ، فلما كان عند المغرب دنا العصفور ليأخذها فخنقه الفخ .

فقال العصفور : العبادة تخنق كخنقك ، فلا خير حينئذٍ في العبادة بعد اليوم .

. . . وقالوا : أولم طائر وليمة ، فأرسل يدعو بعض إخوانه ، فغلط بعض رسله ، فجاء إلى الثعلب ، فقال : أخوك يدعوك ، فقال : السمع والطاعة ، فلما رجع أخبر الطائر ، فاضطربت الطيور ، وقالوا : أهلكتنا وعرَّضتنا للحتف ، فقالت القنبرة : أنا أصرفه عنكم بحيلة ، فمضت فقالت : أخوك يقرأ عليك السلام ويقول لك : الوليمة يوم الإثنين ، فأين تحبُّ أن يكون مجلسك ، مع الكلاب السلوقية ، أو مع الكلاب الكردية ؟ فتجرَّعها الثعلب ، وقال : أبلغي أخي السلام وقولي له : أبو سرور يقرؤك السلام ، ولكن قد تقدم لي نذر من دهر بصوم الإثنين والخميس!

. . . وذكر أبو هلال العسكري قال : قالت الأعراب : وجدت الضبع تمرة ، فاختلسها الذئب ، فلطمته لطمة ، فتحاكما إلى الضبِّ ، فقالت : يا أبا الحسيل . قال : سميعاً دعوت ، قالت : جئناك نحتكم إليك ، قال : في بيته يؤتى الحكم ، قالت : إني التقطتُ تمرة ، قال : حلواً

جنيت ، قالت : إن الذئب أخذها ، قال : حظ نفسه بغى ، قالت : لطمته ، قال : أشفيت والبادي أظلم ، قالت : فلطمني ، قال : حرٌّ انتصر لنفسه ، قالت : اقض بيننا ، قال : قضيت .

* * *

بخٍ... بخٍ!

روى الإمام ابن كثير قال : قال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن سليمان عن ثابت عن أنس رضي الله عنهم قال : بعث رسول الله ﷺ بسبساً عيناً ينظر ما صنعت عير أبي سفيان ، فجاء وما في البيت أحد غيري وغير النَّبي صلوات الله عليه ، قال : لا أدري ما استثنى من بعض نسائه ، قال : فحدَّثه الحديث ، قال : فخرج رسول الله ﷺ فتكلم فقال : « إن لنا طلبة فمن كان ظهره حاضر فليركب معنا » .

فجعل رجال يستأذنونه في ظهورهم في علوِّ المدينة قال : « لا ، إلا من كان ظهره حاضراً » ، وانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر ، وجاء المشركون فقال رسول الله ﷺ : « لا يتقدمنَّ أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه » ، فدنا المشركون ، فقال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض » ، قال : يقول عمير بن الحمام الأنصاري : يارسول الله ، جنة عرضها السموات والأرض ؟ قال : « نعم » قال : بَخٍ بَخٍ ، فقال رسول الله ﷺ : « ما يحملك على قول بخ بخ » ؟ قال : لا والله يارسول الله ، إلا رجاء أن أكون من أهلها ، قال : « فإنك من أهلها » .

قال : فأخرج تمرات من قرنه ، فجعل يأكل منهنَّ ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها حياة طويلة ، قال : فرمى ما كان معه من

التمر ، ثم قاتلهم حتى قُتل رحمه الله ورضي عنه[1] .

وذكر ابن جرير أن عميراً قاتل وهو ينشد :

ركضـــاً إلـــى الله بغيـــر زاد   إلاّ التقـــى وعمـــل المعـــاد
والصبـر فـي الله علـى الجهـاد   وكـــلُّ زادٍ عـــرضـــة النفـــاد
غيـــر التقـــى والبـــرّ والـــرشـــاد[2]

* * *

الخليفة وأقرباؤه :

كان الخليفة عمر بن عبد العزيز حازماً مع أقربائه إلى حدٍّ عجيب ، يتجلّى ذلك في :

١ـ طلب المنصب : قال لهم مرة : ما أنتم وأقصى رجل من المسلمين عندي في هذا الأمر إلا سواء ، إلا رجلاً من المسلمين حبسه عني طول شقته .

٢ـ نزع الأموال التي كانت في أيديهم بغير حق ، يقول لهم مرة : وإذا كان الظلم من الأقارب الذين هم بطانة الوالي ، والوالي لا يزيل ذلك ، فكيف يستطيع أن يُزيل ما هو ناءٍ عنه في غيرهم ؟

٣ـ التزام مبدأ المساواة في العطاء : يقول لهم في إحدى الجلسات الحادَّة ، والنقاش الطويل : فلا والله العظيم ، لا أعطيكم درهماً إلا أن يأخذ جميع المسلمين .

ويقول : والله لو أقمتُ فيكم خمسين سنة ، ما أقمت فيكم إلا ما أريد من العدل .

---

(١) كذلك رواه الإمام مسلم .

(٢) من البداية والنهاية لابن كثير (بتصرف) : ٣/ ٢٧٧ .

٤ـ طردهم من مجلسه : جمعهم مرةً فقال : يا بني مروان ، إنكم قد أُعطيتم حظاً وشرفاً وأموالاً ، إني لأحسب شطر أموال هذه الأمة أو ثلثها في أيديكم .

فسكتوا ، فقال عمر : ألا تجيبوني ؟ فقال رجل من القوم : والله لا يكون ذلك حتى يُحال بين رؤوسنا وأجسادنا ، والله لا نكفر آباءنا ولا نفقر أبناءنا .

فقال عمر : والله لولا أن تستعينوا عليَّ بمن أطلب هذا الحق له ، لأصعرت خدودكم ، قوموا عني .

٥ـ رفضه تنفيذ أمر الخليفة السابق : لما قام عمر يردُّ المظالم والقطائع ، كان سليمان بن عبد الملك قد أمر لعنبسة بن سعيد بن العاص بعشرين ألف دينار ، فدارت في الدواوين حتى انتهت إلى ديوان الخاتم ، فلم يبق إلا قبضها ، فتوفي سليمان قبل أن يقبضها .

فغدا عنبسة يريد كلام عمر فيما أمر له سليمان ، فعرض عليه الأمر مستنجزاً تنفيذ أمر أمير المؤمنين ، فقال له عمر : عشرون ألف دينار تغني أربعة آلاف بيتٍ من المسلمين ، وأدفعها إلى رجل واحد ؟ والله ما لي إلى ذلك من سبيل!

٦ـ فتح أبوابه للناس : خطب في بداية عهده فكان مما قاله :

ألا فمن ظلمه إمامه مظلمة فلا إذن له عليَّ ، ومن لا ، فلا أرينَّه ، ألا وإني منعت نفسي وأهل بيتي هذا المال ، فإن ضننتُ به عنكم إني إذاً لضنين ، والله لولا أن أعيش سنة ، أو أسير بحق ، ما أحببت أن أعيش فواقاً[١] .

---

(١) بتصرف من كتاب الخليفة الراشد العادل عمر بن عبد العزيز للدكتور وهبة الزحيلي : ١٦٥ .

ألا أخبركم بأهل النار ؟

الصحابة الكرام سمعوا من سيدنا رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة تحضُّ على التواضع ، فترجموا ذاك القول إلى عمل ، واصطبغت حياتهم كلها بالتواضع ، حتى إنك لو نظرت في أحوالهم لم تستطع أن تميِّز بين خادمهم وأميرهم ، ولا بين غنيِّهم وفقيرهم ، ولا بين السيد فيهم والعبد ، من ذلك قوله صلوات الله عليه :

« من تعاظم في نفسه ، واختال في مشيته ، لقي الله وهو عليه غضبان »(١) .

ثم يركِّز الحبيب الأعظم على فكرةٍ مفادُها : أن التكبُّر هو عكس التواضع ، والتكبُّر هذا لو لم يتصور أضراره فإنه يحبط الأعمال :

« إن العُجب ليُحبط عمل سبعين سنة »(٢) .

حتى لو وسوست له نفسه ، فتمنّى أن يقوم الناس له حين دخوله :

« من سرَّه أن يَمْثُل له الرجال قياماً فليتبوَّأ مقعده من النار »(٣) .

ثم يُفصِّل رسول الله ﷺ أكثر فيقول :

« من جرَّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة »(٤) .

ثم ينفي دخول المتكبرين الجنة فيقول : « لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرَّة من إيمان ، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرَّة من كِبْر »(٥) .

---

(١) رواه الإمام أحمد .

(٢) رواه الديلمي .

(٣) رواه الإمام أحمد .

(٤) رواه البخاري ومسلم .

(٥) رواه مسلم .

أما أهل النار : « ألا أخبركم بأهل النار ؟ كلُّ عُتُلٍّ جوَّاظٍ مُستكبر » .

ثم يأتي التشجيع على التواضع بصورة من مشاهد يوم القيامة ، ينقلها لنا رسول الله ﷺ : « احتجَّت الجنة والنار ، فقالت النار : فيَّ الجبارون والمتكبرون ، وقالت الجنة : فيَّ ضعفاء الناس ومساكينهم ، فقضى الله بينهما : إنك الجنة رحمتي ، أرحم بك من أشاء ، وإنك النار عذابي أعذِّب بك من أشاء ، ولكليكما عليَّ ملؤها »[1] .

❊ ❊ ❊

من مدارج السالكين :

قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله في مدارج السالكين :

في كتاب الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [المؤمنون : ٥١] .

وقوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [المدثر : ٤] .

وعلَّق (قتادة) و (مجاهد) رحمهما الله على ذلك بقولهما : نفسك فطهِّرها من الذَّنب ، فكنَّى عن النفس بالثَّوب ، وهذا قول (إبراهيم النخعي) و (الشعبي) و (الزهري) والمحققين من أهل التفسير ، قال (ابن عباس) رضي الله عنهما : لا تلبسها على معصية ولا غدر ، ثم قال : سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي :

وإني بحمد الله لا ثوب غادر لبستُ ولا من غدرةٍ أتقنَّعُ

والمقصود من ذلك : أن الورع يُطهِّر دنس القلب ونجاسته ، كما يُطهِّر الماء دنس الثوب ونجاسته ، وبين القلوب والثياب مناسبة ظاهرة

---

(١) متفق عليه ، والعُتلُّ : الغليظ الجافي ، والجواظ : الضخم المختال في مشيته .

وباطنة ، ولذلك تدلُّ ثياب المرء في المنام على قلبه وأحواله ، ويؤثر كل منهما في الآخر . لذا نهى الإسلام الحنيف عن لباس الحرير والذهب وجلود السباع ، لما تؤثر في القلب من الهيئة المنافية للعبودية والخشوع .

وتأثير القلب والنفس في الثياب أمر خفيٌّ يعرفه أهل البصائر من نظافتها ودنسها ورائحتها وبهجتها ، حتى إن ثوب البر ليُعرف من ثوب الفاجر وليسا عليهما! .

ثم يقول ابن قيم رحمه الله :

وقد جمع النَّبي ﷺ الورع كله في كلمة واحدة فقال :

« من حُسْنِ إسلام المرء تركه ما لا يعنيه »[1] .

فهذا يعمُّ الترك لما لا يعني من الكلام والنظر والاستمتاع والبطش والمشي والفكر وسائر الحركات الظاهرة والباطنة ، فهذه الكلمة كافية شافية في الورع ، ثم يقول ابن القيم : الورع هو توقٍّ مستقصى على حذر ، وتحرُّج على تعظيم .

* * *

ما هي مضار الهوى ؟

١ـ يؤدي إلى التنازع بين الإخوة ، ويزيد في الخلافات ثم يؤدي إلى تحوُّل الخلاف في الرأي إلى خلافٍ بين القلوب ، وهذا ما عبَّر عنه أحد العارفين العاملين : ليس الذي يثير النزاع هو اختلاف وجهات النظر ، إنما هو الهوى الذي يجعل كل صاحب وجهة يُصرُّ عليها مهما تبيَّن له

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد وأبو الشيخ والبيهقي .

وجهة الحق في غيرها ، وإنما هو وضع الذات في كفَّة ، والحق في كفَّة ، وترجيح الذات على الحق ابتداء .

٢ـ يؤدي الهوى إلى إفساد العقل : ليصبح منحرفاً في اجتهاداته ، مختلَّ الرأي ، فيكون الأمر كما عبَّر عنه أحد الشعراء :

فخذ بمنهج من يعصي هواه وقد ... أطاع أهل الحجا في كل مؤتمر
إن الهوى يفسد العقل السليم ومن ... يعص الهوى عاش في أمنٍ من الضرر

٣ـ يؤدي الهوى إلى البطالة وترك الجماعة ، والقعود عن العمل والمشاركة في أبواب الخير التي يطرقها الدعاة ، حتى ينسى معنى النشاط ومغزى الدعوة إلى الله ، وذلك لأنه يتصور أنه هو الحق فقط وغيره المخطىء ، فإن سار المسلمون على رأيه فلا بأس وإلا ، كما قال الشاعر :

ثلاثٌ مُهلكات لا محالةْ ... هوى نفسٍ يقود إلى البطالةْ
وشحٌّ لا يزال يُطاع دأباً ... وعجبٌ ظاهر في كلِّ حالةْ

٤ـ إن الهوى يصدُّ عن الحق ، حتى لو أتيت له بالحُجَّة والدليل ، فيجحد بهما ، لا عن دافع التكذيب بهما ، إنما عن دافع هواه الذي لم يسر الدليل معه ، ولم توافق الحُجَّة مشربه ، وهذا ما عبَّر عنه الإمام علي رضي الله عنه :

« إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان ، طول الأمل ، واتِّباع الهوى ، فأما طول الأمل فيُنسي الآخرة ، وأما اتِّباع الهوى فيصدُّ عن الحق » .

* * *

أئمة المشركين :

قال ابن تيمية رحمه الله في فتاويه الكبرى :

وأما القلب الذي لم يخلص لله تعالى ، ولم يجمع الحبَّ كله لله ، فإنه يكون في طلب وإرادة ، وحبٌّ مطلق ، فيهوى ما يسنح له ، ويتشبث بما يهواه ، كالغصن ، أيُّ نسيم مرَّ بعطفه أماله ، فتارة تجتذبه الصور المحرَّمة ، وغير المحرَّمة ، فيبقى أسيراً عبداً لمن يجتذبه الشرف والرئاسة ، فترضيه الكلمة وتغضبه الكلمة ، ويستعبده الدرهم والدينار ، وأمثال ذلك ، من الأمور التي تستعبد القلوب ، والقلوب تهواها ، فيتَّخذ إلهه هواه ، ويتَّبع هواه بغير هدى من الله .

فمن لم يكن قد تحقَّق بالعبودية ، وأخلص قلبه لله وحده لا شريك له ، بحيث يكون الله أحبَّ إليه من كل ما سواه ، فإنه سيكون مستعبداً للكائنات ، وستستولي الشياطين على قلبه ، وسيكون من الغاوين ، ومن إخوان الشياطين ، وسيكون فيه من السوء والفحشاء ما لا يعلمه إلا الله ، وهذا أمر ضروري لا حيلة فيه ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم : ٣٠] .

وقد جعل الله سبحانه وتعالى إبراهيم وآل إبراهيم أئمة لهؤلاء الحنفاء المخلصين ، أهل محبته وعبادته ، وإخلاص الدين له ، كما جعل فرعون وآل فرعون أئمة للمشركين المتَّبعين أهواءهم ، قال الله تعالى في سيدنا إبراهيم :

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةًۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء : ٧٢ ـ ٧٣] .

وقال في فرعون وقومه : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ۝ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص : ٤١-٤٢] .

* * *

مع التوكل على الله :

عن الفاروق عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« لو أنكم توكَّلتم على الله حقَّ التوكل لرزقكم كما تُرزق الطير ، تغدو خماصاً وتروح بطاناً »[١] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه : « اللهم اجعلني ممَّن توكَّل عليك فكفيته ، واستهداك فهديته ، واستنصرك فنصرته »[٢] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« من سرَّه أن يكون أقوى الناس فليتوكَّل على الله »[٣] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« من قال : بسم الله ، توكلت على الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، فيُقال حينئذٍ : كُفيتَ وتنحَّى له الشيطان »[٤] .

---

(١) رواه الترمذي ، وابن ماجه ، والبغوي ، وأحمد ، والبيهقي ، والحاكم ، وأبو نعيم ، والطيالسي ، وابن حبان ، وابن المبارك .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا .

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ، والبيهقي في الكبرى ، وابن عدي في الكامل ، وأبو نعيم في الحلية .

(٤) رواه الترمذي ، وأبو داود ، وابن حبّان ، والنسائي ، وابن السني .

وروي عن الإمام علي كرم الله وجهه قال : أيها الناس ، توكَّلوا على الله وثقوا به ، فإنه يكفي ممَّن سواه .

وروى الإمام الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال : قال الحكيم لقمان لابنه : يا بُنيَّ ، الدنيا بحرٌ عميق قد غرق فيه أناسٌ كثير ، فإن استطعت أن تكون سفينتك فيها الإيمان بالله ، وحشوها العمل بطاعة الله ، وشراعها التوكل على الله ، لعلَّك تنجو[1] .

* * *

ما هي فضيلة الاشتغال بالعلم ؟

الآثار الواردة عن سلفنا الصالح في فضيلة الاشتغال بالعلم كثيرة لا تُحصى من ذلك :

قال الإمام الشافعي رحمه الله : إن لم يكن الفقهاء العاملون أولياء لله فليس لله ولي ، وليس أحد أورع لخالقه من الفقهاء ، ومن تعلَّم القرآن عظُمت قيمته ، ومن نظر في الفقه نبل قدره ، ومن نظر في اللغة رقَّ طبعه ، ومن نظر في الحساب جزُل رأيه ، ومن كتب في الحديث قويت حُجَّته ، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه .

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه : تعلَّموا العلم فإن تعلُّمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة .

وقال أبو مسلم الخولاني[2] : مثل العلماء في الأرض مثل النجوم في

---

(١) من كتاب التوكل على الله للحافظ أبي بكر بن أبي الدنيا .

(٢) هو عبد الله بن ثوب ، الداراني ، سيد التابعين ، وزاهد العصر ، قدم من اليمن ، =

السماء إذا بدت للناس اهتدوا بها ، وإذا خفيت عليهم تحيَّروا .

وعن وهب بن منبّه قال : يتشعَّبُ من العلم الشرف وإن كان صاحبه دنيئاً ، والعزُّ وإن كان مهيناً ، والقُرب وإن كان قصيّاً ، والغِنى وإن كان فقيراً ، والنُّبل وإن كان حقيراً ، والمهابة وإن كان وضيعاً ، والسلامة وإن كان سفيهاً .

وعن أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه : كفى بالعلم شرفاً أن يدَّعيه من لا يحسنه ، ويفرح إذا نُسب إليه ، وكفى بالجاهل ذمّاً أن يتبرَّأ منه من هو فيه .

* * *

إبراهيم الخليل الجديد!!

قال ثُمامة بن أشرس :

شهدتُ مجلساً للمأمون وقد أُتي برجل ادَّعى أنه إبراهيم الخليل!

فقال له المأمون : ما سمعت بأجرأ على الله من هذا ، قلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في كلامه ، قال : شأنك وإيّاه .

قلت : يا هذا ، إن إبراهيم الخليل عليه السلام كانت له براهين ، قال : فما براهينه ؟ قلت : أُضرِمَتْ له النار وأُلقي بها ، فكانت عليه برداً وسلاماً ، فنحن نُضرِمُ لك ناراً ونطرحك فيها ، فإن كانت عليك برداً وسلاماً كما كانت عليه آمنّا بك وصدَّقناك ، قال : هاتِ ما هو ألين من هذا!!

= وأسلم في أيام النّبي ﷺ ، ودخل المدينة في خلافة الصدِّيق ، كان عابداً ورعاً زاهداً واعظاً مستجاب الدعوة ، ت (٦٢ هـ) .

[تهذيب التهذيب : ١٢/ ٢٣٥] .

قلت : فبراهين موسى عليه السلام . قال : وما هي ؟ قلت : ألقى العصا فإذا هي حيَّة تسعى تلقف ما يأفكون ، وضرب بها البحر فانفلق ، وبياض يده من غير سوء ، قال : هذا أصعب ، ولكن هاتِ ما هو ألين من هذا!!

قلت : فبراهين عيسى عليه السلام . قال : وما براهينه ؟ قلت : إحياء الموتى ، فقطع الكلام في براهين عيسى وقال : جئت بالطامَّة الكبرى ، دعني من براهين هذا ، قلت : فلابدَّ من براهين ، قال : ما معي من هذا شيء ، وقد قلت لجبريل : إنَّكم توجِّهونني إلى شياطين ، فأعطوني حُجَّة أذهب بها وإلا لم أذهب ، فغضب جبريل عليه السلام عليَّ ، وقال : جئت بالشر من ساعة ، اذهب أولاً فانظر ما يقول لك القوم!!

فضحك المأمون وقال : هذا من الأنبياء التي تصلح للمنادمة![1] .

❊ ❊ ❊

إصلاح القلوب :

اهتمَّ رسول الله ﷺ بإصلاح القلوب ، وبيَّن أن الإنسان لا يصلح إلا إذا صلح القلب ، لذلك جاء في الحديث الشريف ـ كما روى البخاري ومسلم ـ :

« ألا وإن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » .

ثم ركَّز العلماء على الكشف عن أمراض القلب ، ومحاولة إصلاحه ،

(١) من مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي : ٣/ ٤٣٨ .

فهذا الإمام السيوطي رحمه الله يقول : وأما علم القلب ومعرفة أمراضه من الحسد والعجب والرياء ونحوها فقال الغزالي : إنها فرض عين .

لذلك نقرأ في كتاب الله تعالى الكثير من الآيات التي تتحدث عن ذلك :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأنعام : ١٥١] .

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأعراف : ٣٣] .

والفقهاء قديماً وحديثاً يركِّزون على تصفية القلب من كل شائبة ، فهذا صاحب كتاب مراقي الفلاح العلامة الشرنبلالي يقول : لا تنفع الطهارة الظاهرة إلا مع الطهارة الباطنة بالإخلاص ، والنَّزاهة من الغِلِّ والحقد والحسد ، وتطهير القلب عمّا سوى الله من الكونين ، فيعبده لذاته لا لعلَّة ، مفتقراً إليه ، وهو يتفضَّل بالمنِّ لقضاء حوائجه المضطر بها عطفاً عليه ، فتكون عبداً فرداً للمالك ، الأحد الفرد ، لا يسترِقُّك شيء من الأشياء سواه ، ولا يستميلك هواك عن خدمتك إياه ، قال الحسن البصري رحمه الله :

رُبَّ مستورٍ سبته شهوته ... قد عرى من ستره وانتهكا
صاحب الشهوة عبدٌ فإذا ... ملك الشهوة أضحى مَلِكا

فإذا أخلص لله ، وبما كلَّفه به وارتضاه ، قام فأدَّاه ، حفَّته العناية حيث ما توجَّه وتيمَّم ، وعلَّمه ما لم يكن يعلم ، ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

* * *

فوائد التوبة :

رغب القرآن كثيراً في التوبة ، و تحدَّث عنها في أكثر من ثمانين موضعاً ، من ذلك قوله تعالى :

﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٣١] .

وقوله : ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ ﴾

[النساء : ١٧ـ١٨] .

أما فوائد التوبة فهي كثيرة اختصرها الإمام المنذري صاحب الترغيب والترهيب بما يلي :

١ـ يتجلَّى الله تعالى على التائب برضوانه وإحسانه .

٢ـ تفتح له أبواب الرحمة ، وحين تفتح أبواب رحمة الإله تُدرك العبد النعم الكثيرة .

٣ـ تدلُّ توبته على سعادته وإنعامه وقبوله .

٤ـ يعدُّ من خير الناس التوَّاب .

٥ـ يسعه حلم الله وعفوه .

٦ـ يجلي الله قلبه ويُزيل الصدأ عنه .

٧ـ يدخل في الصالحين الذين زهدوا في الذهب واختاروا التوبة .

٨ـ يُغيِّر التائب صحائف أعماله بأحسن منها بتشييد الصالحات والمحامد .

٩ـ يأمل التائب أن ينال من خيرات الله وكراماته .

١٠ـ ربما تصادفه العناية بالسعادة بسبب التوبة فيدخل الجنة .

١١ـ قد تكون العزيمة مسبِّبة لغفران الكبائر .

١٢ـ يحظى بفرح ربه به .

١٣ـ يوسع التائب على نفسه ، ويزيل الضيق ، ويذهب الهم ، ويبعد الكرب .

١٤ـ قد تسبب التوبة غفران الماضي ، والإحسان في المستقبل .

١٥ـ يعمل التائب بسنَّة رسول الله ﷺ وبوصيته[(١)] .

❊ ❊ ❊

فاطمة ترثي الحبيب محمداً :

كانت لوفاة رسول الله ﷺ على المسلمين أثر كبير ، حتى إن الفاروق وقف يهدد ويرعد : من قال إن محمداً صلوات الله عليه قد مات قطعت عنقه ! !

لكنْ أبا بكر الصدِّيق وقف يقول : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت ، ثم تلا : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر : ٣٠] .

لكن الزهراء أغشي عليها ساعة وتحاملت بعد أن أفاقت نحو القبر وأنشدت كما في رواية الإمام البخاري :

ماذا على من شمَّ تربة أحمد ألا يشمَّ مدى الزمان غواليا

---

(١) من الترغيب والترهيب للمنذري : ١١٦/٤ .

صُبَّت عليَّ مصائبٌ لو أنها صُبَّت على الأيام عُدن لياليا

وتعود إلى رثائه مرة أخرى لتقول :

نفسي على زفراتها محبوسة يا ليتها خرجت مع الزفراتِ
لا خير بعدك في الحياة وإنما أبكي مخافة أن تطول حياتي

وكلما اشتدَّ الشوق إلى والدها رسول الله ﷺ :

إذا اشتدَّ شوقي زرت قبرك باكياً أنوح وأشكو لا أراك مجاوبي
فيا ساكن الغبراء علَّمتني البكا وذكرك أنساني جميع المصائب
فإن كنت عنِّي في التراب مُغيَّباً فما كنت عن قلبي الحزين بغائب

وتدخل ذات يوم المسجد النبوي لتجد المسلمين وقد اجتمعوا حول القبر يقرؤون ويدعون ، وحينما رأوها تذكروا ماذا حدث ، ففاجأتهم بقولها :

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها وغاب مُذ غِبت عنّا الوحي والكتب
فليت قبلك كان الموت صادفنا لما نُعيت وحالت دونك الكثب

ثم ماذا يا فاطمة ؟

إذا مات يوماً ميِّت قَلَّ ذكره وذكر أبي مُذْ مات والله أزْيَدْ
تذكَّرتُ لما فرَّقَ الموت بيننا فعزَّيْتُ نفسي بالنبيِّ محمد
فقلت لها : إن الممات سبيلنا ومن لم يمت في يومه مات في غد

* * *

مواقف عمر من علي رضي الله عنهما :

كثيرة هي المواقف التي تدلُّ على الحبِّ والمودَّة والثِّقة بينهما تجلَّى ذلك في :

١ـ الفاروق يتمنَّى أن يكون كعلي : قال عمر بن الخطاب : لقد أُعطي عليٌّ ثلاث خصال ، لأن تكون لي خصلة منها أحبُّ إليَّ من حُمر النعم : تزويجه فاطمة ، وسكناه المسجد مع رسول الله ﷺ يحلُّ فيه ما يحلُّ له ، والراية يوم خيبر[1] .

٢ـ حينما قال الرسول ﷺ : « من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه » .

في غدير خم يقول المصطفى : « ألستُ أولى الناس بكم من أنفسكم » ؟ قلنا : بلى يارسول الله ، قال : « أليست أولى بكم من أمهاتكم » ؟ قلنا : بلى يارسول الله ، قال : « من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه ، اللهم والِ من والاه ، وعادِ من عاداه » .

قال عمر : هنيئاً يا بن أبي طالب ، أصبحتَ اليوم وليَّ كلِّ مؤمن[2] .

٣ـ عمر يعترف بقضاء عليٍّ وسداده في ذلك :

نقل ابن كثير في تاريخه : أن عمر كان يقول : أعوذ بالله من معضلة ولا أبو حسن لها .

ونقل السيوطي في تاريخه : القضاة أربعة ، عمر وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت . أما الدهاة فأربعة : معاوية ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة ، وزياد .

---

(١) رواها الإمام أحمد ومسلم والترمذي .

(٢) رواه ابن ماجه ، وابن كثير في البداية والنهاية : ٧/ ٣٥٠ .

٤ـ وفي لحظات عمر الأخيرة :

لما طعن المجوسي (أبو لؤلؤة) الفاروق قالوا له : استخلف من تراه صالحاً بعدك ، فجعل عمر الأمر شورى من بعده بين السّتة المبشرين بالجنة ، ومنهم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين .

وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي : أن عمر قال : ما أظنُّ الناس يعدلون بعثمان وعليّ أحداً ، إنهما كانا يكتبان الوحي بين يدي رسول الله ﷺ بما ينزل به جبريل عليه .

إذاً ، كم كان لعليٍّ قدر كبير واحترام في قلب الفاروق عمر ؟ .

* * *

فويلٌ ثم ويلٌ ثم ويلٌ :

قال يوسف الكوفي رحمه الله ، وكان قد روى الأشعار والأحاديث :

حججتُ ذات سنة ، فإذا أنا برجل عند البيت ، وهو يقول :

اللهم اغفر لي وما أراك تفعل ؟ فقلت : يا هذا ، ما أعجب يأسك من عفو الله! قال : إن لي ذنباً عظيماً ، فقلت : أخبرني ، قال : كنت مع (يحيى بن محمد) بالموصل ، فأمرنا يوم جمعة ، فاعترضنا المسجد ، فقتلنا ثلاثين ألفاً ، ثم نادى مناديه : من علّق سَوْطه على دار فالدار وما فيها له ، فعلّقت سوطي على دارٍ ودخلتها ، فإذا فيها رجل وامرأة وابنان لهما ، فقدّمت الرجل فقتلته ، ثم قلت للمرأة : هاتي ما عندك وإلا فقالت : ما عندي غيرها ، فقدمت أحد ابنيها فقتلته ، ثم قلت : هاتي ما

عندك وإلا ألحقت الآخر به ، فلما رأت الجدَّ مني قالت : ارفق! فإن عندي شيئاً كان أودعنيه أبوهما ، فجاءتني بدرعٍ مذهَّبة لم أرَ مثلها في حسنها ، فجعلت أقلِّبها ، فإذا عليها مكتوب بالذهب :

إذا جـار الأميـر وحـاجبـاه ... وقاضي الأرض أسرف في القضاء

فـويـلٌ ثـم ويـلٌ ثـم ويـلٌ ... لقاضي الأرض من قاضي السماء!!

فسقط السيف من يدي وارتعدتُ ، وخرجت من وجهي إلى حيث ترى ، فهل يغفر لي ربي ؟![1] .

* * *

اختر صديقك :

روى الإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذي عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« المرء على دين خليله ، فلينظر المرء من يخالل » .

وجاء على لسان الحكيم لقمان وهو يعظ ابنه : يا بنيَّ إذا أردتَ أن تؤاخي رجلاً فأغضبه قبل ذلك ، فإن أنصفك عند غضبه ، وإلا فتجنَّبه .

أما مطيع بن إياس[2] رحمه الله فقد قال لرجلٍ جاء إليه قائلاً : قد

---

(١) من قصص العرب لمحمد جاد المولى ورفاقه : ١/١١٥ .

(٢) شاعر ، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، ت (١٦٦ هـ) [الأعلام ٧/٢٥٤] .

جئتك يا مطيع خاطباً مودَّتك ، فقال له : أنكحتك على شرط أن تجعل صداقها أن لا تقبل فيَّ مقالة قائل ، ولا تشمت بي عاذلاً ، وأن تكون لي كما أكون لك .

وقال بعضهم :

ما نالت النفس على شهوةٍ ... ألذَّ من ودِّ صديق أمين
من فاته ودُّ أخٍ صادقٍ ... فذلك المحروم حتى اليقين

إذاً ما حقُّ الصديق على صديقه ؟

يقول ابن الجهم[1] : للصديق على الصديق ثلاثة أشياء : كتمان السرِّ في حديث الخَلْق ، والمواساة عند الشدَّة ، وإقالة العثرة .

فهذه صفاتُ الصديق ، وما أخال واحدة منها اليوم في رفيق ، من أراد السلامة والاستنفاد ، فعليه بالوحدة والانفراد ، فما كلٌّ واحد يقدر أن يصبر :

وما كلُّ القلوب تطيقُ حملاً ... إذا رُزئت بحملان الخليلِ
ولا كلُّ الرجال لهم عقولٌ ... تقيمُ إذا أصيبوا بالوبيلِ[2]

* * *

---

(1) شاعر رقيق الشعر ، كان معاصراً لأبي تمام ، ت (٢٤٩ هـ) [الأعلام ٤/ ٢٦٩] .
(2) مختارات من الشهاب الثاقب في ذمِّ الخليل والصاحب للإمام السيوطي .

ما فائدة العلم ؟

قال الإمام الشافعي رحمه الله :

العلم مغرسُ كلِّ فخرٍ فافتخر واحذر يفوتك فخرُ ذاك المغرسِ
واعلم بأن العلم ليس يناله من همُّه في مطعمٍ أو ملبسِ
إلا أخو العلم الذي يُعنى به في حالتيه عارياً أو مكتسي
فاجعل لنفسك منه حظّاً وافراً واهجر له طيب الرُّقاد وعَبسِ
فلعلَّ يوماً إذا حضرتَ بمجلسٍ كنت الرئيسَ وفخر ذاك المجلسِ

وقال في مكان آخر :

سهري لتنقيح العلوم ألذُّ لي من وصل غانيةٍ وطيب عناق
وصريرُ أقلامي على صفحاتها أحلى من الدَّوكاء والعشّاق
وألذُّ من نقر الفتاة لدُفِّها نقري لأُلقي الرمل عن أوراقي
وتمايلي طرباً لحلِّ عويصةٍ في الدَّرْس أشهى من مُدامة ساقي
وأبيتُ سهران الدُّجى وتبيتُه نوماً وتبغي بعد ذاك لحاقي ؟[1]

وقال رحمه الله في مكان آخر :

علمي معي حيثُما يممتُ ينفعُني قلبي وعاءٌ له لا بطنُ صندوقِ
إن كنتُ في البيت كان العلم فيه معي أو كنتُ في السوق كان العلمُ في السوقِ

---

(١) وتنسب هذه الأبيات للزمخشري ـ والله أعلم ـ .

وقال في مكان آخر :

رأيت العلم صاحبُهُ كريمٌ ولو ولدته آباءٌ لئام
وليس يزالُ يرفعه إلى أن يُعظِّم أمره القومُ الكرام
ويتبعونه في كلِّ حالٍ كراعي الضأن تتبعهُ السَّوام
فلولا العلم ما سعدتْ رجالٌ ولا عُرف الحلال ولا الحرام(١)

* * *

الوداع... الوداع..

لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة جعل يقول : اللهم رضِّني بقضائك ، وبارك لي في قَدَرك ، حتى لا أحبَّ لما عجلت تأخيراً ، ولا لما أخَّرت تعجيلاً .

وسمعته فاطمة زوجه ـ وقد أمر أن يخرج كل من عنده ـ يقول ويردِّد :

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص : ٨٣] .

ثم خَفَت الصوت ، فدخلوا عليه فوجدوه ميتاً مغمَّضاً مسجّى ، قد أقبل بوجهه على القبلة ، ووضع إحدى يديه على فيه ، والأخرى على عينيه .

---

(١) مختارات من ديوان الإمام الشافعي رحمه الله .

ثم تتالت البشائر في كونه من أصحاب الدرجات العُلى ، فقد روى ابن عبد الحكم عن رجل من أهل الشام كان قد استشهد ، وكان يأتي جاره في المنام كل ليلة جمعة ، فيحدِّثه ويأنس به ، فافتقده ليلة فأصبح حزيناً ، فلما رآه ، سأله ما أخَّره عنه في إبّانه الذي كان يأتي فيه ؟

فقال : إنّا معشر الشهداء ، أُمرنا أن نشهد جنازة عمر بن عبد العزيز .

ولما وصل الخبر إلى الحسن البصري بأن عمر قد توفي قال : إنا لله وإنَّا إليه راجعون ، لقد مات خير الناس ، وإن كان مهديّ فعمر بن عبد العزيز ، وإلا فلا مهدي إلا عيسى بن مريم .

وجاء الفقهاء والعلماء إلى فاطمة بنت عبد الملك معزِّين ومذكِّرين عظم المصيبة التي أُصيب بها أهل الإسلام لموته فقالت لهم :

والله ما كان بأكثركم صلاةً ولا صياماً ، ولكن والله ما رأيتُ عبداً لله أشدَّ خوفاً لله من عمر ، وكان رحمه الله قد فرَّغ بدنه ونفسه للناس ، فكان يقعد لحوائجهم يومه ، فإذا أمسى ـ وعليه بقية من حوائجهم ـ وصله بليلته .

فرحمه الله رحمة واسعة ، وأدخله فسيح جنانه[1] .

* * *

---

(١) للتوسع يراجع : تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٤٥ .
والبداية والنهاية لابن كثير : ٢١١/٩ .
وحلية الأولياء لأبي نعيم : ٢٩٥/٥ .
وسيرة عمر لابن عبد الحكم : ١١٨ .

لمحة عن أبواب الجنة :

قال الله تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾

[الزمر : ٧٣] .

ويعلّق ابن قيم الجوزية على ذلك قائلاً :

وقال خزنة أهل الجنة : سلام عليكم ، فبدؤوهم بالسلام المتضمّن للسلامة من كل شرٍّ ومكروه ، أي : سلمتم فلا يلحقكم بعد اليوم ما تكرهون ، ثم قالوا لهم : طبتم فادخلوها خالدين ، أي سلامتكم ودخولها بطيبكم ، فإن الله حرَّمها إلا على الطيِّبين ، فبشَّروهم بالسلامة والطيب والدخُول والخلود .

ثم قال : وتأمل قوله سبحانه :

﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ﴾

[ص : ٥٠-٥١] .

كيف تجد تحته معنى بديعاً ، وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تُغلق أبوابها عليهم ، بل تبقى مُفتَّحة كما هي ، وأما النار ، فإذا دخلها أهلها أُغلقت عليهم أبوابها ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ﴾ [الهمزة : ٨] أي مطبقة مغلقة ، ومنه سمي الباب وصيداً ، وهي ﴿ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٖ

مُّمَدَّدَةِۭ﴾ [الهمزة : ٨-٩] أي قد جُعلت العمد ممسكة للأبواب من خلفها كالحجر العظيم الذي يُجعل خلف الباب .

وقد قال مقاتل رحمه الله :

يعني أبوابها عليهم مطبقة فلا يُفتح لها باب ولا يخرج منها ؟ ولا يدخل فيها روح آخر للأبد .

وجاءت إشارات الأحاديث عن تلك الأبواب ، كما في الصحيحين :

« في الجنة ثمانية أبواب ، باب منها يُسمَّى الريَّان ، لا يدخله إلا الصائمون » .

وفي رواية ابن ماجه : « ما من مسلم يتوفى له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث ، إلا تلقُّوه من أبواب الجنة الثمانية ، من أيها شاء دخل » .

وفي صحيح مسلم : « ما منكم من أحد يتوضأ فيبالغ أو فيسبغ الوضوء ، ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فُتحت له أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيّها شاء » .

اللهم اجعلنا من هؤلاء يا رب العالمين .

❊ ❊ ❊

من مواعظ ابن المسيب :

عُرف عن سيد التابعين الموعظة الحسنة ، والحكمة في ذلك ، فجاءت مواعظه مناسبة لعصره وللعصور التي تليه ، من ذلك قوله :

ـ لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حِلِّه ، يعطي منه حقَّه ، ويكفُّ به وجهه عن الناس : [من طبقات الشعراني] .

ـ إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب ، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه : [من البداية والنهاية] .

ـ ما يئس الشيطان من شيء إلا أتاه من قِبَل النِّساء : [المصدر نفسه] .

ـ لا تقولنَّ : مصيحف ، ولا مسيجد ، ولكن عظِّموا ما عظَّم الله تعالى ، فكل ما عظَّم الله فهو عظيم حسن : [من طبقات ابن سعد] .

ـ لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظلمة ، إلا بإنكار من قلوبكم ، لكيلا تُحبط أعمالكم الصالحة : [من حلية الأولياء] .

ـ قال برد ـ مولاه ـ ما رأيت أحسن ما يصنع هؤلاء! فقال سعيد : وما يصنعون ؟ قال : يصلي أحدهم الظهر ، ثم لا يزال صافاً رجليه يصلي حتى العصر .

فقال سعيد : ويحك يا برد ، أما والله ما هي العبادة ، أتدري ما العبادة ؟ إنما العبادة : التفكُّر في أمر الله ، والكفُّ عن محارم الله : [طبقات ابن سعد] .

ـ لما احتُضر عبد الملك بن مروان أمر بفتح الأبواب من قصره ، فلما فُتحت سمع قصاراً بالوادي ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : قصار ، فقال : يا ليتني كنت قصاراً أعيش من عمل يدي ، فلما بلغ سعيد بن المسيب قوله قال : الحمد لله الذي جعلهم عند موتهم يفرُّون إلينا ولا نفرُّ إليهم : [من البداية والنهاية] .

أين ؟!

يا بن آدم : أين الأوَّلون والآخِرون ؟ أين نوح شيخ المرسلين ؟ أين إدريس رفيع رب العالمين ؟ أين إبراهيم خليل الرحمن ؟ أين موسى الكليم من بين سائر النبيين ؟ أين عيسى روح الله وكلمته رأس الزاهدين وإمام السائحين ؟

أين محمد ـ صلوات الله عليه وعلى الأنبياء أجمعين ـ خاتم النبيين ؟ أين أصحابه الأبرار ؟ أين الأمم الماضية ؟ أين القرون الخالية ؟ أين الذين نُصبت على مفارقهم التيجان ؟ أين الذين قهروا الأبطال والشجعان ؟ أين الذين دانت لهم المشارق والمغارب ؟ أين الذين تمتعوا باللذات والمشارب ؟ أين الذين تاهوا على الخلائق كبراً وعتيّاً ؟ أين الذين راحوا في الحلل بكرة وعشيّاً ؟ أين الذين اغترُّوا بالأجناد ؟ أين أصحاب الوزراء والقُـوَّاد ؟ أيـن أصحـاب السطـوة والأعـوان ؟ أيـن أصحـاب الإمـرة والسلطان ؟ أين أصحاب الأعمال والولايات ؟ أين الذين خفقت على رؤوسهم الألوية والرايات ؟ أين الذين قادوا الجيوش والعساكر ؟ أين الذين عمَّروا القصور والدساكر ؟ أين الذين أعطوا النصر في موطن الحروب والمواقف ؟ أين الذين آمنوا بسطوتهم كل خائف ؟ أين الذين ملؤوا ما بين الخافقين فخراً وعِزّاً ؟ أين الذين فرشوا القصور حريراً وقزّاً ؟ أين الذين تضعضعت لهم الأرض هيبة وعِزّاً ، هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً ؟ أفناهم الله مُفني الأمم ، وأبادهم مُبيد الرِّمم ، وأخرجهم من سعة القصور إلى ضيق القبور ، تحت الجنادل والصخور ، فأصبحوا لا تُرى إلا مساكنهم ، ولم ينفعهم ما جمعوا ، ولا أغنى عنهم ما اكتسبوا ، أسلمهم الأحباء والأولياء ، وهجرهم الإخوان الأصفياء ، ونسيهم الأقرباء والبُعداء ، لو نطقوا لأنشدوا :

مقيمٌ بالحجون رهين رمسٍ وأهلي راحلون بكلِّ واد[1]
كأنّي لم أكن لهمُ حبيباً ولا كانوا الأحبَّة في السَّواد
فعوجوا بالسلام فإن أبيتم فأوموا بالسلام على البعاد[2]

* * *

عاتكة وغزوة بدر :

جاءت غزوة بدر صفعة قوية في وجوه المشركين ، لم يكونوا يتوقَّعونها ، لذلك قالوا ورَثوا قتلاهم بقصائد مُطوَّلة ، وجاء افتخار المسلمين وخاصَّة شاعر الرسول ﷺ في غزوة بدر ، لكن الملاحظ أن النساء شاركن أيضاً في ذلك ، لذلك روى الأُموي في مغازيه عن عاتكة بنت عبد المطلب قولها :

ألمّا تكن رؤياي حقاً ويأتكم بتأويلها فلٌّ[3] من القوم هاربُ
رأى فأتاكم باليقين الذي رأى بعينيه ما تفري السيوف القواضبُ[4]
فقلتم ولم أكذبْ عليكم وإنما يكذِّبني بالصدق من هو كاذبُ
وما جاء إلا رهبة الموت هارباً حكيمٌ وقد أعيتْ عليه المذاهبُ
أقامت سيوف الهند دون رؤوسكم وخطِّيةٌ فيها الشبا والتغالبُ
كأن حريق النار لمع ظُباتها[5] إذا ما تعاطتها الليوث[6] المشاغبُ

---

(١) الحجون : المكان البعيد .
(٢) بتصرف من المستطرف للأبشيهي .
(٣) فلٌّ : جمعٌ .
(٤) القواضب : من أسماء السيوف .
(٥) ظباتها : حد السيف .
(٦) الليوث : الأسود .

ألا بـأبـي يـوم اللقـاء. . . محمـداً ... إذا عضَّ من عُون الحروب الغواربُ
مرى بالسيوف المرهفات نفوسكم ... كفاحاً كما تمري السحاب الجنائبُ
فكـم بـردت أسيـافُـه مـن مليكـة ... وزعـزع وردٌ بعـد ذلـك صـالـبُ
فما بال قتلى في القليب ومثلهم ... لدى ابن أخي أسرى له ما يضاربُ
فكـانـوا نسـاءً أم أتـى لنفـوسهـم ... من الله حَيْن ساق والحَيْن حالبُ[1]
فكيـف رأى عنـد اللقـاء محمـداً ... بنـو عمّـه والحـرب فيهـا التجـاربُ
ألم يغشكم ضرباً يحار لوقعه الـ ... ـجبـانُ وتبـدو بـالنهـار الكـواكـبُ
حلفـت لئـن عـادوا لنصطلينَّهـم ... بحـاراً تـردي تجـربتهـا المقـانـبُ[2]
كـأن ضيـاء الشمـس لمـعُ ظُبـاتهـا ... لها من شعاع النور قرنٌ وحاجبُ

* * *

خير من عمر وآل عمر!

في كتاب دلائل النبوة للبيهقي ما يلي :

روي عن ضبة بن محصن العنزي قال : كان علينا أبو موسى الأشعري أميراً بالبصرة ، فكان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النَّبي ﷺ ، وأنشأ يدعو لعمر رضي الله عنه ، قال : فغاظني ذلك منه ، فقمت إليه فقلت له : أين أنت من صاحبه ، تُفضّله عليه ، فصنع ذلك جُمعاً ، ثم كتب إلى عمر يشكوني ، فكتب إليه عمر أن أشخصه (أرسله) إليَّ ، فقدمت ، فضربت عليه الباب فخرج إليَّ ، فقال : من أنت ؟ فقلت : أنا ضبَّة ، فقال لي : لا مرحباً ولا أهلاً ! !

---

(١) حالب : معين .
(٢) المقانب : جماعة الخيل تجتمع للغارة .

قلت : أما المرحب فمن الله ، وأما الأهل فلا أهل لي ولا مال ، فبماذا استحللت يا عمر إشخاصي من مصري بلا ذنب أذنبته ولا شيء أتيته ؟ فقال : ما الذي شجر بينك وبين عاملي ؟

فحدَّثته بما يفعل به أبو موسى الأشعري من الدعاء له. . . ، فاندفع عمر رضي الله عنه باكياً وهو يقول : أنت والله أوفق منه وأرشد ، فهل أنت غافر لي ذنبي يغفر الله لك ، ثم بكى وقال : والله لليلة من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر ، ثم قال :

أما الليلة : فإن رسول الله ﷺ لما أراد الخروج من مكة هارباً من المشركين خرج ليلاً ، فتبعه أبو بكر ، فجعل يمشي مرةً أمامه ومرةً خلفه ومرةً عن يمينه ، ومرةً عن يساره ، وسأله رسول الله ﷺ عن ذلك ؟ فقال : أذكر الرصد فأكون أمامك ، وأذكر الطلب فأكون خلفك ، ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك ، ومشى رسول الله ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت ، فحمله أبو بكر على عاتقه حتى أوصله فم الغار فأنزله ، ثم قال : والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله ، فإن كان فيه شيء نزل بي قبلك ، قال : فدخل فلم ير فيه شيئاً فدخل رسول الله ﷺ ، ووقتها قال له رسول الله ﷺ : « يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا » فأنزل الله سكينته عليه ، والطمأنينة لأبي بكر[1] فهذه ليلته .

وأما يومه : فلما توفي رسول الله ﷺ ارتدت العرب ، فقال بعضهم : نصلِّي ولا نُزكِّي ، فأتيته لا آلوه نُصحاً ، فقلت : يا خليفة رسول الله ، تألف الناس وارفق بهم ، فقال لي : يا عمر ، أجبّارٌ في الجاهلية خوّار في الإسلام ، قُبض رسول الله وارتفع الوحي ، فوالله لو منعوني عقالاً كانوا

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

يعطونه رسول الله لقاتلتهم عليه ، قال : فقاتلنا عليه ، فكان والله رشيد الأمر ، فهذا يومه .

ثم كتب إلى أبي موسى يلومه!!

* * *

نسائيات :

روى الأصمعي قائلاً : أتت امرأة حاتم بن عبد الله بن أبي بكرة ، فقالت له : أتيتك من بلاد شاسعة ، ترفعني رافعة ، وتخفضني خافضة ، لملمات من الأمور حللن بي فبرين ووهن عظمي ، وتركنني والهة كالحريض ، قد ضاق بي البلد العريض ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، وعدم الطارف والتالد . فسألت في أحياء العرب عن المرجو سببه ، المحمود نائله ، الكريم شمائله ، فدُللتُ عليك ، وأنا امرأة من هوازن ، فافعل بي أحد ثلاث : إما أن تقيم أودي ، وإما أن تحسن صفدي ، وإما أن تردّني إلى بلدي .

فقال : بل أجمعهنَّ إليك وحبّاً وكرامة .

. . . وقال الأصمعي : مات ابن لأعرابية ، فما زالت تبكي حتى خدَّد الدمع خدَّها ، ثم استرجعت[1] ، فقالت : اللهم إنك علمت فرط حبِّ الوالدين لولدهما ، فلذلك لم تأمرهما ببرِّه ، وعرفت قدر عقوق الولد لوالديه فمن أجل ذلك حضضته على طاعتهما ، اللهم إن ولدي كان من البارِّ بوالديه ، على ما يكون الوالدان بولدهما ، فأجزه منّي بذلك صلاة ورحمة ، ولقِّه سروراً ونضرة ، فقال لها الأعرابي : نِعْمَ ما دعوتِ له ،

---

(١) استرجع : قال عند المصيبة : إنّا لله وإنّا إليه راجعون .

لولا أنك شبَّبته من الجزع بما لا يجدي ، فقالت : إذا وقعت الضرورات لم يجر عليها حكم المكتسبات ، وجزعي على ابني غير ممكن في الطاقة صرفه ، ولا في القدرة منعه ، ولي عذري بفضله ، فقد قال عز وجل :

﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

[البقرة : ١٧٣] .

* * *

إشراق من خُلق الإخلاص :

يُروى عن سيدنا موسى عليه السلام أنه قال :

إن أبغض العلماء إلى الله عز وجل رجلٌ يُحبُّ الذِّكر بالمغيب ، ويوسَّعُ له في المجالس ، ويُدعى إلى الطعام ، وتُفْرَغُ له المزاود ، بحقٍّ أقول لكم : إن أولئك قد أخذوا أجورهم في الدنيا ، وإن الله يضاعف لهم العذاب يوم القيامة ! !

ويروي ابن خُزيمة بسنده المتصل إلى سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال :

« يا أيها الناس : إياكم وشرك السرائر ، قالوا : يارسول الله ، وما شرك السرائر ؟ قال : يقوم الرجل فيصلي ، فيُزيِّن صلاته جاهداً لما يرى من نظر الناس إليه ، فذلك شرك السرائر » .

أما الإمام ابن الجوزي رحمه الله فيصوِّر لنا بمقطع صغير روعة هذا الخُلق فيقول :

. . . واعجباً من أهل الرياء ! على من يُبَهْرِجون ! ؟

﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ ﴾ [القصص : ٦٩] .

غلب على المخلصين الخشوع ، فجاء المرائي يُبَهْرِج ، فقيل : مهلاً فالناقد بصير .

لما جاء دود القزِّ ينسج ، جاء العنكبوت يتشبَّه ، فنادى منادٍ :

إذا اشتبهتْ دموعٌ في خدودٍ تبيَّن من بكى ممَّن تباكى!

أما ابن تيمية رحمه الله فيقول : كلما حقَّق العبد الإخلاص في قوله (لا إله إلا الله) خرج من قلبه تألُّه ما يهواه ، وتُصرف عنه المعاصي والذنوب ، كما ورد في الحديث الشريف :

« من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه حرَّمه الله على النار »[1] .

لذلك فالإخلاص ينفي أسباب دخول النار ، ومن دخلها من الموحِّدين كان في قلبه نوع من الشرك ، والشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل ، لهذا كان العبد مأموراً في كل صلاة أن يقول : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٤] .

* * *

ما التوحيد ؟

التوحيد : هو أول ما يدخل به الإسلام ، وآخر ما يخرج به من الدنيا ، وهو أول دعوة الرسل (عليهم السلام) ، وأول خطوات الطريق ، لذلك قال تعالى :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾

[الأعراف : ٥٩] .

وقال سيدنا هود ـ عليه السلام ـ لقومه :

﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف : ٦٥] .

---

(١) رواه أحمد والطبراني .

وقال سيدنا صالح عليه السلام لقومه :

﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [الأعراف : ٧٣] وكذلك قال سيدنا شعيب لقومه .

وقال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾

[النحل : ٣٦] .

وقال أيضاً :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾

[الأنبياء : ٢٥] .

وقال سيدنا محمد ﷺ : « أُمِرْتُ أن أُقاتلَ الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله »[١] .

وقال أيضاً : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخلَ الجنَّة »[٢] .

أمّا المُنكِرون للتوحيد ، فليعلموا أنَّ زعيمهم هو فرعون الذي أنكر الصانع الخالق ، لذلك قال مولانا سبحانه وتعالى عنه وعن قومه :

﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل : ١٤] .

وعندما قال له سيدنا موسى عليه السلام : رب العالمين ، فأجاب فرعون مستنكراً متجاهلاً : وما ربُّ العالمين ؟! جاء الجواب : ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٤ـ٢٨] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) رواه أبو داود وأحمد والحاكم وابن حبّان .

الرياضة والصلاة!!

قال الله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ﴾ [الحج : ٧٧] .

وقال أيضاً : ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة : ٢٣٨] .

والملاحظ في الصلاة هو الروح الحركية التي تتجلى في القيام والركوع والسجود والاعتدال ، وبهذه الحركات يعدّ القرآن سبَّاقاً في تطبيق التمارين الرياضية البدنية التي شاع تسميتها بالتمارين السويدية ، ومما يميِّز الصلاة هو توزُّعها بشكل منتظم على أوقات اليوم ، كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء : ١٠٣] .

ومن الأمور التي أثبتها الطب اليوم : هو أن للسجود أثراً حسناً على الأوعية الدماغية ، وعلى وظائف الدماغ من تفكير وإبداع ، فكلما كانت حالة الأوعية الدماغية جيدة كان وارد الدماغ من الغذاء والأكسجين مع الدم جيداً ، وبالتالي فانخفاض الرأس للأسفل في أثناء السجود يؤدي لاحتقانٍ دموي في الأوعية ، وعند ارتفاع الرأس للأعلى فجأة يحصل انخفاض في الضغط داخل الأوعية ، وتتكرر هذه الحركة في كل ركعة (٦) مرات ، وفي اليوم (١٠٢) مرة في الفروض و (٢١٦) مرة يومياً مع السنن ، وفي الشهر (٦٤٨٠) مرة ، وهذا يؤدي إلى ازدياد مرونة الأوعية الدماغية ويقوي عضلاتها وجدرها!!

ويمكن حصر الفوائد الصحية لرياضة الصلاة بما يلي[1] :

---

(١) بتصرف من كتاب : مع الطب في القرآن الكريم ص ١٢٤ .

١ـ تحريك جميع عضلات الجسم القابضة والباسطة ، وتحريك جميع مفاصله أيضاً حتى المفاصل الفقرية وذلك في كل ركعة ، علماً بأن عدد ركعات الفروض (١٧) ركعة ومع السنن (٣٦) ركعة .

٢ـ تنشيط القلب والدورة الدموية .

٣ـ تحسين وظائف الدماغ بسبب تحسين كفاءة التروية الدماغية .

٤ـ تقوية جدر وعضلات الشرايين الدماغية ، والمحافظة على مرونتها وبالتالي مقاومتها للتمزُّق والنزيف .

٥ـ ترويض الجسم على التأقلم مع الوضعيات المفاجئة ، وبالتالي حمايته من التعرُّض لبعض الأعراض التي تصيب الكثير من الناس كالدوار ، وزوغان البصر ، وتغيم الوعي العابر . . .

٦ـ الاطمئنان النفسي . . .

فصدق الخالق المصوِّر ، عالم الغيب والشهادة ، القائل في الكتاب العزيز : ﴿ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [المجادلة : ١٣] .

* * *

فاطمة الزهراء :

للشاعر (محمد إقبال) رحمه الله تعالى قصيدة رائعة يصف فيها سيدتنا الزهراء عليها السلام وصفاً جامعاً رائعاً فيقول فيها :

نَسَبُ المسيح بنى لمريمَ سيرةً ... بقيتْ على طولِ المدى ذِكْراها

والمجدُ يُشرقُ من ثلاث مطالعٍ ... من مَهْدِ فاطمةٍ فما أعلاها

هِيَ بِنْتُ مَنْ ؟ هي زوجُ منْ ؟ هي أمُّ منْ ؟ ... مَنْ ذا يُداني في الفَخَارِ أباها ؟

هِيَ ومضةٌ من نورِ عينِ المصطفى ... هـادي الشُّعـوبِ إذا تـرومُ هُـداهـا

هُـوَ رحمـةٌ للعـالميـنَ وكعبـةُ الـ ... آمـال فـي الـدُّنيـا وفـي أُخْـرَاهـا

مَـنْ أيقـظَ الفِطـرَ النِّيـام بـروحـه ... وكـأنَّـه بَعْـدَ البـلا أحيـاهـا

ولزوجِ فاطمةٍ بسورة (هل أتى) ... تـاجٌ يفـوقُ الشمس عنـد ضُحـاهـا

أسَـدٌ بحصـنِ الله يـرمـي المشـ ... ـكلات بصيقلٍ يمحو سطورَ دُجاها

في روضِ فاطمةٍ نَما غُصنان لم ... يُنجِبْهُمـا فـي النيِّـرَيْـنِ سِـواهـا

حَسَنُ الذي صانَ الجماعةَ بعدما ... أمسـى تُفـرِّقهـا. . . يَحُـلُّ عُـراهـا

وحُسَيْنُ فـي الأبـرارِ والأحـرارِ مـا ... أزكـى شمـائلـهُ ومـا أنْـداهـا

مـا سيـرةُ الأبنـاءِ إلا الأمهـا ... تُ فهـمْ إذا بلغـوا الـرُّقـيَّ صَـداهـا

جَعَلَتْ من الصبر الجميلِ غذاءها ... ورأتْ رضا الزوجِ الكريمِ رِضاها

هـي أسـوةٌ لـلأمَّهـاتِ وقـدوةٌ ... يتـرسَّـم القمـرُ المُنيـرُ خُطـاهـا[1]

* * *

أمارات محبّة رسول الله..

لمحبَّة رسول الله ﷺ دلائل جمَّة ، أهمها ما يلي :

١ـ نصرة دينه بالقول والفعل ، والدفاع عن شريعته ، والتخلُّق بأخلاقه : جود وصبر .

٢ـ العطف على أمته ، والبرُّ بهم ، والنصح لهم ، والسعي في مصالحهم ، وإيثار شرعه على الهوى .

٣ـ تعظيمه وتوقيره صلوات الله عليه : وليكن قدوتنا ما كان عليه

---

(١) من مجلة الزهراء : شباط سنة ١٩٩٢ .

الأصحاب الكرام : حيث لم يرفعوا أصواتهم عنده ، ودافعوا عنه دفاعاً مريراً ، وتأدَّبوا بصفاته ، وعظَّموا أحاديثه .

٤ـ محبَّة آله الأطهار ، وعترته الأبرار ، وذريته الأخيار وسائر المهاجرين والأنصار ، وإكرام أمهات المؤمنين ، وإجلال من سلف من أصحابه ، والاقتداء بأفعالهم الصالحة .

٥ـ الاستغفار لأصحابه في كل الأحوال ، والإمساك عمّا شجر بينهم من الأقوال والأفعال ، وإظهار سيرتهم الحميدة ، وتبيان فضائلهم الوفيرة ، كما قال تعالى :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

ـ وقوله جلَّ شأنه :

﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾

[الفتح : ١٨] .

وقوله صلوات الله عليه :

« لو أنفق أحدكم مثل أُحُدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه » .

٦ـ الإكثار من ذكره صلوات الله عليه ، لأن علامة المحبِّين كثرة الذكر للمحبوب على طريق الدوام ، لا ينقطعون ، ولا يملّون ، ولا يفترون .

٧ـ إظهار الخشوع والخضوع عند ذكره ، كما كان حال جعفر الصادق رضي الله عنه إذا ذُكر أمامه النَّبي ﷺ أخذتهُ بهتة واصفرَّ لونه .

٨ـ حب القرآن الكريم الذي نزل عليه وتخلَّق به ، ولذلك قال عثمان رضي الله عنه : « لو طَهُرت قلوبنا ما شبعت من كلام الله تعالى ، وكيف يشبع المحبُّ من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه ؟ » بل لقد قال تعالى في حقِّ الرُّهبان :

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة : ٨٣] .

وسرُّ ذلك أن السماع تارة يُثير حزناً والحزن حار ، وتارة يُثير شوقاً والشوق حار ، وتارةً يُثير ندماً والندم حار ، فإذا أثار السماع هذه الصفات من قلب مملوء ببرد اليقين ، خشع قلبه فبكى ، ودمعت عيناه . .[1] .

* * *

﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ :

في قوله تعالى : ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى : ٢٣] تفسيرات كثيرة أجملها :

١ـ لا أسألكم على الإيمان أجراً إلا أن تودّوا أقاربي ـ ﷺ ـ .

٢ـ لا أسألكم إلاّ أن تودّوا الله فيما يُقرِّبكم منه ، وذلك من التودد إليه بالعمل الصالح .

٣ـ إني لا أسألكم على ما أدعوكم إليه أجراً ، إلا أن تودّوني لقرابتي منكم ، فأنتم قومي ، وأحقُّ من أجابني وأطاعني ، فإذا أبيتم ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تؤذوني في أقربائي . . . وما أجمل ما قاله الشاعر فيهم :

شَغَلْتُ نَفْسي وقلبي في مودّتكُمْ ... لا خَلَّصَ الله روحي من محبَّتِكُمْ
ها قَدْ غَضِبْتُ على نَفْسي لأجْلِكُمْ ... حتى جَفَوْتُ حياتي بَعْدَ جَفْوَتِكُمْ
إذا تَلَهَّبَ جَمْرُ الشَّوْقِ في كَبِدي ... أطْفَاهُ ماءُ التلاقي عِنْدَ رؤْيَتِكُمْ

---

(١) بتصرف من كتاب : محمد المثل الكامل .

وهكذا : فحبُّ آل البيت ﴿في القربى﴾ إنما كان من أجل رأس هذا البيت وهو رسول الرحمة محمد ﷺ ، وهذا مصداق حديثه الشريف : « أَحِبُّوا الله لما يَغْذوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ ، وأَحِبُّوني لحُبِّ الله ، وأَحِبُّوا أهلي لحُبِّي » .

❊ ❊ ❊

من أقوال الحسن البصري[1] رحمه الله :

❊ تكلَّم عن أخلاق صحابة رسول الله صلوات الله عليه فقال :

والله لقد أدركنا أقواماً وصحبنا طوائف ، إن كان الرجل منهم ليُمسي وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لأكله ، فيقول : والله لا أجعل هذا كله في بطني حتى أجعل بعضه لله ، فيتصدَّق ببعضه .

والله لقد أدركنا أقواماً وصحبنا طوائف ، ما كانوا يبالون أشرقت الدنيا أم غربت ، والله الذي لا إله غيره ، لهي أهون عليهم من التراب الذي يمشون عليه ! !

❊ ووعظ مرةً فقال :

أيها الناس : إنّكم أصبحتم في أجل منقوص ، وعمل محفوظ ، والموت في رقابكم ، والنار بين أيديكم ، وما ترون والله ذاهب ، فتوقَّعوا قضاء الله في كل يوم وليلة ، ولينظر امرؤ ما قدَّم لنفسه .

---

(١) هو الحسن بن يسار البصري ، أبو سعيد ، كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه ، وهو أحد العلماء الفصحاء الشجعان الفقهاء النُّسَّاك (٢١-١١٠ هـ ، ٦٤٢ - ٧٢٨ م) .

[الأعلام (٢/ ٢٢٦)] .

* وتكلَّم يصف المؤمن فقال :

المؤمن قوَّام على نفسه ، يُحاسب نفسه لله ، وإنما أشقُّ الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة .

* وروي عنه قوله رضي الله عنه :

إن فساد القلوب عن ستة أشياء ، أوَّلها : يذنبون برجاء التوبة ، ويتعلَّمون العلم ولا يعملون به ، وإذا عملوا لا يُخلصون ، ويأكلون رزق الله ولا يشكرون ، ولا يرضون بقسمة الله ، ويدفنون موتاهم ولا يعتبرون . . .

* وقال : من أراد الدنيا واختارها على الآخرة عاقبهُ الله بست عقوبات ، ثلاث في الدنيا : أملٌ ليس له منتهى ، وحرصٌ غالبٌ ليس له قناعة ، وأُخِذَ منه حلاوة العبادة ، وثلاث في الآخرة : فهولُ يوم القيامة ، والحساب الشديد ، والحسرة الطويلة .

* * *

يا راحلين إلى منى بقيادي...

الشاعر الفقيه (عبد الرحيم البرعي اليمني)[1] ت ٨٠٣ هـ .

عُرف عنه رِقَّة المشاعر واتِّقاد الإحساس والحبُّ للنبي محمد صلوات الله عليه .

وفي حجِّه الأخير أُخذ من دمشق محمولاً على جمل ، فلما اقترب من المدينة المنوَّرة ، جلسوا يستريحون تحت ظلٍّ بعض الأشجار . . . فتأجَّج

(١) من ديوان البرعي اليمني (الشاعر الفقيه) .

لهيبُ الشوق في قلبه ، وانسكبت العبرات على وجهه ، فأنشأ هذه القصيدة الرائعة ، وما إن وصل إلى آخر بيت منها إلاّ لفظ نَفَسَهُ الأخير . . .

فرحمه الله رحمةً واسعة ، وتغمَّده فسيح جنانه . . .

يـا راحليـنَ إلـى منى بقيـادي ... هَيَّجْتُـمُ يـومَ الـرَّحيـلِ فـؤادي
سِرْتُم وسارَ دليلُكمْ يا وحشتي ... الشَّوقُ أَقْلَقَني وصَوْتُ الحادي
حَـرَّمْتُـمُ جَفْنـي المنـامَ بِبُعْـدِكُـم ... يـا سـاكنيـنَ المُنْحَنـى والـوادي
فـإذا وَصَلْتُـمْ سـالميـنَ فبلِّغـوا ... مِنِّـي السَّـلامَ إلـى النَّبـيِّ الهـادي
ويلوحُ لي ما بينَ زمزمَ والصَّفا ... عِنْدَ المقامِ سمعتُ صوتَ مُنادي
ويقولُ لي يا نائماً جدَّ السَّرى ... عرفاتُ تَجلو كلَّ قَلْبٍ صادِي
مَنْ نالَ مِنْ عرفاتَ نظرةَ ساعةٍ ... نـالَ السُّـرورَ ونـالَ كـلَّ مُـرادِ
تالله ما أحلى المبيتَ على منى ... فـي ليـلِ عيـدٍ أبـرك الأعيـادِ
ضَحُّوا ضحاياهم وسالَ دماؤهُم ... وأنـا المُتيَّـمُ قَـدْ نَحـرْتُ فـؤادي
لبِسُوا ثيابَ البيضِ شاراتِ الرِّضا ... وأنا المُلوَّعُ قدْ لَبِسْتُ سوادي
يا ربِّ أنتَ وَصَلْتَهم وقطعْتَني ... فبحقِّهـم يـا ربِّ فُـكَّ قِيـادي
بـالله يـا زوَّارَ قبرِ محمـدٍ(ﷺ) ... مَنْ كان منكم رائحاً أو غادي
فَلْيُبْلِـغِ المُختـارَ ألـفَ تحيَّـةٍ ... مـن عـاشـقٍ مُتفتِّـتِ الأكبـادِ
قولوا له (عبد الرحيم) متيَّمٌ ... ومُفـارِقُ الأحبـابِ والأولادِ
صلى عليكَ الله يا عَلَمَ الهُدى ... مـا سـارَ رَكْبٌ أو تَـرنَّـمَ حـادي

* * *

هل أتاك خبر أبي حنيفة ؟ ؟

ـ الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت ، ولد بالأنبار سنة ثمانين وتوفي سنة خمسين ومئة للهجرة ، كانت ولادته في عصر الصحابة ، وتفقُّهه في عصر التابعين ، عُرف عنه الذَّكاء الحادُّ وسرعة البديهة ، من ذلك هذه الحادثة :

كان أبو حنيفة جالساً ذات يوم في المسجد ، فدخل عليه طائفة من كبار الخوارج شاهرين سيوفهم ، فقالوا : يا أبا حنيفة ، نسألك عن مسألتين ، فإن أجبتَ نجوتَ ، وإلا قتلناك!! قال : أغمدوا سيوفكم فإنَّ برؤيتها يشتغل قلبي ، قالوا : كيف نغمدها ونحن نحتسب الأجر الجزيل بإغمادها في رقبتك ؟ فقال : سلوا إذاً ، فقالوا : جنازتان على الباب ، إحداهما رجلٌ شرب الخمر فغصَّ فمات سكران ، والأخرى امرأة حملت من الزنى فماتت في ولادتها قبل التوبة ، أهما كافران أو مؤمنان ؟!

والقوم الذين جاؤوا يسألون ، مذهبهم التكفير بذنب واحد ، فإن قال : مؤمنان قتلوه!!

فقال : من أيِّ فرقة كانا ؟ أمن اليهود ؟ قالوا : لا ، قال : من النصارى ، قالوا : لا ، قال : من المجوس ؟ قالوا : لا ، قال : من عبدة الأوثان ؟ قالوا : لا ، قال : ممن كانا ؟ قالوا : من المسلمين ، قال : قد أجبتم!! قالوا : وكيف ؟ قال : قد اعترفتم أنهما كانا من المسلمين ، ومن كان من المسلمين كيف تجعلونه من الكافرين ؟ قالوا : هما في الجنة أو في النار ؟

قال : أقول فيهما ما قاله إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام في حقِّ من هو شرٌّ منهما :

﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم : ٣٦] .

وأقول ما قاله عيسى عليه السلام ـ روح الله ـ فيمن هو شرٌّ منهما :

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

[المائدة : ١١٨] .

عندها أعلن هؤلاء التوبة ، واعتذروا من الإمام أبي حنيفة رحمه الله .

ويرحم الله الإمام الشافعي حينما قال[١] :

لَقَدْ زانَ البِلادَ ومَنْ عليها   إمامُ المسلمينَ أبو حنيفه
بأحْكامٍ وآثارٍ وفِقْهٍ   كآياتِ الزَّبورِ على الصَّحيفه
فما بالمَشْرِقَيْنِ لهُ نَظيرٌ   ولا بالمَغْرِبَيْنَ ولا بكُوفَه
فرَحْمَةُ رَبِّنا أبداً عليه   مَدى الأيّامِ ما قُرِئَتْ صَحيفه

* * *

الإمام جعفر الصادق يتعجب!!

يقول الإمام جعفر رضي الله عنه[٢] : عجبتُ لمن ابتُلي بخمسٍ كيف يغفل عن خمس!!

ـ عجبتُ لمن ابتُلي بالضرّ ، كيف يذهب عنه أن يقول :

﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٣] .

والله تعالى يقول :

﴿ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ﴾ [الأنبياء : ٨٤] .

---

(١) من ديوان الإمام الشافعي رحمه الله ، ويقال إنها لابن المبارك رضي الله عنهما .

(٢) بتصرف من أقباس روحانية : شيت خطاب ١١٠ .

ـ وعجبتُ لمن ابتُلي بالغمِّ ، كيف يذهب عنه أن يقول :

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء : ٨٧] .

والله تعالى يقول :

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء : ٨٨] .

ـ وعجبتُ لمن خاف شيئاً كيف يذهب عنه أن يقول :

﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران : ١٧٣].

والله تعالى يقول :

﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [آل عمران : ١٧٤] .

ـ وعجبتُ لمن مكر به كيف يذهب عنه أن يقول :

﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر : ٤٤] .

والله تعالى يقول :

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ [غافر : ٤٥] .

ـ وعجبتُ لمن أنعم الله عليه بنعمة خاف زوالها كيف يعزب عنه أن يقول : ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف : ٣٩] .

والله تعالى يقول :

﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف : ٣٩] .

* * *

إذا فكّرتُ في ندَمي عليها...

كان آخر شعرٍ قاله أبو العتاهية في مرضه الذي مات فيه :

إلهــي لا تُعــذِّبنــي فــإنّــي مُقِرٌّ بــالــذي قَــدْ كــانَ مِنّــي

فمــا لــي حيلــةٌ إلا رجــائــي لعَفْوِكَ إنْ عفوتَ وحُسْنَ ظَنّي

وكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لي في الخطايا وأنـتَ عَلَـيَّ ذو فضـلٍ ومَـنِّ
إذا فكَّـرْتُ فـي نَـدَمـي عليهـا عَضَضْتُ أناملي وقَرَعتُ سِنِّي
أجـنُّ بـزهـرةِ الـدُّنيـا جنـونـاً وأقطـعُ طـولَ عُمـري بـالتمنِّـي
ولـو أنّـي صَدَقْتُ الزُّهـدَ عنهـا قلَبْـتُ لأهلهـا ظهـر المِجَـنِّ
يظُـنُّ النـاسُ بـي خيـراً وإنّـي لشَـرُّ الخَلْـقِ إن لـم تَعْـفُ عنِّـي

وهكذا كانت وفاته في جمادى الأولى سنة إحدى عشرة ومئتين للهجرة ، ودُفن في بغداد وأوصى أن يُكتب على قبره هذه الأبيات :

أُذْنَ حَـــيٍّ تسَمَّعـــي اسمعـــي ثـمَّ عِـــي وعِـــي
أنـــا رهـــنٌ بمضْجعـــي فـاحـــذري مِثْـلَ مَصْـرعـي
عشـــتُ تسعيـــنَ حَجَّـــةً أسْلَمَتِنـــي. . . لمضجعـــي
كَـمْ تـرى الحـيَّ ثـابتـاً فـــي ديـــار التَّـــزعْـــزُعِ
ليـــسَ زادٌ ســـوى التُّقـــى فخُـــذي منـــهُ أو دَعـــي

ومن شعره الجميل قوله :

ألا إنَّـــا كلّنـــا بـــائـــدٌ وأيُّ بنـــي آدمٍ خـــالـــدُ
وبَـدْؤهُـم كـان مـن ربِّهـم وكـلٌّ إلـى ربِّـه عـائـدُ
فيـا عجبـاً كيـف يُعصـى الإلـ ـهُ أم كيـفَ يَجْحـدُهُ الجاحِـدُ
وفـي كـلِّ شـيءٍ لـه آيـةٌ تـدلُّ علـى أنَّـه واحـدُ(١)

* * *

---

(١) من كتاب نصوص من الأدب العباسي : د . الزبداوي .

قطع المسافات في طلب العلم :

جاء في كتاب (الأدب المفرد) للإمام البخاري رحمه الله ، عن طريق عبد الله بن محمد بن عقيل أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول : بلغني عن رجل من أصحاب النَّبي ﷺ حديث سمعه من رسول الله ، فاشتريتُ بعيراً ثم شددت رحلي فسرتُ إليه شهراً حتى قدمتُ الشام ، فإذا عبد الله بن أُنيس ، فقلتُ للبوَّاب : قل له جابرٌ على الباب ، فقال : ابن عبد الله ؟ قلت : نعم .

فخرج عبد الله بن أُنيس فاعتنقني ، فقلت : حديث بلغني عنك أنكَ سمعته من رسول الله ﷺ ، فخشيتُ أن أموتَ أو تموت قبل أن أسمعه ، فقال عبد الله : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« يحشُرُ الله الناس يوم القيامة عُراةً غُرْلاً[1] بُهْماً ، قلنا : ما بُهْماً ؟ قال : ليس معهم شيء ، فيُناديهم بصوت يسمعه مَنْ بَعُدَ كما يسمعه مَنْ قَرُبَ : أنا الملك أنا الديَّان ، لا ينبغي لأحدٍ من أهل الجنة يدخلُ الجنة ، وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة ، ولا ينبغي لأحدٍ من أهل النار يدخل النار ، وأحدٌ من أهل الجنّة يطلبه بمظلمة » ـ يعني : لا يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، إلا بعد تصفية الحساب ـ قلتُ : وكيف ؟ وإنما نأتي الله عراةً بُهْماً ؟ قال : « بالحسنات والسيئات »[2] .

يعني القصاص يكون بالحسنات والسيئات .

---

(١) غُرلاً : جمع أغرل : وهو الذي لم يُختن ، أي يُحشرون على حالتهم قبل الختان .

(٢) أوردها البخاري في الأدب المفرد : باب المعانقة ص ٣٣٧ ، وكذلك في صحيحه : ١/١٥٨ .

وعلَّق الحافظ ابن حجر في كتابه « فتح الباري » ١/ ١٥٩ بعد أن أورد حديث جابر هذا في رحلته إلى عبد الله بن أُنيس رضي الله عنهما :

« وفي هذا الحديث ما كان عليه الصحابة من الحرص على تحصيل السنَّة النبوية » .

أولئك والله هم الرجال ، الذين رعوا العلم رعايةً حقيقيةً ، وتعبوا من أجله وسهروا الليالي . . بل ورحلوا الأيام والشهور ، فلم يُضيِّع الله أتعابهم ، فرضي الله عنهم وأرضاهم . .

* * *

من أراد الاستشهاد فليتزوّج بعاتكة!!

عندما استشهد سيدنا (جعفر بن أبي طالب) رضي الله عنه في معركة مؤتة ، وكان شاباً حول الثلاثين ، تاركاً زوجته وأولاده ، لم تمض مدة طويلة حتى تزوَّجت هذه المرأة (بعبد الله بن أبي بكر الصدِّيق) رضي الله عنهما ، فلما قُتل تزوَّجها من بعده (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه ، فلما استُشهد وهو يصلي الصبح بالمسلمين ، تزوَّجها من بعده (الزُّبير بن العوَّام) ، فلما قُتل الزُّبير رضي الله عنه بوادي السِّباع في الفتنة الكبرى تزوَّجها سيدنا (الحسين بن علي)[1] رضي الله عنهما ، فلما استُشهد

---

(١) الحسين : أبو عبد الله الهاشمي ، سبط رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا وأحد سيدَيْ شباب أهل الجنة ، ولد بالمدينة (٤ هـ) ، كانت إقامته إلى أن خرج مع أبيه إلى الكوفة فشهد معه الجمل وصفّين وقتال الخوارج ، ثم بعد مقتل والده بقي مع أخيه الحسن حتى تنازل إلى معاوية ، فعاد مع أخيه إلى المدينة ، أخرج له أصحاب السنن بعض الأحاديث ، كان فاضلاً عابداً ، استُشْهدَ في كربلاء بالعراق أيام يزيد ابن معاوية عام (٦١ هـ) .

بكربلاء ، كانت أول من رفع خدَّه عن التراب ، ثم ترمَّلت بعده ، فلم يسع إليها أحد!!

يقول التاريخ : إن هذه المرأة هي (عاتكة بنت زيد) رضي الله عنها ، وقد كانت صحابية أديبة ذات جمال وكمال ورأي .

نعم ، لقد قتل أزواجها كلهم ، لكن ما هي علاقتها بهذه المصاير ؟ إنها أقدار الله تعالى ، وقد حفظت لها كتب الأدب هذه الأبيات في رثاء الزوج الثاني عبد الله بن أبي بكر!!

آليتُ لا تنفكُّ عيني حزينة ... عليكَ ولا ينفكُّ جلدي أغْبَرا
فللّه عينا مَنْ رأى مثلهُ فتىً ... أكرَّ وأحمى في الهياجِ وأصْبَرا
إذا أشْرَعَتْ فيه الأسِنَّةُ خاضَها ... إلى الموت حتى يتركَ الموتَ أحمرا

ومن الطرائف التي يرويها التاريخ في هذا المجال ، قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : من أراد الاستشهاد فليتزوَّج بعاتكة!![1] .

* * *

رقعة الشطرنج!!

من الأمثلة التي توضِّح عجز العقل ووقوعه في الخطأ عند البحث في الأرقام الكبيرة :

رقعة الشطرنج :

غزا الإنسان الفضاء (بعقله) وسيبقى هذا العقل عاجزاً عن إدراك أمور وأمور ، قد يكون عالِماً كبيراً ، ولكنه يقع مثلاً ضحيَّة (الأعداد المتناهية) أو بتعبير آخر : ضحيَّة الأعداد الكبيرة ، فيبقى عقله محدوداً عاجزاً .

---

(١) من قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة للشيخ محمد الغزالي ص ١٢٠ .

كم كبير عقل وفكر ، كان ضحيَّة للأرقام الكبيرة ، كما وقع ضحيَّتها « شرهام » ملك الهند ، عندما أراد أن يُكافىء وزيره « سيسا بن ظاهر » لاختراعه لعبة الشطرنج وإهدائها له ، فتظاهر الوزير الماكر برغبة تبدو متواضعة للغاية ، فقال لسيِّده الملك ـ كما تروي القصة القديمة ـ : مُر لي يا مولاي بحبَّة قمح توضع على المربع الأول من رقعة الشطرنج ، وبحبَّتين على المربع الثاني ، وأربع حبات على الثالث ، وثمان حبات على المربع الرابع وهكذا . . . بمضاعفة العدد لكل مربع . قال : مُر لي يا مولاي بحبَّاتٍ من القمح تكفي لتغطية مربعات الرقعة الأربعة والستين .

فأجاب الملك : لقد أوتيت سؤلك يا وزيري المخلص ، فإنك لا تطلب كثيراً .

ثم أمر بإحضار صاع من القمح ، وأخذ يضع حبة للمربع الأول ، وحبتين للثاني وهكذا . . حتى نفد الصاع الأول قبل أن يعدَّ ما يكفي للمربع العشرين ، فأمر بإحضار (صاعات) أخرى . . وفوجىء الملك أن محصول القمح للهند لا يكفي لذلك ، ذلك لأن الملك كان يحتاج لذلك الوعد [١٨,٤٤٦,٧٤٤,٠٧٣,٧٠٩,٥٥١,٦١٥ حبة من القمح!!] .

وهذا الرقم يساوي محصول العالم كله لمدة (ألفي سنة) على وجه التقريب . . .

إذاً : وجد (شرهام) ملك الهند نفسه غارقاً في الدَّين لوزيره مدى حياته ، وكان عليه إمّا أن يواجه طلباته المُلحَّة المتكررة التي تضايقه ، أو أن يضرب عنقه ، وأغلب الظنِّ أنه لجأ إلى الأمر الثاني . . [١] .

* * *

(١) بتصرف من الإنسان بين العلم والدين : د . شوقي أبو خليل .

تولد الأمة من قلب جليل :

بهذه الكلمات البسيطة عبّر الشاعر محمد إقبال رحمه الله تعالى عن أن إدراك الذات حاجة مُلحّة ، وأن ذلك هو السرُّ وراء عدم إدراك المسلمين اليوم للطريق الصحيح .

إنه الطريق الذي يبدأ من تربية الفرد على معاني العقيدة الصافية ويتطوَّر إلى المجتمع ، ثم إلى رأس الهرم .

إنه رأى ـ بعد تجاربه الطويلة ـ أن الخطوة الأولى لانتشال الأمة المسلمة من الذهول والهوان هي : أن نُربّي الفرد على العقيدة السليمة ، والسلوك الصحيح ، ووقتها يكون المجد للإسلام .

لذا اسمع إليه يُصوِّر هذه الحقيقة وبرمزية رائعة :

أرأيتَ الطفلَ يا ذا البصر ؟ ... ما له عن نَفْسه من خَبرْ

ليسَ تدري أذنه ما النَّغمه ... لحنُه ثورتُه والضجَّه

وبعَيْنِ الكون إنساناً يَرى ... كلَّ شيءٍ ما عداهُ أبصرا

بعد لأي طرف الخيط بدا ... بعدَ ما حلَّتْ يداه انعقدا

فتراهُ عيْنُه مُسْتعلِناً ... فيدُقُّ الصَّدْرَ ، يعني : ها أنا!!

(أنا) هذي بِدْءُ مقصود الحياه ... نغمةُ اليقظةِ في عودِ الحياه[1]

* * *

---

(١) من ديوان الأسرار والرموز : محمد إقبال ١٣٣ .

حب الله : طاعة وجهاد :

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله[1] :

وكثير من السالكين سلكوا في دعوى حبِّ الله أنواعاً من أمور الجهل بالدين :

إمّا من تعدِّي حدود الله ، وإمّا من تضييع حقوق الله ، وإمّا من ادِّعاء الدعاوي الباطلة التي لا حقيقة لها ، كقول بعضهم : أيُّ مُريد لي ترك في النار أحداً فأنا بريء منه! فقال الآخر : أيُّ مُريد ترك أحداً من المؤمنين يدخل النار فأنا منه بريء! فالأول جعل مُريده يُخرِج كلَّ مَنْ في النار ، والثاني جعل مُريده يمنع أهل الكبائر من دخول النار ، ويقول بعضهم : إذا كان يوم القيامة نُصبت خيمتي على جهنم حتى لا يدخلها أحد!! وأمثال ذلك من الأقوال التي تؤثر على بعض المشايخ المشهورين ، وهي إمّا كذب عليهم ، وإمّا غلط منهم ، ومثل هذا قد يصدر في حال سكر وغلبة وفناء يسقط فيها تمييز الإنسان ، أو يضعف حتى لا يدري ما قال ، والسُّكر هو لذَّة مع عدم التمييز ، ولهذا كان من هؤلاء من إذا صحا استغفر من ذلك الكلام!

والذين توسَّعوا من الشيوخ في سماع القصائد المتضمِّنة للحبِّ والشَّوق واللَّوم والعذل والغرام ، كان هذا أصل مقصدهم ، فإن هذا الجنس يُحرِّك ما في القلب من الحبِّ كائناً ما كان ، ولهذا أنزل الله محنةً يمتحن بها المحبَّ ، فقال تعالى :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

---

(١) من العبودية لابن تيمية رحمه الله تعالى .

فلا يكون مُحبّاً إلا مَنْ يتَّبع رسوله ، وطاعة الرسول ومتابعته لا تكون إلا بتحقيق العبودية ، وكثير ممَّن يدّعي المحبَّة يخرج عن شريعته وسنَّته ﷺ ، ويدَّعي من الحالات ما لا يتَّسع هذا الموضوع لذكره ، حتى قد يظنُّ أحدهم سقوط الأمر وتحليل الحرام له ، وغير ذلك ممّا فيه مخالفة شريعة الرسول ﷺ وسنَّته وطاعته .

بل لقد جعل الله أساس محبَّته ومحبَّة رسوله : الجهاد في سبيله ، والجهاد يتضمَّن كمال محبَّة ما أمر الله به ، وكمال بغض ما نهى عنه ، ولهذا قال في صفة من يُحبُّهم ويُحبُّونه :

﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [المائدة : ٥٤] .

❊ ❊ ❊

عبرة من كليلة ودمنة :

زعموا أن تاجراً قليل المال أراد أن يقوم برحلة وكان لديه مئة مَنٍّ[١] من الحديد ، فوضعها على سبيل الأمانة لدى أحد أصدقائه وذهب ، وحين عاد ، كان الأمين قد باع الوديعة وصرف ثمنها ، فذهب التاجر إليه يوماً ليطلب الحديد ، فقال له الرجل : كنتُ قد وضعتُ الحديد في زاوية من زوايا المنزل ، ولم أنتبه لها إلى أن تبيَّن لي أن الفأر قد أتى عليها كلَّها ! !

فقال التاجر : نعم إنَّ الفأر يحبُّ الحديد جداً ، وأسنانه قادرةٌ على مضغه .

---

(١) منّ : اسم لوزن معروف قديماً ، ولازال معمولاً به في إيران حتى اليوم ويساوي ٣ كغ .

فسُرَّ الأمين بذلك (ظانّاً) أن التاجر قد صدَّق مزاعمه ، وانصرف قلبه عن المطالبة بالحديد ، وقال له : كُنِ اليوم ضيفي .

فقال : غداً آتي ، ثم خرج وخطف له أحد أولاده .

وحين بحثوا عنه ونصبوا منادياً في البلد ، قال التاجر :

لقد رأيتُ صقراً يحمل طفلاً ! !

قال الأمين : ما هذا الكلام المحال ، كيف يستطيع الصقر أن يرفع طفلاً ؟

ضحك التاجر قائلاً : لماذا تتعجَّب ؟!

إنَّ بلداً تستطيع فيه الفأر أن تأكل مئة منٍّ من الحديد ، فالصقر يستطيع أيضاً أن يرفع طفلاً ! !

هنا أدرك الأمين حقيقة الحال ، فقال :

إن الفأر لم يأكل الحديد ، إنه عندي ، فأرجع الطفل وتسلّم الحديد .

* * *

﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٤]

المسلم مُطالبٌ في كلِّ أحواله أن يكون تقيّاً : يقتدي بالمتَّقين ، ثم يحاول أن يُصبح قدوة للناس بالتُّقى ، وهذ درجة عالية في ميزان الله سبحانه ، لأنها سنَّة الأنبياء عليهم السلام ، وعلى رأسهم أشرف الخلق وإمام المتقين سيدنا رسول الله ﷺ .

« فالمسلم يحبُّ الإمامة في الدين ، بل يسأل ربَّه أن يجعله للمتَّقين إماماً ، يقتدي به المتقون ، كما اقتدى هو بالمتقين .

فإذا أحبَّ هذا العبد الداعي إلى الله أن يكون في أعينهم جليلاً ، وفي

قلوبهم مهيباً ، وإليهم حبيباً ، وأن يكون فيهم مُطاعاً لكي يأتمُّوا به ، ويقتفوا أثر الرسول على يده : لم يضرَّه ذلك ، بل يحمد عليه ، لأنه داعٍ إلى الله يحبُّ أن يُطاع ويعبد ويوحد ، فهو يحبُّ ما يكون عوناً على ذلك موصلاً إليه ، ولهذا ذكر سبحانه عباده الذين اختصَّهم لنفسه وأثنى عليهم في تنزيله ، وأحسن جزاءهم يوم لقائه ، فذكَّرهم بأحسن أعمالهم وأوصافهم ثم قال :

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان : ٧٤] .

فسألوه أن يُقرَّ أعينهم بطاعة أزواجهم وذرِّياتهم لهم سبحانه ، وأن يُسرَّ قلوبهم باتِّباع المتقين لهم على طاعته وعبوديته ، فإن الإمام والمؤتمَّ متعاونان على الطاعة فإنما سألوه ما يعينون به المتقين على مرضاته وطاعته ، وهو دعوتهم إلى الله بالإمامة في الدين »[1] .

❊ ❊ ❊

من وصايا داود الطائي رحمه الله تعالى :

❊ أوصى داود الطائي سفيان رحمهما الله تعالى فقال :

إذا كنت تشرب الماء البارد ، وتأكل اللذيذ المطيَّب ، وتمشي في الظلِّ الظليل ، فمتى تحبُّ الموت والقدوم على الله ؟

❊ أوصى داود الطائي رحمه الله عبد الله بن الأعرج فكان ممّا قال له :

صُمْ عن الدنيا واجعل فطرك في الآخرة ، قال عبد الله : فقلت : زدني ، قال : ليكن كاتباك مُحدِّثيك ، فقلت : زدني ، قال : بُرَّ

---

(١) الروح : لابن القيم ص ٢٥٢ .

والديك ، قلت : زدني ، قال : فُرَّ من الناس فرارك من الأسد ، غير مُفارق لجماعتهم .

* وقال له مرة واحدٌ من أقربائه : يا أبا سليمان ، قد عرفتَ الرَّحم بيننا فأوصني ، قال : فدمعت عيناه ثم قال : يا أخي ، إنما الليل والنهار مراحل ، تنزل بالناس مرحلة مرحلة ، حتى ينتهي بهم ذلك إلى آخر سفرهم ، فإن استطعت أن تقدِّم في كل مرحلةٍ زاداً لما بين يديه فافعل ، فإن انقطاع السفر عن قريب ما هو ، والأمر أعجل من ذلك ، فتزوَّد لسفرك ، واقض ما أنت قاض من أمرك ، فكأنك بالأمر بغتك ، ثم قال : إني لأقول هذا وما أعلم أحداً أشدَّ تضييعاً مني لذلك ، ثم قام .

* وقال له عبد الله بن إدريس يوماً : أوصني يا إمام .

فقال رحمه الله : أقلل معرفة الناس!

قال عبد الله : زدني .

قال : ارض باليسير من الدنيا مع سلامة الدين ، كما رضي أهل الدنيا بالدنيا مع فساد الدين .

قال : زدني يا إمام .

قال : اجعل الدنيا كيوم صمته ، ثم أفطر على الموت .

* وقال له رجل ذات مرة : أوصني يا داود .

فقال رحمه الله تعالى : اصحب أهل التقوى ، فإنهم أيسر أهل الدنيا مؤونة عليك ، وأكثر لك معونة .

* * *

الجنون.. الجنون!!

روى الإمام (أحمد الرفاعي الحسيني) رضي الله عنه هذه الحادثة :

« حُكي عن عبد الباري رحمه الله تعالى قال :

خرجتُ مع أخي ذي النون رحمه الله تعالى ، فإذا نحن بصبيان يرمون واحداً بالحجارة ، فقال لهم أخي : ما تريدون منه ؟

قالوا : هذا رجل مجنون! ويزعم أنه يرى الله تعالى!!

قال : فدنونا منه ، فإذا هو شابٌّ وسيم وعليه سيما العارفين ، فسلَّمنا عليه وسألناه عن حقيقة الأمر .

فقال : لو فقدتُه أقلَّ من طَرْفة عين لمِتُّ من ساعتي ، وأنشأ يقول :

طلبُ الحبيب من الحبيب رضاهُ ... ومُنى الحبيب من الحبيب لِقاهُ
أبداً يُلاحظُهُ بعينَي قلبه ... والقلبُ يعرفُ ربَّهُ ويراهُ
يرضى الحبيبُ من الحبيبِ بقربهِ ... دون العبادِ فما يريدُ سواهُ

فقلت له : أمجنونٌ أنت ؟

قال : أمّا عند أهل الأرض فنعم ، وأمّا عند أهل السماء فلا . .

قلت : كيف حالك مع المولى ؟

قال : مُذْ عرفتُه ما جفوتُه .

قلت : منذ كم عرفته ؟

قال : مُذْ جعل اسمي في المجانين!! »[1] .

---

(١) حالة أهل الحقيقة مع الله : للسيد الرفاعي ٣٠ .

الحسن البصري يصف الإمام العادل :

كان الحكّام المسلمون العادلون يحرصون كلَّ الحرص على أن يعرفوا من العلماء الصالحين العاملين تفاصيل دقيقة عن العدل والسَّير بالرَّعيَّة إلى الأحسن وفق منهج الله تعالى :

فهذا الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يسأل العالم الثقة الحسن البصري رحمه الله تعالى أن يصف له الإمام العادل فيقول :

« إن الله جعل الإمامَ العادلَ قوَّامَ كلِّ مائلٍ ، وقصدَ كلِّ جائرٍ ، وصلاحَ كلِّ فاسد ، وقوّة كل ضعيف ، ونصرة كل مظلوم ، ومفزع كل ملهوف ، وهو القائمُ بين الله وبين عباده ، يسمعُ كلام الله ويُسمعُهم ، وينظر إلى الله ويُريهم ، وينقادُ إلى الله ويقودُهم ، وهو كالعبد الذي ائتمنه سيِّده واستحفظه ماله وعياله ، وهو الذي لا يحكم في عباد الله بحكم الجاهلية ، ولا يسلكُ بهم سُبُلَ الظَّالمين ، ولا يسلِّطُ المستكبرين على المستضعَفين ، فهو وصيُّ اليتامى ، وخازنُ المساكين ، يُربِّي صغيرهم ويموّن[1] كبيرهم »[2] .

❊ ❊ ❊

أمير المؤمنين عمر يُقبّل رأسه!!

روى البيهقي وابن عساكر عن أبي رافع قال : وجَّه عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيشاً إلى الروم وفيهم رجل يقال له : (عبد الله بن حُذافة السَّهمي) من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ، فأسره الروم وذهبوا

---

(١) موّن : قام بكفايته [اللسان : مون] .

(٢) العقد الفريد : لابن عبد ربه ١/ ٣٩ .

به إلى ملكهم ، فقالوا له : إن هذا أحد أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام ، فقال له الطاغية : هل لك أن تتنصَّر وأُشركك في ملكي وسلطاني ؟!

فقال عبد الله بن حُذافة : لو أعطيتني ما تملك ، وجميع ما ملكته العرب ، على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفة عين ما فعلت .

قال الطاغية : إذاً أقتلك .

فقال عبد الله : أنت وذاك!!

فأمر به فصُلب ، وقال للرُّماة : ارموه قريباً من يديه ، قريباً من رجليه ، وهو يعرض عليه التنصُّر ، وعبد الله ـ البطل الصامد الواثق ـ يأبى ذلك .

ثم أمر به فأُنزل ، ثم دعا بِقِدْرٍ فصبَّ فيه ماء حتى احترقت ، ثم دعا بأسيرين من المسلمين ، فأمر بأحدهما فأُلقي فيها ، وهو يعرض عليه التنصُّر وهو يأبى ، ثم أمر به أن يُلقى فيها ، فلما ذهب به بكى ، فقيل : ما يُبكيك ؟ هل جزعت يا هذا ؟

قال عبد الله : أبكاني أني قلت في نفسي ، تُلقى الساعة في هذا القدر فتذهب! وكنت أشتهي أن يكون بعدد كل شعرة في جسدي نفس تُلقى في الله!!

قال الطاغية : هل لك أن تُقبِّل رأسي وأُخلِّي عنك ؟

قال عبد الله : وعن جميع أسارى المسلمين ؟!

قال الطاغية : نعم ، عنك وعن جميع المسلمين .

فقال عبد الله في نفسه : عدوٌّ من أعداء الله أُقبِّل رأسه يُخلِّي عني وعن أسارى المسلمين لا أبالي ، ولما عاد عبد الله مع الأسرى إلى أمير

المؤمنين عمر رضي الله عنه وأخبروه بالذي حدث قال عمر : حقٌّ على كل مسلم أن يُقبِّل رأس عبد الله بن حُذافة ، وأنا أبدأ ، فقام عمر أمير المؤمنين رضي الله عنه فقبَّل رأسه .

* * *

حبُّ الظهور قاصم للظهور! ؟

(عبد الله بن المبارك) الإمام المجاهد ، صاحب التصانيف والرحلات ، جامع الحديث والفقه والشجاعة والسخاء ، ألَّف كتاباً في الجهاد وهو أول من صنَّف في ذلك ، كان يحجُّ عاماً ويغزو عاماً ، حدث معه في الجهاد بعض الغرائب رووها عنه :

ـ قال الحسن بن الربيع : خرج فارس من المسلمين مُلثَّم فقتلَ فارساً من العدو كان قد فعل بالمسلمين ، فكبَّر له المسلمون ، ودخل في غمار الناس فلم يعرفه أحد ، لكني تتبَّعته حتى سألته بالله أن يرفع لثامه فعرفته ، وكان (عبد الله بن المبارك) فقلتُ : أخفيت نفسك مع كل هذا الفتح العظيم الذي يسَّره الله على يديك ؟

قال : الذي فعلتُ له لا يخفى عليه . . .

وخرج من الشِّرك فارس ، فانتدب له عبد الله ، فإذا وقعت الصلاة ، فسأله التنحِّي ، وصلى ركعتين ، فلما ذهب إليه قال له الفارس المشرك : حتى أصلي أنا ! !

وجعل يصلي إلى الشمس ، فلما خرَّ ساجداً ، قال ابن المبارك : هَمَمْتُ أن أغدر به فإذا بي أسمع ولا أرى المصدر :

﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٤] .

فتركتُ الغدر ، فلما قال لي الفارس المشرك : لم تحرَّكت ؟ قلتُ : أردتُ الغدر بك لكنني أُمرت بتركه !

قال : الذي أمركَ بترك الغدر أمرني بالإيمان ، والتحق بصفِّ المسلمين .

* * *

عوِّد لسانك قول الصدق...

حينما قرأ الشعراء المخلصون كتاب الله عز وجل ومرُّوا فيه على آيات وآيات ، مثل قوله تعالى في سورة النحل :

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [النحل : ١٠٥] .

وكقوله تعالى في سورة التوبة :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [التوبة : ١١٩] .

حينها تكلَّموا بهذا المعنى شعراً فأجادوا وأبدعوا ، من ذلك قول أحدهم :

ما أحسنَ الصِّدقَ في الدُّنيا لقائلِهِ ... وأقبحَ الكذبَ عند الله والناسِ

وقول أحدهم :

عَوِّدْ لسانكَ قولَ الصِّدقِ تَحْظَ به ... إن اللسان على ما عُوِّدتَ مُعتادُ

موكَّلٌ يتقاضى ما سَنَنْتَ له ... في الخير والشَّر فانظر كيف ترتادُ

وقول أحدهم :

وما شيءٌ إذا فكَّرتَ به ... يُذهِبُ للمروءةِ والجمالِ

مـن الكـذبِ الـذي لا خيـرَ فيـه　　وأبعـدُ بـالبهـاء[1] مـن الـرِّجـالِ

وقول أحدهم :

عليــكَ بـــالصِّـــدقِ ولـــو أنـــه　　أحـرَقَـكَ الصِّـدقُ بنـارِ الـوعيـد
وابغِ رضا المولى فأغبى الورى　　مَنْ أسخطَ المولى وأرضى العبيد

وقول آخر :

عليكَ بالصِّدقِ في كلِّ الأمورِ ولا　　تكذبْ فأقبحُ ما يُزْري بكَ الكذبُ[2]

* * *

الوصيّة...

أوصت أُمٌّ ابنتها ليلة زفافها قائلة :

أي بُنَيَّة ، إنَّكِ فارقتِ بيتك الذي منه خرجت ، وعشَّكِ الذي فيه درجتِ ، إلى رجلٍ لم تعرفيه ، وقرين (زوج) لم تألفيه ، فكوني له أَمَةً يكُنْ لكِ عبداً ، واحفظي له خصالاً عشراً يكن لكِ ذُخراً :

ـ أما الأولى والثانية : فالخشوع له بالقناعة ، وحُسْنُ السَّمع له والطاعة .

ـ وأما الثالثة والرابعة : فالتفقُّد لموضع عينه وأنفه ، فلا تقع عينه منكِ على قبيح ، ولا يشمّ منكِ إلا أطيب ريح .

ـ وأما الخامسة والسادسة : فالتفقُّد لوقت منامه وطعامه ، فإن تواتر الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة .

---

(١) البهاء : الجمال والحسن .

(٢) ما يزري : ما يُعاب .

ـ وأما السابعة والثامنة : فالاحتراس بماله ، والإرعاء[1] لحشمه[2] وعياله ، وملاك الأمر في المال حُسن التقدير .

ـ وأما التاسعة والعاشرة : فلا تعصينَ له أمراً ، ولا تُفشين له سِرّاً ، فإنَّكِ إن خالفتِ له أمره أوغرت صدره (زاد حقده) ، وإن أفشيت سرَّه لم تأمني غدره ، ثم إيَّاكِ والفرح بين يديه إذا كان مهموماً ، والحُزنَ بين يديه إذا كان فرحاً[3] .

* * *

معي إن حفظت قلبك من اثنين!

أتى رجل إلى الحبيب المصطفى صلوات الله عليه وقال :

« يارسول الله ، إني لا أصومُ إلا الشهر ولا أزيد عليه ، ولا أُصلِّي إلا الخمس لا أزيد عليهنَّ ، وليس لله تعالى من مالي صدقة ولا تطوُّع ، أين أنا إذا مِتُّ » ؟

فقال له الرسول الأعظم ﷺ : « في الجنَّة » .

قال الرجل : يارسول الله ، معك ؟!!

تبسَّم النَّبي ﷺ وقال : « نعمْ معي إن حفِظْتَ قلبكَ من اثنين : الغِلُّ والحَسَدُ ، ولِسانَكَ من اثنين : الغيبةُ والكذبُ ، وعينيكَ من اثنين : النَّظرُ إلى ما حرَّمَ الله تعالى ، وأن تزْدَرِيَ بهما مُسلماً ، دخلتَ معي الجنَّة على راحَتَيَّ هاتين » .

---

(١) الإرعاء : الرعاية .

(٢) حشمه : قرابته وخدمه .

(٣) بتصرف من العقد الفريد : لابن عبد ربه ٦/ ٨٣ .

وقد كرَّر النَّبي ﷺ التحذير من الحسد في كثير من أحاديثه منها :

« لا تَقاطَعوا ولا تَدابَروا ولا تَباغَضوا ولا تَحاسَدوا ، وكونوا عبادَ الله إخواناً ، ولا يحلُّ لمسلمٍ أن يهجُرَ أخاهُ فوقَ ثلاث » .

ومنها قوله أيضاً :

« ليسَ منِّي ذو حَسَدٍ ولا نميمَةٍ ولا كَهانَةٍ ، ولا أنا منهُ » ، ثم قرأ :

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب : ٥٨] .

وقوله أيضاً :

« الحسدُ يأكُلُ الحسناتَ كما تأكُلُ النَّارُ الحَطَبَ » .

* * *

ما أعذبَ الحبّ ما أحلى عواطِفَهُ!!

حُبُّ الإله وحُبُّ المُصطفى ديني — وشِرْعَتي قد تمَشَّتْ في شراييني
الحُبُّ أثمَنُ شيءٍ أنتَ تَدْخَرُهُ — فإنَّه النارُ تُذْكي جَذْوَةَ الدِّينِ
إذا سَرى الحبُّ في قلبٍ مَشى طرباً — مَشْيَ العقيدةِ في الغُرِّ الميامينِ
الحُبُّ نارٌ يُذيبُ الصَّخرَ جَذْوَتُهُ — ويبعثُ الميْتَ يُحيي كلَّ مَحْزونِ
والعُمْرُ من دونما حُبٍّ ومعرِفةٍ — فلا يُعادِلُ شيئاً في الموازينِ
ما أعذبَ الحبَّ ما أحلى عواطِفَهُ — فإنَّه النورُ في قلبِ المُحبِّيْنِ
غِذاءُ روحِكَ يُنفي ما ألَمَّ به — فيه الشِّفاءُ وفيه كلُّ تَطْمينِ
مَنْ ذاقَ لذَّتَهُ يدري حلاوتَهُ — يَهيمُ في حبِّه مثلَ السَّلاطينِ

إنْ أقفـرَ القلـبُ مـن حـبِّ الإلـه ومن حبِّ الرسولِ غدا كالصَّخرِ والطِّينِ
أَحْبَبْتُ أحمدَ يا ربَّاهُ عن ثقةٍ بأنَّهُ شافعي في موقفِ الدِّينِ
لولا المحبَّةُ ما رقَّتْ مشاعِرُنا ولا نَعِمْنا بهـذا الأُنْـسِ واللِّيـنِ
ما الحبُّ إلا اتِّباعٌ صادقٌ وهوى حـبُّ الرسـولِ شعـارٌ للمحِبِّيـنِ
إن لم يكن نابعاً من قلبِ صاحبِه فليسَ يُجدي ادِّعاءٌ دونَ تمكينِ
إنِّي عشقتُ الهوى والحبُّ تيَّمَني حبُّ الرسولِ وآلِ البيتِ من دوني
يـا آل بيـتِ رسـولِ الله حبُّكُـم فـرضٌ وذلـك حـقٌّ دونَ تـوهيـنِ
مُحبُّكُـم نـالَ عنـد الله منـزلـةً (إلا المودة في القربى) ويكفيني
فـأنتـمُ بهجـةُ الـدُّنيـا وزينتهـا وأنتـمُ مَـوْئِـلٌ لكـلِّ مِسْكيـنِ
طوبى لمَنْ هامَ حقّاً في محبَّتِكُم يحظى بنيلِ المُنى كلَّ الأحايينِ[١]

* * *

لا تخف إلاّ من ستّة!! ولا تفكّر إلاّ في خمسة!!

● روى الإمام البخاري والإمام مسلم رحمهما الله عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن النَّبي ﷺ جمع ثيابه حين دخل عثمان بن عفان رضي الله عنه وقال :

« ألا أسْتَحي من رجلٍ تَسْتَحي منهُ الملائكةُ » .

● وروى الإمام الترمذي عن عبد الرحمن بن سمرة قال : جاء عثمان إلى النَّبي ﷺ بألف دينار حين جهَّز جيش العسرة ، فنثرها في حجره ، فجعل رسول الله صلوات الله عليه يُقلِّبها ويقول :

---

(١) عن جريدة العالم الإسلامي عدد : ١٢٨٩ .

« ما ضرَّ عثمان[1] ما عملَ بعد اليوم » قالها مرَّتين .

● امتاز سيدنا عثمان بقلَّة الكلام والصمت الطويل ، لكن إذا تكلَّم أوجز ، من ذلك ما روي عنه رضي الله عنه :

● المؤمن يخاف من ستة فقط :

١ـ يخافُ الله عز وجل : المطَّلع عليه .

٢ـ ويخافُ مَلكَ الموت : أن يقبض روحه وهو على غير ما يرام .

٣ـ ويخافُ الحَفَظَة : أن تكتب ما تفضحه .

٤ـ ويخافُ من ولده : لأنه فتنة .

٥ـ ويخافُ من الدنيا : فتُلهيه عن الله تعالى .

٦ـ ويخافُ الشيطان : فيقفُ حائلاً أمام عبادته .

● والمؤمن غير مكلَّف أن يفكر إلا في خمسة :

١ـ في آيات الله : كالشمس وغيرها .

٢ـ في آلاء الله (نعمه) : كالبصر وغيرها .

٣ـ في وعد الله : للمؤمنين .

٤ـ في وعيد الله : للكافرين .

٥ـ في ذنوبه ومعاصيه ، وسِتْرِ الله عليه .

فرضي الله عن ذي النورين وأرضاه .

---

(١) عثمان : ثالث الخلفاء الراشدين ، وممن جاد بماله في عام الرمادة ، وجهَّز أكثر من غزوة ، وتزوَّج بابنتَيْ رسول الله ﷺ ، وفي عهده استمرَّت الفتوحات في ليبيا والسودان وفارس وأرمينية ، وهو من خطَّ المصحف الشريف وجمعه خشية الضياع ، ثار عليه العامة ، وتسوَّر عليه الثائرون الدار وقتلوه وهو يقرأ القرآن ، دامت خلافته اثنتي عشرة سنة وشهوراً .

المسلم الإنساني :

حينما فهم الصحابة قدر النَّبي ﷺ ، راحوا يتسابقون إلى تقديس وتعظيم كلِّ شيءٍ له علاقة به ، وأهمُّ شيءٍ يتسابقون إليه هو تطبيق سنَّته ـ القولية والفعلية ـ لذلك لم يتردَّد واحدٌ منهم حينما يسمع أن شيئاً قاله رسول الله ﷺ إلا اندفع دون تفكير ولا تحليل ولا فلسفات لتطبيقه . . وأظنُّ أن هذا هو الفرق بين الصحابة وبيننا اليوم ، من هنا جاء الأدباء والمصلحون ليُنبِّهوا على هذه الحقيقة .

فيقول مصطفى صادق الرافعي :

وعجيب أن يجهل المسلمون حكمة ذكر النبي العظيم خمس مرات في الأذان كل يوم ، يُنادى باسمه الشريف ملء الجو ، ثم حكمة ذكره في كل صلاة من الفريضة والسنَّة والنافلة يهمس باسمه الكريم ملء النفس!

وهل الحكمة من ذلك إلا الفرض عليهم ألا ينقطعوا عن نبيِّهم ولا يوماً واحداً من التاريخ ، ولا جزءاً واحداً من اليوم ، فيمتد الزمن مهما امتدَّ والإسلام كأنه على أوَّله ، وكأنه في يومه لا في دهر بعيد ، والمسلم كأنه مع نبيِّه بين يديه تبعثه روح الرسالة ويسطع في نفسه إشراق النبوَّة فيكون دائماً في أمره كالمسلم الأول الذي غيَّر وجه الأرض ، ويظهر هذا المسلم الأول بأخلاقه وفضائله وحميَّته في كل بقعة من الدنيا مكان إنسان هذه البقعة ، لا كما نرى اليوم ، فإن كل أرض إسلامية يكاد لا يظهر فيها إلا إنسانها التاريخي بجهله وخرقاته وما ورث من القوم ، فههنا المسلم الفرعوني ، وفي ناحية أخرى المسلم الوثني ، وفي بلد آخر المسلم المجوسي ، وفي جهة المسلم المعطل . . .

وما يريد الإسلام إلا نفس المسلم الإنساني .

أيُّها المسلم :

لا تنقطع عن نبيِّك العظيم ، وعِشْ معه أبداً ، واجعله مَثَلَكَ الأعلى ، وحين تذكره في كل وقت فكن كأنك بين يديه .

كن دائماً المسلم الأول ، كن دائماً ابن المعجزة .

* * *

(٤٠٠٠) جندي يسيرون على وجه الماء!!

ذكر أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي في كتاب الدعاء عن مطرف ابن عبد الله بن مصعب المدني ، قال : دخلتُ على المنصور فرأيته مغموماً ، فقال : يا مطرف ، طرقني من الهمِّ ما لا يكشفه إلا الله ، فهل من دعاء أدعو له ، عسى يكشفه الله تعالى عنِّي ؟ قلتُ : يا أمير المؤمنين ، حدَّثني محمد بن ثابت ، عن عمرو بن ثابت البصري ، قال : دخلتْ في أُذُنِ رجل من أهل البصرة بعوضةٌ ، حتى دخلتْ إلى صماخه فأنصبته وأسهرته ، فقال له رجل من أصحاب الحسن البصري : ادعُ بدعاء العلاء بن الحضرمي صاحب رسول الله ﷺ ، الذي دعا به في المفازة وفي البحر فخلَّصه الله سبحانه!!

قال : وما هو ؟ قال : بعث العلاء بن الحضرمي إلى البحرين ، فسلكوا مفازة وعطشوا عطشاً شديداً حتى خافوا الهلاك ، فنزل فصلَّى ركعتين ثم قال :

« يا حكيم يا عليم ، يا عليُّ يا عظيم ، اسقنا ، فجاءت سحابة فأمطرت حتى ملؤوا الآنية وسقوا الرِّكاب ، ثم انطلقوا إلى خليج من البحر ، ما خيض قبل ذلك اليوم ، فلم يجدوا سُفناً ، فصلَّى ركعتين ثم

قال : يا حكيم يا عليم ، يا عليُّ ، يا عظيم أجِزْنا ، ثم أخذ بعنان فرسه ثم قال :

جوزوا باسم الله ، قال : ـ أبو هريرة ـ رضي الله عنه : فمشينا على الماء ما ابتلَّ لنا قدمٌ ولا خُفٌّ ولا حافرٌ ، وكان الجيش أربعة آلاف » .

فدعا الرجل بها ، فوالله ما خرجنا حتى خرجت من أذنه لها طنين ، حتى صكَّت الحائط وبرىء ، فاستقبل المنصور القبلة ودعا بهذا الدعاء ، ثم انصرف بوجهه إليَّ وقال : يا مطرف ، قد كشف الله عنِّي ما كنت أجده من الهمِّ . . .[1] .

* * *

هكذا كان أجدادنا!!

للمسلمين تاريخ سامق شامخ ، وفي كل ميادين الحياة (من طب وهندسة وعمران ورياضيات وفلك وزراعة وفلسفة وغيرها . . .) ، لكن جلّ الأبناء اليوم انقطع عن تاريخه العريق ، فظنَّ أن أجدادنا كانوا مثلنا اليوم!!

فهل هذا الظنُّ صحيح ؟ ؟

جاء في (التاريخ العام) للافيس ورامبو ما يلي :

« كانت قرطبة في عهد عبد الرحمن الثالث الأموي عاصمة الأندلس المسلمة ، تُنار بالمصابيح ليلاً ويستضيء الماشي بسُرُجها عشرة أميال لا

---

(١) وردت هذه القصة في البداية والنهاية لابن كثير : ٦/ ٣٢٩ .
وفي الأرج في الفرج للسيوطي : ٤٦ .
وطبقات ابن سعد : ج ٢ القسم الثاني ص ٧٩ .

ينقطع عنه الضوء ، أي (ستة عشر كيلو متراً) ، أزِقّتها مبلّطة ، وقُماماتها مرفوعة من الشوارع ، مُحاطة بالحدائق الغنّاء ، حتى كان القادم إليها يتنزّه ساعات في الرِّياض والبساتين قبل أن يصل إليها ، كان سكانها أكثر من مليون نسمة (في ذلك العصر الذي لم تكن فيه أكبر مدينة في أوربا تزيد على خمسة وعشرين ألفاً) ، وكانت حمّاماتها تسعمئة حمّام ، وبيوتها (٢٨٣٠٠٠) بيت ، وقصورها ثمانين ألف قصر ، ومساجدها ستمئة مسجد ، وكانت استدارتها ثمانية فراسخ (أي ثلاثين ألف ذراع) ، كان كل ما فيها متعلّماً ، وكان في ربضها الشرقي مئة وسبعون امرأة كلهنّ يكتبن المصاحف بالخط الكوفي ، هذا من ناحية واحدة من نواحيها ، وكان فيها (٨٠) مدرسة يتعلّم فيها الفقراء مجاناً ، وخمسون مستشفى ، وأمّا مسجدها فكان ولا تزال آثاره حتى اليوم آية خالدة في الفن والإبداع ، كان ارتفاع مئذنته أربعين ذراعاً تقوم قبّته الهيفاء على روافد من الخشب المحفور ، وتستند إلى (١٠٩٣) من الأعمدة المصنوعة من مختلف الرُّخام على شكل رقعة الشطرنج ، فيتألّف منها تسعة عشر صحناً طولاً ، وثمانية وثلاثون صحناً عرضاً ، وكان يُضاء في الليل بأربعة آلاف وسبعمئة مصباح تستنفد في كل سنة ٢٤٠٠٠ رطل من الزيت ، وترى في وجهه الجنوبي تسعة عشر باباً مُصفَّحاً بصفائح برونزية عجيبة الصنع ، خلا الباب الوسط الذي كان مُصفَّحاً بألواح من الذّهب .

وترى في كلٍّ من وجهه الشرقي والغربي تسعة أبواب مشابهة لتلك الأبواب ، أمّا محرابه فحسبك أن يقول فيه مؤرِّخو الفرنج :

إنه من أجمل ما تقع عليه عين بشر ، وإنه لا يُرى أحسن من زُخرفه وسنائه في أيِّ أثر قديم أو حديث!! » .

❊ ❊ ❊

الشافعي على فراش الموت!!

حينما يتمدَّدُ الإنسان على فراش الموت ، تُختصر الدنيا أمامه ، وكلٌّ يوصي حسب ما قدَّم في حياته ، فصاحب المال يخاف على ماله ، وصاحب العقارات يوصي بها . . .

أمّا الفقيه الورع الزَّاهد فله فلسفةٌ أُخرى ! !

إنه يُناجي ربَّه الذي سيلتقيه بعد لحظاتٍ معدودة ، إنه يتذكّر الأيام السوابق وما فعل ، ويخلص إلى هذه المقطوعة الرائعة :

ولمّا قسا قلبي وضاقت مَذاهبي ... جعلتُ الرَّجا منّي لعفوِكَ سُلَّما

تعـاظَمَني ذَنْبـي فلمَّـا قَـرَنْتُـه ... بعفوِكَ ربِّي كان عفوُكَ أعْظَما

فما زلْتَ ذا عَفْوٍ عن الذَّنبِ لم تزلْ ... تجـودُ وتعفـو مِنَّـةً وتكـرُّمـا

فلولاكَ لم يصمدْ لإبليسَ عابدٌ ... فكيف وقد أغْوى صفِيَّكَ آدما

فللّـه درُّ العـارفِ النَّـدْبِ إنَّـه ... تُفيضُ لفرطِ الوَجْدِ أجفانُهُ دَمَا

يُقيـمُ إذا مـا الليـل مَـدَّ ظـلامَـهُ ... على نفسِه من شدَّةِ الخوفِ مأتَما

فصيحـاً إذا مـا كـان فـي ذِكْـرِ ربِّـه ... وفي ما سِواهُ في الورى كان أعْجَما

ويذكرُ أيّاماً مضتْ من شبابه ... وما كان فيها بالجهالةِ أجْرَما

فصـارَ قـريـنَ الهـمِّ طـولَ نهـارِه ... أخا الشُّهدِ والنَّجوى إذا الليلُ أظْلَما

يقولُ حبيبي أنتَ سُؤْلي وبُغيتي ... كفى بكَ للرَّاجين سُؤْلاً ومَغْنَما

ألَسْتَ الذي غذَّيْتَني وهَدَيْتَني ... ولا زِلْـتَ منَّـانـاً علـيَّ ومُنعِمـا

عسى مَنْ له الإحسانُ يغفرُ زَلَّتي ... ويسترُ أوزاري وما قد تقدَّما[1]

وتوفي الشافعي بعدها في يوم الجمعة عام (٢٠٤ هـ) ، ودُفن بمصر بتربةٍ تُعرف اليوم بتربة الشافعي ، فرحمه الله رحمة واسعة .

---

(١) من ديوان الإمام الشافعي رحمه الله تعالى .

في دفع فضول الفكر :

ورد في كتاب الطب الروحاني ما يلي :

(اعلم أن الفكر يُراد لاستدراك فارط ، والنظر في مصلحة مستقبله ، فإذا كان لا يثمرها كان ضرراً ، وإذا كثر أنهك البدن .

قال أبقراط : ينبغي للعلماء أن يتركوا الفكر وقتاً ما ، لئلا يُنهك أبدانهم .

قلت : ولا يجوز للعاقل أن يُخلي نفسه من الفكر ، ولكن يكون فيما يتصور له نيله ، فأمّا إذا تفكَّر العاميُّ في أن يكون خليفة ، وأن ينال علم أبي حنيفة والشافعي ، ثم يجمع بينه وبين زهد بشر الحافي ، ومعروف الكرخي[1] ، ويحصِّل مثل مال عبد الرحمن بن عوف ، فهذه أفكار تُضني وتُردي ، خصوصاً إذا قنع بالفكر ، واستعمل الكسل عن الطلب ، وإنما ينبغي أن يتفكَّر فيما تصل إليه قدمه ، ويطمع لمثله فيه من الخير ، ويتفكَّر في جهاده للطبع في دفع الشَّر ، فقد تفكَّر خلق كثير من العصاة في عواقبهم فتابوا ، وكثير من الملوك في غرور الدنيا فزهدوا .

قال ابن عباس : ركعتان مقتصدتان في تفكُّر ، خير من قيام ليلة والقلب ساه .

وبسنده إلى أم الدرداء ، قيل لها : ما كان أفضل عمل أبي الدرداء ؟

قالت : كان أفضل عمله التفكُّر والاعتبار .

---

(١) معروف الكرخي : عَلَمُ الزُّهَّاد والعُبَّاد ، بركة عصره ووقته ، له أخبار مشهورة في الورع والعبادة ، ت (٢٠٠ هـ) وقيل : (٢٠٤ هـ) .

[سير أعلام النبلاء : ٩/٣٣٩] .

ووقف مالك بن دينار[1] ليلة في داره على قدمه إلى الفجر ، فقال : مازال أهل النار يُعرضون عليَّ بسلاسلهم وأغلالهم إلى الصباح .

وقال بعض الحكماء : بترداد الفكر ينجاب (ينكشف) العمى[2] .

* * *

نصيحتان :

● دخل الإمام (سفيان الثوري) على الإمام (جعفر الصادق) رضي الله عنهما ، فقال له سفيان : يا بن بنت رسول الله ﷺ ، تعتزل الناس ، والناس محتاجون إليك ؟!!

قال : يا سفيان ، العزلة : الدَّعةُ ، فسد الزمان ، وتغيَّر الإخوان ، فرأيتُ الانفراد أسكن للفؤاد ، ثم أنشد :

لا تَجْـزعَـنَّ لـوِحْـدَةٍ وتفـرُّدِ ... ومن التفرُّدِ في زمانكَ فازْدَدِ!

ذهـبَ الإخـاءُ فليـس ثَـمَّ أُخـوةٌ ... إلا التملُّـقَ بـاللسـانِ وبـاليـدِ

فإذا كشفتَ ضميرها بصدورهم ... أبصرتَ ثَمَّ نقيعَ سُمِّ الأسوَدِ[3]

● وخرج الزهري يوماً من عند هشام بن عبد الملك ، فقال : ما رأيت كاليوم ، وما سمعت كأربع كلمات تكلَّم بهنَّ رجل عند هشام :

دخل عليه فقال : يا أمير المؤمنين ، احفظ عني أربع كلمات فيهنَّ صلاح ملكك واستقامة رعيَّتك .

---

(١) مالك بن دينار : من ثقات التابعين ، ومن أعيان كتبة المصاحف ، ثقة عابد زاهد ورع ، توفي (١٢٧ هـ) وقيل : (١٣٠ هـ) .

[سير أعلام النبلاء : ٥/ ٣٦٢] .

(٢) من الطب الروحاني : لابن الجوزي ص ٨٣ .

(٣) الأسود : هنا بمعنى الأفعى . والقصة مروية في الشهاب الثاقب للسيوطي .

فقال الخليفة هشام : هاتهنَّ .

قال : لا تعدن عدة لا تثق بإنجازها .

ولا يغرَّنَّك المرتقى وإن كان سهلاً إذا كان المنحدر وعراً .

واعلم أن للأعمال جزاءً فاتَّقِ العواقب .

وأن للأمور بغتات فكن على حذر .

قال عيسى بن دأب : فحدَّثتُ بهذا الحديث الهادي وفي يده لقمة كان رفعها إلى فيه ، فأمسكها وقال : ويحك! أعد عليَّ .

فقلت : يا أمير المؤمنين أسِغْ لُقمتَكَ ، فقال : حديثك أحبُّ إليَّ .

* * *

كيف تمتحن أصدقاءك ؟ ؟

١ـ في السَّفر : فلا تكلُّف هناك ، وبالتالي يصبح الامتحان سهلاً .

٢ـ في حالة الغضب : فيظهر الإنسان على واقعيَّته ، ويتكلَّم بما في داخله دون مجاملة ، كما قيل : « إذا أردت أن تعلم صحَّة ما عند أخيك فأغضبه ، فإن ثبت لك على المودَّة فهو أخوك ، وإلا . . . فلا » .

٣ـ الامتحان الروحي : أن تسأل قلبك بصراحة ، فإن أجابك أنه يحبُّ فلاناً فاعلم أن الفلان هذا يحبُّك ، وقد سُئِل أحد الصالحين : إن الرجل يقول لي أودُّك ، فكيف أعلم أنه يودُّني ؟ قال : امتحن قلبك ، فإن كنت تودُّه فهو يودُّكَ .

٤ـ في الشَّدائد : وقد صدق الشاعر حينما قال :

ولا خيرَ في وُدِّ امرىءٍ مُتلوِّنٍ ... إذا الرِّيحُ مالتْ مالَ حيثُ تميلُ
وما أكثرَ الإخوانَ حينَ تعدُّهمْ ... ولكنَّهم في النَّائباتِ قليلُ!!

٥ـ في حالة التقرُّب إليه : تأمَّل هذا الصديق واختبره ببعض الأسئلة : هل يحاول التودُّدَ إليك وأن يكسب رضاك ؟ هل يُصغي إليك وأنت تتحدَّث ؟ هل يتمنَّى مجالستك ؟ هل يحفظ سيِّئاتك وينسى حسناتك ؟ هل ؟ وهل ؟ هذه أمور تكشف حقيقة صداقته لك .

٦ـ عند الحاجة : هناك أصدقاءٌ حين العطاء فقط ، وهناك أصدقاء عند الأخذ ، وهؤلاء كثيرون ، وهؤلاء لا نسمِّيهم أصدقاء ، ولكن يُسمَّون أصدقاء المال الذي تحمله ، فإذا ذهب المال ذهبت صداقتهم ، ولم يعودوا يعرفونك أبداً ، وكم في المجتمع اليوم من هذه النماذج ، وقد صدق الشاعر :

إذا قَلَّ مالي فلا خِلٌّ يُصاحبُني ... وفي الزِّيادةِ كلُّ الناسِ خِلاَّني!

كمْ من عدوٍّ لأجلِ المالِ صادَقَني ... وكمْ صديقٍ لأجلِ المالِ عاداني!

* * *

إحراق علقمة!!

هذا الشاب (علقمة) كان على عهد رسول الله ﷺ ، مرض واشتدَّ به المرض ، فقيل له : قل لا إله إلا الله ، فلم ينطق لسانه ، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال : « هل له أبوان » ؟ فقيل : أمّا أبوه فقد مات ، وله أم كبيرة ، فأرسل إليها الرسول ﷺ فجاءت ، فسألها عن حال (علقمة) فقالت : كان يصلي كذا وكذا ، وكان يصوم كذا وكذا ، وكان يتصدَّق كذا وكذا ، فقال : « فما حالُكِ وحالُه » ؟ قالت : أنا ساخطة واجدة ، فقال المصطفى : « ولِمَ ذلك » ؟ قالت : كان يؤثر عليَّ امرأته ويُطيعها في الأشياء ، فقال : « سخطُ أمِّه حَجَبَ لسانَه عن شهادة أن لا إله إلا الله » ثم قال لبلال : « انطلقْ واجمعْ حَطَباً كثيراً حتَّى أحرقَهُ بالنَّار ! ! » قالت الأم :

يارسول الله ، ابني وثمرة فؤادي تحرقه بالنار بين يدي ، كيف يحتمل قلبي ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « يسرُّكِ أن يغفرَ الله له فارضي عنه ، فوالذي نَفْسي بيده لا ينتفِعُ بصلاته ولا بصَدَقته ولا بصومِه ما دُمْتِ عليه ساخِطة » ، فرفعت يدها قائلةً : أُشهد الله تعالى في سمائه وأنت يارسول الله ، ومن حضر أني قد رضيتُ عنه ، فقال المصطفى عليه الصلاة والسلام : « يا بلالُ انطلقْ فانظرْ هل يستطيعُ علقمةُ أن يقولَ لا إله إلا الله ، فلعلَّ أُمَّهُ قد تكلَّمت بما ليس في قلبِها حياءً من رسول الله » ، وانطلق بلال رضي الله عنه ، ولما وصل إلى الباب سمع علقمة يقول ويردِّد : لا إله إلا الله . . لا إله إلا الله . . .

ومات علقمة من يومه وغُسِّل وكُفِّن وصُلِّيَ عليه ، ثم قام رسول الله صلوات الله عليه على شفير القبر وقال : « يا معشرَ المهاجرينَ والأنصار ، مَنْ فضَّلَ زَوْجَهُ على أمّه فعليه لعنةُ الله ، ولا يُقبلُ منه صَرْفٌ[1] ولا عَدْلٌ »[2] .

* * *

من أخلاق المصطفى صلوات الله عليه :

في عهد رسول الله ﷺ تمَّ غزو قبيلة (طيء) ، فلما أتوا بالأسرى إليه ، قامت جاريةٌ من بين الأسرى وقالت :

« يا محمد! إن رأيتَ أن تُخلِّي سبيلي فلا تشمِّت به أحياء العرب ، فأرجو أن تفعل » ، ثم قدَّمت تسويغاً لطلبها هذا قائلةً :

---

(١) صرف ولا عدل : الفرائض والنوافل .

(٢) هذه الحادثة تُروى من باب الترغيب والترهيب ، وقد ذكرها أبو الليث السمرقندي وغيره على ما فيها من ضعف .

« أبي كان يُطعم الجائع ، ويفكُّ العاني ، ويُساعد المحتاج ، ما ردَّ طالبَ حاجةٍ قطُّ . . أنا ابنةُ حاتم الطائي » .

وهنا برز التكريم العظيم للأخلاق النبيلة ، فقال عليه الصلاة والسلام :

« يا فتاة! إنَّ أخلاقَ أبيكِ هي أخلاقُ الإسلام ، لو كان أبوكِ مسلماً لترحَّمنا عليه » ثم قال :

« فُكُّوا إسارَها وخَلُّوا سبيلَها ، فإنَّ أباها كان يُحبُّ مكارِمَ الأخلاقِ » .

نعم! وهذا أبو هريرة رضي الله عنه يسأل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يُدخِل الناس الجنة ، فقال ﷺ :

« تَقْوى الله ، وحُسْنُ الخُلُقِ » .

فسأله عن أكثر ما يُدخِلُ الناس النار ؟

فقال عليه الصلاة والسلام :

« الغَمُّ والفَرَحُ »[1] .

* * *

انتهينا.. انتهينا يا رب!!

في عام ١٩١٩ م أصدرت السلطات الأمريكية قانوناً يُحرِّم صناعة الخمر سرّاً وجهراً ، كما ويمنع استيرادها ونقلها وتصديرها وحيازتها ، والعقوبة للمخالف بالسجن والغرامة ، وتقول الإحصائيات الدقيقة أن

---

(١) من فتح الخلاّق في مكارم الأخلاق : للدجوي .

الحكومة هناك أنفقت على الدعاية لتوعية الشعب بكل وسائل الإعلام ما يزيد على (٦٠) مليون دولار!! ، ونشرت كتباً ومقالات كلّفتها زهاء (٢٥٠) مليون جنيه ، فماذا كانت النتيجة ؟!

بعد أربعة عشر عاماً انتشرت الحانات السريَّة ، وازداد عدد شاربي الخمر أضعافاً ، وسُجن نصف مليون شخص من المخالفين ، وأصدرت السلطات أحكاماً بالإعدام على (٢٠٠) شخص ، وارتفعت نسبة جرائم القتل إلى (٣٠٠٪)!! فما كان من الحكومة إلا أن تراجعت عن قرارها مسوغةً ذلك : « بأن القرار قد أُلغي على أساس واقعي هو أن المنع قد أخفق! » .

إذاً كيف عالج الإسلام الموضوع هذا ؟

استخدم سياسة التدرُّج ، بعد أن زرع في النفوس عقيدة التوحيد ، والتسليم المطلق لخالق الأرض والسماء ، وكانت المراحل كالتالي :

١ـ نزلت أول آية تتكلَّم عن الخمر قوله تعالى :

﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَـٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾

[النحل : ٦٧] .

٢ـ جاء في الروايات أن سيدنا عمر رضي الله عنه دعا الله قائلاً : « اللهم بيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً » فكان الجواب : ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ﴾

[البقرة : ٢١٩] .

٣ـ هنا تهيَّأتِ النفوس لتقبل الحكم القاطع ، فجاءت مرحلة أخرى لتكسر عادة الإدمان عند العرب (الذين اشتهروا بشرب الخمر) فحرَّم الصلاة على المسلمين وهم سُكارى .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء : ٤٣] .

فكان هناك حرج للمصلي الذي سيقف خمس مرات منتظماً بين يدي الله .

٤ـ وكانت المرحلة الحاسمة والأخيرة لتنهي الموضوع وتبتره إلى الأبد ، فقال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة : ٩٠ـ٩١] .

وما إن سمع المسلمون ذلك حتى أعلنوا : انتهينا . . . انتهينا يا رب!!

❊ ❊ ❊

مع الإمام أحمد بن حنبل :

❊ حدَّث صالح بن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى فقال : دخلتُ على أبي في أيام الواثق[1] ـ والله يعلم في أيِّ حالة نحن ـ وقد خرج لصلاة العصر ، وقد كان له لبد يجلس عليه ، قد أتت عليه سنون كثيرة

---

(١) الواثق بالله : هارون بن المعتصم ، الخليفة العباسي التاسع ، تولى الخلافة عام (٢٢٧ هـ) وبقي فيها خمس سنوات ، أمُّه رومية ، وفي عهده أعطى الأتراك منتهى الحرية والبذخ ، تبع أباه المعتصم بموضوع خلق القرآن ، وقطع رأس العالم (أحمد بن نصر بن مالك) ـ ونقل السيوطي ـ أنه تركه معلَّقاً مدة سنتين ، وقد صرف وجهه عن القبلة ، حتى جاء المتوكِّل ـ ابنه ـ فذكر أنه كان يرى الرأس هذا وقد استدار إلى القبلة ويسمع منه قراءة سورة يس . . . ، واهتمَّ الواثق بعلوم العرب فقط ، وأكثر من رواية الشعر ، وأحسن إلى آل أبي طالب . . توفي عام (٢٣٢ هـ) وتسلَّم الخلافة ابنه المتوكل . [من تاريخ الخلفاء : للسيوطي] .

حتى قد بلي ، فإذا تحته كتاب وإذا فيه :

« بلغني يا أبا عبد الله ما أنت فيه من الضيق ، وما عليك من الدَّين ، وقد وجَّهت إليك بأربعة آلاف درهم على يدي فلان لتقضي بها دَيْنك ، وتوسَّع بها على عيالك ، وما هي صدقة ولا زكاة ، وإنما هي شيء ورثته من أبي » .

فقرأتُ الكتاب ووضعته ، فلما دخل قلت : يا أبتِ ما هذا الكتاب ؟

فاحمرَّ وجهه وقال : رفعته منك ، ثم قال : تذهب بجوابه ، فكتب إلى الرجل :

« وصل كتابك إليَّ ونحن في عافية ، فأما الدَّيْن فإنه لرجل لا يرهقنا ، وأما عيالنا فهم في النِّعمة والحمد لله » .

فذهبتُ بالكتاب إلى الرجل الذي كان أوصل كتاب الرجل ، فقال : ويحك لو أن أبا عبد الله قبل هذا الشيء ورمى به مثلاً في دجلة كان مأجوراً ، لأن هذا رجل لا يُعرف له معروف ، فلما كان بعد حين ورد كتاب الرجل بمثل ذلك ، فردَّ عليه الجواب بمثل ما ردَّ ، فلما مضت سنة أو أقل أو أكثر ذكرناها .

فقال : لو كنّا قبلناها كانت قد ذهبت .

* وحدَّث علي بن المديني قال : قال لي أحمد بن حنبل : إنِّي لأحبُّ أن أصحبك إلى مكَّة ، وما يمنعني من ذاك إلا أنِّي أخافُ أن أملَّكَ وتملَّني .

قال : فلما ودَّعتُه قلت له : يا أبا عبد الله توصيني بشيء ؟

قال : اَلْزِم التَّقوى قلبك ، وانصب الآخرة أمامك .

* * *

الفرج بعد الشّدة :

حينما تلمُّ بالإنسان شدَّة فماذا يفعل ؟

علَّمنا رسول الله ﷺ ماذا نقول وقت ذلك ، كقوله :

« انتظارُ الفَرَج عبادةٌ ، ومَنْ رضيَ بالقليل من الرِّزقِ رضيَ الله منه بالقليلِ من العمل »[1] .

وقوله صلوات الله عليه :

« سَلُوا الله من فضله ، فإنَّ الله يحبُّ أن يُسأَلَ من فضله ، وأفضلُ العبادةِ انتظارُ الفَرَج »[2] .

وقوله عليه الصلاة والسلام :

« مَنْ أكثرَ من الاستغفارِ جعلَ الله له من كلِّ همٍّ فَرَجاً ، ومن كلِّ ضيقٍ مَخْرجاً ، ورزقه من حيثُ لا يَحْتسبُ »[3] .

وقوله ﷺ :

« لا حول ولا قُوَّة إلا بالله ، دواءٌ من تسعةٍ وتسعينَ داءً أيسَرُها الهمُّ »[4] .

وقوله صلوات الله عليه :

« ألا أُخبركُم بشيءٍ إذا نزلَ برجُلٍ منكم كَرْبٌ أو بلاءٌ من أمْرِ الدُّنيا دعا به ربَّهُ ففَرَّجَ عنه ؟ قالوا : بلى ، قال : دُعاءُ ذي النُّون :

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا والديلمي والبيهقي .

(٢) رواه الترمذي .

(٣) رواه النسائي والحاكم وأحمد وأبو داود وأبو نعيم .

(٤) رواه البيهقي والطبراني وابن أبي الدنيا .

لا إله إلا أنتَ سُبحانَكَ ، إنِّي كنتُ من الظَّالمينَ »[١] .

وقوله عليه الصلاة والسلام :

« مَنْ أصابَهُ غَمٌّ أو هَمٌّ ، أو سَقَمٌ أو شِدَّةٌ أو أَزْلٌ أو لأْواءٌ (فقر أو شدة) ، فقال : الله الله ، ربِّي لا شريكَ له إلا كُشِفَ ذلك عنه »[٢] .

وقوله ﷺ :

« دَعَواتُ المَكْروبِ : اللهمَّ رحمتَكَ أرْجو فلا تَكِلْني إلى نَفْسي طَرْفَة عين ، وأصلِحْ لي شأْني كلَّه لا إله إلا أنتَ »[٣] .

فاللهمَّ فرِّج عن المسلمين ما هُمْ فيه يا ربَّ العالمين .

❊ ❊ ❊

نفسي لا كنتِ ولا كان الهوى :

ذكر الإمام الشاطبي في كتابه القيِّم (الاعتصام) ما يلي :

أن قوماً أتوا سيِّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالوا : يا أمير المؤمنين! إنَّ لنا إماماً إذا فرغ من صلاته تغنَّى!! فقال عمر : مَنْ هو ؟ فذكروا له الرجل ، فقال : قوموا بنا إليه ، فإنَّا إن وجَّهنا إليه بالحضور يظنُّ أنَّنا تجسسنا عليه أمره .

فقام عمر رضي الله عنه مع جماعة من أصحاب النَّبي ﷺ حتى أتوا الرجل وهو في المسجد! فلما نظر إلى أمير المؤمنين ، قام يستقبله وهو يقول : يا أمير المؤمنين! ما حاجتك ؟ وما جاء بك ؟ إذا كانت الحاجة لنا

---

(١) رواه الترمذي والنسائي والحاكم وأحمد .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا وأحمد وابن ماجه .

(٣) رواه أبو داود والنسائي وابن حبان .

كنّا أحقَّ بذلك منك أن نأتيك ، وإن كانت الحاجة لكَ ، فأحقُّ من عظَّمناه خليفة رسول الله صلوات الله عليه .

فقال عمر : ويحك! بلغني عنكَ أمر ساءني ، قال : ما هو يا أمير المؤمنين ؟

قال : أتتمجَّنُ في عبادتك ـ من المجانة والتخلُّع ـ ؟

قال : لا يا أمير المؤمنين ، ولكنها عظة أعظ بها نفسي .

قال عمر : قُلها فإن كانت كلاماً حسناً قلته معك! وإن كان قبيحاً نهيتك عنه ؟!

فقال :

وفــؤادٍ كلَّمـا عـاتبتُـهُ ... في مدى الهِجْرانِ يبغي تعبي!
لا أراهُ الـدَّهـرُ إلا لاهيـاً ... فـي تماديه.. فقـد برَّح بـي!
يا قرينَ السُّوء ، ما هذا الصِّبا ... فَنِـيَ العُمـرُ كـذا فـي اللَّعـبِ!
وشبـابـي بـانَ عنِّـي ، فمضـى ... قبـلَ أن أقضـي منـهُ أرَبـي
مـا أُرجِّـي بعـدهُ إلا الفنـا ... ضيَّـقَ الشَّيـبُ علـيَّ مَطْلَبـي
ويْـحَ نفسـي لا أراهـا أبـداً ... فـي جيـلٍ ، لا ولا فـي أدبِ
نفسـي لا كُنـتِ ولا كـانَ الهـوى ... راقبي المولى! وخافي! وارْهَبي!

وراح أمير المؤمنين عمر يُردِّدُ :

نفسـي لا كُنـتِ ولا كـان الهـوى ... راقبي المولى ، وخافي ، وارهبي![1]

* * *

(١) وقد رواها أيضاً أبو الحسن القراخي الصوفي عن الحسن عن عمر رضي الله عنهم .

• الإسراء والمعراج :

الله أكبرُ لا مَنٌّ ولا بَطَرُ ... ولا اختلاقٌ ولا زورٌ ولا هَذَرُ

الله أكبرُ ما شعَّتْ بعالَمِنا ... شمسُ الحقيقةِ يتلو آيَها القمرُ

ليؤمنَ الجاحِدُ المفتونُ معتذراً ... ويهتدي بضياءِ الحقِّ مَنْ كفروا

لكنْ وهلْ بعد عصرِ المعجزاتِ يُرى ... مَنْ يُنكر الرِّحلةَ الكُبرى ويَشْتجِرُ

ويدَّعي أنها رؤيا قد انطلقتْ ... في الحُلمِ ما شابَها صحْوٌ ولا سفرُ!!

فبينَ مكَّةَ إذْ أسرى ومَقْدِسنا ... حيثُ احتفى الرُّسلُ ما تعيا به القطرُ!!

فكيفَ يقطعُه في ليلةٍ سَفَراً ... وكيفَ يصعدُ في الوادي وينحدِرُ ؟

دَعْ عنكَ ما قيلَ في المعراجِ حيثُ رقى ... إلى مقامٍ تهاوَتْ دونَهُ الفِكَرُ!!

فذاكَ أمْرٌ يراهُ العقلُ مُمتنعاً ... ويملكُ المرء في تصديقه بَهَرُ!!

فإنَّ في الجوِّ أبعاداً مُفرَّغةً ... من الهواءِ وفيها يكمُنُ الخطرُ!!

لو جازَها المرءُ لاقى حتفَهُ ومضى ... إلى الفناءِ الذي في الجوِّ ينتظرُ!!

هذا كلامُ الذي قد راحَ مُعترِضاً ... وراحَ يُنكرُ في جهلٍ ويبتكرُ

وفاتَهُ أنَّ مولانا بقدرتِه ... يُسخِّرُ الكونَ للهادي ويَقتدِرُ

والمعجزاتُ سَمَتْ فوقَ العقولِ فلا ... جِنٌّ يعي سِرَّها في الكونِ أو بشَرُ!!

وتلكَ مُعجزةُ المُختارِ كرَّمهُ ... بها إلهُ عظيمُ الشَّأنِ مُقتدِرُ!!

فلا الهواءُ هواءٌ عندَ مَنْ عَرَفوا ... ولا المكانُ مكانٌ عندَ مَنْ نَظَروا

وإنَّما الله جلَّ الله نظَّمها ... للمُصطفى رحلةً في طيِّها عِبَرُ

أراهُ من مكَّةٍ للشَّامِ طائفةً ... من الخلائقِ للواعين مُدَّكَرُ

ومُثِّلَتْ لرسول الله أمَّتُهُ ... وواجهتهُ لدى إسرائه صُوَرُ

رأى فئاتٍ لهم زرعٌ بدا نَضِراً ... وكلَّما حصدوهُ ضوعِفَ الثَّمرُ!!

فقــالَ مَــنْ هــؤلاءِ القــوم ؟ قيــلَ لــهُ　　أهلُ الجهادِ لهمْ ضعفُ الذي بذروا!!

ليعلــمَ النــاسُ أنَّ الحــربَ أوّلهــا　　مُــرٌّ وآخــرُهــا الجنّــاتُ والسَّكَــرُ

وبــانَ للــرَّكــبِ أقــوامٌ رؤوسَهُــمُ　　يهــوي علــى أُمِّهــا صخــرٌ فتنكسِــرُ

حتَّى إذا هُشِّمَتْ عادَتْ كما خُلِقَتْ　　وهكذا لا يَني عن ضربِها الحجَرُ

فقــال مَــنْ هــؤلاءِ القــوم ؟ قيــلَ لــهُ　　مَنْ أهملوا الصلواتِ الخمس فاحتُقِروا!!

رأى وشــاهــدَ فــي إســرائِــه صــوراً　　تَسْمو بها النَّفسُ في الدنيا وتعتبرُ

حتى أتى القُدسَ فاصطفَّت بمسجده　　جماعةُ الرُّسُلِ حينَ استُعْلِنَ القمرُ!!

صلَّـى إمـامـاً بِهِـمْ قبـلَ العـروجِ بـه　　إلــى السمــواتِ واحتفَّــت بــه زُمَــرُ

هنــاكَ حيــثُ رأى مــالا يُكيِّفُــه　　عقلٌ ولا يحتويهِ في الورى بصَرُ!!

رســولُنــا أنقــذَ الــدُّنيــا بشِــرْعَتِــه　　وجمَّلَ الكونَ هَدْيُ المصطفى العَطِرُ

صلَّــى الإلــهُ عليــه كلَّمــا سطعَــتْ　　شمسٌ ونوَّرَ في جُنحِ الدُّجى قمَرُ[1]

* * *

سبحان الخالق :

حين يفكر الإنسان بعظمة الخالق المدبِّر لهذا الكون كلِّه ، تُصيبه الحيرة أمام المعاندين الرافضين لفكرة الخالق عز وجل ، ويتساءل الإنسان في نفسه : أليس لهؤلاء أبصار يرون بها ؟ أليس لهم آذان يسمعون بها ؟ أليس لهم عقولٌ يفكِّرون بها ؟

- في (كتاب دنيا الحشرات : لفرديناند لين) يقول تحت عنوان (غرائب الحشرات) : قد نعتقد أننا أكبر من أن نصدِّق حكايات السحر

(١) من مجلة الفيصل عدد ٦٣ للشاعر محمود هلال .

والجان ، لكن العلم فتح عيوننا على مشاهد أغرب من أيَّة قصة خرافية ، وليس هناك ما هو أكثر من علم الحشرات العجيب ، فهناك نرى مخلوقات غريبة تشبه الوحوش الصغيرة كلها حراشف وأشواك وقرون ، وبعضها يشبه الآلات الغريبة أكثر من شبهه بالكائنات الحيَّة ، ومنها ما هو جميل كالأزهار .

ومن الطيور ما يعيش في صحراء لا ماء فيها إطلاقاً ، وبعثة علمية عثرت على هذا النوع من الطيور ، فحاروا به ، كيف يعيش هكذا من دون ماء يشربه ؟ فدهشت البعثة واستغربت أكثر عندما وجدوا في جسمه بعد تشريحه غدة تفرز الماء له بقدر حاجة جسمه!!!

- وفي كتاب (الغريب في عالم الحيوان لروبرت لمون) يقول تحت عنوان (عالمنا المذهل) : إن سمكة تعيش قرب قاع النهر ، وتحتمي بهزِّ أعدائها بصدمات كهربائية تتولَّد منها!!

- وفي كتاب (غريزة أَمْ تقدير إلهي ؟ ينقل د . شوقي أبو خليل) :

أَن حيوان (الكيوي) يطرق الأرض بقدمه ، فتخرج منه أمواج لاسلكية ، تجتذب إلى مصدرها الديدان ، وهذه الديدان هي طعامه المفضل والوحيد!!

- وفي كتاب (الطيور لروبرت لمون) تحت عنوان عجائب الريش يقول :

فبعض الطيور واسمه خطَّاف البحر يطير (٣٥٠٠٠) كيلو متر في العام الواحد!!

فصدق الله القائل :

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء : ٨٥] .

❊ ❊ ❊

السيدة عائشة تعاتب المصطفى!

يقول سيدنا رسول الله صلوات الله عليه :

« أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً وألطفهم بأهله » .

فكيف كان ذلك عملياً ؟ ؟

تروي السيدة عائشة[1] رضي الله عنها فتقول :

كان بيني وبين رسول الله ﷺ كلام .

فقال لي : « هَلْ تَرضَينَ أن يكونَ حكماً بيني وبينَكِ أبو عُبيدَةَ بن الجرَّاح » ؟

قلتُ : لا ، ذلك رجل هيِّنٌ يقضي لكَ .

قال عليه الصلاة والسلام : « أتَرضَينَ بأبيكِ الصدِّيق » ؟

قلتُ : نعم .

وجاء أبي ، فقال لي رسول الله ﷺ : « اقْصُصي عليهِ » .

قلتُ : اقصص أنتَ .

فقال الرسول لأبي : « هي كذا وكذا » ، (وذكر ما بيننا) .

فقلتُ : اقصد (اختصر) ، فرفع والدي الصدِّيق يده ولطمني وقال لي : أتقولين يا بنت ـ أمّ رومان ـ لرسول الله اقصد ؟ ومن يقصد إذا لم يقصد رسول الله ؟

---

(١) السيدة عائشة : أم المؤمنين ، وبنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، والزوجة المفضَّلة عند رسول الله ﷺ حديثها ثقة ، فقهها عظيم ، شاركت في وقعة الجمل ، نزلت عشر آيات في تبرئتها من حادثة الإفك .

فسال الدم من أنفي ، لكنَّ رسول الله حجزَ بيني وبين والدي ، ومنعه من أن يضربني مرَّة أخرى ، ويقول له :

« إنَّا لم نُرِدْ منكَ هذا » .

ثم جعل ـ المصطفى ـ يغسل الدم عن ثيابي ويقول لي :

« أرأيْتِ كيفَ أنقَذْتُكِ منَ الرَّجُل ! » .

فصلَّى الله على معلِّم الناس الخير .

* * *

مكارم أخلاق سيدنا رسول الله صلوات الله عليه :

أكثر الشعراء والمُدَّاح من ذكر أوصاف سيدنا رسول الله ﷺ ، لكنَّ أمير الشعراء (أحمد شوقي) رحمه الله ، اختصر المدح هذا ببعض أبيات ، صوَّر فيها بعض جوانب حياة الرسول ﷺ ، وركَّز على الأخلاق التي قال فيها صلوات الله عليه :

« إنَّما بُعثْتُ لأتَمِّمَ مكارِمَ الأخلاقِ » .

يا مَنْ لهُ الأخلاقُ ما تهوى العُلا	منها وما يتعشَّقُ الكُبَراءُ
لو لم تُقِمْ ديناً لقامَتْ وحْدَها	ديناً يُضيءُ بنورِهِ الآناءُ
زانَتْكَ في الخُلُقِ العظيمِ شمائِلٌ	يُغرى بهِنَّ ويولَعُ الكُرماءُ
وإذا سخَوْتَ بلغْتَ بالجودِ المدى	وفعلتَ ما لا تفعَلُ الأنْواءُ
وإذا عفَوْتَ فقادراً ومُقدَّراً	لا يستهينُ بعفوِكَ الجُهلاءُ
وإذا رحِمْتَ فأنتَ أُمٌّ أو أبٌ	هذانِ في الدُّنيا هُما الرُّحماءُ
وإذا غضبتَ فإنَّما هي غَضْبةٌ	في الحقِّ لا ضَغْنٌ ولا بَغْضاءُ

وإذا رضيتَ ففي مَرْضاتِه ورِضا الكثيرِ تَحلُّمٌ ورِياءُ
وإذا خطَبْتَ فللمنابِرِ هِزَّةٌ تعرو النَّديَّ وللقلوبِ بُكاءُ
وإذا قضيْتَ فلا ارتيابَ كأنَّما جاءَ الخصومَ من السَّماءِ قضاءُ
وإذا أخَذْتَ العهدَ أو أعطيْتَه فجميعُ عهدِكَ ذِمَّةٌ ووفاءُ
بِكَ يا بن عبد الله قامَتْ سمحةٌ بالحقِّ من مِلَلِ الهُدى غَرَّاءُ
بُنِيَتْ على التوحيدِ وهي حقيقةٌ نادى بها الحكماءُ والعُقلاءُ
الله فوقَ الخَلْقِ فيها وحدَهُ والناسُ تحتَ لِوائِها أكفاءُ
والدِّينُ يُسْرٌ والخِلافةُ بيعةٌ والأمرُ شورى والحقوقُ قضاءُ
أنْصَفْتَ أهلَ الفقرِ من أهلِ الغِنى فالكلُّ في حقِّ الحياةِ سَواءُ
ظَلَموا شريعتَكَ التي نِلْنا بها ما لم يَنَلْ في رومة الفقهاءُ
صلَّى عليكَ الله ما صَحِبَ الدُّجى حادٍ وحنَّتْ بالفلا وجناءُ[1]

* * *

ماذا قال الطبيب الأمريكي ؟

حينما ازدهرت الدولة الإسلامية واتَّسعت أطرافها ، افتنَّ المسلمون بتأمين الحاجات المتعلِّقة بالفرد والجماعة ، وكان من ذلك مثلاً الحاجات الصحيَّة من مشافٍ وأماكن للكبار المسنين العجزة وإلى غير ذلك .

وقد اشتُهرت الأندلس حينها بهذه الأمور ، وازداد التطور بها ، وقت كانت أوروبا تعيش في أحلك الظلمات ، وهذا شاهد على ذلك :

« قارن الطبيب والمؤرِّخ الأمريكي (فكتور روبنصون) بين الحالة

---

(١) من ديوان أحمد شوقي .

الصحيَّة وغيرها في الأندلس وفي أوروبا خلال مرحلة تاريخيَّة واحدة فقال :

ـ كانت أوروبا في ظلام حالك بعد غروب الشمس ، بينما كانت قرطبة تُضيئها المصابيح العامة ! !

ـ وكانت أوروبا قذرة ، بينما شيَّدت قرطبة ألف حمَّام !

ـ وكانت أوروبا غارقة في الوحل ، بينما كانت قرطبة مرصوفة بالشوارع !

ـ وكانت سقوف القصور في أوروبا مملوءة بثقوب المداخن ، بينما كانت قصور قرطبة تُزيِّنها الزخارف العربية العجيبة !

ـ وكان أشراف أوروبا لا يستطيعون توقيع أسمائهم ، بينما كان أطفال قرطبة الإسلامية يذهبون إلى المدارس !

ـ وكان رُهبان أوروبا يُلحنون في تلاوة سفر الكنيسة ، بينما كان معلِّمو قرطبة قد أسَّسوا مكتبةً تُضارع في ضخامتها مكتبة الإسكندرية العظيمة ! ! » .

إذاً أولا يحقُّ لشباب هذه الأمَّة أن يرفعوا الرؤوس عالياً حينما تُذكر كلُّ دولة بتاريخها وأمجادها ؟ إن في تاريخ العرب والمسلمين أموراً من الحضارة والرُّقيِّ والازدهار والحبِّ والتسامي ما لم تبلغه دولة من الدول ، ولا شعب من الشعوب .

لكن ـ وللأسف ـ بَعُدَ الجيل عن ماضيه وانبتر عنه ، فأصبح يفتخر بأسوأ ما وصلت إليه حضارة القرن العشرين ، وأصبح يتمنى أن يكون أحدهم غير عربيٍّ ولا مسلم ! !

❊ ❊ ❊

مع إبراهيم بن أدهم :

ـ قيل للزَّاهد العالم (إبراهيم بن أدهم) رحمه الله : بِمَ وجدت الزُّهد ؟

قال : بثلاثة أشياء :

١ـ رأيتُ القبر موحشاً وليس معي مؤنس!

٢ـ ورأيتُ طريقاً واحداً وليس معي زاد!

٣ـ ورأيتُ الجبَّار قاضياً وليس معي حُجَّة!

ـ وقال مرة :

طوبى لمن كان عقله أميراً ، وهواه أسيراً ، وويلٌ لمن كان هواه أميراً ، وعقله أسيراً .

ـ ويُحكى عن (إبراهيم بن أدهم)[1] أنه كان يسير إلى بيت الله ، فإذا أعرابي على ناقة فقال له : يا شيخ إلى أين ؟

فقال إبراهيم : إلى بيت الله الحرام .

قال الأعرابي : كأنَّك مجنون ، لا أرى لك زاداً ولا مركباً ، والسفر طويل!!

فقال إبراهيم : إن لي مراكب كثيرة ولكنك لا تراها!!

---

(١) إبراهيم بن أدهم (. . . ـ١٦١ هـ) التميمي البلخي ، أبو إسحاق ، زاهد مشهور ، كان أبوه موسراً فتفقَّه ورحل إلى بغداد ، وجال في العراق والشام والحجاز ، وكان يعيش من العمل بالحصاد وحفظ البساتين والحمل والطحن ، ويشترك مع الغزاة في قتال الروم ، مات والده وخلَّف مالاً عظيماً ، فلم يعبأ بكلِّ ذلك وظلَّ على زهده ، وكان يلبس في الشتاء فرواً لا قميص تحته من شدَّة زهده وتدريب نفسه . . .

قال الأعرابي : وما هي ؟

قال : إذا نزلت عليَّ نعمةٌ ركبتُ مركب الشُّكر ، وإذا نزلت عليَّ بلِيَّة ركبتُ مركب الصبر ، وإذا نزل بي القضاء ركبتُ مركب الرِّضا ، وإذا دعتني النفس إلى شيء ذكرتُ أن ما بقي من العمر أقلُّ مما مضى .

قال الأعرابي : سر بإذن الله ، فأنتَ الرَّاكبُ وأنا الرَّاجل ! !

* * *

لو رأى الحسن حالنا اليوم فماذا كان يقول ؟؟

قيل للإمام (الحسن البصري) رحمه الله : ما يُبكيك ؟

فقال : كيف لا أبكي ؟ ولو دخل علينا من باب المسجد أحد أصحاب رسول الله ﷺ لما عرف غير قبلتنا هذه! ثم قال : هيهات هيهات ، أهلك الناس الأماني قول بلا عمل ، ومعرفة بلا صبر ، وإيمان بلا يقين ، ما لي أرى رجالاً ولا أرى عقولاً ، وأسمع حسيساً ولا أرى أنيساً ، دخل القوم والله ثم خرجوا ، وعرفوا ثم أنكروا ، وحرَّموا ثم استحلُّوا ، إنَّما دين أحدكم لعقة على لسانه ، إذا سئل أمؤمن أنت بيوم الحساب ؟ قال : نعم! كذب ومالك يوم الدين ، أين من أخلاق المؤمن : قوة في دين ، وحزماً في لين ، وإيماناً في يقين ، وعلماً في حلم ، وحلماً بعلم ، وكيِّساً في رفق ، وتجمُّلاً في فاقة ، وقصداً في غِنى ، وشفقة في نفقة ، ورحمة لمجهود ، وعطاءً في الحقوق ، وإنصافاً في استقامة ، لا يحيف على من يبغض ، ولا يأثم في مساعدة من يحب ، ولا يهمز ولا يغمز ولا يلغو ولا يلهو ولا يلعب ، ولا يمشي بالنميمة ، ولا يتتبَّع ما ليس له ، ولا يجحد الحقَّ الذي عليه ، ولا يتجاوز في الغدر ، ولا يشمت بالفجيعة إن حلَّت بغيره ، ولا يُسَرُّ بالمعصية إذا نزلت بسواه .

المؤمن في الصلاة خاشع ، وإلى الركوع مُسارع ، قوله شفاء ، وصبره تقى وسكوته فكرة ، ونظره عِبْرة ، يُخالط العلماء ليعلم ، ويسكت بينهم ليسلم ، ويتكلَّم ليغنم ، إن أحسن استبشر ، وإن أساء استغفر ، وإن عتب استعتب ، وإن سفه عليه حلم ، وإن ظُلِم صبر ، وإن جبن عليه عدل ، لا يتعوَّذ بغير الله ، ولا يستعين إلا بالله ، وقور في الملا شكور في الخلا ، قانع بالرزق ، حامد على الرخاء ، صابر على البلاء ، إن جلس مع الغافلين كُتب من الذَّاكرين ، وإن جلس مع الذَّاكرين كُتب مع المستغفرين ، هكذا كان أصحاب النَّبي ﷺ ، الأول فالأول حتى لحقوا بالله عز وجل ، وكان المسلمون من سلفكم الصالح ، وإنَّما غُيِّرَ بكم لما غيَّرتم :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد : ١١] .

* * *

لكَيْما تُشبِعَ الكِرْشَ الجياعُ :

في كلِّ المصاعب والشَّدائد يُدافع خادم عن سيِّده ، ويردُّ عنه كل ما يؤذيه ، ولكن هذا الإحسان هل يكافىء بمثله ؟ ؟

حين اضطر السيد إلى بيع خادمه!! أنشد هذا الخادم قطعة شعرية فريدة :

لحـاكَ الله هَـلْ مِثْلـي يُبـاعُ ... لكَيْمـا تُشْبِـعَ الكِـرْشَ الجِيـاعُ
أمـا جـرَّبْتَنـي فخَبِـرْتَ منِّـي ... نصـائِـحَ لـم يُمـازِجْهـا خِـداعُ
وكـمْ أرْصَـدْتَنـي شَـرَكـاً لصيـدٍ ... فعـدْتُ وفـي حبـائِلـي السِّبـاعُ

ونُطْتَ بي المصاعبَ فاستقادَتْ مطاوعةً وكان بها امتِناعُ
وأيُّ كريهةٍ لم أُبْلِ فيها وغُنْمٍ لم يكنْ لي فيه باعُ ؟
ولم تعثُرْ بحمدِ الله منِّي على عَيْبٍ يُكتَّمُ أو يُذاعُ
فإنِّي ساءَ عندكَ نبذُ عهدي كما نَبَذَتْ براياتِها الصَّناعُ
ولِمْ سامحتْ نفسُكَ بامتهاني وأن أُشْرى كما يُشرى المتاعُ ؟
وهلاَّ صُنْتَ عِرْضي عنه صوني حديثَكَ يومَ جدَّ بنا الوداعُ ؟
وقلتَ لمَنْ يُساوِمُ فيَّ : هذا سِكابُ[1] لما يُعارُ ولا يُباعُ
فما أنا دونَ ذاكَ الطَّرف[2] لكنْ طِباعُكَ فوقَها تلكَ الطِّباعُ
على أنِّي سأُنشدُ عندِ بيعي (أضاعوني وأيُّ فتىً أضاعوا[3])[*]

* * *

أجهادٌ أم رباط ؟ ؟

عبد الله بن علي الملقب بالسفاح : قضى على دولة الأمويين وتسلّم الخلافة ، عاصره الإمام الأوزاعي[4] : وكان جريئاً لا يخاف في الله لومة لائم .

---

(١) سكاب : اسم فرس مشهور .
(٢) الطرف : الفرس الكريم .
(٣) صدر بيت للعرجي الشاعر الأموي المشهور ، وتمامه :
(أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهةٍ وسداد ثغر)
(*) من مختارات نعمة الله الجزائري في كتابه : فروق اللغات ٣٠٧ .
(٤) هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الدمشقي ، الحافظ الفقيه ، قال الحاكم : إنه إمام عصره عموماً وأهل الشام خصوصاً ، ت (١٥٧ هـ) .
[التذكرة : ١/١٧٨] .

ما إن تولى السفاح الخلافة حتى طلب الأوزاعي إلى مجلسه ، يقول الإمام :

حضرت فإذا عن يمينه رجال يصلتون السيوف وعن يساره كذلك .

فقال السفاح : يا أوزاعي ، ما ترى فيما صنعناه من إزالة الظلمة أجهاد هو أم رباط ؟

قلت : قال رسول الله ﷺ :

« إنَّما الأعمالُ بالنيَّاتِ ، وإنَّ لكلِّ امرئ ما نوى ، فمَنْ كانت هِجرتُهُ إلى الله ورسولِه فهِجرتُهُ إلى الله ورسولِه ، ومَنْ كانت هِجرتُهُ لدُنيا يُصيبُها أو امرأةٍ يتزوَّجُها فهِجرَتُهُ إلى ما هاجَرَ إليه » .

قال : ما تقول في دماء بني أمية ؟

قلت : قال رسول الله ﷺ :

« لا يحلُّ دَمُ امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث ، النَّفْسُ بالنَّفْسِ ، والثَّيِّبُ الزَّاني ، والتاركُ لدينه المُفارِقُ للجماعَةِ » .

قال : ما تقول في أموالهم ؟

قلت : إن كانت في أيديهم حراماً فهي حرام عليك ، وإن كانت حلالاً فلا تحلُّ لكَ إلا بطريق شرعي .

قال ـ وقد غضب أشد الغضب ـ : ألا نولِّيكَ القضاء ؟

قلت : أسلافُكَ لم يكونوا يشقُّون عليَّ في ذلك ، وأحبُّ أن تتمَّ ذلك .

قال : كأنك تريد أن تنصرف ؟

قلت : بلى .

وكان الجالسون ينتظرون سقوط رأسي على الأرض!!

وأمرني السفاح بالانصراف[1] .

* * *

العافية والمصيبة :

« جلس أحد الملوك مع غلام أعجمي في مركب ، ومعهما غلام آخر لم يكن قد رأى البحر ، ولم يجرِّب ركوب البحر .

فأخذ في البكاء والعويل وقد أخذه الارتعاش ، فلاطفوه ما أمكن فلم يهدأ . وتنغَّص عيش الملك بسببه ، ولم يعلموا وسيلةً لتسكينه .

وكان في المركب رجل حكيم فقال للملك :

إن تأمر فأنا أستطيع تهدئته بأسلوب ما!!

أجابه الملك : هذا منتهى اللطف والكرم .

فأمر بإلقاء الغلام في البحر ، فانقلب في الماء عدة مرات ، ثم جذبوه من رأسه نحو المركب ، فأمسك بكلتا يديه بالدقَّة حتى صعد وجلس في زاوية المركب بكل هدوء!!

تعجَّب الملك لذلك وسأل : أين الحكمة في ذلك ؟

قال الحكيم : إنه لم يعرف معنى الغرق في الماء ، لذلك لم يُقدِّر نعمة الوجود في المركب ، وهكذا لا يدري الإنسان قدر العافية ما لم يبتل بالمصيبة »[2] .

---

(١) من مجلة العربي عدد ٧١ : الأوزاعي فقيه الشام .

(٢) من (كلستان) : روضة الورد : سعدي الشيرازي .

والشيرازي : هو الشيخ مشرف الدين بن مصلح السعدي ، أحد النجوم اللامعة =

ولو رَتَعْتَ لرتعوا :

هذه صفحة ناصعة ينطق بها التاريخ عن أولئك الرعيل الأول ، وهو يقف بخشوعٍ واستغراب متسائلاً : أهؤلاء من البشر ، أم من صفوة الملائكة ؟! فلنسمع إلى ما يرويه التاريخ لنا :

جيء بكنوز كسرى إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المدينة ، ووُضِعت أمامه ، فرأى مخلّفات العصر المدَّخرة عند إحدى دولتي الأرض الكبيرتين في عهده تُنثر أمامه نثراً ، وتُلقى بين يديه إلقاءً ، ومن جملة ما فيها ثياب كسرى وحليته وتاجه وسيفه والقطف العظيم : وهو بساط عظيم كان طوله ستين ذراعاً في مثلها فيه طرق كالصور وفصوص الأنهار وخلال ذلك (كالدير) وفي حافاته كالأرض المزروعة والأرض المقبلة بالنبات في الربيع من الحرير على قضبان الذهب ونوْره بالذهب والفضة وأشباه ذلك ، وكانوا يعدونه للشتاء إذا ذهبت الرياحين ، فكانوا إذا أرادوا الشرب شربوا عليه فكأنهم في رياض .

فلما رأى سيدنا عمر ذلك قال : إن قوماً أدوا هذا لأُمَناء!!

فأعلن سيدنا علي كرم الله وجهه كلمة حقٍّ ذهبت مثلاً : « يا أمير المؤمنين ، إنّكَ عففْتَ فعفُّوا ، ولو رَتَعْتَ لرتَعوا » .

= في الأدب الإيراني ، ولد عام (٦٠٦ هـ) ورحل إلى بغداد وتتلمذ على يد (ابن الجوزي والسهروردي) وزار الشام ومكة وشمال إفريقية ، ألّف منظومته (بوستان) : وهو ديوان قصص شعري غاية في الإبداع ، ثم ألّف مصنّفه (كلستان) : وهو أجود ما كتب في النثر الفارسي ، وقد قال عنه الشاعر حافظ الشيرازي : إن لسعدي تأثيراً ليس في إيران وحدها ، إنما في كل أنحاء العالم ، وبالأدب وبالأخلاق ، توفي عام (٦٩٢ هـ) ودُفن في شيراز .

نعم يا علي ، إنها شهادة حق ، فهذا الأمير الذي عفَّ حينما استشهد وجدوا عليه ديناً قيمته ست وثمانون ألفاً!!!

وقد أوصى أن تُباع داره ليسدَّد فيها دينه ، جاء في شرح البخاري : كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد أنفق من بيت المال نفقة وكتبها على نفسه ، وأوصى ابنه عبد الله رضي الله عنهما أن يُباع فيها ماله ، فإن عجز استعان ببني عدي ، فإن عجز استعان بقريش ، وبالفعل باع عبد الله دار أمير المؤمنين عمر!

وقضى دينه وسُمِّيت دار القضاء لأنها بيعت في قضاء دينه ، وكان يقال لها أولاً دار قضاء دين عمر ، ثم لما طال ذلك قيل لها دار القضاء!! .

* * *

النصر مع الصبر :

حينما خاطب المولى عز وجل رسوله محمداً صلوات الله عليه قائلاً له :

﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف : ٣٥] .

فهم رسول الله معنى الصبر ، وما هي نتيجته في الدنيا ، ثم ماذا يجني الصابر في الآخرة ؟

لذلك جاء على لسان النبي محمد ﷺ ذكر الصبر في كثير من الأحيان كقوله :

« مَنْ أُصيبَ بمُصيبةٍ في مالِهِ أو جسَدِه وكَتَمَها ولم يَشْكُها إلى الناس كان حقّاً على الله أن يغفِرَ له » .

ثم تراه ـ صلوات الله عليه ـ يعطينا الأفضلية في الإيمان فيقول :

« أفضلُ الإيمانِ الصَّبرُ والسَّماحةُ » .

ثم يصوِّر لنا المصطفى الموقف بين يدي الله عز وجل ، وكيف إذا صبر المرء على البلاء أو بعضٍ منه ـ وفي أي شكل من أشكاله ـ كيف سيحاسبه الله عز وجل ، وهل سيقيم الله عليه الحجج والبراهين :

قال سيدنا أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : قال الله تعالى : « إذا وجَّهتُ إلى عبدٍ من عبادي مُصيبةً في بَدَنِه أو في ولده أو في ماله ، فاستقبلَها بصَبْرٍ جميلٍ اسْتَحْيَيْتُ يومَ القيامةِ أن أنصُبَ له ميزاناً أو أنْشُرَ له ديواناً » .

ثم اسمع إليه وهو يقول : « الصَّبرُ سِتْرٌ من الكروبِ ، وعَوْنٌ على الخُطوبِ » .

ثم يُعطيكَ النتيجة للصبر فيقول : « النَّصرُ مع الصَّبرِ ، والفَرَجُ مع الكَرْبِ ، وإنَّ مع العُسْرِ يُسْراً » .

ثم ماذا يارسول الله ؟

« مَنْ أُعْطيَ فشَكَرَ ، ومُنِعَ فصبرَ ، وظُلِمَ فاستغفَرَ ، فأولئك لهم الأمْنُ وهم مُهتدون » .

اللهم اجعلنا منهم يا أكرم الأكرمين .

* * *

شارَةُ الحُرِّية :

يشعر المسلم بحريَّته الكاملة حينما يضع رأسه على الأرض ، فيكسر قيد هواه ويُحطِّم كلَّ صنمٍ يُعبَدُ من دون الله .

وهذا هو منهج الحياة الوحيد الذي يتحرر فيه البشر من عبودية البشر ،

وأجمل ما عبَّر عن ذلك الجندي المسلم (ربعي بن عامر) حين قال لرستم :

« الله جاءَ بنا لنُخرِجَ مَنْ شاءَ من عبادَةِ العِبادِ إلى عبادةِ الله ربِّ العباد » .

وهذا ما عبَّر عنه مسلم اليوم بقوله :

سَجدَةٌ تُخْفِضُ الجِباهَ ولكنْ عَزَّ فيها مُسبِّحٌ وتعالى
ظَنَّها الجاهلونَ غُلاً على العبـ ـدِ ولكن تُحطِّمُ الأغلالا
خرَّ فيها لساجدٍ كلُّ شيءٍ يُرهِبُ الكونَ قولُه والفِعالا
تُثْبِتُ الوجهَ والجوارِحَ في الأرْ ضِ ، ولكن تُقَلْقِلُ الأجْبالا
تَهْدِمُ الشِّرْكَ والوسْواسَ في النَّفْـ ـسِ ، ولكنْ تُشيِّدُ الأجْيالا
في سكونٍ ، وللقلوبِ مسيرٌ سخَّرَ الأرضَ رهبةً وجلالا
هي لله ، وحْدَتْهُ فقرَّتْ ومَحَتْ كلَّ غاشِمٍ يتعالى
مَنْ وعاها وعى السِّيادةَ في الأرضِ جلالاً ، ورحمةً ، وجمالا[1]

* * *

ما أجمل لقاء الله :

ـ حضرت الوفاة أحدَ العارفين ، فبكت امرأته ، فقال : ما يُبكيكِ ؟

قالت : كيف لا أبكي ، وأنا أبقى منك فرداً !!

قال : يا هذه ، أنا منذ أربعين سنة بكيت شوقاً إلى هذا اليوم ، فإنه يوم وصلتي وأُلفتي وراحتي ، فمرحباً به !

---

(١) للشاعر عبد الوهاب عزام .

ـ وبكت رابعة العدوية رحمها الله تعالى عند موتها وضحكت من ساعتها ، فقيل لها في ذلك!!

فقالت : أما بكائي : فمن مُفارقتي الذكر آناء الليل وأطراف النهار . وأما ضحكي : فمن سروري بلقائه. . . وماتت من لحظتها .

ـ وحُكي عن الحسن البصري رضي الله عنه أنه حينما حضرته الوفاة ، وكانوا يُلقِّنونه الشهادة!! ففتح عينيه وقال :

إلى متى تدعونني إليه ، وأنا محترقٌ به منذ عشرين سنة ؟!

ـ وسُئل سهل بن علي رحمه الله تعالى عن خفقان قلب الخليل عليه السلام ، وأزيز قلب المصطفى ﷺ فقال : خفقانُه من الخوف ، وأزيزه من الشَّوق[1] .

* * *

الذباب والجبّار[2]!!

فسد الحاكم الفاطمي في آخر أمره وتكبَّر وتجبَّر وادَّعى الألوهية ، وكتب : بسم الحاكم الرحمن الرحيم! وجمع الناس إلى الإيمان به ، وبذل لهم نفائس وأموالاً ، وكان ذلك في فصل الصيف وهو في (القاهرة) والذباب يتراكم على الحاكم والخُدَّام ترفعه وتدفعه ولا يندفع .

وقرأ في ذلك الوقت بعض القرَّاء وكان حَسَنَ الصوت :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

---

(1) حالة أهل الحقيقة مع الله : للرفاعي ٣١٨ .

(2) من كتاب: أقباس روحانية : شيت خطاب ١٤٨ .

﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج : ٧٣-٧٤] .

فاضطربت الأمة لعظم وقوع هذه الآية في حكاية الحال ، حتى كأن الله قد أنزلها تكذيباً لهذا الحاكم الفاطمي فيما ادَّعاه!

ثم أخذ الحاكم في استجلاب ذلك المقرىء الذي قرأ تلك الآية الكريمة ، إلى أن اطمأن إليه ، فجهَّزه رسولاً إلى بعض أمراء جزر البحر المتوسط ، وأمر بإغراقه قبل أن يُنجز مهمته .

ورؤي بعد ذلك (المقرىء الشهيد) في المنام ، فقيل له : ما وجدت ؟ قال : ما قصَّر معي صاحب السفينة!! لقد أرسى بي على باب الجنة .

❁ ❁ ❁

أخلاقنا الأصيلة :

قال سويد بن الحارث الأزدي :

وفدتُ وقومي على النَّبي ﷺ فقال لنا : « ما أنتم » ؟

قلنا : مؤمنون ، فتبسَّم النَّبي ﷺ وقال : « إن لكل قول حقيقة ، فما حقيقة إيمانكم » ؟

قلنا : خمس عشرة خصلة : خمس منها أمرتنا رسلك أن نؤمن بها ، وخمس أمرتنا أن نعمل بها ، وخمس تخلَّقنا بها في الجاهلية ، فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئاً .

فقال النَّبي صلوات الله عليه : « ما الخمس التي أمرتكم رُسلي أن تؤمنوا بها » ؟

قلنا : أمرَتْنا رسلكَ أن نؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وبالبعث بعد الموت .

قال : « فما الخمس التي أمرتكم رسلي أن تعملوا بها » ؟

قلنا : أن نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ونُقيم الصلاة ، ونُؤتي الزكاة ، ونصوم رمضان ، ونحجَّ البيت إن استطعنا إليه سبيلاً .

قال : « فما الخمس التي تخلَّقتُم بها في الجاهلية » ؟

قلنا : الشُّكر عند الرَّخاء ، والصَّبرُ عند البلاء ، والرِّضا بمُرِّ القضاء ، والصِّدقُ في مواطن اللِّقاء (أي عند الحرب) ، وتركُ الشَّماتة بالأعداء .

فقال النَّبي ﷺ : « حكماءُ علماءُ وكادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء » ثم قال : « وأنا أزيدُكم خَمْساً ، فيتمَّ لكم عشرونَ خَصْلةً : إن كنتم كما تقولون ، فلا تَجْمَعوا ما لا تأكُلونَ ، ولا تَبْنوا ما لا تَسْكُنونَ ، ولا تَنافَسوا في شيءٍ أنتُمْ عنهُ تزولُونَ ، واتَّقوا الله الذي إليه تُرجَعونَ ، وعليه تُعرَضونَ ، وارْغَبوا فيما عليه تُقدِمونَ وفيه تَخْلُدونَ » .

* * *

فلسفة عليّ في الاستغفار والبكاء :

ـ قال الإمام علي بن أبي طالب[1] كرم الله وجهه : إن الاستغفار درجة العلِّيين وهو واقع على ستة معانٍ :

---

(١) هو ابن عم رسول الله ﷺ وزوج الزهراء وأبو سبطي الرسول ، سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين ، كان أول فتى أسلم ، وبات في فراش الرسول ﷺ ليلة الهجرة ، وقتل بطل المشركين عمرو بن وُدِّ العامري يوم حصار المدينة ، وشارك في جميع الغزوات ، عمل مستشاراً لأبي بكر وعمر وعثمان في غالبية الأمور استشهد عام (٤٠ هـ) .

أولها : النَّدم على ما مضى .

الثاني : العزم على ترك العودة إليه أبداً .

الثالث : أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم ، حتى تلقى الله أملس ليس لك تبعة .

الرابع : أن تعمد إلى كل فريضة ضيَّعتها فتؤدِّي حقَّها .

الخامس : أن تعمد الذي نبت بالسُّحْتِ فتُذيبَه بالأحزان ، حتى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد .

السادس : أن تُذيقَ الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية .

فعند ذلك تقول : أستغفرُ الله .

ـ وقال الإمام ـ كرم الله وجهه ـ مرةً :

البُكاء على ثلاثة أوجه : أحدها من خوف عذاب الله تعالى ، والثاني : من رهبة السَّخط ، والثالث : من خشية القطيعة .

فأما الأول فهو كفَّارة للذنوب ، وأما الثاني فهو طهارة للعيوب ، وأما الثالث فهو الولاية مع رضا المحبوب ، فثمرة كفَّارة الذُّنوب النجاة من العقوبات ، وثمرة طهارة العيوب النعيم المُقيم والدرجات العُلى ، وثمرة الولاية مع رضا المحبوب حُسن البِشارة من الله تعالى بالرِّضا بالرؤية ، وزيارة الملائكة ، وزيادة الفضيلة .

* * *

الحبّ... الأُنس... الخوف..

رابعة العدوية : الورعة ، التَّقيَّة ، الخائفة ، شديدة الحبِّ لله ، يروي عنها (أحمد بن أبي الحواري) فيقول :

كان لها أحوال شتَّى ، فتارةً يغلب عليها الحبُّ ، وتارة الأُنس ، وتارة الخوف . . .

فسمعتُها في حالة (الحبّ) تقول :

حبيبٌ ليسَ يعدِلُهُ حبيبُ   ولا لِسواهُ في قلبي نَصيبُ
حبيبٌ غابَ عن بصري وشَخْصي   ولكنْ عن فُؤادي ما يَغيبُ

وسمعتُها في حالة (الأُنس) تقول :

ولقدْ جعلْتُكَ في الفؤادِ مُحدِّثي   وأبْحَتُ جِسْمي مَنْ أرادَ جلوسي
فالجسمُ منّي للجليسِ مؤانِسٌ   وحبيبُ قلبي في الفؤادِ أنيسي

وسمعتُها في حالة (الخوف) تقول :

وزادي قليلٌ ما أراهُ مُبلِّغي   أللزادِ أبْكي أمْ لطولِ مسافَتي ؟
أتحرِقُني بالنَّارِ يا غايَةَ المُنى   فأينَ رجائي فيكَ ؟ أينَ مَحبَّتي ؟[1]

* * *

يا أسفاً علينا! ؟

رُوي أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله ﷺ وجعلتا تغتابان الناس ، فأُخبر بذلك النَّبي ﷺ فقال :

« صامَتا عمَّا أحلَّ الله لهما ، وأفْطَرتا على ما حُرِّمَ عليهما » .

وهذه القصة فيها من العِبَر والعِظات الكثير :

مرَّ (داود الطائي) يوماً بموضع ، فلما وقع نظره عليه خرَّ مغشيّاً عليه فحُمِل إلى منزله ، فلما أفاق سُئل عن ذلك فقال :

---

(١) من صفة الصفوة لابن الجوزي : ج ٤ ص ٣٠١ .

« تذكَّرتُ أنِّي اغتبْتُ رجلاً في هذا الموضع ، فذكرتُ مُطالبته إيَّايَ بين يدي الله عز وجل ، فلم أملك نفسي لأجل ذلك » ، وهكذا بقي (داود) على حاله بين الخوف والرَّجاء من الله تعالى حتى لقي الله عز وجل .

بل لقد روى (أبو نعيم) : اشتكى (داود الطائي) وكان سبب علَّته أنه مرَّ بآية فيها ذِكْرُ الله تعالى ، ثم ذِكْرُ النار وعذابها ، وظلَّ يُكرِّرُ آية النار طوال ليلته ، ولما طلع الصباح كان مريضاً ، وما هي إلا ساعات حتى فارق الدنيا!!

فوا أسفاً علينا نحن!! كم يتكلَّم أحدنا بالغيبة والنَّميمة وكأنَّ شيئاً لم يكن.. ننام نوماً عميقاً.. وننسى وقفتنا أمام الحاكم الجبَّار سبحانه وتعالى .

❊ ❊ ❊

أيُّ بيتٍ قالته العرب... ؟ ؟

حضر أعرابي مجلس الخليفة الأموي (عبد الملك بن مروان)[1] ، وكان فيه الشاعر المشهور (جرير) ، فقال عبد الملك للأعرابي : هل لك علم بالشعر ؟

فقال الأعرابي : سلني عمّا بدا لك يا أمير المؤمنين .

---

(١) عبد الملك بن مروان : هو الخليفة الأموي الرابع ، تسلّم الخلافة عام (٧٣ هـ) ، وكان قبل تولّيه الخلافة عابداً ناسكاً في المدينة المنورة ، لما توفي أوصى ابنه الوليد أن يُكرم الحجاج ، وقد خلّف ١٧ ولداً ، عُرف عنه الحبُّ للعلوم حيث ازدهرت حركة الترجمة والنشر . . . ، توفي عام (٨٦ هـ) .

[من تاريخ الخلفاء : للسيوطي] .

قال : أيُّ بيتٍ قالته العرب أمدح ؟

أجاب الأعرابي : هو قول الشاعر جرير :

ألستُمْ خيرَ مَنْ ركبَ المطايا   وأنْدى العالَمينَ بطونَ راحِ ؟

فرفع جرير رأسه وتطاول !!

ثم قال عبد الملك : فأيُّ بيتٍ قالته العرب أفخر ؟

قال الأعرابي : هو قول الشاعر جرير :

إذا غَضِبَتْ عليكَ بنُو تميمٍ   حَسِبْتَ الناسَ كُلَّهُم غِضابا

فتحرَّك جرير واهتزَّ طرباً !!

ثم قال عبد الملك : فأيُّ بيتٍ قالته العرب أهجى ؟

قال الأعرابي : هو قول جرير :

فغُضَّ الطَّرفَ إنَّكَ من نُميرٍ   فلا كعباً بلَغْتَ ولا كلابا

فاستشرق وجه جرير لذلك .

ثم قال عبد الملك : فأيُّ بيتٍ أغزل ؟

قال الأعرابي : هو قول جرير :

إنَّ العيونَ التي في طَرْفِها حَوَرٌ   قَتَلْنَنا ثمَّ لم يُحْيينَ قَتْلانا

فاهتزَّ جرير وطرب .

ثم قال عبد الملك : فأيُّ بيتٍ أحسن تشبيهاً ؟

قال الأعرابي : قول جرير :

سرى نحوَهم ليلٌ كأنَّ نجومَهُ   قناديلُ فيهنَّ الذُّبالُ المُفتَّلُ

عندها صاح جرير : جائزتي لهذا الأعرابي يا أمير المؤمنين !!

فقال عبد الملك : وله مثلها ، ولك يا جرير جائزتك لا تنقص منها شيئاً .

وأخذ الأعرابي ثمانية آلاف درهم ، وأخذ جرير مثلها .

* * *

غضّ البصر والمتصوّفة!!

في قول الله تعالى في سورة النور :

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾

[النور : ٣٠-٣١] .

يقول الإمام القشيري[1] رحمه الله في ذلك :

« يغضُّوا من أبصار الظواهر عن المحرَّمات ، ومن أبصار القلوب عن الفِكَرِ الرَّدية ، ومن تصوُّر الغائب عن المعاينة » ، ولقد قالوا : إن العين سبب الحين وأنشدوا :

وأنتَ إذا أرسلْتَ طَرْفَكَ رائداً لقلبِكَ يوماً أتعبَتْكَ المناظِرُ

وقالوا : من أرسل طرفه اقتضى حتفه ، وإن النظر إلى الأشياء بالبصر يوجب تفرقة القلوب ، وروي أن إبليس يقول : « قَوْسي القديم وسهمي الذي لا يُخطىء النظر » ، وأرباب المجاهدات إذا أرادوا صون قلوبهم عن

---

(١) القشيري : هو هبة الرحمن بن عبد الواحد ، خطيب نيسابور ، متصوف ، عالم ، زاهد ، ت (٥٤٦ هـ) .

[الأعلام : ٨/ ٧٠] .

الخواطر الرَّديئة لم ينظروا إلى المُحسَّات ، وهذا أصل كبير لهم في المجاهدة في أصول الرياضة .

ـ ويقال أيضاً : قرن الله النهي عن النظر إلى المحارم بذكر حفظ الفرج فقال :

﴿ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ [النور : ٣٠] .

وهذا تنبيه على عظم خطر النظر ، فإنه يدعو إلى الإقدام على الفعل ، ويُقال : قوم لا ينظرون إلى الدنيا وهم الزُّهَّاد ، وقوم لا ينظرون إلى الكون وهم أهل العرفان ، وقوم هم أهل الحفظ والهيبة ، كما لا ينظرون بقلوبهم إلى الأغيار لا يرون أنفسهم أهلاً للشهود ، ثم يُكاشفهم الحق سبحانه وتعالى من غير اختيار منهم أو تعرُّض أو تكلُّف .

ـ وقد سُئل الإمام الشبلي[1] رحمه الله تعالى عن معنى قوله تعالى :

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [النور : ٣٠] .

فأجاب : يغضوا أبصار الرؤوس عن المحرَّمات ، وأبصار القلوب عمّا سوى الله تعالى .

* * *

تذاكرٌ حول الاستدراج والشكر :

حدَّث حماد بن زيد وكان قد أدرك معظم التابعين من البصريين وغيرهم قال :

---

(١) الشبلي : هو دلف بن جحدر ، أبو بكر ، زاهد مشهور ، ت (٣٣٤ هـ) . [طبقات الصوفية : ٣٣٧] .

اجتمع أيوب السختياني ويونس بن عبيد وابن عون وثابت البناني في بيت ، فقال ثابت : يا هؤلاء ، كيف يكون العبد إذا دعا ربَّه فاستجاب له دعاءه ؟

قال ابن عون : يكون البلاء في نفسه ، فقال ثابت : فإنه يعرضه العجب بما صنع الله به ، فقال يونس بن عبيد : لا يكون العبد يعجب بصنع الله إلا وهو مستدرج .

فقال أيوب : وما علامة المستدرج ؟

قال : إن العبد إذا كانت له عند الله منزلة ، فحفظها وأبقى عليها ثم شكر الله ، أعطاه الله أشرف من المنزلة الأولى ، وإذا هو ضيَّع الشكر استدرجه الله وكان تضييعه للشكر استدراجاً من الله له ، وإن العبد المستدرج يكون له فيما بينه وبين الله تيسير وحبس ، فعليه أن يُنكر العجب عن معرفة الاستدراج ، وإن العبد المستدرَج إذا كان في قلبه شيء من الشكر حمله شكره على التفقُّد من أين يأتي ، فإذا عرف ذلك خضع ، وإذا خضع أقال الله عثرته ، قال حماد : إن ابن عمر[1] رضي الله عنهما سُئل عن الاستدراج فقال :

ذاك مكره بالعباد المضيعين ، قال : فبكوا جميعاً ، ثم رفع ابن أيوب

---

(١) عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أبو عبد الرحمن ، قرشي عدوي ، صاحب رسول الله ﷺ ، نشأ في الإسلام وهاجر مع أبيه إلى الله ورسوله ، شهد الخندق وما بعدها ، ولم يشهد بدراً ولا أُحُداً لصغره ، أفتى الناس ستين سنة ، ولما قُتل عثمان عرض عليه الناس أن يُبايعوه بالخلافة فأبى ، شهد فتح إفريقية ، كُفَّ بصره في آخر حياته ، كان آخر من توفي من الصحابة بمكة ، وهو أحد المكثرين من الحديث عن رسول الله ﷺ ، ولد عام (١٠) قبل الهجرة ، وتوفي عام (٧٣ هـ) .
قيل : إنه أعتق (١٠٠٠) عبد ، واعتمر (١٠٠٠) مرة ، وأهدى (١٠٠٠) فرس في سبيل الله ، وحجَّ (٦٠ مرة) .

يده من بينهم وقال : يا عالم الغيب والشهادة ، لا توفيق لنا إن لم توفِّقنا ، ولا قوة لنا إن لم تقوِّنا .

فقال يونس : به وجدنا طعم القوة في دعائك يا أبا بكر ، قال : وكان أيوب يعرف أصحابه أن له دعوة مستجابة .

* * *

أبو حنيفة... وأبو يوسف...

جاء في كتاب (الأشباه والنظائر : لابن نُجيم) ما يلي :

لما جلس أبو يوسف[1] رحمه الله تعالى (تلميذ الإمام أبي حنيفة النعمان) للتدريس من غير إعلام أبي حنيفة رحمه الله ، فأرسل إليه أبو حنيفة رجلاً ، فسأله عن خمس مسائل :

١ـ هل الدخول في الصلاة بالفرض أم بالسنَّة ؟ فقال أبو يوسف : بالفرض ، فقال الرجل : أخطأت ، فقال : بالسنَّة ، فقال : أخطأت!! فتحيَّر أبو يوسف ، فقال الرجل : بهما ، لأن التكبير فرض ، ورفع اليدين سنَّة . . .

٢ـ قصَّار جحد ثوباً جيء به مقصوراً ، هل يستحقُّ الأجر أم لا ؟

فأجاب أبو يوسف : يستحقُّ الأجر ، فقال له الرجل : أخطأت ،

---

(١) هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب ، القاضي الإمام ، أخذ الفقه عن أبي حنيفة رضي الله عنه ، وهو المقدَّم من بين أصحابه جميعاً ، ولي القضاء (للهادي والمهدي والرشيد) ، وهو أول من سُمِّي قاضي القضاة ، وأول من اتخذ للعلماء زيّاً خاصاً ، توفي عام (١٨١ هـ) .
من تصانيفه : « كتاب الخراج » و « أدب القاضي » و « الجوامع » .

فقال : لا يستحقُّ فقال : أخطأت ، ثم قال له الرجل : إن كانت القصارة قبل الجحود استحقَّ ، وإلا لا . . .

٣ـ طير سقط في قدر على النَّار ، فيه لحم ومرق ، هل يؤكلان أم لا ؟

فقال أبو يوسف : يؤكل ، قال الرجل : أخطأت ، فقال : لا يؤكل ، قال : أخطأت ! ! قال : ماذا إذاً ؟ قال : إذا كان اللحم مطبوخاً قبل سقوط الطير يُغسل ثلاثاً ويؤكل ، وتُرمى المرقة ، وإلا يُرمى الكل .

٤ـ مسلم له زوجة ذمِّية ماتت وهي حامل منه ، تُدفن في أيِّ المقابر ؟ فقال أبو يوسف : في مقابر المسلمين ، فخطّأه ، قال : في مقابر أهل الذمَّة ، فخطّأه ، وتحيَّر أبو يوسف ، فقال الرجل : تُدفن في مقابر اليهود ، ولكن يحوَّل وجهها عن القبلة حتى يكون وجه الولد إلى القبلة ، لأن الولد في البطن يكون وجهه إلى ظهر أمه . .

٥ـ أم ولد لرجل ، تزوَّجت بغير إذن مولاها فمات المولى ، هل تجب العدَّة من المولى ؟ فقال : تجب ، فخطّأه ، فقال : لا تجب ، فخطّأه ، وتحيَّر أبو يوسف ، فقال الرجل : إن كان الزوج دخل بها لا تجب ، وإلا وجبت . . .

فعلم أبو يوسف تقصيره ، فعاد إلى أبي حنيفة معتذراً ، فقال المعلم للتلميذ :

« تَزَبَّبْتَ قبلَ أن تُحَصْرِمَ » ، أي تريد أن تصبح زبيباً قبل أن تصبح حصرماً .

فرحم الله أبا حنيفة معلِّماً . . ورحم الله أبا يوسف تلميذاً ، ومن ثمَّ قاضياً للقضاة .

* * *

فشرِبَ من الفضلة!!

قال أبو هريرة رضي الله عنه :

والله إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشدُّ الحجر على بطني من الجوع ، ولقد قعدتُ يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه ، فمرَّ أبو بكر رضي الله عنه فسألته عن آية من كتاب الله عز وجل ما سألته إلا ليستتبعني فلم يفعل ، فمرَّ عمر رضي الله عنه فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليستتبعني فلم يفعل ، فمرَّ أبو القاسم ﷺ فعرف ما في وجهي وما في نفسي ، فقال : « أبا هُريرة » ؟ قلت له : لبَّيك يارسول الله ، فقال : « الْحَقْ » فاستأذنتُ ، فأذن لي ، فوجدنا لبناً في قدح ، قال : « من أينَ لكم هذا اللَّبن » ؟ فقالوا : أهداه لنا فلان أو آل فلان ، قال : « أبا هُريرة » ، قلت : لبَّيك يارسول الله ، قال : « انطلقْ إلى أهلِ الصُفَّة فادْعُهمْ لي » ، قال : وأهل الصُفَّة أضياف الإسلام ، لم يأووا إلى أهل ولا مال ، إذا جاءت رسول الله ﷺ هدية أصاب منها وبعث إليهم منها ، وإذا جاءته الصدقة أرسل بها إليهم ، ولم يصب منها شيئاً ، قال : وأحزنني ذلك ، وكنت أرجو أن أُصيب من اللبن شربة أتغذَّى بها بقيَّة يومي وليلتي ، وقلت : أنا الرسول ، فإذا جاء القوم كنت أنا الذي أعطيهم ، وقلت : ما يبقى لي من هذا اللبن!! ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بُدٌّ ، فانطلقت فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم ، وأخذوا مجالسهم من البيت ، ثم قال : « يا أبا هريرة خُذْ فأعطهم » ، فأخذت القدح فجعلت أُعطيهم ، فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتى يروى ، ثم يردُّ القدح ، حتى أتيتُ على آخرهم ، ودفعتُ إلى رسول الله ﷺ ، فأخذ القدح فوضعه في يده ، وبقي فيه فضلة ، ثم رفع رأسه ونظر إليَّ وتبسَّم وقال : « أبا هريرة » ، فقلت : لبَّيك

يارسول الله ، قال : « بقيتُ أنا وأنتَ » ، فقلت : صدقت يارسول الله ، قال : « فاقعُدْ فاشْرَبْ » قال : فقعدتُ فشربتُ ، ثم قال لي : « إشْرَبْ » فشربتُ ، فما زال يقول لي : « إشْرَبْ » فأشرب ، حتى قلت : لا والذي بعثك بالحق ، ما أجد له فيَّ مسلكاً ، قال : « ناوِلْني القَدحَ » ، فرددتُ إليه القدح ، فشرب من الفضلة!![1] .

صلى الله عليه وآله وسلَّم .

* * *

بصراحة!

في أدبنا العربي كلمات منثورة هنا وهناك ، لكن لو ربطتَ بينها لوجدتها تشكِّل عقداً أغلى ثمناً من عقد اللؤلؤ والجواهر ، وهذه الحِكَمُ المتناثرة هنا عن ذمِّ المتملِّقين ، والحضِّ على القول بالصراحة ، من ذلك :

قال سيدنا (علي) رضي الله عنه : المرآة التي ينظر الإنسان فيها إلى أخلاقه هي الناس ، لأنه يرى محاسنه من أوليائه منهم ، ومساوئه من أعدائه فيهم .

أما (أبو بكر الصدِّيق) رضي الله عنه فكان إذا مُدِحَ قال : اللهمَّ أنتَ أعلمُ بي من نفسي ، وأنا أعلمُ بنفسي منهم ، اللهمَّ اجعلني خيراً ممّا يحسبون ، واغفر لي ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذني بما يقولون .

وهذا (الأحنف) يقول : لا صديقَ لمتلوِّنٍ ، ولا وفاءَ لكذوبٍ ، ولا راحةَ لحسودٍ ، ولا مروءةَ لدنيءٍ ، ولا زعامةَ لسيِّءِ الخُلُق .

---

(١) من كتاب : محمد المثل الكامل ، لأحمد جاد المولى .

وذلك (حكيم) يقول : عجبتُ لمَنْ قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح ، وعجبتُ لمَنْ قيل فيه الشَّرُّ وهو فيه كيف يغضب .

وكان (الإسكندر المقدوني) يقول : انتفعتُ بأعدائي أكثر ممّا انتفعتُ بأصدقائي ، لأن أعدائي كانوا يعيِّروني ويكشفون لي عيوبي ، ويُنبِّهوني بذلك على الخطأ فأستدركه ، وكان أصدقائي يُزيِّنون لي الخطأ ويُشجِّعوني عليه .

وقال (أحد العقلاء) : ينبغي للرجل أن يكون مرآة أخيه تُريه خيره وشرَّه .

* * *

ابن سيرين وتفسير المنام!

قال المصطفى ﷺ :

« الرُّؤيا الصالحةُ من الله ، فإذا رأى أحدُكم ما يُحبُّ فلا يُحدِّثْ بها إلا مَنْ يُحبُّ ، وإن رأى ما يكرهُ فلْيَتفُلْ عن يسارِه ثلاثاً ، وليتعوَّذْ بالله من شرِّ الشَّيطانِ وشرِّها ، ولا يُحدِّث بها أحداً فإنَّها لن تضرَّهُ » رواه الأربعة .

وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها : يارسول الله ، رأيتُ كأنَّ ثلاثة أقمارٍ سقَطْنَ في حِجري ، فقال عليه الصلاة والسلام : « إنْ صَدَقَتْ رؤياكِ دُفِنَ في بيتكِ أفضلُ أهلِ الجنة » فقُبِضَ رسول الله ﷺ وهو أفضل أقمارها ، ثم قُبِضَ أبو بكر ، ثم قُبِضَ عمر ، فدُفِنوا في بيتها . رواه الطبراني .

وذاك الفاروق عمر رضي الله عنه يرى في المنام قبل أيام من مقتله : ديكاً نقَرَهُ نقرتين أو ثلاثاً ، وبالفعل تحقَّقَتْ رؤياهُ ، فوَجَأَهُ أبو لؤلؤة المجوسي وجأتين أو ثلاثاً . .

وذاك أبو حنيفة رضي الله عنه يقول : رأيتُ كأنِّي نبشتُ قبر رسول الله ﷺ فضمَمْتُ عظامهُ إلى صدري ، فهالني ذلك ، فسألتُ ابن سيرين ، فقال : إنْ صَدَقَتْ رؤياكَ لتُحْيِيَنَّ سنَّة نبيِّكَ ﷺ .

ورأى رجل النبي صلوات الله عليه في منامه ، فشكا إليه علَّةً كانت به ، فقال له : « عليكَ بلا ولا ! ! » فاستيقظ الرجل وتحيَّر ، فسأل ابن سيرين ، فقال : كُل الزَّيتون ! ! قال : وما الدليل ؟ قال : يقول الله تعالى : ﴿ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ [النور : ٣٥] .

وسأل رجل ابن سيرين عن الماء في النوم ؟ فقال رحمه الله : إنه فتنة وبلاء في الدين ، وأمر شديد ، وذلك لأن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ ﴾ [البقرة : ٢٤٩] ، ويقول أيضاً : ﴿ مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ [الجن : ١٦ـ١٧] .

وقال : من عبرَ نهراً في النوم ، قطع بلاءً وفتنةً ومشقَّةً ونجا من ذلك .

وأتاه رجل وقال : رأيتُ في منامي كأني أطيرُ بين السماء والأرض! فقال له : أراكَ تُكثر الأماني .

وما أجمل قوله رحمه الله : اتَّقِ الله وأحسن في اليقظة ، فإنه لا يضرُّك ما رأيتَ في المنام ، فسأل واحد : كيف تُجيب إذاً عن المنامات ؟

قال : إنَّما أُجيب بالظنِّ ، والظنُّ يُخطىء ويُصيب . . .

وصدق الله تعالى حينما عدَّد نعمه على نبيِّه يوسف فقال :

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ [يوسف : ٦] .

❊ ❊ ❊

من دون عنوان..

روى البيهقي بسنده عن عقبة بن عامر الجُهني رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فاسترقد رسول الله ﷺ فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قيد رمح ، قال : « ألَمْ أقُلْ لكَ يا بلال اكلأ (احرس) لنا الفجر » ؟ فقال : يارسول الله ذهب بي من النوم مثل الذي ذهب بكَ ، قال : فانتقل رسول الله من منزله غير بعيد ، ثم صلَّى وسار بقيَّة يومه وليلته ، فأصبح بتبوك ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو ثم قال :

« أيُّها الناسُ : أمّا بعدُ : فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله ، وأوثَقُ العُرى كلمةُ التقوى ، وخيرُ المِلَلِ ملَّةُ إسماعيل ، وخيرُ السنَّةِ سنَّة محمد ، وأشرفُ الحديثِ ذِكْرُ الله ، وأحسنُ القصص هذا القرآن ، وخيرُ الأمورِ عوازِمُها ، وشرُّ الأمور مُحدثاتُها ، وأحسنُ الهدى هدى الأنبياء ، وخيرُ الأعمالِ ما نَفَع ، وخيرُ الهدى ما اتُّبع ، وشرُّ العَمى عمى القلب ، واليدُ العُليا خيرٌ من اليدِ السُّفلى ، وما قلَّ خيرٌ ممّا كَثُرَ وألْهى ، وشرُّ المعذرة حين يحضرُ الموت ، وشرُّ النَّدامةِ يومَ القيامة ، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دُبُراً (متأخِّراً) ، ومن الناس مَنْ لا يذكرُ الله إلا هجراً (غافلاً) ، ومن أعظمِ الخطايا اللِّسانُ الكذوب ، وخيرُ الغنى غِنى النَّفْس ، وخيرُ الزَّادِ التقوى ، ورأسُ الحكمةِ مخافة الله عزَّ وجل ، وخيرُ ما وَقَرَ في القلبِ اليقين ، والارتيابُ من الكفر ، والنِّياحةُ من عمل الجاهليَّة ، والغلولُ (الخيانة والسرقة) من حثاءِ جهنَّم ، والشِّعر من إبليس ، والخمرُ جماعُ الإثم ، والنِّساء حبائلُ الشَّيطان ، والشَّبابُ شعبةٌ من الجنون ، وشرُّ المكاسبِ كَسْبُ الرِّبا ، وشرُّ المآكلِ أكلُ مالِ اليتيم ، والسَّعيدُ مَنْ وُعِظَ بغيره ، والشَّقيُّ من شَقِيَ في بطنِ أُمِّه ، وإنما يصيرُ

أحدُكم إلى موضعِ أربعةِ أذرُعٍ ، والأمرُ إلى الآخرة ، ومِلاكُ العمل خواتمُه ، وشرُّ الرُّؤيا رؤيا الكَذِب ، وكلُّ ما هو آتٍ قريب ، وسِبابُ المؤمنِ فُسوق ، وقِتالُ المؤمنِ كُفْر ، وأكلُ لَحْمِهِ من معصية الله ، وحُرْمَةُ ماله كحُرمَةِ دَمِه ، ومَنْ يتألَّى على الله يُكَذِّبُه ، ومَنْ يستغفرُه يَغفرُ له ، ومَنْ يعفُ يعفُ الله عنه ، ومَنْ يكْظِمْ يأجُرهُ الله ، ومَنْ يصبِرْ على الرَّزيَّة (المصيبة) يُعوِّضهُ الله ، ومَنْ يبتغِ السُّمعةَ يُسمِّعُ الله به ، ومَنْ يصبِرْ يُضعِّفُ الله له ، ومَنْ يعصِ الله يُعذِّبهُ الله ، اللهمَّ اغفِرْ لأُمَّتي ، اللهمَّ اغفِرْ لأُمَّتي ، اللهمَّ اغفِرْ لأُمَّتي ، أستغفِرُ الله لي ولكُمْ »[1] .

* * *

من أقوال رابعة العدوية :

ـ من مناجاتها :

يا ربُّ أتحرقُ بالنار قلباً يُحبُّكَ ، ولساناً يذكُركَ ، وعبداً يخشاكَ .

ـ وضعت يوماً النار في يد ، والماء في اليد الأخرى ، ثم أنشأت تقول :

سأشعل النار في الجنة ، وأسكب الماء على النار ، حتى ينجاب الغشاءان عن طريق السالكين إلى الله ، ويتبيَّن مقصودهم ، ويشاهدوا الله لا يحدوهم أمل ، ولا يُفزعهم خوف ، أفإن لم يكن جنة ولا نار لم يعبد الله أحد ، ولم يطعه أحد ؟!

ـ ثم يهتف قلبها المشتعل بالحبِّ والشَّوق :

---

(١) وكذلك ذكره ابن كثير في البداية والنهاية : ٥/١٣ـ١٤ .

إن كنتُ أعبدكَ خوفاً من نارِكَ فأحرقني بها ، وإن كنتُ أعبدكَ طمعاً في جنَّتكَ فاحرمنيها ، أمّا إذا كنتُ أعبدكَ من أجل محبَّتك ، فامنحني الجزاء الأكبر ، امنحني مشاهدة وجهك ذي الجلال والإكرام .

ـ لقد روى العطار : أن رابعة العدوية كانت تنوح باستمرار ، فسُئِلَت لماذا تنوحين وما ثمَّة ألم عساكِ تشكين منه ؟ فأجابت : واحسرتاه ، العِلَّةُ التي أشكوها ، ليست مما يستطيع الطبيب علاجه ، وما يُعينني على احتمال هذه العلَّة إلا رجائي أن أحقِّقَ غايتي هاتيك في العالم الآخر ، أن أرى وجهه الكريم .

ـ ويروي الكلاباذي أنه دخل جماعة على رابعة يعودونها من شكوى ، فقالوا : ما حالك ؟ قالت : والله ما أعرف لعلَّتي سبباً ، عُرِضَت عليَّ الجنة ، فملتُ بقلبي إليها ، فأحسبُ أن مولاي غار عليَّ فعاتبني فله العُتبى .

ـ وروى المناوي في كتابه الطبقات ، أن سفيان الثوري رضي الله عنه قال لرابعة رحمها الله تعالى : ما حقيقة إيمانك يا رابعة ؟

فقالت : ما عبدته خوفاً من ناره ، ولا حُبّاً لجنَّته ، فأكون كالأجير السوء ، وإنما عبدته حباً وشوقاً إليه .

ـ كان مولدها في مطلع القرن الثاني الهجري ، وعاشت حياةً مليئة بالحب والوجد والعشق الإلهي ، وتوفيت عن عمر يُناهز الثمانين ، فرحمها الله رحمةً واسعة .

❊ ❊ ❊

كيف نشأ علم التفسير ؟

١ـ لم يكن الصحابة رضوان الله عليهم في مستوى واحد من العلم بكتاب الله تعالى ، وإنما امتاز منهم أناس في التفسير : الخلفاء الراشدون ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأُبيٌّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري ، وعبد الله بن الزبير ، وأنس بن مالك ، وأبو هريرة ، وجابر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص[1] .

٢ـ طبقة التابعين : انقسمت ثلاثة أقسام :

أ ـ أصحاب عبد الله بن عباس : وكان أشهرهم مجاهد بن جبر (ت ١٠٣) وسعيد بن جبير (ت ٩٤) وعكرمة (ت ١٠٥) وطاووس (ت ١٠٦) وعطاء بن أبي رباح (ت ١١٤) ، وكان أعلمهم مجاهد .

ب ـ أصحاب عبد الله بن مسعود : في الكوفة ومنهم علقمة بن قيس (ت ١٠٢) والأسود بن يزيد (ت ٧٥) وإبراهيم النخعي (ت ٩٥) والشعبي (ت ١٠٥) .

جـ ـ أصحاب أنس بن مالك : ومنهم زيد بن أسلم (ت ١٣٦) وقتادة (ت ١١٧) والحسن البصري (ت ١١٠) وعطاء (ت ١٣٥) ومحمد ابن كعب القرظي (ت ١١٧) .

وكان من مميزات هذه الطبقة الثانية : أنها اعتنت أكثر بالتفسير ودوَّنته وكتبته وحفظته ، وقد كان في مقدمة أولئك في التدوين مجاهد بن جبر .

٣ـ الطبقة الثالثة : التي قام فيها علماء ليقدِّموا تفسيرات واسعة تجمع ما انتهى إليهم من أقوال الصحابة والتابعين كتفسير سفيان بن عيينة

---

(١) رواه السيوطي وابن تيمية .

(ت ١٩٨) ووكيع بن الجراح (ت ١٩٧) وشعبة بن الحجاج (ت ١٦٠) ، ثم جاء بعدهم محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠) ، وكذلك عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٢٧١) والذي وصل إلينا هو تفسير الطبري ، وهو تفسير عظيم جمع فيه المأثور بالسند وميَّز بين الصحيح منه وغيره .

وكان من مميزات هذه الطبقة الثالثة هو ضبط الأسانيد والروايات ونخلها بمنخل علمي عظيم. . . وأضافوا إلى التفسير كل ما تعلق بفهم القرآن من قراءات وأسباب نزول وناسخ ومنسوخ ومتشابه وغير ذلك .

ـ ولما توسَّعت الاختصاصات العلمية ، وظهر العلماء المختصين توسعت التفاسير وتنوَّعت ، فجاء علماء العربية ليخدموا التفسير ، فأبرزوا بلاغة القرآن وإعجازه اللغوي ، فكان من ذلك تفسير أبي حيان الأندلسي ، وتفسير الكشاف للزمخشري ، وتفسير أبي السعود .

وجاء علماء الفقه ليستخلصوا منه أحكام الحلال والحرام ، فكان الجامع لأحكام القرآن للقرطبي المتوفى (٦٧١) وكان أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي (ت ٥٤٣) .

وجاء علماء التوحيد والكلام ، ليستخرجوا منه دلائل التوحيد وفروعه ومتعلقاته ، فدافعوا عن العقيدة من خلاله وأزاحوا عنها الشبهات ، فكان تفسير مفاتيح الغيب للإمام الرازي (ت ٦٠٦)[١] .

* * *

(١) بتصرف من روائع القرآن : د . البوطي ص ٧٥ .

عمّة رسول الله ﷺ عاتكة :

عاتكة بنت عبد المطلب ، تزوّجت من أبي أمية بن المغيرة فولدت له عبد الله وزهيراً في إسلامها ، لكن ابن سعد في طبقاته يقول : أسلمت بمكة وهاجرت إلى المدينة . . عُرف عنها قول الشعر ، من ذلك :

فهَــلاَّ صبــرتُــمْ للنَّبــيِّ محمــدٍ ... ببَدْرٍ ومَنْ يَغْشى الوَغى حق صابِرِ
ولمْ تَرْجِعوا عن مُرهفاتٍ كأنَّها ... حريقٌ بأيدي المؤمنينَ بواتِرِ
ووَلَّيتُـم نَفـراً ومـا البطـلُ الـذي ... يُقاتِلُ مِنْ وَقْعِ السُّيوفِ بنافِرِ
أتـاكـم بمـا جـاءَ النَّبيُّـون قَبْلَـهُ ... وما ابنُ أخي البرِّ الصَّدوقِ بشاعِرِ

ومن قولها أيضاً :

وقُلتُمْ ولم أكذِبْ كذبت وإنَّما ... يُكذِّبُني بالصِّدقِ مَنْ هو كاذِبُ
فما بالُ قَتْلى في القَليب ومثلَهُم ... لدى ابنِ أخي أَسْرى له ما تُضارِبُ
أكـانـوا نسـاءً أمْ أتـى لنفـوسِهـم ... من الله حين ساقَ والحينُ جالِبُ
فكيـفَ رأى عنـدَ اللقـاءِ مُحمَّـداً ... بنو عمِّهِ والحربُ فيها التَّجارِبُ
ألم يغشهم ضرباً يَحارُ لِوَقْعِهِ الـ ... ـجبان وتبدو بالنَّهار الكواكبُ

❊ ❊ ❊

تفقّد أحوال الرعيّة :

اهتمَّ سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتفقُّد أحوال رعيَّته في الليل والنهار ، والسؤال عن أحوالهم ، ومن خلال ذلك كانت تحدث له أمور غريبة وعجيبة تعطينا صورة لا التي نعرفها عن شدَّته وقسوته ، إنما لينه ورقَّته ، من ذلك :

ما رواه الإمام محمد بن الحسن الشيباني[1] عن الإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله عن علي بن الأقمر ، قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يُطعم الناس بالمدينة ، وهو يطوف عليهم بيده عصا ، فمرَّ برجل يأكل بشماله ، فقال : يا عبد الله كُلْ بيمينك ، قال : يا عبد الله إنها مشغولة ثلاث مرات .

قال : وما شغلها ؟

قال : أُصيبت يوم مؤتة! فجلس عمر رضي الله عنه عنده يبكي!!

فجعل يقول له : مَنْ يوضِّئك ؟ ؟

مَنْ يغسل رأسكَ وثيابكَ ؟ ؟

من يصنع كذا وكذا ؟ ؟

فدعا له بخادم وأمر له براحلة وطعام وما يصلحه وما ينبغي له ، حتى رفع أصحاب محمد ﷺ أصواتهم يدعون لعمر رضي الله عنه مما رأوا من رقّته بالرجل واهتمامه بأمر المسلمين[2] .

* * *

---

(١) هو محمد بن الحسن بن فرقد ، نسبته إلى بني شيبان بالولاء ، أصله من حرستا في سورية ، ومنها قدم أبوه العراق ، فولد له محمد بواسط ، ونشأ في الكوفة ، إمام في الفقه والأصول ، ثاني أصحاب أبي حنيفة بعد أبي يوسف ، من المجتهدين المنتسبين ، وهو الذي نشر علم أبي حنيفة بتصانيفه الكثيرة ، ولي القضاء للرشيد بالرَّقة ثم عزله ، واستصحبه الرشيد في مخرجه إلى خُراسان ، فمات محمد بالرّي ، ولد (١٣١ هـ) وتوفي (١٨٩ هـ) . من تصانيفه : الجامع الكبير ، الجامع الصغير ، المبسوط ، السِّيَر الكبير ، السِّيَر الصغير ، الزيادات ، الآثار ، وغيرها .

(٢) الآثار : للإمام محمد بن الحسن الشيباني ص ١٣٥ .

مناجاة :

إلهي أنا الفقير في غِناي ، فكيف لا أكون فقيراً في فقري! ؟

إلهي أنا الجاهل في علمي ، فكيف لا أكون جهولاً في جهلي! ؟

إلهي وصفتَ نفسكَ باللطف والرأفة بي قبل وجود ضعفي ، أفتمنعني بعد وجود ضعفي ؟

إلهي إن ظهرت المحاسن منِّي فبفضلك ، ولكَ المِنَّةُ عليَّ ، وإن ظهرت المساوي منِّي فبعدلك ، ولكَ الحجَّة عليَّ .

إلهي ما ألطفك بي مع عظيم جهلي ، وما أرحمك بي مع قبيح فعلي!

إلهي كلما أخرسني لؤمي أنطقني كرمك ، وكلما آيستني أوصافي أطمعتني مننك .

إلهي عَمِيَتْ عينٌ لا تراكَ عليها رقيباً ، وخسرت صفقة عبدٍ لم يُجعلْ له من حبّكَ نصيباً .

إلهي هذا ذُلِّي ظاهر بين يديك ، وهذا حالي لا يخفى عليك ، منكَ أطلبُ الوصول إليك ، وبك أستدلُّ عليك فاهدني بنورك إليك ، وأقمني بصدق العبودية بين يديك . . .

إلهي أخرجني من ذُلِّ نفسي ، وطهِّرْني من شكِّي وشِرْكي قبل حول رمسي ، بكَ أستنصر فانصرني ، وعليكَ أتوكَّلُ فلا تكلني ، وإيَّاكَ أسأل فلا تُخيِّبني ، وفي فضلك أرغبُ فلا تحرمني ، ولجنابك أنتسبُ فلا تُبعدني ، وببابك أقفُ فلا تطردني .

إلهي كيف أخيب وأنت أملي ، أم كيف أُهانُ وعليكَ اتّكالي ؟

إلهي إن رجائي لا ينقطع عنك وإن عصيتك ، كما أن خوفي لا يزايلني وإن أطعتك .

إلهي اطلبني برحمتك حتى أصل إليك ، واجذبني بمنّتك حتى أقبل عليك .

إلهي كيف أستعزُّ وأنت في الذلَّة أركزتني ؟ أم كيف لا أستعزُّ وإليكَ نسبتني ؟ أم كيف لا أفتقر وأنت الذي في الفقر أقمتني ؟ أم كيف أفتقر وأنت الذي بجودكَ أغنيتني ؟

إلهي ها أنا أتوسَّلُ بفقري إليك ، وكيف أتوسَّلُ إليكَ بما هو محال أن يصل إليك ؟ أم كيف أشكو حالي وهو لا يخفى عليك ؟ أم كيف أترجم لك مقالي وهو منك برز إليك ؟ أم كيف تخيب آمالي وهي قد وفدت إليك ؟ أم كيف لا تحسن أحوالي وبك قامت وإليك ؟[1] .

❊ ❊ ❊

الحديث الشريف والأئمة الأربعة :

ما هي منزلة الحديث الشريف في نفوس أئمة المذاهب الأربعة « أبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل والإمام مالك » ؟

ورد في كتاب (أثر الحديث الشريف في اختلاف الأئمة الفقهاء) ما يلي :

ـ قال الإمام (أبو حنيفة) رضي الله عنه : « لم تزل الناسُ في صلاحٍ مادام فيهم من يطلب الحديث ، فإذا طلبوا العلم بلا حديثٍ فسدوا » .

وقال أيضاً فيما يرويه الإمام الشعراني في الميزان الكبرى : « إياكم والقولَ في دين الله تعالى بالرأي ، وعليكم باتِّباع السُّنَّة ، فمن خرج عنها ضلَّ » .

---

(١) من الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري .

ـ وقال الإمام (الشافعي) رضي الله عنه : « أيُّ سماءٍ تُظلُّني ، وأيُّ أرضٍ تُقلُّني ، إذا رويتُ عن النَّبي ﷺ حديثاً وقلتُ بغيره ؟ » .

وحدَّث الشافعي يوماً بحديث ، فقال له الحميدي ـ شيخ البخاري ـ : أتأخذ به ؟ فقال الشافعي : « رأيتني خرجتُ من كنيسةٍ عليَّ زُنَّار ؟ حتى إذا سمعتُ لرسول الله ﷺ حديثاً لا أقول به ؟! » .

ـ وما أبدعَ تشبيه الإمام (مالك) رضي الله عنه للسُّنَّة حيث يقول : « السنن سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلَّف عنها غرق »[1] .

ـ وقال الإمام (أحمد بن حنبل) رضي الله عنه : « من ردَّ حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة » ، وقال أيضاً : « ما أعلم الناس في زمانٍ أحوجَ منهم إلى طلب الحديث من هذا الزمان » زمان الإمام أحمد المتوفى سنة ٢٤١ هـ!!

فقال له أصحابه : ولِمَ ؟ قال : « ظهرتْ بدعٌ ، فمن لم يكن عنده حديث وقع فيها »[2] .

إذاً : أكَّد الأئمة الأربعة لزوم الأخذ بالسُّنَّة النبوية ، وأنَّ من تعلَّم السُّنَّة وعمل بها كان من الفائزين الناجين ، ومَنْ أعرضَ عنها كان ذلك علامة خذلانه وانحرافه .

* * *

---

(١) من كتاب مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنَّة : للحافظ السيوطي رحمه الله .
(٢) من كتاب مناقب الإمام أحمد : لابن الجوزي رحمه الله .

وكن من الناس جميعاً وسطاً :

عُرف عن الإمام (علي) أنه كان أديباً فصيحاً شاعراً حكيماً ، لذلك يقول في الاستقامة والاعتدال نثراً : « خير الأمور النمط الأوسط ، وإليه يرجع الغالي ، وبه يلحق التالي » .

أما الشعر في ذلك فتركه لغيره ، فهذا (أبو العتاهية) يقول :

اسلُكْ بُنيَّ مناهِجَ السَّاداتِ ... وتخلَّقَن بأشرَفِ العاداتِ

وذاك شاعر آخر يحدثنا عن الاعتدال فيضرب لنا مثالاً في الإنفاق :

ودَعْ عنكَ إسرافَ العطاءِ ولا يكُنْ ... لكَفَّيْكَ في الإنفاقِ إمساكُ مقتّرُ

ألا إنَّ أوساطَ الأمورِ خِيارُها ... مقالُ نبيٍّ عن هُدى الله مُخبِرُ

وهذا (أبو العلاء المعري) يشبّه لنا الاعتدال في القمر أول الشهر وأوسطه وآخره!!

إذا كنتَ تبغي العيش فابْغِ توسُّطاً ... فعندَ التناهي يقْصُرُ المتطاولُ

توقَ البدور النقص وهي أهِلَّةٌ ... ويُدركها النقصانُ وهي كوامِلُ

ثم يترجم شاعرٌ الحكم من النثر إلى أسلوب الشعر فيقول :

لا تذهبنَّ في الأمور فَرطا ... لا تسألنَّ إن سألْتَ شَطَطا

وكُنْ من النَّاسِ جميعاً وسطا

ويقول شاعر آخر :

وخيرُ حالِ الفتى في القولِ أقصدها ... بين السَّبيلين لا عيٌّ[1] ولا هَذَرُ[2]

---

(١) العيّ : العجز عن البيان .

(٢) هذر : هو سَقَطُ الكلام الذي لا يُعْبَأ به .

حال الصحابة والتابعين مع جيرانهم!!

ـ هذا هو (الأحنف بن قيس) يصعد ذات يومٍ فوق بيته فأشرف على جاره ، فقال : سوءةٌ! سوءةٌ! دخلتُ على جاري بغير إذن ، لا صعدتُ فوق هذا البيت أبداً!

ـ وذاك (شريح) يقال عنه : كانت مزاريبه تصبُّ في داره ، وكان إذا مات له طائر دفنه في بيته كراهية أن يؤذي به جيرانه!

ـ وهذا (عائذ المزني) يقول : لأن يصُبَّ في بيتي أحبُّ إليَّ من أن يصبَّ في طريق المسلمين ، لذلك قالوا عنه : كان لا يُخرج إلى الطريق من داره ماءً ولا ماء السماء ، ولما مات رُئي أنه من أهل الجنة ، فقيل له : بِمَ ذلك ؟ قال : بكفِّه أذاه عن المسلمين[١] .

ـ وكان (حسان بن ثابت) تدخل العنزة إلى منزله ، فتأخذ الشيء ، فإذا طُردت قال : لا تطردوا عنز جاري ، دعوها تأخذ حاجتها!

ـ وسيدنا (مالك بن دينار) رحمه الله تعالى كان له جار عنده كلب ضعيف ، فكان مالك يُخرج كل يومٍ طعاماً ويُلقيه إليه ، ولما أنكروا عليه ذلك قال : كان الحسن رضي الله عنه يقول : كان الرجل في الجاهلية يقول : والله لا يؤذى كلب جاري ، وهم أهل جاهلية!! أفلا أكرم كلب جاري وأنا في الإسلام! ؟

ـ ويروي الشيخ (محيي الدين ابن العربي) رحمه الله عن شيوخه هذه الحادثة :

أعرابي من الأعراب ، نزل بساحة داره الجراد ، وخرجت الأعراب

---

(١) رواها ابن أبي الدنيا .

إليه بالعدَّة ليقتلوه ويأكلوه ، لكن صاحب البيت لم يكن عنده أيُّ خبر عمَّا يجري ، لكن لما سمع الضجيج خرج يسألهم : ماذا تبغون ؟

قالوا : نبتغي قتل جارك (ويريدون بذلك الجراد) .

قال الأعرابي : بعد أن سمَّيتموه جاري ، فوالله لا أتركُ لكم سبيلاً إليه ، وجرَّد سيفه يذُبُّ عن جاره (الجراد) مراعاةً لحقِّ الجِوار ! ![1] .

* * *

فضل الصلاة على رسول الله :

إن الصلاة على رسول الله ﷺ سبب من أسباب التنوير الذي يخرج قلب المسلم من كل ظلمة ، ذلك لأنه من صلَّى على رسول الله ﷺ صلَّى الله عليه ، ومن صلَّى الله عليه أخرجه من الظلمات إلى النور .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ ﴾

[الأحزاب : ٤٣] .

وإليكَ طائفة من أحاديثه في فضل الصلاة عليه ﷺ :

ـ روى النسائي عن طلحة : أن رجلاً قال : كيف نُصلِّي عليكَ يا نبيَّ الله ؟ قال : « قولوا : اللهمَّ صلِّ على محمدٍ كما صلَّيتَ على إبراهيمَ إنَّكَ حميدٌ مجيد » .

ـ وروى الترمذي عن علي كرم الله وجهه عن رسول الله ﷺ قال :

« البخيل الذي مَنْ ذُكِرْتُ عندهُ ولم يُصلِّ عليَّ » .

ـ وروى الستَّة إلا النسائي عن أنس رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال :

---

(١) الوصايا لابن العربي ص ٥٥ .

« مَنْ صلَّى عليَّ صلاةً واحدةً ، صلَّى الله عليه عشرَ صلواتٍ ، وحُطَّتْ عنه عشرُ خطيئاتٍ ، ورُفِعَتْ له عشرُ درجات » .

ـ وروى البخاري والنسائي عن أبي سعيد الخدري قال : قالوا : يارسول الله ، هذا السلام عليكَ ، فكيف نُصلِّي عليكَ ؟ قال : « قولوا : اللهمَّ صلِّ على محمدٍ عبدكَ ورسولكَ ، كما صلَّيتَ على إبراهيم وعلى آلِ إبراهيم ، وباركْ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ ، كما باركتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم » .

ـ وروى البخاري والترمذي وأبو داود والنسائي عن ابن مسعود رضي الله عنه ، عن النَّبي ﷺ أنه قال : « أَوْلى الناس بي يومَ القيامةِ أكثَرُهم عليَّ صلاةً » .

ـ وروى الإمام أحمد والحاكم وابن حبان والنسائي عن ابن مسعود ، عن النَّبي صلوات الله عليه أنه قال : « إنَّ لله ملائكةً سيَّاحةً في الأرض يُبلِّغوني من أُمَّتي السَّلام » .

ـ وروى الستَّة إلا مالكاً عن ابن أبي ليلى قال : لقيني كعب بن عجرة فقال : ألا أهدي لكَ هديَّة ؟ إن النَّبي ﷺ خرج علينا ، فقلنا : يارسول الله! قد علمنا كيف نُسلِّمُ عليكَ ، فكيف نُصلِّي عليكَ ؟

فقال : « قولوا : اللهمَّ صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ ، كما صلَّيتَ على إبراهيم وعلى آلِ إبراهيم إنَّكَ حميدٌ مجيدٌ ، اللهمَّ باركْ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ ، كما باركتَ على إبراهيم وعلى آلِ إبراهيم ، إنَّكَ حميدٌ مجيد » .

ـ وروى أبو داود عن أبي هريرة ، عن النَّبي ﷺ أنه قال :

« مَنْ سرَّهُ أن يكتالَ بالمكيالِ الأوْفى إذا صلَّى علينا أهلَ البيتِ فليقلْ :

اللهمَّ صلِّ على محمدٍ النبيِّ الأُمِّي وأزواجِه أُمَّهاتِ المؤمنين ، وذُرِّيته وأهل بيته ، كما صلَّيتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنَّكَ حميدٌ مجيد » .

* * *

من أحوال عمر بن عبد العزيز الغريبة!!

عُرف عنه رحمه الله تعالى الحرص الشديد على الأموال العامَّة إلى حدٍّ عجيب ، وقد سار بذلك على سيرة جدِّه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ومن ذلك :

كتب أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، وكان عامله في المدينة ، ثلاثة كتب ، يطلب في أولها زيادة في العطاء لأناس كبروا ، وفي ثانيها يطلب شمعاً يوقد بين يديه وهو في طريقه ليلاً إلى المسجد ، ويطلب في ثالثها أن يبني مسجداً انهدم لبني النجار أخوال رسول الله ﷺ . فأجابه عمر بكتاب واحد قائلاً فيه :

« سلامٌ عليكَ ، أمَّا بعد : فقد جاء في كتابك تذكر أن أشياخاً من الأنصار قد بلغوا أسناناً ولم يبلغوا الشرف من العطاء ، وإنَّما الشرف شرف الآخرة ، فلا أعرفنَّ ما كتبتَ إليَّ في نحو هذا .

وجاءني كتابكَ تذكر أن من كان قبلك من أمراء المدينة كان يجري عليهم رزق من شمع ، ولعمري يا بن أم حزم ، لطالما مشيتَ إلى مسجد رسول الله ﷺ في الظُّلمة ، لا يمشى بين يديك بالشَّمع ، ولا يوجف خلفك أبناء المهاجرين والأنصار ، فارضَ لنفسك اليوم ما كنت ترضى به قبل اليوم .

وجاءني كتابك تذكر أن بني عدي بن النجار أخوال رسول الله ﷺ

انهدم مسجدهم ، وقد كنتُ أحبُّ أن أخرج من الدنيا لم أضع حجراً على حجر ولا لبنة على لبنة ، فإذا أتاكَ كتابي هذا فابنه لهم بلبن بناءً قاصداً ، والسلام عليك » .

* * *

كلُّ عُتُلٍّ جوّاظٍ مُستكبر...

الأديان السابقة قبل دين الإسلام اهتمَّت بالتواضع ، وحثَّت عليه ، ونبذت الكِبْرَ وبيَّنت خطورته ، فهذا كليمُ الله موسى عليه السلام يقول :

« إنَّ الله أوحى إليَّ : إنَّما أتقبَّلُ صلاةَ مَنْ تواضعَ لعظَمَتي ، ولم يتعاظَمْ على خَلْقي » .

وذاكَ سيدنا عيسى عليه السلام ، يُبيِّنُ لنا القرآن الكريم أنه عبدٌ وأُمُّه أَمَةٌ لله عز وجل ، وهذه لفتة رائعة ، وهي من إعجاز القرآن ، لأنَّ من حمل لافتة العبودية حقاً فلن يتكبَّر على عباد الله أبداً ، ولهذا لن يجتمع الكبر مع العبودية في نفسٍ واحدة ، حيث عبوديَّته لله تُذكِّرُه دائماً أن كلَّ الناس إخوة له ، لا فرقَ بين غنيٍّ وفقير .

يقول مولانا في الكتاب العزيز :

﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾[1]

[النساء : ١٧٢ـ١٧٣] .

---

(١) يستنكف : يترفَّع ويتكبَّر .

لذلك كان سيدنا عيسى يقول : « طُوبى للمُتواضعين في الدُّنيا هُم أصحابُ المنابِر يوم القيامةِ » .

أما سيِّدُ الوجود محمد ﷺ فما أكثرَ أحاديثه في هذا المجال :

« مَنْ تعاظَمَ في نفسه واختالَ في مِشْيَتِهِ ، لَقِيَ الله عزَّ وجلَّ وهو عليه غَضْبان »[1] .

ثم يُركِّزُ الحبيب صلوات الله عليه على فكرةٍ مفادها : أن الكِبْرَ يُحبطُ العمل :

« إنَّ العُجْبَ ليُحبطُ عملَ سبعينَ سنة ! ! »[2] .

« مَنْ سَرَّهُ أن يتمثَّلَ لهُ الرِّجالُ قياماً فلْيتبوَّأ مقعدَهُ من النارِ »[3] .

ثم يُفصِّلُ رسول الله ﷺ فيقول عليه الصلاة والسلام :

« مَنْ جرَّ ثوبَهُ خُيلاءَ لم ينظرِ الله إليه يومَ القيامةِ »[4] .

« لا يدخلُ النارَ مَنْ كانَ في قلبِه مِثْقالُ ذرَّةٍ من إيمان ، ولا يدخلُ الجنَّةَ مَنْ كانَ في قلبِه مِثْقالُ ذرَّةٍ من كِبْرٍ »[5] .

ثم ماذا ؟ « ألا أُخبركُم بأهلِ النار ؟ كلُّ عُتُلٍّ جوَّاظٍ مُسْتكبر »[6] .

* * *

---

(١) رواه الإمام أحمد .

(٢) رواه الديلمي .

(٣) رواه أحمد .

(٤) رواه البخاري ومسلم .

(٥) رواه مسلم .

(٦) متفق عليه . والعُتُلُّ : الغليظ الجافي ، والجوَّاظ : الضخم المختال في مشيته .

مكانة الصحابة في القرآن...

لقد أثنى الله تعالى على الصحابة الكرام ، ورضي عنهم ، ووعدهم الحُسنى ، كما في قوله :

﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

وقوله تعالى :

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾

[الفتح : ١٨] .

وقوله تعالى :

﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد : ١٠] .

وقوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [الأنفال : ٧٢] .

وقوله تعالى :

﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾ [التوبة : ١١٧] .

وقوله تعالى :

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ

﴿... قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

[الحشر : ٨-١٠] .

إنه كلام واضح صريح في كتاب الله ، يُثني على المهاجرين والأنصار ، والذين جاؤوا من بعدهم .

فهل بعد كلام الله كلام ؟ ؟ .

* * *

خمسة...

عن شقيق البلخي[1] رحمه الله تعالى أنه قال :

عليكم بخمس خصالٍ فاعملوها :

١ـ اعبدوا الله بقدر حاجتكم إليه .

٢ـ وخذوا من الدنيا بقدر عمركم فيها .

٣ـ وتزوَّدوا في الدنيا بقدر مكثكم في القبر .

٤ـ وأذنبوا لله (أذنبوا بعصيانه) بقدر طاقتكم على عذابه .

٥ـ واعملوا للجنَّة بقدر ما تُريدون فيها المقام .

---

(١) هو زاهد صوفي من مشاهير المشايخ في خُراسان ، ولعلَّه أكبر من تكلَّم في علوم الصوفية ، وكان من كبار المجاهدين ، استشهد في غزوة كولان ـ ما وراء النهر ـ (. . . ـ١٩٤ هـ) .

وقال الإمام جعفر الصادق[1] رضي الله عنه : لا تصحب خمسة :

١ـ الكذَّاب : فإنَّكَ منه على غرور ، وهو مثل السَّراب ، يُقرِّبُ إليكَ البعيد ، ويُبعِّدُ منكَ القريب .

٢ـ والأحمق : فإنه لستَ منه على شيء ، يُريد أن ينفعكَ فيضرَّكَ .

٣ـ والبخيل : فإنه يقطعُ بكَ وأنتَ أحوجُ ما تكون إليه .

٤ـ والجبان : فإنَّه يُسلِّمكَ ويفرُّ عند الشدَّة .

٥ـ والفاسق : فإنَّه يبيعكَ بأكلة أو أقلَّ منها ! !

فقيل له : وما أقلُّ منها يا إمام ؟

قال : الطمعُ فيها ثم لا ينالها .

* * *

الحياء لا يأتي إلاّ بخير :

قسَّم رسول الله صلوات الله عليه الإيمان أقساماً ، فقال في حديثه :

« الإيمانُ بضعٌ وستُّونَ شُعبةً ، والحياءُ شُعبةٌ من الإيمان »[2] .

إذاً جعل للحياء في الإيمان شعبة خاصَّة ، ثم حذَّرَ من الفُحشِ وعدّه موصلاً إلى نار جهنَّم ، بينما الحياء طريق يوصل إلى الجنة ، فقال عليه الصلاة والسلام :

---

(١) الإمام جعفر الصادق : هو ابن الإمام محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية ، كان من أجلاّء التابعين ، ت (١٤٨ هـ) .

[الأعلام : ٢/١٢٦] .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

« الحياءُ من الإيمانِ ، والإيمانُ في الجنَّةِ ، والبذاءُ من الجفاءِ ، والجفاءُ في النَّار »[1] .

ثم صعَّدَ النبي صلوات الله عليه الموقفَ إلى درجة عظيمة فقال :

« إنَّ الحياءَ والإيمانَ قُرَناءُ جميعاً ، فإذا رُفِعَ أحدُهما رُفِعَ الآخر »[2] .

وأعطى إيجازاً تامّاً وهو القائل : « أُعطيتُ جوامِعَ الكَلِمِ » فقال :

« الحياءُ لا يأتي إلا بخير »[3] .

أمّا عكسُ الحياءِ فهنا البليّةُ العُظمى ، التي حذَّر منها رسول الله ﷺ فقال :

« إنَّ ممّا أدركَ الناسَ من كلامِ النُّبوَّةِ الأولى : إذا لم تستحِ فاصنعْ ما شِئْتَ »[4] .

ثم ماذا ؟

ما هو حقُّ الحياء ؟ وكيف نستحي من الله تعالى ؟

يُعلِّمنا المصطفى ﷺ فيقول :

« استحيُوا من الله حقَّ الحياءِ ، مَنِ استحيا من الله حقَّ الحياءِ ، فليَحْفَظِ الرَّأسَ وما وعى ، وليَحْفَظِ البطنَ وما حوى ، وليذكُرِ الموتَ والبلى ، ومَنْ أرادَ الآخرةَ تركَ زينةَ الحياة الدنيا ، فمَنْ فعلَ ذلكَ فقد استحيا من الله حقَّ الحياءِ »[5] .

---

(١) رواه الترمذي .

(٢) رواه الحاكم والبيهقي .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

(٤) رواه البخاري وابن ماجه .

(٥) رواه أحمد والترمذي .

حِكَمٌ فاروقيّة!

عن سعيد بن المسيب رحمه الله قال : وضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه للناس ثماني عشرة كلمة كلُّها حِكَمٌ ، قال[1] :

١ـ ما كافأتَ من يعصي الله فيكَ بمثل أن تُطيعَ الله فيه .

٢ـ وضَعْ أمرَ أخيكَ على أحسنه حتى يأتيكَ منه ما يغلبك .

٣ـ ولا تظننَّ بكلمة خرجت من مسلم شراً وأنتَ تجدُ لها في الخير محملاً .

٤ـ ومَنْ تعرَّضَ للتُّهمة فلا يلومنَّ مَنْ أساءَ به الظن .

٥ـ ومَنْ كتمَ سرَّه كانت الخيرة في يديه .

٦ـ وعليكَ بإخوان الصِّدق فعِشْ في أكنافهم فإنَّهم زينة في الرَّخاء وعدَّة في البلاء .

٧ـ وعليكَ بالصِّدق وإن قتلكَ الصِّدق .

٨ـ ولا تعرَّض لما لا يعنيك .

٩ـ ولا تسأل عمّا لم يكن فإن فيما كان شغلاً عمّا لم يكن .

١٠ـ ولا تطلبنَّ حاجتكَ إلى من لا يحبُّ لك نجاحها .

١١ـ ولا تصحبنَّ الفاجر فتتعلَّم فجوره .

١٢ـ واعتزل عدوَّكَ .

١٣ـ واحذر صديقكَ إلا الأمين .

١٤ـ ولا أمين إلا مَنْ خشي الله .

---

(١) من روضة العقلاء : للبستي .

١٥ـ وتخشَّع عند القول .

١٦ـ وذُلَّ عند الطاعة .

١٧ـ واعتصم عند المعصية .

١٨ـ واستشر في أمركَ الذين يخشون الله ، فإن الله تعالى يقول :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر : ٢٨] .

❊ ❊ ❊

أسرار الصوم :

أولاً : غضُّ البصر وكفُّه عن الاتساع في النظر إلى كل ما يُذمُّ ويُكره ، وإلى كلِّ ما يشغلُ القلب ويُلهي عن ذكر الله عز وجل .

ثانياً : حفظ اللسان عن الهذيان والكذب ، والغيبة والنميمة والفُحش والجفاء والخصومة والمِراء وإلزامه السكوت ، وشغله بذكر الله ، وتلاوة القرآن .

ثالثاً : كفُّ السمع عن الإصغاء إلى كلِّ مكروه ، لأن كل ما حرم قوله حرم الإصغاء إليه ، ولذلك سوَّى الله بين المستمع وآكل السُّحت فقال تعالى :

﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ [المائدة : ٤٢] .

﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ﴾

[المائدة : ٦٣] .

فالسكوت على الغيبة حرام ، قال تعالى :

﴿ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ [النساء : ١٤٠] .

رابعاً : كفُّ بقية الجوارح عن الآثام من اليد والرِّجل وعن المكاره ، وكفُّ البطن عن الشبهات وقت الإفطار .

خامساً : ألا يُكثر من الطعام الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلىء جوفه .

سادساً : أن يكون قلبه بعد الإفطار معلَّقاً مضطرباً بين الخوف والرَّجاء ، إذ لا يدري أيُقبلُ صومه فهو من المقرَّبين ، أو يُردّ عليه فهو من الممقوتين[١] .

* * *

مكانة الصحابة الكرام في السُّنَّة...

وردت أحاديث كثيرة في مدح الصحابة الكرام والثناء عليهم ، من ذلك :

ما رواه جابر رضي الله عنه قال : قيل لعائشة رضي الله عنها : إن أُناساً يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ حتى أبا بكر وعمر! فقالت : وما تعجبون من هذا! انقطع عنهم العملُ ، فأحبَّ الله أن لا يقطع عنهم الأجر[٢] .

ومن ذلك ما رواه عمران بن حصين أن رسول الله صلوات الله عليه قال : « خيرُ الناسِ قَرْني ثمَّ الذين يَلُونهم ، ثمَّ الذين يَلُونهم »[٣] .

ومن ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قوله : « لا تَسبُّوا أصحاب محمد ﷺ ، فلمقامُ أحدهم ساعة ، خير من عمل أحدكم أربعين

---

(١) من إحياء علوم الدين : للإمام الغزالي رحمه الله .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود.

سنة » ، وفي رواية وكيع : « خيرٌ من عبادة أحدكُم عمره »[1] .

ومن ذلك ما رواه جابر أن النَّبي ﷺ قال :

« لا يدخُلُ النار أحدٌ بايعَ تحت الشجرة »[2] والآية في ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ١٨] .

ومن ذلك قول رسول الله ﷺ فيما رواه عبد الله بن مغفّل :

« الله الله في أصحابي ، لا تتَّخذوهم غَرَضاً بعدي ، فمَنْ أحبَّهُم فبحُبِّي ، ومَنْ أبغضَهُم فببُغْضي أبغضَهُم ، ومَنْ آذاهُم فقد آذاني ، ومَنْ آذاني فقد آذى الله تعالى ، ومَنْ آذى الله فيوشِكُ أن يأخُذَه »[3] .

ومن ذلك ما رواه الإمام مسلم عن جابر رضي الله عنه : أن غلام حاطب بن أبي بلتعة قال : يارسول الله ، ليدخُلَنَّ حاطبٌ النار ، فقال رسول الله ﷺ :

« كَذَبْتَ فإنَّه شَهِدَ بدراً والحُدَيْبية »[4] .

وقد مدح رسول الله صلوات الله عليه بعضهم (تخصيصاً) كالعشرة المُبشَّرين بالجنة ، ومنهم أبو بكر وعمر : « اقتدوا باللذين من بعدي : أبي بكر وعمر »[5] .

---

(١) رواه ابن ماجه وابن بطة .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه الترمذي وأحمد وابن حبان .
(٤) رواه مسلم .
(٥) رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد.

ومنهم سيدنا علي : « أنتَ منّي بمنزلةِ هارونَ من موسى ، إلا أنَّه لا نبيَّ بعدي »[1] .

ومنهم سيدنا عثمان : « ألا أستحي من رجلٍ تستحي منه الملائكةُ » ؟[2] .

ومنهم أبو عُبيدة : « إنَّ لكلِّ أُمَّةٍ أميناً ، وإنَّ أميننا أيتها الأمة : أبو عبيدة بن الجراح »[3] .

فرضي الله عن جميع الصحابة الكرام ، وجعلنا من المقتدين بهم ، والمستغفرين والداعين لهم .

* * *

فوا سوأتاه من الوقوف غداً بين يديك!!

عُرف عن الإمام (زين العابدين علي بن الحسين) رضي الله عنه كثرة الدعاء والسجود واللجوء إلى الله حتى لُقِّب بالسَّجَّاد ، وبالفعل كانت له مقطوعات رائعة في المناجاة ، من ذلك :

إلهي! غارت نجوم سمواتك ، وهجعت عيون أنامك ، وأبوابك مُفتَّحات للسائلين ، جئتُكَ لتغفر لي وترحمني ، وتُرِيَني وجه جدِّي رسول الله ﷺ في عرصات القيامة ، وعزَّتك وجلالك ما أردتُ بمعصيتي مخالفتك ، وما عصيتُ إذ عصيتُكَ وأنا بكَ شاكٌّ ولا بنكالك جاهل ، ولا لعقوبتك متعرِّض .

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي .

(٢) رواه الإمام مسلم .

(٣) رواه البخاري ومسلم.

ولكن سوَّلت لي نفسي وأعانني على ذلك سترُكَ المرخى به عليَّ ، فأنا الآن من عذابكَ من يستنقذني ، وبحبل مَنْ أعتصم إن أنتَ قطعتَ حبلكَ عنِّي ، فوا سوأتاه غداً من الوقوف بين يديكَ ، إذا قيل للمُخفِّين جوزوا ، وللمُثقلين حطُّوا ، أمع المُخفِّينَ أجوزُ ، أم مع المُثقلين أحطُّ ؟ ؟

وَيْلي كلَّما طال عمري كثُرَتْ خطاياي ولم أتب ، أما آن لي أن أستحي من ربِّي ؟

أتحرِقُني بالنَّارِ يا غايةَ المُنى ... فأينَ رجائي فيكَ أينَ محبَّتي ؟
أتيتُ بأعمالٍ قِباحٍ رديئةٍ ... وما في الوَرى خَلْقٌ جنى كجِنايَتي!!

فسأله واحدٌ من أصحابه :

ما هذا الجزع والفزع ، ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا ؟ إنَّ أباك الحسن وأمُّكَ فاطمة وجدُّكَ المصطفى عليه الصلاة والسلام .

فالتفت الإمام زين العابدين رضي الله عنه إلى الرجل وقال : هيهات ، هيهات ، أما سمعتَ قول مولانا عز وجل :

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾

[المؤمنون : ١٠١] .

❊ ❊ ❊

لقاء البخلاء كَرْب!!

قال العلامة (ابن الجوزي) رحمه الله تعالى :

اعلم أن مجرَّد الإمساك للمال لا يُسمَّى بُخلاً ، لأن الإنسان قد يُمسك فاضل المال لحاجته ، ولحوادث دهره ، ولأجل عياله وأقاربه ، وهذا كلُّه من باب الحزم فلا يُذمُّ ، وقد يجد قوم قوَّة في النفس بحفظ المال ،

وإنما يقع اسم البخل على مانع الحق الواجب ، قال ابن عمر رضي الله عنهما : من أدّى الزكاة فليس ببخيل ، ثم لمن منع ما لا يضرُّه ، ولا يكاد يؤثر فيه ، مما ينتفع به الناس بخيل ، وقد قال رسول الله ﷺ :

« وأيُّ داءٍ أدْوى من البُخْل »[١] .

وقال أبو محمد الرامَهُرْمُزي (مُحدِّث العجم يومها) : إنما يُشبَّه البخل بالدَّاء لأنه يُفسد الخُلُق ويُبعد الإنسان عن السؤدد (السيادة) ويُكسب سوء الثناء والمذمَّة ، كما أن الداء يُضعف الجسم ويُبطل الشهوة ويُغيِّر اللون ، قد قالت الحكماء : الكريم حرٌّ لأنه يملك ماله ، والبخيل لا يستحقُّ اسم الحرية لأنه لا يملك ماله إنما ماله يملكه .

وقد قال رسول الله صلوات الله عليه :

« إيّاكم والشُّحّ ، فإنَّ الشُّحَّ أهلكَ مَنْ كان قبلكُم ، أمَرَهُم بالقطيعةِ فقَطَعوا ، وأمرهُم بالبخل فبخلوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا »[٢] .

وقال أيضاً : « خَصْلتان لا تجتمعانِ في مؤمنٍ ، البُخْلُ وسوءُ الخُلُق »[٣] .

قال الخطابي : الشُّحُّ أبلغ من البخل ، فهو بمنزلة الجنس ، والبخل بمنزلة النوع .

وقال بعضهم : البخل أن يضنَّ بماله ومعروفه .

وقال الكرخي : لقاء البخلاء كَرْبٌ على قلوب المؤمنين .

وعلاج البخل : أن يتفكَّر فيرى أن فقراء بني آدم إخوانه وقد أوثر

---

(١) رواه أحمد والحاكم وأبو يعلى . ومعنى أدوى : أقبح .

(٢) رواه أبو داود والبغوي البيهقي والحاكم .

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد والترمذي والبيهقي وأبو نعيم .

عليهم ، وأُحْوِجوا إليه ، فليجعل شكر المُنعم مواساة الإخوان ، ولينظر في شرف الكرم ، وليعلم أنه يسترقُّ الأحرار ، إذا أسدى إليهم معروفاً ، وينهبُ عرضه الأشرار إذا بخل ، وليتيقَّن أنه سيترك ما في يديه ذميماً ، فليخرج منه قبل أن يخرج عنه[1] .

* * *

أحرٌّ أنتَ أم عبد ؟

لما فهم المسلمون الأوائل أحاديث المصطفى صلوات الله عليه ، وكان منها الكثير الذي يحضُّ على إطعام الجائع ـ حتى لو كان قطَّة أو كلباً أو أيَّ ذي روح ـ وعلموا أنَّ امرأة دخلت النار بسبب الهرَّة التي حبستها ! !

وتباروا في ذلك ، ووردت قصص في تاريخنا العريق تكاد تكون في نظر الذين يعيشون في أواخر هذا القرن ضرباً من الخيال والأساطير ، لكن التاريخ شاهد عدلٌ على ذلك ، من هذه الأمور ما يلي :

مرَّ (عبيد الله بن معمر) بزنجي يأكل عند حائط (بستان) وبين يديه كلب ، إذا أكل لقمة طرح له لقمة ، فقال له : أهذا الكلب كلبك ؟ قال : لا .

قال : فلِمَ تُطعمه مثل ما تأكل ؟

قال : إنِّي أستحي من ذي عينين ينظر إليَّ ، أن أستبدَّ بمأكول دونه .

قال : أحرٌّ أنتَ أم عبد ؟

قال : عبد لبعض بني عاصم .

---

(١) من الطب الروحاني : لابن الجوزي ص ٥٣ .

فأتى عبيد الله بن معمر ناديهم فاشتراه واشترى الحائط ، ثم جاءه فقال :

أشعرتَ أن الله قد أعتقكَ ؟

قال : الحمد لله وحده .

قال : وهذا الحائط لك .

قال : أُشهِدُكَ أنه وَقْفٌ على فقراء المدينة .

قال : ويحك ، أتفعل هذا مع حاجتك ؟

قال : إنِّي أستحي من الله أن يجود لي بشيءٍ فأبخل به عليه .

* * *

الرحمة بالحيوان!!

منذ خمسة عشر قرناً نادى الإسلام بالرَّحمة بالحيوان ، فقال الله تعالى في كتابه العزيز :

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾

[الأنعام : ٣٨] .

ثم تجيءُ السنَّة المُطهَّرة لتشرح ذلك على لسان سيدنا رسول الله صلوات الله عليه :

« لا تتَّخِذوا ظُهورَ دوابِّكُم كراسي » رواه أحمد والحاكم .

كذلك في قوله صلوات الله عليه فيما يرويه البخاري ومسلم :

« لعنَ رسول الله مَن اتَّخذَ شيئاً فيه الرُّوح غَرَضاً » ، (أي هدفاً) .

ثم جاء الفقه الإسلامي ليقرِّرَ أحكاماً لا تخطرُ على بال ، من ذلك :

إذا لجأت هرَّة عمياء إلى بيت شخص وجبت نفقتها عليه حيث لم تقدر على الانصراف!!!

وكان الإمام الكبير (أبو إسحاق الشيرازي) يمشي في طريق ومعه بعض أصحابه ، فعرض له كلب فزجره صاحبه ، فنهاه الشيخ وقال له : أما علمتَ أن الطريق مشترك بيننا وبينه ؟ !

وذاك أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) يرى رجلاً يسحب شاةً برجلها ليذبحها ، فيقول له : يا هذا ، قُدْها إلى الموت قوداً جميلاً!!

وهذا (عمر بن عبد العزيز) رحمه الله يقول في إحدى رسائله إلى الولاة : لا تركضوا الفرس في غير حق!! ولا تلجموا دابَّةً بلجامٍ ثقيل ، ولا تضربوها ضرباً قوياً ، ولا توقفوها في السَّاحات العامَّة وعلى ظهورها أحمالها ، وراقبوا الله في علفها وعليقها .

وذاك (أبو الدرداء) رضي الله عنه يقول لبعيره عند موته : يا أيها البعير لا تخاصمني إلى ربِّك ، فإنِّي لم أكن أُحمِّلكَ فوقَ طاقتك!!

وذاك (عدي بن حاتم) كان يفتُّ الخبز للنمل ويقول : إنَّهن جارات لنا ولهنَّ علينا حق!!

وتطوَّر الأمر إلى درجة أنَّ أصحاب الخير جعلوا من أموالهم أوقافاً لصالح الحيوانات المريضة ، وأوقافاً لرعي الحيوانات المُسنَّة العاجزة ، بل كان في دمشق مثلاً أوقافاً خاصَّة بالقطط ، يُقدَّم لها الأكل والرعاية الصحيَّة!!

فمن إذاً أسبق إلى الرحمة بالحيوان ؟

حضارة الإسلام أم الحضارة الأوروبية ؟!

❊ ❊ ❊

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ :

أكَّد القرآن الكريم الأخوَّةَ والألفةَ ، وذكرها في مواضع كثيرة ، منها قوله تعالى :

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [الحجر : ٤٧] .

ومنها قوله تعالى :

﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

ومنها قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] .

وعندما سمع الرعيل الأول هذه الآيات القرآنية ـ وكانوا عرباً أقحاحاً ـ فهموها ووعوها وترجموها في واقع حياتهم ، حتى قد يظنُّ أحدنا اليوم أنها ضرب من الخيال ، وإليكَ واحدة منها :

في غزوة اليرموك انطلق (حذيفة العدوي) بشربة ماء يبحث عن ابن عمٍّ له بين القتلى ، يريد أن يسقيه وهو يقول : إن كان به رمقٌ سقيته! لكنَّه وجد ابن عمِّه جريحاً بين الجرحى يُسمع له أنين من شدَّة الجراح والطَّعن الذي في جسمه ، اقترب إليه حذيفة وقال له :

يا بن عمِّ ، أأسقيكَ ؟

فأشار برأسه أن نعم ، لكن قبل أن يشرب الجريح ، سمع بجواره أنيناً وتقطعات من الصوت (آه ، آه) ، فأشار إلى ابن عمه أن اذهب إلى صاحب الصوت فاسقه!! فإذا هو هشام بن العاص ، فلما همَّ هشام أن

يشرب سمع جريحاً آخر يقول (آه ، آه) ، فأمر الساقي أن يذهب إليه ، ليُشربه الماء ، فلما بلغ الساقي وجده فارق الحياة ، فعاد إلى الجريح الثاني هشام فوجده قد مات أيضاً ، فعاد إلى ابن عمِّه فوجده قد مات أيضاً ! ! رحمهم الله جميعاً وأعلى مقامهم في الفردوس الأعلى .

❊ ❊ ❊

الفحش في القول :

وصف الله تعالى المؤمنين بقوله :

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [القصص : ٥٥] .

ثم يقول عنهم :

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون : ٣] .

وإليك هذه الأشعار في ذلك :

وتجنَّبِ الفحشاءَ لا تَنْطِقْ بها ... مادُمْتَ في جِدِّ الكلامِ وهَزْلِهِ

واحْبِسْ لسانَكَ عن رديءِ مقالةٍ ... وتوقَّ من عثرِ اللسانِ وزلِّهِ

كم كلمةٍ جَرَّتْ لرأسٍ نقمةً ... كالدَّهرِ يرشقُ نبلَهُ في نبلِهِ

ويقول آخر :

إذا ما بَدَتْ من صاحبٍ لكَ زَلَّةٌ ... فكنْ أنتَ محتالاً لزلَّتِه عُذْرا

أُحبُّ الفتى يَنفي الفواحِشَ سمعُه ... كأنَّ به عن كلِّ فاحشةٍ وَقْرا[1]

---

(١) وقراً : ذهاب السمع كله إلا قليلاً منه .

سليمَ دواعي الصَّدر لا باسطاً أذى ولا مانعاً خيراً ولا قائلاً هُجْرا

ويقول آخر :

وكلمة حاسدٍ في غيرِ جَزْمٍ سمعتُ فقلتُ مُرِّي فانفُذيني[1]

عَنَيْتُ بها كأنْ قيلَتْ لغيري ولم يعرض لها يوماً جبيني

وهذا ما جمعه ابن عباس رضي الله عنهما بقوله :

« رحم الله من حفظ لسانه ، وعرف زمانه ، واستقامت طريقته » .

* * *

عناية المسلمين بالقرآن :

ـ كانت الآية أو الآيات تنزل فيحفظها النبي صلوات الله عليه ، ثم يتلوها على الأصحاب ، ثم يأمر عشرة بتدوينها ، ثم جُمع القرآن ونُسخ ووزِّعه إلى مكة والكوفة والشام وغيرها .

ـ وبلغ تعلُّق المسلمين بالقرآن الكريم وعنايتهم به في مختلف العصور أقصى الحدود ، فلم يكتفوا بحفظه وفهمه والكشف عمّا فيه من علوم ومعارف وأسرار ، وإحصاء كلماته وحروفه ، بل أحصوا أيضاً المرات التي ورد فيها كل حرف من أحرف الهجاء ، ونحن نورد ذلك فيما يلي ، ليعتبر أبناؤنا وبناتنا الذين لا يعرفون ـ وللأسف ـ حتى عدد سور القرآن الكريم وأجزائه :

---

(١) انفذيني : تجاوزيني .

الكلمات	٧٧٨٤٥	الصادات	٢٠٧١
الحروف	٣٣٠٧٣٣	الضادات	١٦٨٦
الألفات	٤٠٧٩٢	الطاءات	١٢٧٣
الباءات	١١٤٩١	الظاءات	٨٥٣
التاءات	١٠٤٧١	العينات	٩٤٠٥
الثاءات	١٤١٤	الغينات	١٢٢١
الجيمات	٣٣١٦	الفاءات	٨٧٤٧
الحاءات	٤١٤١	القافات	٧٠٣٤
الخاءات	٢٤٩٧	الكافات	١٠٤٩٧
الدالات	٥٩٩١	اللامات	٣٨١٨٩
الذالات	٤٩٣٢	الميمات	٢٦٧٤٧
الراءات	١٠٤٠٣	النونات	٣٧٢٦٥
الزايات	١٥٩٩	الواوات	٢٤٧٩٦
السينات	٦٠١٤	الهاءات	١٤٨٥٠
الشينات	٢١٢٤	الياءات	٢١٩٩٩

* * *

اللّمس والمسّ...

هناك كلمات كثيرة في لغتنا العربية الجميلة تبدو متشابهة ، وتختلف أحياناً لمجرَّد حركة ما ، وهذا النوع دفع العلماء ليُصنِّفوا تصانيف كثيرة أعطت الجمال اللغوي حقَّه. . . من ذلك ما أورده (نور الدين الجزائري)

اللمس والمسّ :

قيل : الفرق بينهما أن اللمس لصوق بإحساس ، والمسّ : لصوق فقط ، وقد يكون اللمس بمعنى المسّ .

وقال البيضاوي :

« المسُّ : إيصال الشيء بالبشرة بحيث تتأثَّر الحاسَّة ، واللمس : كالطلب له ، ولذلك يُقال : ألمسُه فلا أجده » .

والمراد أن اللمس يُنبىء عن اعتبار الطلب له سواءً كان داخلاً في مفهومه أو لازماً له ، وقد يُستعار المسّ للإصابة كما في قول الله تعالى :

﴿ إن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ . . . ﴾ [آل عمران : ١٢٠] .

قال في الأساس :

ومن المجاز مسَّه الكبر ومسَّه العذاب .

وقال علي بن عيسى (الملقَّب بالأخشيدي) ت ٣٨٤ هـ :

إن المسَّ يكون بين جمادين ، واللمس لا يكون إلا بين حيَّيْن[1] .

* * *

يا أبا يوسف : لِمَ رددتَ شهادة الوزير ؟

عُرف عن علماء المسلمين الثبات . . والدفاع عن الحق حتى لو كان مُرّاً .

كما أنهم لم يُنافقوا ولم يتملَّقوا ، ذلك لأنهم زهدوا بالدنيا ففتح الله عليهم ، وذلك لأنهم خافوا الله فأخاف الله منهم كل شيء ، لم يكن لديهم فتاوى جاهزة متنوِّعة : فإن كان السائل من عامَّة الشعب غلَّظوا عليه وشدَّدوا ! ! وإن كان سلطاناً تلاعبوا ويسَّروا ! !

---

(١) فروق اللغات : نور الدين بن نعمة الله الجزائري ص ٢٠٤ .

والأمثلة في تاريخنا المشرق كثيرة منها :

شهد (الفضل بن الربيع) وزير الخليفة (هارون الرشيد) أمام القاضي (أبو يوسف) صاحب الإمام أبي حنيفة رحمهما الله تعالى .

فردَّ الإمام القاضي شهادة هذا الوزير ! !

فقال الخليفة هارون : لِمَ رددتَ عليه شهادتهَ ؟

قال - بكل ثقة واعتزاز - :

لقد سمعته يوماً يقول للخليفة : أنا عبدك .

فإن كان صادقاً فلا شهادة له : لأنه عبد ! !

وإن كان كاذباً فلا شهادة له : لأنه كذَّاب ! !

ولأنه لم يُبالِ بالكذب في مجلسك ، فلا يُبالي بالكذب في مجلس القضاء . . .

فعذره الخليفة وأيَّده على ذلك .

* * *

من مواعظ أبي الدرداء رضي الله عنه :

وعظ (أبو الدرداء)[1] رضي الله عنه جماعة من الناس فقال :

● ما لكم لا تحابُّون ولا تَناصَحون ، وأنتم إخوان على دين الله ،

---

(١) هو عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي ، صحابي من الحكماء الفرسان القضاة ، كان قبل البعثة تاجراً في المدينة ، ثم انقطع للعبادة ، ولما ظهر الإسلام اشتهر بالشجاعة والنسك ، وهو أحد حفاظ القرآن على عهد النبي ﷺ ، مات بالشام (٣٢ هـ ، ٦٥٢ م) .

[الأعلام : ٥/ ٩٨] .

ما فرَّق بين أهوائكم إلا خُبث سرائركم ، ولو اجتمعتم على البرِّ لتحاببتم ، ما لكم تناصحون في أمر الدنيا ولا تناصحون في أمر الآخرة ، ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يحبُّه ويُعينه على أمر آخرته!! ما هذا إلا قلَّة الإيمان في قلوبكم ، لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرِّها كما توقنون بالدنيا ، لآثرتم طلب الآخرة لأنها أملك لأموركم .

● فإن قلتم : حبُّ العاجلة غالب ، فإنَّا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للآجل منها ، تكِدُّون أنفسكم بالمشقَّة والاحتراف في طلب أمر لعلَّكم لا تدركونه ، فبئس القوم أنتم ، ما حقَّقتم إيمانكم بما يعرف به الإيمان البالغ فيكم ، فإن كنتم في شك مما جاء به محمد ﷺ فائتونا لنبيِّن لكم ، ولنُريكم من النور ما تطمئنُّ إليه قلوبكم .

● والله ما أنتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم ، إنكم تستبينون صواب الرأي في دنياكم ، وتأخذون بالحزم في أموركم ، ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا تُصيبونه ، وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يتبيَّن ذلك في وجوهكم ويظهر على ألسنتكم ، وتسمونها المصائب وتُقيمون فيها المآتم ، وعامَّتكم قد تركوا كثيراً من دينهم لا يتبيَّن ذلك في وجوهكم ولا يتغيَّر حالكم .

● إنِّي لأرى الله قد تبرَّأ منكم ، يلقى بعضكم بعضاً بالسرور ، وكلُّكم يكره أن يستقبله صاحبه بمثله ، فاصطحبتم على الغلِّ ، ونبتت مراعيكم على الدِّمن ، وتصافيتم على رفض الأجل ، فإن كان فيكم خير فقد أسمعتكم ، وإن تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيراً وبالله أستعينُ على نفسي وعليكم .

❊ ❊ ❊

حبيبي! فما أنتَ صانع بي ؟

يقول النبيُّ الجليل رسول الله ﷺ :

« لا تَسْتَكْثِروا طاعتكُم ، ولا تستقِلُّوا ذُنوبَكُم » .

لذلك قال بعض العارفين بالله : مساكين أهل الغفلة!

يشتغلون بكثرة الأعمال ، ويعظِّمونها ويفتخرون بها ، ولو أن أهل المعرفة عملوا أعمال أهل السموات والأرض ، من الأزل إلى الأبد كان ذلك أصغر وأحقر في أعينهم من خردلة في السماء والأرض .

« وقد رُوي أن سيدنا موسى عليه السلام ، كان يمرُّ على شاطىء البحر يوماً .

فقال : إلهي! قد اصطكَّتْ رُكبتاي ، وانحنى ظهري ، حبيبي! فما أنتَ صانع بي ؟

فأمر الله ضفدعاً أن يُجيبه ، فقال : يا بن عمران! أتمنُّ على ربِّكَ بعبادتكَ إيَّاه ؟! وقد اصطفاكَ وكلَّمكَ ، وقرَّبكَ وناجاكَ ، فوالذي خلقني ويراني ، إنِّي على صخرة منذ ثلاثمئة وستين سنة ، أُسبِّحُهُ ليلاً ونهاراً ، لا أفرُّ منها لحظة ، ومنذ ثلاثة أيام لم آكل ، وكلُّ ساعة ترتعدُ فرائصي من هيبته »[1] .



---

(١) حالة أهل الحقيقة مع الله : للرفاعي ١٤٤ .

الموت له أفضل!

(بزرجمهر) : كان رجلاً عاقلاً حكيماً ، عمل في بداية أمره معلّماً لهرمز بن كسرى أنوشيروان ، ولما لمس فيه كسرى العبقرية والإخلاص وسداد الرأي ، وبعد النظر اختاره وزيراً له ، فكان ساعده الأيمن في تنفيذ الإصلاحات الإدارية والاجتماعية التي قام بها كسرى .

نقلت عنه المصادر العربية والفارسية كثيراً من الحكم والأمثال ، ونُسب إليه حل لغز لعبة الشطرنج ـ كما جاء في الشاهنامه ـ قُتل هذا العالم الكبير بناء على أمر كسرى أبرويز الذي تولى الحكم (٥٩٠ـ٦٢٧ م) ومن حكمه الجميلة :

« سألوه : أي شيء أفضل ؟ قال : العقل الفطري .

فقالوا : إن لم يكن . فقال : الثقافة والأدب فهما يقيمان حاله .

فقالوا : إن لم يكن . فقال : المال الذي يغطّي العيوب .

فقالوا : إن لم يكن . فقال : حلم ومداراة فهما يُزيّنان الرجل .

فقالوا : إن لم يكن . فقال : الصمت حتى لا يتأذّى أحدٌ منه .

فقالوا : إن لم يكن . فقال : الموت له أفضل لكي يستريح من نفسه ومن الناس!! »[1] .

* * *

---

(١) جوامع الحكايات ولوامع الروايات : محمد عوفي .

يا عابد الحرمين!!

(عبد الله بن المبارك) : محدِّث فقيه (ت ١٨١ هـ) جاهد بماله ونفسه ، واتخذ (طَرسُوس) وهي من مدن الثُّغور مقرّاً له لمحاربة الروم .

و (الفضيل بن عياض) ثقة محدِّث عابد زاهد (ت ١٨٧) لُقِّبَ بعابد الحرمين ، واشتُهر بكثرة البكاء والمجاورة للحرم المكّي .

لكن (ابن المبارك) أنكر على صديقه (الفضيل) كثرة البكاء وملاصقة الحرم ، فأرسل له أبياتاً إثر معركةٍ مع الروم ، يقول فيها :

يا عابِدَ الحرمَيْنِ لَوْ أبصَرْتَنا ... لعلِمْتَ أنَّكَ في العبادَةِ تَلْعَبُ!

مَنْ كانَ يخضُبُ جيدَهُ بدموعِهِ ... فنحورُنا بدمائِنا تتخضَّبُ

أو كان يُتعِبُ خيلَهُ في باطلٍ ... فخيولُنا يومَ الكريهةِ تَتْعَبُ

ريحُ العبيرِ لكم ونحنُ عبيرُنا ... رَهْجُ السَّنابِكِ والغُبارُ الأطْيَبُ

ولقد أتانا عنْ مقالِ نبيِّنا ... قولٌ صحيحٌ صادِقٌ لا يَكْذِبُ

لا يستوي غُبارُ خيلِ الله في ... أنفِ امرئٍ ودُخانُ نارٍ تَلْهَبُ

هذا كتابُ الله ينطِقُ بيننا ... ليسَ الشَّهيدُ بميِّتٍ لا يكذِبُ[1]

فماذا نقول اليوم عن أنفسنا ؟ ؟

* * *

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى : للسبكي ١/ ٢٨٧ .

الفتح... سببه اهتمام المسلمين بعضهم ببعض :

روى الإمام (أبو الفرج بن الجوزي) :

سبى الروم نساءً مُسلمات ، ولما بلغ الخبر (الرقة) وبها أمير المؤمنين هارون الرشيد[1] ، فقيل (لمنصور بن عمار) :

لو اتَّخذتَ مجلساً بالقرب من أمير المؤمنين ، تُحرِّض الناس على الغزو .

ففعل المنصور ذلك ، وبينما هو يُذكِّرهم ويُحرِّض ، إذا نحن بخرقة مصرورة مختومة قد طُرِحت إلى (المنصور) ومع الصرَّة كتاب مختوم ، ففكَّ الكتاب وقرأه وإذا فيه :

إنِّي امرأة من أهل البيوتات من العرب ، بلغني ما فعل الروم بالمسلمات ، وسمعتُ تحريضك الناس على الغزو وترغيبكَ في ذلك ، فعمدتُ إلى أكرم شيءٍ في بدني وهما ذؤابتاي[2] فقطعتُهما وصررتُهما في هذه الصرَّة ، وأناشدك الله العظيم لما جعلتهما قيد فرس غاز في سبيل الله ، فلعلَّ الله أن ينظر إليَّ على تلك الحال نظرة فيرحمني بها. . .

قال : فبكى المنصور وأبكى الناس .

وأمر هارون أن يُنادى بالنفير ، فغزا بنفسه ، وكان النصر من الله والفتح. . .[3] .

---

(١) هو الخليفة العباسي الخامس ، بقي في الخلافة (١٧٠ـ١٩٣ هـ) ، وكان يحبُّ سماع أقوال الزهَّاد (كالفضيل وابن السماك) ، مات في الغزو بطوس (بخراسان) ودُفن هناك [من تاريخ الخلفاء : للسيوطي] .

(٢) ذؤابتان : مقدمة الشَّعر .

(٣) بتصرف من صفة الصفوة : لابن الجوزي ١٩٨/٤ .

أنفق ولا تخشَ من ذي العرش إقلالاً :

الرسول ﷺ يجلس في بيته مع زوجته عائشة رضي الله عنها فجيء له بتسعين ألف درهم ، فأخذ الرسول ﷺ يقسمها ، فلم يردَّ سائلاً قطُّ حتى فرغ منها ، ثم أتاه رجل يسأله ، فقال له النَّبي ﷺ : « ما عندي شيءٌ ولكن ابْتَعْ عليَّ - أي اشتر ما يلزمك على حسابي - فإذا جاءَ شيءٌ قَضَيْناهُ » .

فقال سيدنا عمر رضي الله عنه : ما كلَّفكَ الله ما لا تقدرُ عليه .

فكره رسول الله ﷺ هذا القول من عمر ، وهو أجود الخلق على الإطلاق .

أليس هو القائل : « إيَّاكم والطَّمعُ فإنَّه الفقرُ الحاضر » ؟

وهنا قام أحد الأنصار وقال : يارسول الله! أنفق ولا تخشَ من ذي العرشِ إقلالاً .

فتبسَّم رسول الله ﷺ وقال : « بهذا أُمِرْتُ »[1] .

وقد صدق الشاعر حين قال :

يا مَنْ عاشَ في الدُّنيا طويلاً ... وأفْنى العُمرَ في قيلٍ وقالِ

وأتْعَبَ نفسَهُ فيما سيفْنى ... وجمعٌ من حرامٍ أو حلالِ

هَبِ الدُّنيا تُقادُ إليكَ عفواً ... أليسَ مصيرُ ذلكَ للزَّوالِ ؟[2]

* * *

---

(١) بتصرف من فتح الخلاق في مكارم الأخلاق : للدجوي .

(٢) من أبيات للشاعر العباسي (الأبشيهي) المتوفى (٢١٥ هـ) .

أين مثل هؤلاء اليوم ؟

ـ قال ابن خزيمة رحمه الله : ما رأيتُ تحت أديم السماء أعلم بالحديث ، ولا أحفظ له من محمد بن إسماعيل البخاري ، حتى كان يُقال : إنَّ حديثاً لا يعرفه البخاري ليس بحديث!

وقد روي عن البخاري قوله : أحفظُ مئة ألف حديث صحيح ومئتي ألف حديث غير صحيح .

وقال : ما وضعتُ في كتابي الصحيح حديثاً إلا اغتسلتُ قبل ذلك ، وصلَّيتُ ركعتين ، ولقد أخرجته من ستمئة ألف حديث وصنَّفته في ست عشرة سنة . . . !!

لذلك تسابق المسلمون في الحفظ ، حتى لقد جعل علماء الحديث مراتب وألقاباً لا تُمنح لشخص إلا إذا حفظ كمية من الأحاديث قدَّروها وحدَّدوها .

(فالحافظ) من حفظ مئة ألف حديث متناً وإسناداً ، ووعى ما يحتاج إليه .

(والحجَّة) من أحاط بثلاثمئة ألف حديث .

(والحاكم) من أحاط علمه بجميع الأحاديث النبوية المروية متناً وإسناداً وجرحاً وتعديلاً . . .

فأيُّ عقول بشريَّة ، وأيُّ ذاكرة ، بل أيُّ كمبيوتر هذا ؟؟!!

ـ قال العلامة الراوي (حمّاد) : أرسل إليَّ (أبو مسلم) ليلاً ، فراعني ذلك ، فلبستُ أكفاني ومضيتُ ، فلما دخلتُ عليه تركني حتى سكن جأشي ، ثم قال لي : ما شعرٌ فيه (أوتاد) ؟ قلتُ : من قائله أصلح الله الأمير ؟ قال : لا أدري!

قلتُ : فمن شعراء الجاهلية أم من شعراء الإسلام ؟ قال : لا أدري!

قال حماد : فأطرقتُ حيناً أفكِّر فيه ، حتى بدا لي وهمي شعر (الأفوه الأوديّ) وهو قوله :

لا يصلحُ الناس فوضى لا سَرَاة لهم ... ولا سَـرَاةَ إذا جُهَّـالُهـم سـادوا

والبيـتُ لا يُبتنـى إلاَّ لـهُ عمـدٌ ... ولا عِمـادَ إذا لـم تُـرْسَ أوتـادُ

فـإن تجمَّـعَ أوتـادٌ وأعمـدَةٌ ... يوماً فقد بلغوا الأمرَ الذي كادوا

فقلـتُ : يـا أميـر المـؤمنيـن هـو قـول (الأفـوه الأوديّ) ، قـال : صدقتَ ، انصرف إذا شئت ، فقمتُ ، فلما وصلتُ الباب الخارجي ، إذا بأحد غلمانه قد وضع لي صرَّةً في جيبي ، فلما وصلتُ البيت إذا بها عشرة آلاف درهم .

ـ وقال أبو نواس : ما قلتُ الشعر حتى رويتُ لستين امرأة ، منهنَّ الخنساء وليلى ، فما ظنُّكَ بالرِّجال!

* * *

عتبة بن ربيعة يفاوض!!

جاء في سيرة ابن هشام وغيرها من السِّير :

أن (عتبة بن ربيعة) عرض على رسول الله صلوات الله عليه في مكة قائلاً : يا بن أخي ، إنَّكَ منّا حيث قد علمتَ من السِّطَة[1] في العشيرة والمكان في النسب ، وإنَّكَ قد أتيتَ قومكَ بأمر عظيم ، فرّقتَ به جماعتهم ، وسفَّهتَ به أحلامهم ، وعبتَ آلهتهم ودينهم ، وكفَّرتَ به من مضى من آبائهم ، فاسمع منّي أعرضُ عليكَ أموراً تنظر فيها ، لعلَّكَ تقبل

---

(١) السِّطة : في الوسط حسباً ونسباً .

منها بعضها ، فقال رسول الله ﷺ :

« قُلْ يا أبا الوليد أسمَع » ، فقال عتبة : يا بن أخي ، إن كنتَ إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت إنما تريد شرفاً سوَّدناكَ علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكاً ملَّكناكَ علينا ، وإن كان هذا الذي رئياً (جنّي) تراه ، ولا تستطيع ردَّه عن نفسكَ ، طلبنا لك الطبَّ وبذلنا فيه أموالنا حتى نُبرئكَ منه ، فإنَّه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه .

فقال رسول الله ﷺ : « أوَ قد فرغتَ يا أبا الوليد » ؟ قال : نعم .

فقال له : « ما بي ما تقولون ، ما جئتُ بما جئتكم به أطلبُ أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ، ولكنَّ الله بعثني إليكم رسولاً ، وأنزلَ عليَّ كتاباً ، وأمرني أن أكونَ لكم بشيراً ونذيراً ، فبلَّغتكم رسالات ربِّي ونصحتُ لكم ، فإن تقبلوا منِّي فهو حظُّكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردُّوه عليَّ أصبر لأمرِ الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » ثم تلا رسول الله ﷺ من سورة فصلت :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فصلت : ١-٥] .

فرجع عتبة إلى قريش قائلاً :

«أطيعوني واجعلوها بي ، وخلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه »[1] .

* * *

(١) للتوسع راجع السيرة النبوية لابن هشام : ١/ ٣١٣-٣١٤-٣١٥ .

أربع آيات فيَّ!!

قال الإمام الزركشي رحمه الله تعالى[1] :

روى الإمام البخاري رضي الله عنه في (الأدب المفرد) في باب بر الوالدين :

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : نزلَتْ فيَّ أربع آياتٍ من كتاب الله عز وجل : كانت أمي حلفت ألا تأكل ولا تشرب حتى أُفارق محمداً ﷺ فأنزل الله تعالى :

﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمان : ١٥] .

والثانية : أني كنتُ أخذتُ سيفاً (أي من المغانم) فأعجبني ، فقلتُ : يارسول الله ، هب لي هذا ، فنزل قوله تعالى :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ . . ﴾ [الأنفال : ١] .

والثالثة : أني كنتُ مرضتُ ، فأتاني رسول الله ﷺ ، فقلتُ : يارسول الله ، إني أريد أن أقسم مالي ، أفأوصي بالنصف ، فقال : لا ، فقلت : الثلث ؟ فسكت ، فكان الثلث بعد جائزاً[2] .

والرابعة : أنّي شربتُ الخمر (قبل أن ينزل التحريم البات) مع قوم من الأنصار فضرب رجل منهم أنفي بلحي جمل (العظم الذي تنبت فيه اللحية) فأتيت رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تحريم الخمر[3] .

---

(١) من كتاب البرهان للإمام الزركشي .

(٢) المقصود ما جاء في قوله تعالى في سورة النساء : ١١ .

(٣) المقصود بذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة : ٩١] . =

الأم...

● هذا الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يرى رجلاً يطوف بالكعبة حاملاً أمَّهُ على رقبته ، فقال : يا بن عمر ، أترى جزيتها ؟

فقال ابن عمر : لا ولا بطلقة واحدة!

● وقالوا للإمام زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما : إنك من أبرِّ الناس بوالدتك ، ولسنا نراك تأكل معها ؟! فقال : إني أخافُ أن أسبقها إلى شيء سبقت عينها إليه فأعقّها بذلك!!

● وقال شاعر يصف ما للأم من حقوق على أبنائها :

لأُمِّكَ حقٌّ لو علمتَ كبيرُ ... كثيرُكَ يا هذا لديه يسيرُ

فكم ليلةٍ باتَتْ بثقلكَ تشتكي ... لها من جواها[1] أنّةٌ وزفيرُ

وفي الوَضْعِ لا تدري عليها مشقَّة ... فمن غُصصٍ[2] منها الفؤاد يطيرُ

وكم غَسَلَت عنكَ الأذى بيمينها ... وما حجرها إلا لديكَ سريرُ

وتفديكَ ممّا تشتكيه بنفسها ... ومن ثديها شربٌ لديكَ نميرُ[3]

وكم مرّةٍ جاعَتْ وأعطَتْكَ قوتها ... حُنُوّاً وإشفاقاً وأنتَ صغيرُ

فضيَّعتْها لمّا أسنَّتْ جهالةً ... وطالَ عليكَ الأمرُ وهو قصيرُ

فآهاً لذي عقلٍ ويتَّبع الهوى ... وآهاً لأعمى القلبِ وهو بصيرُ

فدونكَ فارغبْ في عميمِ دُعائها ... فأنتَ لما تدعو إليه فقيرُ

= وقيل : إن سيدنا عمر رضي الله عنه كان يدعو الله أن يُبيِّن لهم بياناً شافياً في الخمر ، فنزلت هذه الآية ـ والله أعلم ـ .

(١) الجوى : الحرقة وشدّة الوجد .

(٢) الغصص : الشَّجا ، وهو ما اعترض في الحَلْق من عَظْم ونحوه.

(٣) النمير : العذب الصافي الناجع .

● ويسأل رجل رسول الله ﷺ : مَنْ أحقُّ الناس بحُسْنِ الصُّحبة ؟

فقال رسول الله ﷺ : « أُمُّك ، ثم أُمُّك ، ثم أُمُّك ، ثم أبوكَ ، ثم أدْناكَ فأدْناكَ »[1] .

❊ ❊ ❊

ماهو خشوع النفاق ؟!

قال الجنيد ـ رحمه الله ـ : الخشوع تذلل القلوب لعلام الغيوب .

وأجمع العارفون على أن الخشوع محله القلب ، وثمرته على الجوارح ، وهي تظهره ، و« رأى النبي ﷺ رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة ، فقال : لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه » وقال النبي ﷺ : « التقوى ههنا ـ وأشار إلى صدره ـ ثلاث مرات » وقال بعض العارفين : حسن أدب الظاهر عنوان أدب الباطن ، ورأى بعضهم رجلاً خاشع المنكبين والبدن ، فقال : يا فلان ، الخشوع ههنا ، وأشار إلى صدره ، لا ههنا وأشار إلى منكبيه .

وكان بعض الصحابة رضي الله عنهم وهو حذيفة يقول : إياكم وخشوع النفاق ؟ فقيل له : وما خشوع النفاق ؟ قال : أن ترى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع ! !

ورأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً طأطأ رقبته في الصلاة ، فقال : يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ، ليس الخشوع في الرقاب ، إنما الخشوع في القلوب ! !

ورأت عائشة رضي الله عنها شباباً يمشون ويتماوتون في مشيتهم ،

---

(١) رواه أبو داود (٥١٣٩) والترمذي (١٨٩٧) والنسائي (٥/ ٨٢) .

فقالت : من هؤلاء ؟ فقالوا : نُسّاك ، فقالت : كان عمر إذا مشى أسرع ، وإذا قال أسمع ، وإذا ضرب أوجع ، وإذا أطعم أشبع ، وكان هو الناسك حقاً .

وقال الفضيل بن عياض : كان يُكرَه أن يُري الرجل من الخشوع أكثر مما في قلبه .

وقال حذيفة رضي الله عنه : أول ما تفقدون من دينكم الخشوع ، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة ، وربّ مصلّ لا خير منه ، ويوشك أن تدخل مسجد الجماعة فلا ترى فيهم خاشعاً ! !

وقال سهل ـ رحمه الله ـ : من خشع قلبه لم يقرب منه الشيطان[١] .

* * *

والذي قدّر فهدى..

ورد في كتاب (تصنيف الفقاريات للدكتور نجاح بيرقدار) ما يلي :

تقوم (ثعابين البحر) برحلة تقطع ما يقرب من ثلاثين ألف كيلومتر حتى تصل إلى المكان الذي تتكاثر فيه في المحيط الأطلسي ، وتبدأ الرحلة من النيل ، إذ تعيش الذكور بالقرب من مصبِّه ، وتعيش الإناث في أعاليه ، حيث يعيشان بعيداً عن بعضهما ، وما إن يصبح عمرها (٧ـ١٠) سنوات ، تهاجر الأنثى نحو مصبِّ النهر ، وهناك تلتقي بالذكور ، ثم تترك النهر وتبدأ رحلة شاقّة طويلة مضنية عبر البحر المتوسط ، ثم تمرُّ من مضيق جبل طارق إلى المحيط الأطلسي ، إلى بقعة تسمى (بقعة الإنسال) عند جزر (يوهاما) قرب شواطىء الولايات المتحدة

---

(١) بتصرف من مدارج السالكين لابن القيمّ : ١/٥٥٩ .

الأمريكية ، وعندها تهبط الذكور والإناث إلى عمق ثلاثة آلاف قدم ، حيث تضع الإناث بيوضها في الماء ، وتُلقي الذكور بحيواناتها المنوية ، ويتمُّ إخصاب البيض في الماء ، وبعد ذلك تموت الذكور والإناث بعد هذه الرحلة المضنية ، وبعد فترة تفقُّس البيوض ، ويخرج من كل بيضة يرقة صغيرة لا تشبه أبويها في شيء ، حيث تكون دقيقة الحجم رقيقة ، تشبه ورقة النبات ، وتسبح هذه شرقاً في طريق عودتها إلى الوطن الذي أتى منه أبواها! !

وتسلك الطريق نفسه في المحيط الأطلسي ، ثم تمرُّ من مضيق جبل طارق ، سابحة في البحر المتوسط حتى مصب نهر النيل ، وتحاول الدخول ، وتكون قد تطورت لتأخذ شكلاً يقرب من شكل ثعبان السمك ، ولكن بطول (٥ سم) تقريباً وتكون بيضاء اللون ، وهنا : يعيش الذكور منها عند المصب ، بينما الإناث تتابع هجرتها إلى أعالي النيل حيث تتم نموها لتبدأ بالهجرة ثانية. . . !!!

فهل من تعليق على ذلك سوى الوقوف بخشوعٍ وإجلال أمام قوله تعالى :

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى : ١-٣] .

* * *

الحرُّ لا يُخيفُ عمر!!

عندما يصل الحديث إلى المحافظة على المصالح والأموال العامة ، لابدَّ أن تظهر عجائب الصحابة والتابعين ، وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون ، حيث كانوا ينظرون إلى كل شيءٍ من هذه الأموال على أنها ودائع وضعها الله في أيديهم ليمتحنهم بها ، من ذلك هذه القصة العجيبة

عن الفاروق عمر بن الخطاب[1] رضي الله عنه :

فبينما عثمان بن عفان رضي الله عنه في أرضٍ له في العالية ، في يوم صائف ، إذ رأى رجلاً يسوق جملَيْن ، وعلى الأرض مثل الفراش من الحرِّ!!

فقال عثمان : ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يبرد ثم يخرج حينئذٍ. . . ؟

ثم دنا الرجل ، فقال عثمان لمولى له : انظر من هذا. . . ؟

فقال الغلام : أرى رجلاً مُعمَّماً بردائه يسوق بكرين ، ثم دنا الرجل ، فقال : انظر من هذا ؟. . . فنظر. . . فإذا هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه!!

فقال عثمان : أمير المؤمنين! ثم قام فأخرج رأسه من الباب ، فإذا لفح السَّموم!! فأعاد رأسه ، حتى إذا حاذاه قال : ما أخرجكَ في هذه الساعة ؟

قال أمير المؤمنين : بكران من إبل الصدقة تخلَّفا ، وقد مُضي بإبل الصدقة فأردتُ أن أُلحِقهما بالحِمَى ـ المرعى ـ وخشيتُ أن يضيعا فيسألني الله عنهما. . . !!

---

(١) هو عمر بن الخطاب بن نفيل ، أبو حفص ، الفاروق ، صاحب رسول الله ﷺ ، وأمير المؤمنين ، ثاني الخلفاء الراشدين ، كان رسول الله ﷺ يدعو الله أن يعزَّ الإسلام بأحد العمرين ، ولد عام (٤٠ ق .هـ) فأسلم هو قبل الهجرة بخمس سنوات ، فأظهر المسلمون دينهم ، ولازم النَّبي صلوات الله عليه ، وكان أحد وزيريه ، وشهد معه المشاهد ، بايعه المسلمون خليفة بعد أبي بكر ، ففتح الله في عهده الفتوح ، ونشر الإسلام حتى قيل : إنه انتصب في عهده (اثنا عشر ألف منبر) ، وضع التاريخ الهجري ، ودوَّن الدواوين ، قتله أبو لؤلؤة المجوسي وهو يصلي الصبح عام (٢٣ هـ) .

فقال عثمان : هلمَّ إلى الظلِّ والماء ونكفيك!

قال عمر : عُدْ إلى ظلِّكَ أنت .

قال عثمان : عندنا من يكفيك يا أمير المؤمنين .

قال عمر ـ وقد ارتفع صوته وأسرع الخطى ـ : عُدْ إلى ظلِّكَ!!

فقال عثمان : من أحبَّ أن ينظر إلى القوي الأمين فلينظر إلى هذا. . .

* * *

وقل اعملوا.. فانتشروا... فامشوا!!

يظنُّ كثير من الناس أن الدين جاء يُطالب أتباعه بالزُّهد وترك الدنيا ، والتواكل ، وهذا الفهم خاطىء جداً .

فالإسلام الحنيف جاء ليُعمِّرَ الدنيا ، لكن بشرط أن لا يتجاوز حبُّ العباد للدنيا إلى درجة أن تصبح إلهاً يُعبد من دون الله!!

ودليلنا على ذلك : أن الإسلام حضَّ على العمل ، أي عملٍ (دنيوياً كان أو أخروياً) .

فهذا رسول الله صلوات الله عليه يقول :

« إنَّ من الذُّنوبِ ذُنوباً لا يُكفِّرها الصلاةُ ولا الصيامُ ولا الحجُّ ولا العُمرة ، وإنَّما يُكفِّرها الهمومُ في طلبِ المعيشةِ »[1] .

ثم يشجع الناس على البحث في أعماق الأرض ، زراعياً ، وصناعياً ، واستخراجاً لما في باطنها من ثرواتٍ ومعادن وبترولٍ ومياه وغازات. . .

---

(١) رواه الطبراني .

فيقول عليه الصلاة والسلام :

« اطلُبوا الرِّزقَ في خبايا الأرض »[1] .

وهذا هو دستورنا ناطق بالحضِّ على العلم ، يقول ربُّنا في محكمه :

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة : ١٠٥] .

ويقول أيضاً :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾

[الملك : ١٥] .

ثم يعلِّمنا أن لا نجلس في المساجد ثم ندعو الله أن يرزقنا إنما :

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة : ١٠] .

* * *

القمم دائماً بيضاء!!

تكلَّم الشعراء عن نذير الشيب ، وتشاءم قسمٌ منهم من هذا النذير ، وقالوا : لقد انتهت اللذَّات والمسرَّات مع هذا النذير!!

لكن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى حين أتاه نذير الشيب كانت التجارب عنده في الحياة قد استوت ، ثم أعطت أُكُلها ، فراح ينصح ويعظ ، فكان له هذه اللوحة الجميلة :

خَبَتْ نَفْسي باشتعالِ مَفارقي ... وأظلَمَ ليلي إذ أضاءَ شِهابُها

أيا بومةً قد عشَّشَتْ فوقَ هامَتي ... على الرَّغمِ منِّي حينَ طارَ غُرابُها

(١) رواه أبو يعلى والطبراني .

رأيتِ خِرابَ العُمر منِّي فزُرْتِني ... ومأواكِ من كلِّ الدِّيارِ خرابُها
أأنعمُ عيشاً بعد ما حلَّ عارضي ... طلائعُ شيبٍ ليسَ يغني خِضابُها
إذا اصفرَّ لونُ المرءِ وابيضَّ شعرهُ ... تنغَّصَ من أيامهِ مُستطابُها
فَدَعْ عنكَ سَوْءاتِ الأمورِ فإنَّها ... حرامٌ على نَفْسِ التقيِّ ارتكابُها
وأدِّ زكاةَ الجاهِ واعلمْ بأنَّها ... كمثلِ زكاةِ المالِ تَمَّ نِصابُها
وأحسِنْ إلى الأحرارِ تملكْ رقابَهُم ... فخيرُ تجارات الكِرامِ اكتسابُها
ولا تمشيَنْ في منكبِ الأرضِ فاخراً ... فعمّا قليلٍ يحتويكَ تُرابُها
ومَنْ يَذُقِ الدنيا فإنِّي طعِمْتُها ... وسيقَ إلينا عَذْبُها وعذابُها
فلم أرَها إلاّ غروراً وباطلاً ... كما لاحَ في ظهر الفلاةِ سرابُها
وما هي إلا جيفةٌ مُستحيلةٌ ... عليها كلابٌ هَمُّهُنَّ اجتذابُها
فإنْ تجتنبها كنتَ سَلْماً لأهلها ... وإن تجتذبْها نازعَتْكَ كِلابُها
فطوبى لنَفْسٍ أُولِعَتْ قعرَ دارِها ... مُغلَّقةَ الأبوابِ مُرخيً حجابُها[1]

* * *

اذهبوا فأنتم الطلقاء!!

بعد أن انهزم المسلمون في أُحُد ، وقد دافع بعض الصحابة عن رسولهم صلوات الله عليه دفاعاً مريراً ، لكنه انكسرت رَباعيتُه وشجَّ وجهه وسال منه فقال له بعض الصحابة : لو دعوت عليهم يارسول الله ، فقال لهم :

« إنِّي لم أُبعث لعَّاناً ، ولكنِّي بُعثْتُ داعيةً ورحمة ، اللهمَّ اهْدِ قومي فإنهم لا يعلمون »!!

---

(١) من ديوان الشافعي : ص ٢٧ .

وفي هذه المعركة استُشهد عمَّه حمزة رضي الله عنه على يد (وحشي) بتحريض من (هند زوج أبي سفيان) ، ثم مضغت كبده (أو قلبه) تشفِّياً وانتقاماً!!

ثم أسلمت هند وأسلم وحشي ، فماذا كان موقف رسول الله ﷺ منهما ؟!

لقد استغفر لهند ، وقَبِلَ إسلام وحشي وقال له : إن استطعت أن تعيش بعيداً عنّا فافعل!!

هذا في أُحُد ، فماذا عن غير أُحُد ؟ ؟

في فتح مكة ، دخلها القائد الفاتح على رأس عشرة آلاف من أبطاله وجنده ، واستسلمت قريش ، وهرب أبطالها إلى خارج مكة ، لكن لمّا أعطاهم الأمان ، ووقف أمام الكعبة الشريفة ، وأمامه الجموع الحاشدة التي حاربته وآذته طوال إحدى وعشرين سنة ، وكان الظنُّ عند أهل مكة أنه سيشير إلى السيوف لتقطع الرؤوس ، لكن هذا لم يكن .

إنما نظر إلى القوم وقال : « يا معشرَ قِريش ، ماذا تظنُّون أنِّي فاعلٌ بكم » ؟

قالوا : أخٌ كريم وابن أخٍ كريم!!

فقال رسولُ الرحمة ونبيُّ الرأفة صلوات الله عليه :

« اليومَ أقولُ لكم ما قال أخي يوسف من قبلُ : لا تثريبَ عليكمُ اليوم ، يغفرُ الله لكم وهو أرحمُ الرَّاحمين ، اذهبوا فأنتمُ الطُّلقاء »!!!

فهل عرف التاريخ منذ القِدَمِ فاتحاً مثلَ محمد ؟ ؟ صلوات الله عليه[1] .

---

(١) للتفصيل يُراجع أيُّ كتاب في السيرة النبوية مثل :
محمد المثل الكامل : محمد أحمد جاد المولى .

أولٌ... وأول!

ـ أبو بكر الصدِّيق : هو أول من صلَّى مع النَّبي ﷺ ، وهو أول من أسلم من الرجال ، وهو أول من جمع القرآن الكريم ، وهو أول من اتَّخذ بيت مال للمسلمين ، فرضي الله عنه وأرضاه .

ـ عمر بن الخطاب : هو أول من جمع الناس على صلاة التراويح ، وهو أول من أرَّخ بالتاريخ الهجري ، وهو أول من سُمِّي بأمير المؤمنين ، وهو أول من استعمل الدرَّة ، وهو أول من عاقب على الهجاء ، وهو أول من ضرب في الخمر ثمانين ، وهو أول من اتَّخذ الديوان ، وهو أول من قال : أطال الله بقاءك (قالها لعليّ) ، وهو أول من عسَّ بالليل ، وهو أول من حاسب عمَّاله وجامعي الزكاة فرضي الله عنه وأرضاه .

ـ عثمان بن عفان : هو أول من دُفن من الخلفاء بالبقيع ، وهو أول من أمر بالأذان الأول في الجمعة ، وهو أول من رزق المؤذِّنين ، وهو أول من أُرتج عليه في الخطبة ، وهو أول من فوَّض إلى الناس إخراج زكاتهم عن الأموال الباطنة ، وهو أول من اتَّخذ صاحب الشرطة ، وهو أول من جمع الناس على حرف واحد في القراءة فرضي الله عنه وأرضاه .

ـ سيدنا علي كرم الله وجهه : أول من أسلم من الصبيان فرضي الله عنه وأرضاه .

ـ معاوية بن أبي سفيان : هو أول من عهد بالخلافة لابنه (يزيد) وهو أول من خطب قاعداً ، وهو أول من أحدث الخطبة قبل الصلاة في

= فقه السيرة : للشيخ محمد الغزالي .
سيرة ابن هشام .
فقه السيرة النبوية : د . محمد سعيد رمضان البوطي .

العيدين ، وهو أول من أحدث الأذان في العيد ، وهو أول من وضع البريد ، وهو أول من اتَّخذ ديوان الخاتم ، وهو أول من اتَّخذ المقصورة في الجامع ، وهو أول من أَذِنَ في تجريد الكعبة (إزالة كسوتها) .

ـ عبد الله بن الزبير : هو أول مولود ولد للمهاجرين في المدينة المنورة بعد الهجرة ، وهو أول من كسا الكعبة بالديباج .

ـ عبد الملك بن مروان : هو أول من سُمّي بذلك بالإسلام ، وهو أول من صكَّ الدنانير وكتب عليها القرآن (قل هو الله أحد) (لا إله إلا الله) ، وهو أول من أحدث الأذان في عيد الفطر وعيد الأضحى ، وهو أول من نقل الديوان من الفارسية والرُّومية إلى العربية[1] .

* * *

صلة الأرحام..

أفضل الأرحام الوالدان ثم الإخوة ـ ذكوراً وإناثاً ـ ثم العمّات ثم الخالات والجدّان وكل الفروع والأصول ثم كل العشيرة . . ثم كل من له علاقة بالوالدين (أصدقائهما) لهذا جاءت أحاديث رسول الله ﷺ تحضُّ على ذلك :

ـ « الأكبرُ منَ الإخوةِ بمنزلةِ الأب » ، رواه البيهقي والطبراني .

ـ « الخالةُ بمنزلةِ الأم » ، رواه الترمذي وأحمد .

ـ « ليسَ منَّا مَنْ وسَّعَ الله عليه ثم قتّر على عياله » ، رواه الديلمي .

ـ « إنَّ أبرَّ البرِّ أن يصلَ الرجلُ أهلَ وُدِّ أبيه » ، رواه مسلم .

ـ « احفظْ ودَّ أبيكَ ولا تقطعهُ فيُطفىءُ الله نورَكَ » ، رواه الطبراني .

---

(١) بتصرف من كتاب تاريخ الخلفاء : للإمام السيوطي رحمه الله .

ـ « من الكبائرِ أن يَشتمَ الرجلُ والديه ، قالوا : وكيف يشتمُ الرجلُ والديه ؟ قال : يسبُّ أبا الرجلِ فيسبُّ أباه ، ويسبُّ أمَّه فيسبُّ أمَّه » ، متفق عليه .

ـ « دعوةُ الوالدِ لولده مثلَ دعوةِ النبيِّ لأمَّته ، ودعوةُ الولدِ لوالده مثل ذلك » ، رواه الديلمي والسيوطي .

ـ « رضَا الربِّ في رضا الوالدين ، وسَخطُ الربِّ في سخطِ الوالدين » ، رواه الحاكم .

ـ « مَنْ زارَ قبرَ والديه أو أحدهما في كلِّ جمعةٍ مرَّةً ، غُفِرَ له وكُتِبَ برّاً » ، رواه ابن أبي الدنيا والطبراني والحكيم الترمذي .

ـ « كفى بالمرءِ إثماً أن يُضيِّعَ مَنْ يقوت » ، رواه أبو داود .

ـ « نظرُكَ إليهما ، ونظرهُما إليكَ ، وضحكُكَ إليهما ، وضحكهُما إليك أفضلُ من تحطُّم السُّيوفِ في سبيل الله » ، رواه ابن أبي الدنيا .

ـ « بُلُّوا أرحامَكُم ولو بالسَّلام » رواه البزار والشهاب .

ـ « مَنْ أحبَّ أن يمدَّ الله في عُمره ، ويزيدَ في رزقه ، فلْيَبرَّ والديه ، وليصل رَحِمَهُ » ، رواه أحمد والنسائي والطبراني .

* * *

الأدلّة العقلية على صدق نبوّة محمد ﷺ :

أجملَ صاحب كتاب (محمد المثل الكامل) الأدلة العقلية القاطعة على صدق نبوَّة سيدنا رسول الله ﷺ بما يلي :

١ـ اشتهاره بمكارم الأخلاق في نشأته : فكان الأمين الصادق .

٢ـ احتماله صنوف الأذى : من كفار قريش وغيرهم .

٣ـ شدَّة خوفه من عظمة ربه ، ونسبته كل شيء إليه ، وكثيراً ما كان يردِّد :

« حسبي الخالق من المخلوقين ، حسبي الرازق من المرزوقين ، حسبي الذي هو حسبي ، حسبي الله ونعم الوكيل » .

٤ـ انتشار الإسلام بسرعة : في أقلّ من قرن ، وصل إلى السند وحدود باريس .

٥ـ حرصه على هداية الخلق ، ومغامرته بنفسه وأهله : وحسبنا دليلاً على ذلك حادثة الطائف ، التي ختم دعاءه فيها : « إن لم تكن غضبان عليَّ فلا أُبالي » .

٧ـ إخبار القرآن الذي أُنزل عليه بالمغيَّبات : ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [الفتح : ٢٧] .

﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ [القمر : ٤٥] ، وغير ذلك كثير ، وقد تمَّ ذلك بالفعل .

٧ـ اهتمامه بسعادة أمَّته : ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾ [فاطر : ٨] .

٨ـ تجرُّد نفسه من الحظوظ البشرية : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٣٨] .

٩ـ فرط حثِّه على تطهير النفوس من الأرجاس الطبيعية البشرية وأوحال الشهوات البهيمية واتخاذه أنجع الوسائل لتحقيق غرضه الأسمى. . . ووصفه أمراض المجتمع ودواءه .

١٠ـ عجز العرب عن معارضة القرآن الذي أُنزل عليه : وتحدَّاهم الله بذلك .

١١ـ تأييد الله لمحمد ﷺ وخذلان أعدائه ، وعصمته في كثير من المواقف .

١٢ـ تكامل الفضل فيه : فأعرض عن الدنيا ، وثبت عند الشدائد ، وأوتي رجاحة العقل ، ومالت النفوس إلى متابعته ، وأوتي السكينة والهيبة ، وخفض جناحه للمؤمنين ، ورُزق الحلم والوقار ، وحفظ العهد ، وأوتي الحكمة ، وأمر بمحاسن الأخلاق .

فصلوات الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه أجمعين .

* * *

أهل إيلياء والأمان! (العهدة العمريّة) :

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين ، أهل (إيلياء) من الأمان .

أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبريئها وسائر ملّتها :

- أنه لا تُسكن كنائسهم ولا تُهدم ولا يُنقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ، ولا يُكرهون على دينهم ولا يُضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء أحد من اليهود ، وعلى أهل إيلياء أن يُعطوا الجزية كما يُعطي أهل المدائن .

- وعليهم أن يُخرِجوا منهم الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا أمانهم ، مَنْ أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية .

- ومن أحبَّ من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ، ويُخلي بيعه وصلبه فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم ، حتى يبلغوا مأمنهم .

● ومن كان بها من أهل الأرض ، فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء منهم رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصاده .

● وعلى ما في هذا الكتاب : عهد الله وذمَّة رسوله وذمَّة الخلفاء ، وذمَّة المؤمنين ، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية .

● شهد على ذلك :

خالد بن الوليد .

وعمرو بن العاص .

وعبد الرحمن بن عوف .

ومعاوية بن أبي سفيان .

● كتب وحضر سنة ١٥ هـ ـ ٦٣٦ م[١] .

* * *

وفي أنفسكم أفلا تُبصرون ؟!

ـ في المعدة : يوجد (٣٥) مليون غدَّة معقَّدة التركيب لأجل إفراز العصارات ، أما الخلايا الجدارية التي تفرز حمض كلور الماء فتُقدَّر (بمليار) خلية ! !

ـ وفي اللسان : يوجد (٩٠٠٠) حُليمة ذوقيَّة ، لتمييز الطعم الحلو من الحامض ، من المرِّ ، من المالح .

ـ الكريات الحمراء : لو وُضعت لجسمٍ واحدٍ بجانب بعضها في صفٍّ

---

(١) راجع كتاب الخراج لأبي يوسف ط/ المطبعة السلفية .

واحدٍ ، لأحاطت بالكرة الأرضية التي نعيش عليها (٥ـ٦) مرات ، أما مساحتها فتُقدَّر بـ (٣٤٠٠) متر مربع ، وعددها (٥) ملايين كُريَّة حمراء كل ملمتر مكعب من الدم ، وتجري في كل كُريَّة حمراء (١٥٠٠) دورة دموية بشكل وسطي كل يوم ، تقطع خلالها (١١٥٠) كم في عروق البدن!!

ـ القلب : عدد ضرباته (٦٠ـ٨٠) ضربة في الدقيقة الواحدة ، وينبض يومياً ما يزيد على (مئة ألف) مرة يضخُّ خلالها (٨٠٠٠) ليتر من الدم ، وزهاء (٥٦) مليون جالون على مدى حياة إنسان وسطياً!! دون إصلاح أبداً!!

ـ يستهلك الجسم من خلاياه (١٢٥) مليون خلية في الثانية الواحدة ، أي بمعدل (سبعة آلاف وخمسمئة مليون خلية) في الدقيقة الواحدة ، وبالوقت نفسه يتشكَّل ويتركَّب العدد نفسه من الخلايا تقريباً ، ولو تعلم بناء وهندسة وفيزيولوجية الخلية الواحدة لسقطتَ على الأرض ساجداً من إعجاب صنع الله : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت : ٤٣] .

ـ العين : في العين الواحدة زهاء (١٤٠) مليون مستقبِل حسَّاس للضوء ، وهي تُسمَّى بالمخاريط والعصي ، وطبقة المخاريط والعصي هذه هي واحدة من الطبقات العشر التي تشكل شبكيَّة العين والتي تبلغ ثخانتها بطبقاتها العشر (٠,٤) مم ، ويخرج من العين (نصف مليون) ليف عصبي ينقل الصورة بشكل ملوَّن!!!

ـ في كل يوم يتنفَّس الإنسان (٢٥) ألف مرة ، يسحب فيها (١٨٠) متراً مكعَّباً من الهواء يتسرَّب منها (٦,٥) متراً مكعباً من الأوكسجين للدم .

لقد صدق الله العظيم بقوله : ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل : ٨٨] .

وبقوله : ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾(١) [الذاريات : ٢١] .

* * *

الثعلب الواعظ!!

الشاعر أحمد شوقي ، هو من أشهر شعراء العصر الحديث ، يُلقَّب بأمير الشعراء ، ولد عام (١٢٨٥ هـ = ١٨٦٨ م) بالقاهرة ، ونشأ في ظلِّ البيت المالك بمصر ، تعلَّم في المدارس الحكومية ، وأرسله الخديوي توفيق إلى فرنسا ليتابع دراسة الحقوق ، وهناك اطَّلع على الأدب الفرنسي ، ولما عاد عُيِّن رئيساً للقلم الإفرنجي في ديوان الخديوي عباس ، وعُيِّن بعد مدة عضواً في مجلس الشيوخ ، سافر إلى إسبانيا وغيرها . . .

عالج في شعره أكثر فنون الشعر : المديح والغزل والرثاء والوصف ، والأحداث السياسية والاجتماعية في مصر والشرق والعالم الإسلامي ، كانت حياته كلها شعراً ، عاش مترفاً في نعمة واسعة ودعة ، من آثاره الشوقيات ، استخدم أحياناً لغة الرمز ونجح فيها ، من ذلك قوله :

بــرزَ الثَّعلــبُ يــومــاً	فــي شعــارِ الــواعظينــا
فمَشــى فــي الأرضِ يَهْــدي	ويسُــبُّ المــاكِــرينــا
ويقــولُ : الحمــدُ لله	إلـــهَ العـــالَمينـــا
يـــا عبـــادَ الله تـــوبـــوا	فهـــوَ كهـــفُ التـــائبينَـــا

---

(١) بتصرف من كتاب : مع الطب في القرآن الكريم .

وازْهَـــدوا فــي العَيْـــشِ إنَّ العيْـشَ عيْـشُ الـزَّاهـدينـا
واطْلبُـوا الـدِّيـكَ يـؤذِّن لصـــلاةِ الصُّبــحِ فينـــا
فـأتـى الـدِّيـكَ رسـولٌ مـن إمـامِ النَّـاسكينـا
عـرضَ الأمـرَ عليـه وهـو يـرجُـو أن يَلينـا
فـأجـابَ الـدِّيـكُ عُـذْراً يـا أضَـلَّ المُهْتـدينـا
بلِّـغ الثَّعلـبَ عنِّـي عـن جُـدودي الصَّـالحينـا
عـن ذوي التِّيجـانِ مِمَّـن دخـلَ البطـنَ اللَّعينـا
أنَّهـم قـالـوا.. وخيـر القـو لِ قـولُ العـارفينـا
مُخطِـىءٌ مَـنْ ظـنَّ يـومـاً أنَّ للثَّعلـبِ دينـا!!

* * *

كيف تكسب الأصدقاء ؟

هناك خمس قواعد لكسب الأصدقاء وهي :

أ ـ بالاحترام : لابدَّ لك وأن تتعلَّم احترام الأصدقاء ويكون ذلك بأن تتنازل عن عظمتك ، وتشعر أصدقاءك أنك واحد منهم ، وأن تهتمَّ بهم وتكرمهم ، وهذا الاحترام دون أجر طبعاً! وسيرة صفوة الخلق محمد صلوات الله عليه تدلُّكَ كلها على احترامه للآخرين .

فها هو يأكل معهم ، وإذا صافح أحدهم لا يسحب يده من يده إلا إذا سحب هو يده ، وكان يبسط رداءه للضيف ، وإذا كلَّمه شخص التفتَ إليه بكلِّيته ، وكره أن يقوموا له حينما يدخل ، وكره أن يركب على الدابة وهم يمشون. . .

ب ـ بالإصغاء : وهو فنٌّ قائمٌ بذاته لا يُحسنه الكثير من الناس اليوم ، وقد علَّمنا القرآن ذلك :

﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

[الأعراف: ٢٠٤] .

جـ ـ بالتقدير : فعلينا أن نمدح ما في الناس من محاسن ، ونغضَّ الطرف عمّا فيهم من المساوىء ، وإلا كيف نمدح الحديقة عندما نتمتَّع بوردها ؟ وكيف نمدح الشمس حينما نحسُّ بدفئها ؟ .

د ـ بترك الجدل : ذلك لأن الجدل نابع من الأنانية ، وهذا سرُّ تحريم الإسلام له ، لذلك وردت آثار كثيرة تنهى عنه من ذلك :

« لكي تكسب الجدال تجنَّبه ، فإنه زلزال مدمِّر » .

« إيَّاكَ والمراء ، فإنَّكَ تُغري بنفسكَ السُّفهاء » .

« المِراء يُفسد الصداقات القديمة ، ويحلُّ العقدة الوثيقة » .

هـ ـ بترك اللوم والعتاب : وقد أحسن الشاعر بقوله :

إنِّي ليَهْجُرُني الصَّديقُ تجنُّباً ... فأراهُ أنَّ لهجرِهِ أسبابا

وأراهُ إن عاتبْتُه أغرَيْتُه ... فأرى لهُ تركَ العِتابِ عتابا

وإذا ابتليتُ بجاهلٍ متحلِّمٍ ... يجدُ المحالَ في الأمورِ صوابا

أوليْتُه منِّي السكوتَ وربَّما ... كان السُّكوتُ عنِ الجوابِ جوابا

* * *

من شعر الإمام علي كرم الله وجهه :

في معرض حديثه عن اليسر بعد العسر ، والفرج بعد الشدَّة .

● ومن ذلك قوله :

يا ربِّ مازالَ لُطفٌ منكَ يشمَلُني ... وقدْ تجدَّدَ لي ما أنتَ تعلَمُهُ

فاصرِفْهُ عنِّي كما عوَّدْتَني كرماً ... فمَنْ سِواكَ لهذا العبدِ يرحَمُهُ

● ويُروى عنه رضي الله عنه :

كَـمْ نِعمـةٍ لا أستقِـلُّ بشُكْـرِهـا   لله فـي جَنْـبِ المكـارِهِ كـامِنَـهْ ؟

● وروى ابنه الحسين عنه قوله رضي الله عنهما :

عسى منهلٌ يَصْفو فيَرْوي ظمأه   أطـالَ صـداهـا المنهـلُ المُتكـدِّرُ
عسى جابِرُ العَظْمِ الكَسيرِ بلُطْفِهِ   سيـرتـاحُ للعظـمِ الكَسيـرِ فيُجْبَرُ
عسى صُوَرٌ أمسى لها الجورُ دافناً   سيبعثُهـا عـدلٌ يجـيءُ فيَظْهَـرُ
عسـى الله لا تيـأسْ مـن الله إنَّـه   يسيـرُ عليـه مـا يعـزُّ ويَعسُـرُ

● وقال مرَّة بين أصحابه :

إذا اشتمَلَتْ على اليأسِ القلوبُ   وضاقَ لنا به الصَّدرُ الرَّحيبُ
وأوْطَنَـتِ المكـارِهُ واطمـأنَّـتْ   وأرسَـتْ فـي أمـاكنِها الخُطـوبُ
ولـم يـرَ لانْكِشـافِ الضُّـرِّ وجـهٌ   ولا أغنـى بحيلَتِـهِ الأريـبُ
أتـاكَ علـى قُنـوطٍ منـكَ غَـوْثٌ   يجـيءُ بـه القـريـبُ المُسْتجيـبُ
وكـلُّ الحـادِثـاتِ إذا تنـاهَـتْ   فمـوصـولٌ بهـا الفَـرَجُ القـريـبُ

❊ ❊ ❊

احترام عمر لعثمان :

قال الشيخ العلاّمة (أبو مدين شعيب الحريفيش) المتصوف الزاهد المتوفى عام (٨١٠ هـ) : قيل إن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما ، كانا في بعض أشغال النَّبي ﷺ ، فأدركتهما صلاة العصر ، فقال عمر لعثمان رضي الله عنهما : تقدَّم فصلِّ بنا ، فقال عثمان رضي الله عنه : أنا لا أتقدَّم عليكَ ، فإن رسول الله ﷺ قدَّمك وأثنى

عليكَ ، فقال عمر رضي الله عنه : أنا لا أتقدَّمُ عليكَ ، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « نِعْمَ الرجلُ عثمان صهري ، وزوج ابنتي ، ومن جمع الله به نوري » فقال عثمان رضي الله عنه : أنا لا أتقدَّم عليكَ ، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « عمر أكملَ الله به الإسلام » .

فقال عمر رضي الله عنه : أنا لا أتقدَّم عليكَ ، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « عثمان تستحي منه الملائكة » ، فقال عثمان رضي الله عنه : أنا لا أتقدَّم عليكَ ، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « عمر كمَّل الله به الدين وأعزَّ به المسلمين » .

فقال عمر رضي الله عنه : أنا لا أتقدَّم عليكَ ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« عثمان يجمع القرآن وهو حبيب الرحمن » . فقال عثمان رضي الله عنه : أنا لا أتقدَّم عليكَ ، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « نِعْمَ الرجل عمر ، يتفقَّد الأرامل والأيتام ، ويحمل لهم الطعام وهم نيام » ، فقال عمر رضي الله عنه : أنا لا أتقدَّم عليكَ ، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول في حقِّكَ : « غفر الله لعثمان مجهِّز جيش العسرة » . فقال عثمان رضي الله عنه : أنا لا أتقدَّم عليكَ ، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول في حقِّكَ : « اللهمَّ أعزَّ الإسلام بعمر بن الخطاب » ، وسمّاك رسول الله الفاروق ، وفرق الله تعالى بكَ بين الحق والباطل .

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فدعا لهما ، وشكرهما على حُسن أدبهما بعضهما مع بعض(١) .

* * *

---

(١) من الروض الفائق في المواعظ والرقائق : ص ٣٨٩ .

الجيلاني يعظ :

من مواعظ سيدنا عبد القادر الجيلاني[1] رحمه الله وقدَّس سرَّه :

« لا تأكل قسمتك من الدنيا وهي قاعدة وأنت نائم ، بل كلها على باب الملك وأنت قاعد وهي قائمة ، والطبق على رأسها ، تخدم من هو واقف على باب الحق عز وجل ، وتذل من هو واقف في بابها ، وكل منها على قدم الغنى والعزِّ بالحق عز وجل » .

« إن في الناس من تكون الدنيا بيده ولا يحبُّها ، يملكها ولا تملكه ، تحبُّه ولا يحبُّها ، تعدو خلفه ولا يعدو خلفها ، يستخدمها ولا تستخدمه ، قد صَلُحَ قلبه لله عز وجل ، ولا تقدر أن تفسده ، فيتصرف بها ولا تتصرف فيه ، ولهذا قال النَّبي ﷺ : « نِعْمَ المالُ الصَّالحُ للعبدِ الصَّالح ».

« ويحك!. . الدنيا في اليد يجوز ، في الجيب يجوز ، ادِّخارها لسبب بنيَّة صالحة يجوز ، أما في القلب فلا يجوز ، وقوفها على الباب يجوز ، أما دخولها إلى ما وراء الباب فلا!! » .

« اعبدوا الله عز وجل ، واستعينوا على عبادته بكسب الحلال ، إن الله عز وجل يحبُّ عبداً مؤمناً مطيعاً ، آكلاً من حلاله ، يحبُّ من يأكل

---

(١) ولد الشيخ في جيلان (أو بلاد الديلم) شمال غرب من بلاد فارس عام (٤٧٠ هـ) حيث ينتهي نسبه إلى سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما ، قرأ العلوم في بغداد على أكابرها ، ومن شيوخه أبو الوفاء بن عقيل ، والباقلاني ، والتبريزي ، تكلم بالوعظ فأجاد ، عُرف عنه الأخلاق العالية والنفس العزيزة ، قال عنه ابن تيمية : إن كراماته متواترة كثيرة ، أسلم على يديه خلق كثير من المسيحيين واليهود ، عاصر خمسة من الخلفاء العباسيين ، ظل مثابراً على دعوته وجهاده وتربيته للنفوس ، حتى وافاه الأجل عام (٥٦١ هـ) .

ويعمل ، ويبغض من يأكل ولا يعمل ، يحبُّ من يأكل من كسبه ، ويبغض من يأكل بنفاقه وتوكُّله على الخلق » .

ثم يقول متحرِّقاً على الدين :

« يا قوم! الإسلام يبكي ويستغيث ، يده في رأسه من هؤلاء الفجَّار ، من هؤلاء الفُسَّاق ، من هؤلاء المبتدعين والضُلاّل ، من الظَّلَمة ، من اللاّبسين ثياب الزُّور ، من المُدَّعين ما ليس فيهم ، انظر من تقدَّمكَ وإلى من كان معك آمراً وناهياً ، آكلاً وشارباً ، كأن لم يكونوا . . . » .

❊ ❊ ❊

يا سفيان تفرُّ ههنا... وههنا!!

روى القعقاع بن حكيم قال[1] :

كنتُ عند المهدي وأُتي (بسفيان الثوري)[2] كبير علماء المسلمين في عصره ، فلما دخل عليه سلَّم ولم يسلِّم بالخلافة ، والربيع قائم على رأسه متّكئاً على سيفه يرقب أمره ، فأقبل عليه المهدي بوجه طلق وقال لسفيان :

يا سفيان أتفرُّ ههنا وههنا وتظنُّ أن لو أردناكَ بسوء لم نقدر عليك ؟ فها نحن قد قدرنا عليكَ الآن ، أما تخشى أن نحكم فيكَ بهوانا ؟

قال سفيان : إن تحكم فيَّ ، يحكمُ فيكَ مَلِكٌ قادر ، يفرِّقُ بين الحق والباطل!!

---

(١) بتصرف من تذكرة الحفاظ : للذهبي ج ١ ص ١٦٠ .

(٢) هو : سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، أمير المؤمنين في الحديث ، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى ، ت (١٦١ هـ) .

[الأعلام : ٣/ ١٠٤] .

فقال له الربيع :

يا أمير المؤمنين ، ألهذا الجاهل أن يستقبلكَ بمثل هذا ؟

أتأذن لي أن أضرب عنقه ؟

قال له المهدي : ويلك ، وهل يريد هذا وأمثاله إلا أن نقتلهم فنشقى لسعادتهم!! اكتبوا عهده على قضاء الكوفة على أن لا يُعْتَرَض عليه في حكم ، فكتب عهده ودفعه إليه .

فهل سكت الإمام سفيان الثوري عند هذا العطاء ؟

هل تنازل عن كل الأفكار والآراء لقاء هذا الجزيل ؟

قال الراوي ـ القعقاع ـ :

فأخذه ورمى به في نهر دجلة!! وغاب عن الأنظار ، وطلبه المهدي في كل بلد فلم يجده ، فعيَّن مكانه شريكاً النخعي . . .

* * *

فاطمة الزهراء وعائشة أم المؤمنين :

عن (عائشة) رضي الله عنها قالت : أقبلت (فاطمة)[1] عليها السلام كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ ، فقال :

« مرحباً بابنتي » ، ثم أجلسها عن يمينه أو شماله ، ثم إنه أسرَّ إليها

---

(١) الزهراء : فاطمة بنت خديجة الكبرى ، وبنت سيد الوجود محمد ﷺ ، ولدت بمكة قبل البعثة بخمس سنوات ، وبقيت فيها ثماني سنوات ، ثم هاجرت إلى المدينة وبقيت فيها ـ على خلافٍ في الرواية ـ عشر سنوات ، ستتان مع النَّبي ﷺ وثماني سنوات مع علي كرم الله وجهه ، ولدت الحسن والحسين رضي الله عنهما ، عُرف عنها البلاغة القوية ، والخُلق الرفيع ، وبعد انتقال الرسول صلوات الله عليه إلى الرفيق الأعلى بأشهر انتقلت هي أيضاً .

حديثاً فبكت ، فقلت لها : اختصك رسول الله ﷺ بحديثه ثم تبكين ؟ ثم إنه أسرَّ إليها حديثاً فضحكت .

فقلت : ما رأيتُ كاليوم فرحاً أقرب إلى حزن ، فسألتُها عمّا قال فقالت : ما كنتُ لأفشي سرَّ رسول الله ﷺ .

فلما قُبض ﷺ سألتُها ، فقالت : إنه أسرَّ إليَّ فقال : « إن جبريلَ كانَ يُعارِضُني بالقرآنِ في كلِّ عام مرَّةً ، وإنَّه عارَضَني به العامَ مرَّتين ، ولا أراهُ إلا قد حضرَ أجلي ، وإنَّكِ أوَّلُ أهلِ بيتي لحوقاً بي ، ونِعْمَ السَّلَفُ أنا لكِ به » ، فبكيت لذلك .

ثم قال : « ألا تَرْضَيْنَ أن تكوني سيِّدةَ نساءِ هذه الأمَّةِ ، أو سيِّدَةَ نساءِ المؤمنين » ؟

قالت : فضحكتُ لذلك[1] .

* * *

من كلمات عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه :

● قال في إحدى خطبه :

إن الدنيا ليست بدار قرار ، دار كتبَ الله عليها الفناء ، وكتبَ على أهلها منها الظَّعن فكم عامر موثق ، عمّا قليل مخرب ، وكم مُقيم مغتبط ، عمّا قليل يظعن ، فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما يحضركم من النقلة ، وتزوَّدوا فإن خير الزَّاد التقوى ، إنَّما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب ، بينما ابن آدم في الدنيا يُنافس فيها إذا دعاه الله بقدره ، ورماه بيوم حتفه ، فسلبه آثاره ودنياه ، وصيَّر لقوم آخرين مصانعه

---

(١) حديث متفق عليه .

ومغناه ، إن الدنيا لا تسرُّ بقدر ما تضرُّ ، إنها تسرُّ قليلاً وتجر حزناً طويلاً .

● وقال مرةً أخرى :

إن لكلِّ سفر زاداً لا محالة ، فتزوَّدوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة بالتقوى ، وكونوا كمن عاين ما أعدَّ الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ، ولا يطولنَّ عليكم الأمد فتقسو قلوبكم ، وتنقادوا لعدوِّكم ، فإنه والله ما بسط أمل من لا يدري لعلَّه لا يُصبح بعد مسائه ، ولا يُمسي بعد صباحه ، ولربما كانت بين ذلك خطفات المنايا ، فلكم رأيتُ ورأيتُم من كان بالدنيا مغترّاً ، وإنما تقرُّ عين من وثق بالنجاة من عذاب الله ، وإنما يفرح من أمن أهوال يوم القيامة ، فأما من لا يداوي كَلَماً إلا أصابه جرح في ناحية أخرى ، فأعوذُ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي ، فتخسر صفقتي وتظهر عيبتي وتبدو مسكنتي ، في يوم يبدو فيه الغنى والفقر ، والموازين منصوبة ، ولقد عنيتم بأمر لو عُنيت به النجوم لانكدرت ، ولو عُنيت به الجبال لذابت ، ولو عُنيت به الأرض لتشقَّقت ، أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة ، وأنكم صائرون إلى إحداهما ؟ ! .

* * *

بكاء العين والقلب والسِّر :

« واعلم أن أهل المعرفة يبكون إذا ضحك أهل الغفلة ، ويحزنون إذا فرح أهل الغرة . قال الله تعالى :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢ـ٢٣] .

وقوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ [عبس : ٣٨ـ٣٩] .

وإن الله تعالى ذكر من دلائل المعرفة ، ومن علامات العارفين ، كثرةُ البُكاء وسيل الدموع ، قال تعالى :

﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾ [الإسراء : ١٠٩] .

وذم أهل الغفلة بالضحك ، وترك البكاء في قوله تعالى :

﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ [النجم : ٥٩-٦٠] .

واعلم أن البكاء بكاء العين ، وبكاء القلب ، وبكاء السِّر :

فأما بكاء العين : فهو لأهل المعرفة من المُنيبين .

وأما بكاء القلب : فهو لأهل المعرفة من المُريدين .

وأما بكاء السِّر : فهو لأهل المعرفة من المُحبِّين .

واعلم أن لأهل المعرفة ، هموماً مخبوءة تحت أسرارهم ، مستورة عن أفكارهم ، فكلما هاج من أسرارهم رياح خشية الهيبة ، ومن قلوبهم لهيب نيران الأحزان ، أحرقت ما عليها من هشيم الغفلة والنسيان »[١] .

❊ ❊ ❊

يا زُهّاد الأرض تقدّموا!!

ما إن يتعرَّضَ بعض الناس إلى مشكلة ، أو يسمعون عن مشكلة ، إلا ويُعلنوا البُعد عن الناس ، واللجوء إلى زُهدٍ حالمٍ ، وإلى مدينة أفلاطونية خيالية!! ثم يواجهون أيَّ مسؤولية تقع على عاتقهم بمصطلح الزُّهد .

فما هي حقيقة الزُّهد ؟

---

(١) من حالة أهل الحقيقة مع الله : للرفاعي ٢٨٣ .

وما هو القول الفصل في ذلك ؟

لنستمع إلى الإمام عبد القادر الجيلاني قدَّس الله روحه :

« المُتزهِّدُ المُبتدي في زهده يهربُ من الخَلْق ، والزَّاهدُ الكامل في زهده لا يُبالي بهم ، لا يهرب منهم ، بل يطلبهم ، لأنه يصير عارفاً لله عز وجل ، ومن عرف الله لا يهربُ من شيء ، ولا يخاف من شيء سواه .

المُبتدي يهرب من الفُسَّاق والعُصاة ، والمُنتهي يطلبهم .

كيف لا يطلبهم وكلُّ دوائهم عنده ؟ ؟

ولهذا قال بعضهم ـ رحمة الله عليه ـ : لا يضحك في وجه الفاسق إلا العارف ! ! : من كملت معرفته لله عز وجل صار دالاً عليه .

يصير شبكة يصطاد بها الخلق من بحر الدنيا .

يعطي القوة حتى يهزم إبليس وجنده .

يأخذ الخلق من أيديهم . يا من اعتزل بزهده مع جهله : تقدَّم واسمع ما أقول :

يا زُهَّاد الأرض تقدَّموا .

خرِّبوا صوامعكم واقربوا مني ، قد قعدتم في خلواتكم من غير أصل . ما وقعتم بشي . تقدَّموا »[1] .

* * *

(١) الفتح الرباني : للشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٧٣ .

يا خير مَنْ دُفنت في القاع أعظمه...

يروي الحافظ النجار عن محمد بن حرب أنه قال[1] :

دخلتُ المدينة فأتيتُ قبر النَّبي ﷺ ، فجاء أعرابي فزاره ثم قال :

يا خير المُرسَلين! إنَّ الله أنزل كتاباً عليكَ صادقاً يقول فيه :

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] .

وإنِّي جئتُكَ مُستغفراً إلى ربِّي من ذنوبي مستشفعاً بكَ . ثم بكى . . وأنشأ يقول :

يا خيرَ مَنْ دُفِنتْ في القاعِ أعظُمُهُ	فطابَ من طيبِهِنَّ القاعُ والأَكَمُ
نَفْسي الفِداءُ لقبرٍ أنتَ ساكِنُهُ	فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرمُ
أنتَ النبيُّ الذي تُرجى شفاعتَهُ	عندَ الصِّراطِ إذا ما زلَّتِ القَدَمُ

ثم استغفر الأعرابي وانصرف .

قال محمد بن حرب : فرقدتُ قليلاً ، فرأيتُ النبي صلوات الله عليه وسلم يقول : « الحقْ بالرَّجلِ ، فبشِّرْهُ بأنَّ الله عزَّ وجل قد غَفَرَ له بشفاعَتي » .

* * *

(١) بتصرف من أقباس روحانية ص ٩ .

ابن المسيب يرفض تزويج ابنته من ابن الخليفة!!

رفض سعيد بن المسيب[1] رحمه الله تعالى تزويج ابنته من الوليد بن عبد الملك بن مروان[2] .

ثم ماذا حدث ؟

قال أبو وداعة : كنتُ أُجالس ابن المسيب ففقدني أياماً ، فلما جئته قال :

أين كنتَ ؟ قلت : توفِّيت زوجتي فانشغلتُ بها .

قال : هلاّ أخبرتنا فشهدناها . ولما أردتُ الذهاب قال : هلاّ حدثت بامرأة غيرها ؟

قلت : يرحمكَ الله ، ومَنْ يزوِّجني وما أملكُ إلا درهمين ؟

قال : إن أنا فعلتُ تفعل ؟!

قلت : نعم . فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ ، وزوَّجني (ابنته) بدرهمين .

وكنت أتصوَّر أن الموضوع مُزاحٌ : كيف يزوجني ابنته وكانت فقيهة عالمة ؟ وقد رفض أن يزوِّجها للوليد ابن الخليفة ؟!

لكن في مساء ذلك اليوم ، وإذا بالباب يقرع ، فقلتُ : مَنْ هذا ؟

---

(١) هو فقيه المدينة المنورة ، وأجلُّ التابعين ، ثقة صدوق ، توفي عام (٩٣ هـ) .
[من التذكرة : ١/ ٥٤] .

(٢) الخليفة الأموي الخامس ، فُتحت في زمنه فتوحات عظيمة ، عمَّر المسجد النبوي ووسَّعه ، وبنى المسجد الأموي وتكلَّف كثيراً عليه ، فرض للفقراء ما يكفيهم ، دامت خلافته بين (٨٦ـ٩٦ هـ) .

[تاريخ الخلفاء : للسيوطي] .

قال : سعيد ، ففكَّرتُ في كلِّ مَنْ أعرفُ اسمه سعيد إلا شيخي سعيد ابن المسيب .

وقمتُ وفتحتُ الباب ، فإذا هو سعيد بن المسيب ! !

قال : رأيتُكَ رجلاً عزباً قد تزوَّجتَ ، فكرهتُ أن تبيتَ الليلة وحدك ، وهذه امرأتك ، فإذا هي واقفة خلفه في طوله ، ثم دفعها في الباب ، وردَّ الباب وانصرف .

* * *

النهي عن السؤال :

جاء رجل يسأل رسول الله ﷺ ما يقتات به .

فقال له الرسول : « أما في بيتِكَ شيءٌ » ؟

قال الرجل : بلى ، حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه ، ووعاء نشرب به الماء ، فقال الرسول : « إليَّ بهما » .

ولما أخذهما رسول الله ﷺ قال لأصحابه :

« مَنْ يشتري هذين » ؟

قال واحد منهم : عليَّ بدرهم ، وقال آخر : عليَّ بدرهمين ، فأعطاه إياه وأخذ الدرهمين وأعطاهما للرجل السائل وقال له :

« اشتَرِ بأحدهما طعاماً لأهلِكَ ، واشتَرِ بالآخر قَدُّوماً وائتِني به » .

فلما أتاه به شدَّ عليه الرسول عوداً ثم قال له :

« اذهبْ فاحتَطِبْ ولا أرَيَنَّكَ خمسةَ عشرَ يوماً » .

ففعل ، ثم جاء وقد ربح عشرة دراهم ، فاشترى ببعض طعاماً ، وببعضها الآخر ثوباً ، فقال له الرسول ﷺ :

« هذا خيرٌ من أن تأتيَ المسألةُ نكتةً في وجهِكَ يومَ القيامة » .

وقد أكَّد رسول الله ﷺ ذلك مراراً :

كقوله عليه الصلاة والسلام : « اليَدُ العُليا خيرٌ من اليَدِ السُّفْلى وابدأْ بمَنْ تعُول »[1] .

وكقوله أيضاً : « لَوْ تعلمونَ ما في المسألةِ ما مشَى أحدٌ إلى أحدٍ يسألُه شيئاً »[2] وكقوله أيضاً :

« لا تلحِفوا في المسألةِ ، فوالله لا يسألَني أحدٌ منكم شيئاً فتخرج له مسألته مني شيئاً وأنا له كارهٌ فيباركَ لهُ فيما أعطيتُهُ »[3] .

* * *

مقارنة... ومفارقة!!

حين فتح الجيش الإسلامي دمشق وحمص ومدن بلاد الشام الأخرى ، أخذ القادة من أهلها المال لقاء الدفاع عنهم وحمايتهم ، لكن جاء الخبر أن (هرقل) قد جمع الجموع ليقرِّر المعركة الفاصلة ، فرأى قادة الجيش الإسلامي أن ينسحبوا من المدن التي فُتحت ويتجمَّعوا في مكان واحد ليُنازلوا هرقل ، وبالفعل خرجوا من دمشق وحمص ومدنٍ أخرى ، لكن أبا عبيدة جمع أهل حمص ، وقال لهم : إنّا كنّا قد أخذنا المال منكم لنُدافع عنكم ونحميكم ، ونحن الآن خارجون عنكم ، فهذه أموالكم نردُّها لكم!!!

---

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي .

(٢) رواه النسائي والطبراني .

(٣) رواه مسلم والنسائي .

فقال أهل حمص : ردَّكم الله ونصركم ، والله لحكمكم وعدلكم أحبُّ إلينا من جَوْرِ الرُّوم وظُلمهم ، والله لو كانوا مكانكم لما دفعوا إلينا شيئاً أخذوه ، بل كانوا يأخذون معهم كلَّ شيءٍ يستطيعون حمله!

هذه حضارتنا ، وهذا إسلامنا ، وهذه شريعتنا ، وهذا تاريخنا ، فماذا عنهم ؟ ؟

لمّا وصل الصليبيون في الحملة الثانية إلى (معرَّة النعمان) حاصروها مدةً من الزمن ، ممّا اضطر أهلها للاستسلام ، بعد أن أخذوا من رؤساء الحملة الصليبية عهوداً مؤكَّدة ووثائق وأيماناً على أن يحافظوا على أموالهم وأنفسهم وأعراضهم ، لكن هل حدث هنا مثل ما حدث هناك ؟ !

يقول التاريخ : أنه ما كاد الصليبيون يدخلون معرَّة النعمان حتى ارتكبوا الجرائم والفظائع ما تشيب لهولها الوِلْدان ، بل إن بعض مؤرِّخي الإفرنج الذين كانوا يُرافقون هذه الحملة قدروا عدد القتلى المسلمين من أطفالٍ ونساءٍ وشيوخ ورجال بما يُقارب (مئة ألف قتيل)!!!

فهل هذه مقارنة ؟ أم هي مفارقة ؟ ؟

* * *

رياضة الأولاد :

أقومُ التقويم ما كان في الصغر ، فأما إذا تُرِك الولد وطبعه فنشأ عليه ومرن كان ردُّه صعباً ، قال الشاعر :

إنَّ الغُصونَ إذا قوَّمْتَها اعتدلتْ ... ولا يليــنُ إذا قــوَّمْتَــهُ الخشــبُ

قد ينفعُ الأدبُ الأحداثَ في مهلٍ ... وليسَ ينفعُ في ذي الشَّيْبَةِ الأدبُ

ثم المواظبة على الرياضة أصل عظيم ، خصوصاً في حقِّ الصِّبيان ، فإن ذلك يفيدهم : أن يصير الخير عادة ، قال الشاعر :

لا تَنْسَـــهَ عـــن أدبِ الصَّغيـ ـــرِ وإنْ شَكـا أَلَـمَ التَّعَـبْ

قال رجل (لسفيان الثوري) : نضرب أولادنا على الصلاة ؟ قال : بل بشِّرهم .

وكان العابد (زبيد اليامي) يقول للصبيان : من صلَّى منكم فله خمس جوزات .

وليعلم الوالد أن الولد أمانة عنده ، فليُجنِّبْهُ قُرناء السُّوء من الصِّغر ولا يُعوِّدْهُ وليُلقِ إليه الخير ، فإن قلبه فارغ ، يقبل ما يُلقى إليه ، وليُحبِّب إليه الحياء والسَّخاء ، وليُلْبِسْهُ الثياب البيض ، وليُبادر بأخبار الصالحين ، وليُجنِّبْهُ أشعار الغزل لأنها بذر الفساد ، ولا يمنع من أشعار السخاء والشجاعة ، ليَمْجد وينجد ، فإن أساء تغافل عن إساءته ، ولا يهتك مؤدبه ما بينه وبينه من الستر ، ولا يوبِّخه إلا سرّاً ، ويُمنع من كثرة الأكل والنوم ، ويُعوَّد الخشونة في المطعم والمفرش فإنه أصحُّ لبدنه ، ويعالج بالرياضات الجسمية كالمشي ، ويؤدَّبُ بالنهي عن استدبار الناس والامتخاط بينهم والتثاؤب ، فإذا علقت به خِلَّة قبيحة ، بولغ في ردعه عنها قبل أن تتمكَّن ، ولا بأس بضربه إذا لم ينفع اللطف ، فقد قال (لقمان الحكيم)[1] لابنه :

« يا بُنيَّ ضربُ الوالد للولد ، مثل السَّماد للزرع » .

---

(١) لقمان الحكيم : اختُلف فيه ، فقيل نبي مرسل إلى بني إسرائيل ، وقيل حكيم عربي ، وفي سورة لقمان في القرآن الكريم قول فصل في ذلك .

وإذا رآه عرماً[1] في صغره ، فليتلطَّف به ، فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما :

« عرامةُ الصبي زيادة في عقله »[2] .

* * *

العلم... والمال!!

من فضيلة العلم على المال ، أن الله فهَّم سليمان عليه السلام مسألة فمنَّ عليه بقوله : ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ﴾ [الأنبياء : ٧٩] وأعطاه المُلك ولم يمنَّ عليه ، بل قال تعالى :

﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [صۤ : ٣٩] .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : العلم أفضل من المال ، لأن العلم ميراث الأنبياء ، والمال ميراث الفراعنة ، ولأن العلم يحرسك ، وأنت تحرس المال ، ولأن العلم لا يعطيه الله إلا لمن يحبه ، والمال يعطيه من لا يحب ، ولأن العلم لا ينقص بالبذل والإنفاق ، والمال ينقص بهما ، ولأن صاحب المال إذا مات انقطع ذكره ، والعالم إذا مات فذكره باقٍ .

وقال الإمام الشافعي رحمه الله : من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ، ومن تعلَّم القرآن عظمت قيمته ، ومن نظر في الفقه نَبُلَ قدره ، ومن نظر في اللغة رقَّ طبعه ، ومن نظر في الحساب جَزُل رأيه ، ومن نظر في كتب الحديث قويت حُجَّته ، ومن لم يصُنْ نفسه لم ينفعه علمه .

---

(١) العرامة : هي الحدَّة .

(٢) من الطب الروحاني للعلامة ابن الجوزي رحمه الله تعالى .

وقال الإمام علي كرم الله وجهه : كفى بالعلم شرفاً أن يدَّعيه من لا يُحسنه ويفرح به إذا نُسِب إليه ، وكفى بالجهل ذمّاً أن يتبرَّأ منه من هو فيه! وقال :

ما الفضلُ إلا لأهلِ العلمِ إنَّهمُ   على الهُدى لمَنِ استهدى أدِلاّءُ
وقَدْرُ كلِّ امرىءٍ ما كان يُحسنه   والجاهلونَ لأهلِ العلمِ أعداءُ

وما أصدق قول مولانا عز وجل في ذلك :

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ﴾ [المجادلة : ١١] .

وما أجملَ قول الشاعر يصف التعلُّم من الكتاب ومجالسته :

نِعْـمَ الأنيـسُ إذا خلـوتَ كتـابُ   تلهـو بـه إن خـانَـكَ الأحبـابُ
لا مُفشيـاً سِـرّاً إذا استـودَعْتَـهُ   وتُفـادُ منـهُ حكمـةٌ وصـوابُ(١)

* * *

مبادىء الحرب عند رسول الله...

ورد في كتاب القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ ما يلي :

تتلخص مبادىء الحرب التي أحسن الرسول تطبيقها بما يلي :

١ـ تحديد الهدف : وتحطيم معنويات العدو ، وهذا ما نجده في صلح الحديبية ، فحطَّم معنوياتهم دون قتال .

---

(١) بتصرف من كتاب صفوة الأخيار ومنتقى الآثار .

٢ـ التعرُّض : وهو الهجوم على العدو لسحقه وله أسس يعتمد عليها :

أ ـ الجانب المعنوي : وهو الرغبة في النصر ، وقوة العزيمة ، وإمكانية المواجهة .

ب ـ الجانب المادي : وهو استخدام كل ما يمكن إعداده من سلاح وقوة بشرية .

جـ ـ الجانب العقلي : هو القدرة على التنفيذ .

٣ـ المباغتة : ومن صورها :

١ـ تكون بالمكان : (كان رسول الله ﷺ قلَّما يريد غزوة إلا ورى بغيرها) .

٢ـ تكون بالزمان : كما فعل ببني قريظة حال عودته من غزوة الأحزاب ، فلم يكونوا يتوقعون ذلك .

٣ـ تكون بالأسلوب : كما استخدم المنجنيق في حصار الطائف ، حيث لم يكن هذا مستخدماً عند العرب من قبل .

٤ـ حشد القوة : كما حدث في غزوة تبوك ، حيث حشد أعظم قوة بشرية في تاريخ الجيش الإسلامي .

٥ـ الاقتصاد بالمجهود : هو استخدام أقلِّ القوات للأمن ، وكان ذلك في غزوة أُحد .

٦ـ الأمن : وكان ذلك في أُحد ، حين علم رسول الله ﷺ بنبأ تحرُّك قريش إلى المدينة أمر بأن يُكتم هذا الخبر ، وأمر بوضع حراسة شديدة على المدينة .

٧ـ المرونة : هي قوة الحركة والعمل السريع ، وقد فعل ذلك

رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق ، حيث قضى على الفتنة التي أجَّج نارها (عبد الله بن أُبي ابن سلول) وكادت تنشب الحرب بين الخزرج والمهاجرين ، فأمر رسول الله ﷺ بالرحيل ، وواصل السير قرابة ثلاثين ساعة فانطفأت الفتنة .

٨ـ التعاون : وهو توحيد كل الجهود والأسلحة والقطاعات العسكرية لبلوغ الغرض المنشود ، وكان هذا المبدأ واضحاً في كل معاركه : كبدر وغيرها .

٩ـ رفع المعنويات والمحافظة عليها : والذي يُديم ذلك شيئان لا ثالث لهما :

أ ـ وجود أهداف يؤمن بها الجنود والشعب : وكان هدفهم إعلاء كلمة الله .

ب ـ تحلّي القائد بصفات القيادة الناجحة ، وهذا ما تميز به رسول الله ﷺ دائماً وأبداً .

١٠ـ الترتيبات الإدارية : الأمور الضرورية للجيش كالأرزاق ووسائل النقل والسلاح والماء ، وخير دليل على ما طبّقه رسول الله ﷺ هو في فتح مكة ، حيث كان السلاح متوافراً ، وكانت الأرزاق متوافرة ، ووسائل النقل متوافرة بصورة جيدة .

❊ ❊ ل

الوعد والوعيد في القرآن :

جاء في كتاب (من روائع القرآن) مايلي :

إنك لا تجد آية في كتاب الله فيها الحديث عن الجنة ونعيمها وعن الصالحين وما أعدَّ الله لهم من المثوبة ، إلا وتجد من بعدها آية فيها

الحديث عن النار وهولها وعن الكافرين وما أعدَّ الله لهم من العقوبة ، ولا تكاد تجد في القرآن آية أو آيات قد انفردت بوصف الشدة أو الرخاء دون أن يكون إلى جانبها آية أو آيات فيها وصف الطرف الآخر ، والحكمة من ذلك أن لا يرهب الإنسان رهبةً تقذف به إلى اليأس ، ولا يرغب رغبة تغريه بالقعود والكسل ، ولنضرب بعض الأمثلة على هذا :

﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾ [ق : ٣٠ـ٣٢] .

﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يس : ٥٥ـ٦٠] .

﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾

[الحجر : ٤٩ـ٥٠] .

﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [الزمر : ٥٣ـ٥٤] .

وقس على هذه الأمثلة كل ما في القرآن من آيات الوعد والوعيد ووصف الجنة والنار ، لابد أن تجد الحديث عن كل منهما معادلاً ومقارناً للحديث عن الآخر ، ولا يمكن أن تعثر على أيِّ شذوذ في ذلك .

* * *

حتى أزوِّجه بابنتي!!

يقول القاضي محمد بن عبد الباقي بن محمد البزَّاز الأنصاري[1] :

كنتُ مجاوراً بمكة حرسها الله تعالى ، فأصابني يوماً من الأيام جوعٌ شديدٌ لم أجد شيئاً أدفع به عنِّي الجوع ، فوجدتُ كيساً مختوماً ، فأخذتُه وجئتُ به إلى بيتي ، لما حللتُ ما شُدَّ به رأيتُ عقداً من لؤلؤٍ لم أرَ مثله ، فخرجتُ فإذا بشيخٍ يُنادي عليه ، ومعه خمسمئة دينار وهو يقول : هذه لمن يردُّ علينا الكيس الذي فيه اللؤلؤ ، فقلتُ : أنا محتاج وجائع ، فآخذُ هذا الذهب فأنتفع به وأردُّ عليه الكيس ، فقلتُ له : تعال إليَّ ، فأخذتُه وجئتُ به إلى بيتي ، فأعطاني علامة الكيس وعدد الجواهر ووصف لي عقد اللؤلؤ ، فأخرجته ودفعتُه إليه ، فأعطاني الدنانير الخمسمئة ، فرفضتُ رجاء الأجر من الله تعالى ، فتركني ومضى . . .

ودار الزمن دورته ، فخرجتُ من مكة وركبتُ البحر ، فانكسر المركب وهلكت الأموال وغرق الناس ، وسَلِمْتُ أنا على قطعةٍ من المركب ، فبقيتُ مدَّةً في البحر لا أدري أين أذهب! ؟ فوصلتُ إلى جزيرة ، ودخلتُ مسجدها ، وجاء الناس إليَّ يريدون أن أعلِّمهم القرآن ، وأعطوني الأموال ، ثم علَّمتهم الخطَّ أيضاً ، وأعطوني على ذلك الكثير .

ثم قالوا : عندنا صبيَّة يتيمة ولها شيء من الدنيا ، نريد أن تتزوَّج بها ، فامتنعتُ ، فألزموني بها ، ولما زفُّوها إليَّ ، رأيتُ ذلك العقد بعينه في عنقها ، ولاحظوا عليَّ إطالة النظر إلى هذا العقد ، ولما سألوني عن

---

(١) تاريخ وفاته : سنة ٥٣٥ هـ ببغداد .

ذلك حكيتُ لهم الحكاية ، فهلَّلوا وكبَّروا ثم قالوا : الشيخ الذي أخذ منك العقد هو أبو الصبية ، وقد كان يدعو :

« اللهم اجمع بيني وبينه حتى أزوِّجه بابنتي !! » ، والآن قد حَصَلَتْ ، وبقيتُ معها مدَّة ، ورُزِقتُ منها بولدين ، ثم إنها ماتت ، فورثْتُ العقد أنا وولدي ، ثم مات الولدان فحصلَ العقد لي ، فبعتُه بمئة ألف دينار ، وهذا المال الذي ترونه معي من بقايا ذلك المال. . .[1] .

❊ ❊ ❊

قل انظروا ماذا في السموات.. ؟

حينما أراد المولى عز وجل أن يدلَّ خلقه على صنعته وخلقه العجيب ، توجَّه بهم إلى السموات والأرض ، فقال عز وجل :

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس : ١٠١] .

وكلَّما ازداد العلم تقدُّماً ، ازداد المؤمن إيماناً بعظمة الله وقدرته ، وإلا لم يكن الصحابة رضوان الله عليهم يعرفون ما يعرفه الناس اليوم عن الأفلاك والمجرَّات ، من ذلك هذه المعلومات عن المشتري :

ـ قُطْرُ المشتري أكبر من قطر الأرض بـ (١١) مرة ، فهو أكبر منها بـ (١٣٠٠ مرة)!

ـ وزنه : ٣١٧ مرة قدر وزن الأرض .

يبعد عنّا : ٤٠٠ مليون ميل .

ـ بعده عن الشمس : ٧٧٧ مليون كيلومتراً .

---

(١) من ذيل طبقات الحنابلة : للحافظ ابن رجب الحنبلي : ١/١٩٦ .

ـ يدور حول الشمس كل (١١) سنة و (١١) شهراً بسرعة (٨,١) أميال/ ثا .

ـ سريع الدوران حول نفسه ، فيومه أقل من (١٠) ساعات .

ـ جوُّه بارد جداً لبعده عن الشمس ، فتصل درجة حرارته إلى (١٤٠) درجة مئوية تحت الصفر ، فصار فيه كل شيء متجمِّداً صلباً حتى ثاني أكسيد الكربون وكذلك الآزوت والأوكسجين .

ـ عدد الأقمار التي تدور حوله (١٢) قمراً[١] .

ـ جوُّه سميك فيه غازات النشادر ، وغاز المستنقعات التي تُكوِّن سُحباً سميكة حوله . . .

فأيُّ طبيعة هي التي خلقت ذلك ؟

وأيُّ مصادفة هي التي رتَّبت ذلك ؟ !

* * *

دليل الخير كله!

تكلَّم الأدباء والعقلاء والحكماء وفي مقدمتهم أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون الأجلاء عن الحياء : ذاكَ الخُلُق الرفيع الذي يُبعد المرء عن المحرَّمات ، ويصونه من الآثام ، والويل للفرد إذا ذهب منه الحياء! والويل للأمة التي فقدت هذه الصفة الرائعة ، لذا اسمع إلى ما قالوه في الحياء :

رَوَوْا عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قوله : « لا خير فيمن لا يستحي من الناس » .

---

(١) بتصرف من الإنسان بين العلم والدين : د . شوقي أبو خليل .

ثم نوَّعوا الحديث في ذلك فقال أحدهم : « استحيوا من الله في سرائركم كما تستحيون من الناس في علانيتكم » .

وقال آخر : « اجعل الحياء حكماً على أفعالك » .

وقال أحد الأدباء : « ليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من غيرك » .

وقال حكيم : « من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه » .

وقال أحد العقلاء : « القناعة دليل الأمانة ، والأمانة دليل الشكر ، والشكر دليل الزيادة ، والزيادة دليل بقاء النعمة ، والحياء دليل الخير كله » .

وقال آخر : « أحْيِ حياءك بمجالسة من يُستحى منه » .

وقال أحد البلغاء : « الحياء في الصبي خير من الخوف ، لأن الحياء يدلُّ على العقل ، والخوف يدلُّ على الجبن » .

وقال حكيم : « لا وفاء لمن ليس له حياء » .

وقال غيره : « من عمل في السر عملاً يستحي منه في العلانية فليس لنفسه عنده قدر » .

أسأل الله أن يُخلِّقنا بهذا الخُلُق الرَّفيع ، إنه على ما يشاء قدير .

* * *

إن كان هذا عقلك فقد استرحت!!

المعلم الأعظم رسول الله أحمد ﷺ علَّم المسلمين الثبات على المبدأ ، وذلك حينما عرضوا عليه : المال ، والزعامة ، وأجمل النساء ، والملك ، فقال لعمِّه أبي طالب :

« لو وضعوا الشَّمسَ في يميني ، والقمرَ في يساري ، على أن أترُكَ هذا الأمرَ ما تركتُهُ حتى يُظهرهُ الله أو أهلكَ دونَهُ » .

وسار على هذا الدرب من سار .

وكان الإمام (أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى واحداً من هذه الأساطين ، فقد ابتُلي بمحنته المشهورة ، وعُذِّبَ ، وضُرِبَ ، لكنه تعلَّم من سيِّده أحمد صلوات الله عليه .

يقول (أحمد بن داود أبو سعيد الواسطي) رحمه الله تعالى :

« دخلتُ على الإمام أحمد[1] الحبس قبل الضرب ، فقلت له في بعض كلامي : يا أبا عبد الله :

عليكَ عيالٌ ولكَ صبيانٌ ، وأنت معذور ـ كأني أُسهِّل الإجابة ـ فقال لي أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى :

إن كان هذا عقلك يا أبا سعيد فقد استرحت ! ! »[2] .

❊ ❊ ❊

---

(١) هو أحمد بن حنبل الشيباني ، ينتمي إلى قبيلة بكر بن وائل ، إمام المذهب الحنبلي ، وأحد أئمة الفقه الأربعة ، أصله من مرو ، ولد ببغداد ، امتُحن في أيام المأمون والمعتصم ليقول بخلق القرآن فأبى وأظهر الله على يديه مذهب أهل السنَّة ، ولما توفي الواثق وولي المتوكل أكرم الإمام أحمد ، ومكث مدة لا يولي أحداً إلا بمشورته ، ولد عام (١٦٤ هـ) وتوفي عام (٢٤١ هـ) ، وله (المسند) وفيه ثلاثون ألف حديث ، و (المسائل) و (الأشربة) و (فضائل الصحابة) وغيرها .

(٢) طبقات الحنابلة : لابن أبي يعلى ١/ ٤٣ .

ما هي المعرفة ؟

سُئِلَ الإمام الكبير (أحمد الرفاعي الحسيني)[1] رحمه الله تعالى عن حقيقة معرفة الله سبحانه فأجاب :

المعرفة : خمسة أحرف ، فمن وجد في نفسه معناها فليعلم أنه من أهلها :

- بالميم : ملك نفسه .
- وبالعين : عبد الله على صدق الوفاء .
- وبالراء : رغب إلى الله بالكلية .
- وبالفاء : فوَّض أمره إلى الله .
- وبالهاء : هرب من كل ما دون الله إلى الله سبحانه وتعالى .

فكل عارف يملك نفسه بقدر معرفته بكبريائه وعظمته .

- ويعبد ربَّه على قدر معرفته بربوبيَّته .
- ويرغب إليه على قدر معرفته بفضله وامتنانه .

---

(١) هو أحمد بن علي . . ينتهي نسباً إلى سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهم جميعاً ، ولد بالبطائح في العراق عام (٥٢١ هـ) ، وتلقَّى علم التصوف عن خاله الشيخ منصور ، وتفقَّه على الشيخ علي الواسطي (ابن القارىء) ، عُرف عنه الوعظ والأخلاق العالية ، حتى أنه كان يُقبِّل يد من يراه قد شاب في الإسلام ، ويطلب الدعاء من الشاب التائب ، ويسأل الدعاء من الطفل الذي لم يبلغ الحلم . له تنتمي الطريقة الرفاعية ، أسلم على يديه كثير من اليهود والنصارى من خلال مواعظه ، ودروسه العامة ، وإخلاصه وصدقه ، توفي عام (٥٧٨ هـ) .

ـ ويفوِّض أمره إليه على قدر معرفته بقدرته .

ـ ويهرب إليه على قدر معرفته بملكه وسلطانه .

فهو عارف[1] .

* * *

أبو حنيفة يفتي :

انتفض أهل الموصل على (أبي جعفر المنصور) ، وقد اشترط المنصور عليهم أنهم إن انتفضوا تحلُّ دماؤهم له!!

فجمع المنصور الفقهاء والعلماء ، وكان فيهمْ الإمام (أبو حنيفة)[2] رحمه الله تعالى .

فقال أبو جعفر : أليس صحيحاً أن النَّبي ﷺ يقول : « المؤمنون عند شروطهم » ، وأهل الموصل قد شرطوا عليَّ أن لا يخرجوا ، وقد خرجوا على عاملي ، وقد حلَّت لي دماؤهم!!

---

(١) حالة أهل الحقيقة مع الله : للسيد أحمد الرفاعي ٥٨ .

(٢) أبو حنيفة : هو النعمان بن ثابت بن كاوس بن هرمز ، ينتسب إلى تميم بالولاء ، الفقيه ، المجتهد ، المحقِّق الإمام ، أحد أئمة المذاهب الأربعة ، قيل أصله من أبناء فارس ، ولد ونشأ بالكوفة ، وكان يبيع الخزَّ ويطلب العلم ، ثم انقطع للدرس والإفتاء ، ولد عام (٨٠ هـ) وتوفي عام (١٥٠ هـ) .

له (مسند) في الحديث ، و (المخارج) في الفقه ، وتنسب إليه رسالة (الفقه الأكبر) في الاعتقاد ، ورسالة (العالم والمتعلم) . . . ، بلغ من ورعه أنه أوصى أن يُدفن بمكان لم يغتصبه الخليفة من الناس اغتصاباً ، واشترى مكان قبره من أمواله في حياته!! رفض تولِّي أي منصب ، وخاصَّةً منصب القضاء . . . كان له مدرسة يُنفق على طلابه من أموال تجارته حتى برز منهم : أبو يوسف ، وزفر ، ومحمد بن الحسن الشيباني .

فقال رجل من هؤلاء : يدُكَ مبسوطة عليهم ، وقولكَ مقبول فيهم ، فإن عفوتَ فأنتَ أهل للعفو ، وإن عاقبتَ فبما يستحقُّون!!

فقال أبو جعفر لأبي حنيفة : ما تقول أنت يا شيخ ؟

فأجابه : لقد شرطوا لك ما لا يملكون (وهو استحلال دمائهم) وشرطتَ عليهم ما ليس لك ، لأن دم المسلم كما قال المصطفى ﷺ :

« لا يحلُّ دمُ امرىءٍ مسلمٍ إلاّ بإحدى ثلاث :

الثَّيِّب الزاني ، والنَّفس بالنَّفس ، والتاركُ لدينه المُفارقُ للجماعة » .

فإن أخذتهم أخذتَ بما لا يحلُّ . . .

فأمرهم أبو جعفر بالانصراف ، وأمر أبا حنيفة أن لا يُفتي أبداً!![1] .

❁ ❁ ❁

الشعر والسّر!

تردَّد ذكر إفشاء السِّر وأضراره ، وتردَّد مدحُ كتمان السِّر على لسان الشعراء في أدبنا العربي من ذلك ما قال أحدهم :

ولستُ بمُبْدٍ للرِّجالِ سَريرتي ... ولا أنا عن أسرارِهم بِسَؤولِ

وقال آخر :

ولا تُفْشِ سِرَّكَ إلا إليكَ ... فإنَّ لكلِّ نصيحٍ نصيحا

فإنِّي رأيتُ وُشاةَ الرِّجالِ ... لا يتركونَ أديماً[2] صحيحا

---

(١) المناقب : لابن الجوزي ج ٢ ص ١٧ .

(٢) أديم صحيح : نسبه وعرضه مصون وصحيح .

وقال غيره :

إذا ضاقَ صدرُكَ عن حديثٍ ... وأفْشَتْهُ الرِّجالُ فمَنْ تلومُ ؟
وإن عاتَبْتُ مَنْ أفشى حديثي ... وسِرِّي عندَهُ فأنا المَلومُ

وقال آخر :

لا يكتمُ السرَّ إلا كلُّ ذي ثقةٍ ... والسرُّ عندَ خِيارِ النَّاسِ مكتومُ
فالسرُّ عندي في بيتٍ له غلقٌ ... ضاعتْ مفاتيحه والبابُ مختومُ

وقال غيره :

ومستودعي سرّاً تضمَّنت سرَّه ... فأوجعتُه من مستقرِّ الحَشا قَبْرا
ولكنني أُخفيه عنِّي كأنَّني ... من الدهر يوماً ما أحطتُ به خُبْرا[1]
وما السرُّ في قلبي كميْتٍ بحفرةٍ ... وأنّى أرى المدفونَ ينتظِرُ النَّشْرا[2]

وقال آخر :

والسرُّ فاكْتُمْهُ ولا تنطِقْ به ... إنَّ الزجاجةَ كَسْرُها لا يشعَبُ[3]
وكذلك سِرُّ المرءِ إن لم يَطْوِهِ ... نَشَرَتْهُ ألسِنَةٌ تزيدُ وتكْذِبُ

* * *

أهذه أساطير ؟!

إن المتتبِّع لما يرويه التاريخ عن أسلافنا الصالحين ليرى العجب من أخلاق أولئك الناس ، ذاك لأنهم تمسَّكوا بما جاء به الله تعالى ، وبما جاء

---

(١) خبراً : علماً .
(٢) البعث من القبور .
(٣) يشعب : يجبر .

عن رسولهم صلوات الله عليه ، من ذلك ما يرويه التاريخ :

أنه لما تولّى الخلافة سيدنا (عمر بن عبد العزيز) رضي الله عنه ، وفد إليه قوم من أهل سمرقند ، فرفعوا إليه أن (قتيبة) قائد الجيش الإسلامي هناك دخل مدينتهم وأسكنها المسلمين غدراً وبغير حق ، فما كان من الخليفة المسلم إلا أن عيَّن قاضياً مسلماً ينظر في هذه الشكوى ! !

وبالفعل كان القاضي هو (جُمَيع بن حاضر النَّاجي) وقال له عمر : إن كان الحقُّ مع أهل سمرقند فَأْمُرْ قتيبة والجنود المسلمين أن ينسحبوا من المدينة ! !

ونظر القاضي في المسألة ، وتبيَّن له أن الحق مع أهل سمرقند ، فحكم وهو مسلم بإخراج المسلمين من سمرقند ! ! على أن ينذرهم قائد الجيش الإسلامي بعد ذلك ، فإن أبوا فالحرب ـ حسب قواعد الحرب الإسلامية ـ ولا يدخلوا بغتة . . .

فلما رأى أهل سمرقند انسحاب المسلمين من بلدهم ، قالوا لبعضهم : أهؤلاء بشر أم من عالم آخر ؟ أينسحبون وهم المنتصرون ؟ أيتركون بلدنا بعد أن استولوا عليها ؟! أيُّ عدالةٍ هذه لم يسمعوا عنها ؟ أيُّ قائد للجيش هذا الذي يستسلم أمام حكم قاضٍ عادي من المسلمين ؟!

وجاؤوا إلى (المسلمين) يرجونهم أن يقفوا عن الانسحاب ، قالوا : لقد رضينا أن يبقى جيشكم بين أظهرنا ، لقد اشتكينا إلى خليفتكم ولم نتصوَّر ماذا سيحدث ؟!

فهل وعى التاريخ مثل هذه العدالة والقيم ؟

وهل يستطيع التاريخ أن يتصور أن أمَّة غير المسلمين يفعلون ذلك ؟ !

* * *

الأنبياء المعصومون يتوبون ويستغفرون!!

هذا سيدنا آدم عليه السلام يقول الله على لسانه :

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾

[الأعراف : ٢٣] .

وهذا سيدنا نوح عليه السلام يقول مناجياً ربَّه :

﴿ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [هود : ٤٧] .

وذاك سيدنا إبراهيم عليه السلام يرفعُ كفَّيه إلى الله ويقول :

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم : ٤١] .

ثم يشتركُ مع ابنه نبيِّنا إسماعيل عليهما السلام ليقولا :

﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٨] .

وذاك سيِّدنا الكليم موسى عليه السلام يُناجي الله قائلاً :

﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ ﴾ [الأعراف : ١٥٥ـ١٥٦] .

وبعد أن طلب من الله الرؤية ، أصابته تلك الوهلة :

﴿ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

[الأعراف : ١٤٣] .

حتى سيِّدُ الوجود محمد صلوات الله عليه يتوب ويستغفر!!

هكذا علَّمه الله تعالى بقوله :

﴿ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ ﴾ [محمد : ١٩] .

وكم عُرف عنه صلوات الله عليه الإكثار من الدعاء والاستغفار من ذلك قوله :

« اللهمَّ اغفر لي ذنبي كلَّه ، دقَّهُ وجُلَّه ، علانيَّتَهُ وسِرَّهُ ، أوَّلَهُ وآخرَهُ » ، رواه مسلم وأبو داود .

* * *

أبو بكر وعثمان وعلي...

ـ قال أبو بكر رضي الله عنه :

ما من عبدٍ رزقه الله عشر خصالٍ إلا وقد نجا من الآفات والعاهات كلها ، وصار في درجة المُقرَّبين ، ونال درجة المتَّقين ، أولها صدقٌ دائمٌ معه قلبٌ قانع ، والثاني صبرٌ كاملٌ معه شكرٌ دائم ، والثالث فقرٌ دائمٌ معه زهدٌ حاضر ، والرابع فكرٌ دائم معه بطنٌ جائع ، والخامس حُزنٌ دائم معه خوفٌ متَّصل ، والسادس جهدٌ دائم معه بدنٌ متواضع ، والسابع رِفقٌ دائم معه رَحِمٌ حاضر ، والثامن حبٌّ دائمٌ مع حياءٍ ، والتاسع علمٌ نافع معه حلمٌ دائم ، والعاشر إيمانٌ دائم معه عقلٌ ثابت. . .

ـ وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه : أَضْيَعُ الأشياء عشرة :

عالمٌ لا يُسألُ عنه ، وعلمٌ لا يُعمل به ، ورَأْيٌ صوابٌ لا يُقبل ، وسلاحٌ لا يُستعمل ، ومسجدٌ لا يُصَلَّى به ، ومُصحفٌ لا يُقرأ عنه ، ومالٌ لا يُنفَق منه ، وخيلٌ لا يُركب ، وعِلم الزُّهد في بطن الدنيا ، وعمرٌ طويل لا يتزوَّد صاحبه فيه لسفره. . .

ـ وقال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

العلم خير ميراث ، والأدب خير حرفة[1] ، والتقوى خير زادٍ ، والعبادة خير بضاعة ، والعمل الصالح خير قائدٍ ، وحُسن الخُلق خير قرين ، والحلم خير وزير ، والقناعة خير غِنى ، والتوفيق خير عَوْن ، والموت خير مؤدِّب .

❊ ❊ ❊

لماذا سمُّوها الجاهلية ؟!

يقول ربُّنا عزَّ وجل في مُحكم التنزيل :

﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾ [النساء : ١٧] .

ويقول أيضاً :

﴿ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام : ٥٤] .

لذلك سمَّوا حال فعل السيِّئات بالجاهلية ، كما رُوي عن (قتادة) رحمه الله تعالى قوله :

« أجمع أصحاب محمد ﷺ على أن كلَّ مَنْ عصى ربَّه فهو في جهالةٍ ، عمداً كان أو لم يكن ، وكلُّ مَنْ عصى الله فهو جاهل » .

ولما رُوي عن (عكرمة) رحمه الله تعالى قوله : « الدنيا كلُّها جهالة » .

---

(١) حرفة : أي صنعة ، لا مهنة للارتزاق .

ولما رُوي عن (مجاهد) و (الضحّاك) : « ليس من جهالته أن لا يعلم حلالاً ولا حراماً ، ولكن من جهالته حين دخل فيه » ، ونكاد نجد إجماعاً حول كلمة الجاهل كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « على أن كل مَنْ عصى الله فهو جاهل » .

والهوى وحده لا يستقلُّ بفعل السيئات إلا مع الجهل ، وإلا لو علم صاحب الهوى علماً قطعياً أن هذا العمل يضرُّه لوجدناه ينصرف عنه ، لأن الله تعالى جعل في النفس حبّاً لما ينفعها ، وبُغضاً لما يضرُّها ، ولذلك لن يفعل أي شيءٍ وهو جازمٌ على أنه يضرُّه ، وهاهنا نعلم سرَّ تركيز الشيطان على إغواء النفس فيُزيِّن لها الضرر ويخدعها ويوسوس لها ، كما في قوله تعالى :

﴿ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾ [طه : ١٢٠ـ ١٢١] .

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٣٦ـ ٣٧] .

﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ﴾ [الأنعام : ١٣٦] .

* * *

من أخبار الواقدي :

يروي محمد بن سعد فيقول : رآني محمد بن عمر الواقدي مغتمّاً ، فقال لي : لا تغتمَّ ، فإن الرِّزق يأتي من حيث لا تحتسب ، أمْلَقْتُ مرَّةً حتى بعتُ برذوني[1] !

---

(١) البرذون : هو نوع من الخيول لكنها غير عربية .

فاستبطأني يحيى بن خالد ، فاعتذرتُ إليه ، فوقف على حالي ، فأمر لي بخمسمئة دينار ، فصرتُ بها إلى البيت ، فأنا في تصريفها في قضاء الدَّين والعيال ، إذ طرقني رجلٌ من أهل المدينة قد قُطِعَ عليه الطريق ، من ولد أبي بكر رضي الله عنه ، فشكا إليَّ حاله ، فدفعتُ إليه ما فَضُلَ ، ولم أشترِ برْذَوناً ، فاستبطأني يحيى بن خالد ، فأخبرته الخبر ، فوجَّه إلى البكري فسأله ؟ فقال : نعم أخذتُ الدنانير منه ، فلما صرتُ بها إلى البيت جاءني فلان الأنصاري ، فشكا إليَّ حاله فدفعتها إليه ، فوجَّه يحيى إلى الأنصاري يسأله هل وجَّه البكري إليه المال ؟ فأخبره الخبر ، فتعجَّب يحيى بن خالد من الكرم ، ثم أقرَّ لي بألف دينار ، وللبكري بمثلها ، وللأنصاري بمثلها ، ولزوجتي بخمسمئةٍ لغمِّها حين دفعتُ إلى البكري .

* * *

غيبةٌ.. ونميمةٌ.. وبُهتان...

سأل جماعة شيخ الإسلام ابن تيمية عن الغيبة والنميمة ؟ فقال رحمه الله : الغيبة هي كما فسَّرها رسول الله ﷺ بقوله : « ذِكْرُكَ أخاكَ بما يكره » قيل : يارسول الله : أرأيتَ إن كان في أخي ما أقول ؟

قال : « إنْ كانَ فيه ما تقولُ فقد اغْتَبْتَه ، وإن لم يكنْ فيه ما تقولُ فقد بَهَتَّه »[1] .

لقد فرَّق بين البهتان والغيبة ، فالكذب عليه بُهتٌ له ، كما قال الله تعالى :

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١٦] .

---

(١) رواه مسلم وأحمد والدارمي .

ولقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن عبد الله بن سلام ، أنه حينما أسلم قال :

« إنَّ اليهودَ قومٌ بُهت » .

أما النميمة : فهي نقلُ الحديث من قوم إلى قومٍ على وجه الإفساد ، وكل هذا يؤدِّي إلى تفكُّكِ المجتمع وتمزُّقه ، لكن أليس لكلِّ قاعدة شواذ ؟

نعم ، لقد قال علماؤنا : تجوز الغيبة في ستَّة مواضع فقط وهي :

١ـ التظلُّم : حيث يجوز أن يشتكي للقاضي قائلاً : ظلمني فلانٌ بكذا ، وليس هذا غيبة .

٢ـ الاستعانة على تغيير المنكر : وردُّ العاصي إلى الصواب ، كأن يقول لمن يستطيع إزالة المنكر ـ كولي الأمر وغيره ـ فلان فعل كذا وكذا . . .

٣ـ الاستفتاء : كأن يقول للمُفتي ظلمني أبي ، أو أخي ، أو فلان . . .

٤ـ تحذير المسلمين من الشرِّ ونصيحتهم : كالمشاورة في مصاهرة فلان ، أو إذا أراد مشاركة فلان في تجارةٍ وغيرها ، فيجب النُّصح في ذلك .

٥ـ أن يكون مُجاهراً بفِسْقِه أو بدعته : كشرب الخمر ، وجباية الأموال ظلماً ، فتجوز الغيبة هنا لكن ضمن شرطٍ هو : أن يذكر هذا العيب فقط ! !

٦ـ التعريف : كأن يكون معروفاً بلقبٍ ما : كالأعمش مثلاً ، ولا يستطيع الناس أن يتعرَّفوا عليه إلا من خلال ذلك ، والأَوْلى أن يبتعد عن ذلك .

حِكَمٌ وحِكَم...

ـ عن بعض الحكماء : لا تحقروا الذُّنوب الصِّغار فإنها تتشعَّب منها الذُّنوب الكِبار .

ـ مَنْ أذنبَ ذنباً وهو يضحك ، فإن الله يدخله النار وهو يبكي ، ومَنْ أطاع وهو يبكي ، فإن الله يُدخله الجنة وهو يضحك .

ـ إن الشهوة تُصيِّر الملوك عبيداً ، والصبرُ يُصيِّرُ العبيدَ ملوكاً ، ألا ترى إلى قصة سيدنا يوسف عليه السلام وزليخا ؟!

ـ ثلاثٌ من كنز الله تعالى لا يُعطيها الله إلا مَنْ أحبَّه : الفقر والمرضُ والصبر .

ـ ثمرة المعرفة ثلاث خصال : الحياءُ من الله تعالى ، والحبُّ في الله تعالى ، والأُنس في الله تعالى .

ـ مَنْ عرفَ الله لم يكن له مع الخلق لذَّة ، ومَنْ عرفَ الدنيا لم يكن له فيها رغبة ، ومَنْ عرفَ عدل الله تعالى لم يتقدَّم إليه الخصماء .

ـ العبادة حِرفة ، حانوتُها الخَلْوة ، ورأسُ مالها التقوى ، وربحُها الجنة .

ـ أربعة حسنٌ ، ولكن أربعةً منها أحسن : الحياءُ من الرجال حسنٌ ولكنه من المرأة أحسن ، والعدل من كلِّ أحدٍ حسنٌ ولكنه من الأمراء أحسن ، والتوبة من الشيخ حسنٌ ولكنها من الشباب أحسن ، والجودُ من الأغنياء حسنٌ ولكنه من الفقراء أحسن .

ـ أربعة قبيحٌ ، لكن أربعةً منها أقبح : الذُّنبُ من الشابِّ قبيحٌ ومن الشيخ أقبح ، والاشتغال بالدنيا من الجاهل قبيحٌ ومن العالم أقبح ، والتكسُّل في الطاعة من جميع الناس قبيحٌ ومن العلماء أقبح ، والتكبُّر من الأغنياء قبيحٌ ومن الفقراء أقبح .

ـ شعائر الإيمان أربعة : التقوى والحياءُ والشُّكر والصَّبر .

ـ خمسة هُنَّ دواءُ القلب : مُجالسة الصالحين ، وقراءة القرآن ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرُّع عند الصباح .

❊ ❊ ❊

وصيّة من الخليفة إلى الجيش :

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقّاص والجند المتوجِّهين إلى فارس :

« أمّا بعد : فإنّي آمركَ ومَنْ معكَ من الأجناد بتقوى الله على كلِّ حال ، فإن تقوى الله أفضلُ العدَّة على العدو ، وأقوى المكيدة في الحرب ، وآمركَ ومَنْ معكَ أن تكونوا أشدَّ احتراساً من المعاصي منكم من عدوِّكم ، فإنَّ ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوِّهم ، وإنما يُنصر المسلمون بمعصية عدوِّهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوَّة ، لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدَّتنا كعدَّتهم ، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ، وإلا نُنْصَر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوَّتنا . فاعلموا أنَّ عليكم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ، ولا تقولوا إنَّ عدّونا شرٌّ منّا ، فلن يُسلط علينا فربَّ قومٍ سُلِّط عليهم شرٌّ منهم ، كما سُلِّط على بني إسرائيل ـ لما عملوا بمساخط الله ـ كفَّار المجوس ، فجاسوا خلال الديار ، وكان وعداً مفعولاً[1] ، واسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوِّكم ، وأسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم » .

---

(١) يشير رضي الله عنه إلى قوله تعالى :
﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ=

من أقوال الأحنف :

قال الأحنف بن قيس[1] رضي الله عنه :

لا راحة للحسود ، ولا مروءة للكذوب ، ولا حيلة للبخيل ، ولا وفاءَ للملوك ، ولا سُؤدُدَ لسيِّىءِ الخُلُق ، ولا رادَّ لقضاء الله .

وسُئل عن بعض الحكماء : هل يعرفُ العبد إذا تاب أن توبتَه قُبِلت أم رُدَّت ؟ فقال : لا أحكمُ في ذلك ، ولكن لذلك علاماتٍ :

إحداها أن يرى نفسه غير معصومة من المعصية ، ويرى في قلبه الفرح غائباً والحزن شاهداً ، ويقرب أهل الخير ويُباعد أهل الشرِّ ، ويرى القليل من الدنيا كثيراً ، ويرى الكثير من عمل الآخرة قليلاً ، ويرى قلبه مشتغلاً بما ضَمِنَ من الله تعالى فارغاً عمّا ضَمِنَ الله تعالى منه ، ويكون حافظ اللِّسان ، دائمَ الفكرة ، لازم الغمِّ والنَّدامة .

وسُئل رضي الله عنه ذات يوم : ما خيرُ ما يُعطى العبد ؟

فقال : عقلٌ غريزي ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : أدبٌ صالح ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : صاحبٌ موافق ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : قلبٌ مُرابط[2] ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : طول الصَّمت ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : موتٌ حاضر[3] .

= لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ [الإسراء : ٣ ـ ٥] .

(١) الأحنف بن قيس : (٣ ق .هـ ـ ٧٢ هـ) سيد تميم ، وأحد العظماء والفصحاء الشجعان الفاتحين ، يُضرب به المثل في الحلم ، أدرك النَّبي ﷺ ولم يره ، شهد الفتوح واعتزل يوم فتنة الجمل ، وشهد صفّين مع علي .

(٢) مرابط : مُلازم تقوى الله ، إذ لم يكن الرباط في العواصم والثغور أداء لفريضة الجهاد ، قد انتشر بعد .

(٣) حاضر : أي عاجل ، وعلى الفور .

عشرةٌ عشرة...!!

ـ قال (إبراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى ، حين سألوه عن قول الله تعالى :

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ . . .﴾ [غافر : ٦٠] .

إنّا ندعو فلا يُستجابُ لنا! فأجابهم : ماتت قلوبكم من عشرة أشياء : عرفتم الله ولم تؤدُّوا حقَّه ، وقرأتم كتاب الله ولم تعملوا به ، وادَّعيتم عداوة إبليس وواليتموه ، وادَّعيتم حبَّ الرسول ﷺ وتركتم أثره وسنَّته ، وادَّعيتم حبَّ الجنة ولم تعملوا لها ، وادَّعيتم خوف النار ولم تنتهوا عن الذُّنوب ، وادَّعيتم أن الموت حقٌّ ولم تستعدُّوا له ، واشتغلتم بعيب غيركم وتركتم عيوبَ أنفسكم ، وتأكلون رزق الله ولا تشكرونه ، وتدفنون موتاكم ولا تعتبرون!!

ـ قال (الحسن البصري) رحمه الله تعالى :

بينما أنا أطوف ذات يومٍ في أزقَّة البصرة مع شابٍّ عابد ، فإذا بطبيبٍ جالسٍ على كرسيٍّ وبين يديه رجل ونساء وصبيان بأيديهم قوارير فيها ماء ، وكلٌّ واحدٍ منهم يستوصف دواءً لدائه ، فقال : فتقدَّم الشاب إلى الطبيب وقال له : هل عندكَ دواءٌ يغسلُ الذُّنوب ويشفي مرض القلوب ؟ ؟

قال الطبيب : نعم ، خذ منِّي عشرةَ أشياء :

« خُذْ عروق شجرة الفقر مع عروق شجرة التواضع ، واجعل فيها هَليلَجَ التوبة ، واطرحه في هاون الرِّضاء ، وصُبَّ عليه بمنجار القناعة ، واجعله في قِدْرِ التُّقى ، وصُبَّ عليه ماء الحياء ، واغْلِهِ بنار المحبَّة ،

واجعله في قدح الشُّكر ، وروِّحْهُ بمروحة الرَّجاء ، واشربه بملعقة الحمد. . . » .

فإنَّكَ إن فعلتَ ذلك فإنه ينفعكَ من كلِّ داءٍ وبلاء في الدنيا والآخرة. . .[1] .

فهل نحن اليوم نحمل الداء الذي سُئل عنه إبراهيم بن أدهم ؟

وهل نحن بحاجة إلى دواء ذاك الطبيب ؟ !

* * *

الزّاهد الفاروق رضي الله عنه :

بعد أن لحق الصدِّيق بصديقه المصطفى صلوات الله عليه إلى الجنة ، تسلَّم القيادة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، واتَّسعت الدولة في عهده ، وأتته الأموال من المشرق والمغرب ، وهُزمت الإمبراطوريات في عهده ، فكيف كان حال عمر ؟ !

١ـ لما قدمَ إلى القدس يريد تسلّم مفاتيحها ، صنع له الناس هناك طعاماً يليق باستقبال الخليفة!! ولمّا قُدِّمَ له ذلك ، قال عمر : هذا لنا ، فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير ؟!

فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه : لهم الجنة يا أمير المؤمنين ، فاغرورقت عينا عمر بالدموع ثم قال : لئن كان حظُّنا في هذا الطعام ذهبوا إلى الجنة لقد باينونا بوناً بعيداً .

٢ـ وهاهو ذا الأحنف بن قيس رضي الله عنه يقول : أخرجنا عمر في سريَّةٍ إلى العراق وبلاد فارس وخراسان ، فحملنا معنا واكتسينا ، فلما

---

(١) الاستعداد ليوم المعاد : للإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله .

قدمنا على عمر أعرض بوجهه وجعل لا يكلِّمنا واشتدَّ ذلك علينا ، فشكونا ذلك إلى ابنه عبد الله رضي الله عنهما ، فقال لنا : لقد رأى عليكم لباساً لم يلبسه رسول الله صلوات الله عليه ولا الخليفة بعده ! !

فأتينا منازلنا ونزعنا ما كان علينا ، وأتينا في البزَّة التي يعهدها منّا ، عندها قام عمر فسلَّم علينا رجلاً رجلاً ، واعتنقنا رجلاً رجلاً ، حتى كأنه لم يرنا .

٣ـ ويروي الإمام علي كرم الله وجهه فيقول : رأيتُ لعمر رضي الله عنه إزاراً فيه إحدى وعشرون رقعةً بعضها من جلد ، ورقعة من ثيابنا ! !

٤ـ ولمّا جاء عام الرمادة ، واشتدَّ الحال على المسلمين ، دخل المسجد ذات يوم ، ولما دخل في الصلاة ، سمع الناس قرقرة بطن عمر ! ! ولما سألوه بعد الصلاة عن ذلك ، ضرب على بطنه قائلاً : قرقر أو لا تقرقر ، فوالله لن تذوق السمن حتى تشبعه أمّة الحبيب محمد ﷺ .

٥ـ ولمّا سُئل سيدنا سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه : بأيِّ شيءٍ فضل به عمر عليكم ؟ قال : نعم ، كان أزهدنا في الدنيا .

٦ـ وكان رضي الله عنه كلَّما فُتِح بلد أمام جنوده يبكي ويقول : سمعت من رسول الله ﷺ أنه كان يقول : « لا تُفتح الدنيا على أمَّة إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة » وأنا أشفق من ذلك .

فرضي الله عن الزَّاهد الفاروق عمر وأرضاه .

* * *

الشعراء يرثون عمر بن عبد العزيز :

● لما مات الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه رثاه جرير بقوله :

تَنعى النُّعاةُ يا أميرَ المؤمنينَ لنا ... مُفضَّلاً حجَّ بيتَ الله واعْتَمَرَا
حَملْتَ أمراً عظيماً فاستَطعْتَ له ... وسِرْتَ فيه بأمرِ الله مُؤْتَمَرَا

● وقال الشاعر الفرزدق :

لو أعْظَمَ الموتُ خَلْقاً أن يواقعَهُ ... لعدلِه لم يُصِبْكَ الموتُ يا عمرُ
كم من شريعةِ حقٍّ قد بُعثْتَ لها ... كادَتْ تموتُ وأخرى منكَ تنتظرُ
يا لهفَ نفسي ولهفُ الواجِدينَ معي ... على الحبيبِ الذي يُسقى به المطرُ
ثلاثةٌ ما رأتْ عيني لها شبهاً ... تضُمُّ أعظمهم في المجدِ والحُفَر
وأنتَ تتبعهم إذ كنتَ مُجتهداً ... للحقِّ والأمرِ بالمعروفِ تبتدِرُ
لو كنتُ أملكُ والأقدارُ غالبةٌ ... تأتي رواحاً وتبياناً. . . ونبتكرُ
صرفْتُ عن عمرَ المرضيِّ مصرعه ... (بدير سمعان) لكن يغلِبُ القَدَرُ
فالله يكرمُ مثواهُ ويرحمهُ ... ما أوجبَ الحبَّ بلْ ما سنَّتِ العمر
وفي مصاب رسول الله تسليةٌ ... فيمن يموتُ وفي أبنائه عِبَرُ
هو الرَّسولُ الذي منَّ الإله به ... على البريَّةِ وازدادت به السِّيَرُ
وخيرُ مَنْ وَلَدَتْ عدنانُ قاطبةً ... وخيرُ مَنْ شَرُفَتْ من أجله مُضَرُ
المصطفى المرتضى للخلقِ يُنقذهم ... من الضَّلالِ الذي في طَيِّهِ الخطرُ
أعطاهُ مولاهُ ما لم يُعْطِه أحداً ... خزائنُ الغيبِ منها الخيرُ ينتظرُ
هو الحبيبُ الذي أسرى به عَجَلاً ... إلى السَّماءِ وجُنْحُ الليل مُعتكِرُ
صلَّى عليه إلهُ العرشِ ما طلعَتْ ... شمسٌ وما خَلَفَتْها الأنجمُ الزُّهُرُ

● وتوفي عن عمر يقارب (الخامسة والأربعين) ، ودُفن في دير سمعان قرب معرة النعمان ، بعد أن بقيت ولايته ثلاثين شهراً إلا عشرة أيام ، ملأها بالعدل والرحمة ، ورُوي أنه اشترى مكان قبره من فلاّح بدينارين وقال : اشتريتُ بطن الأرض فقط ، فإذا دُفنتُ فاحرثوا أرضكم ، وازرعوا فيها ، وابنوا وانتفعوا بها ، فلا يضرّني ذلك!!!

* * *

هل أضعناك ؟ !

● كان للإمام أبي حنيفة رضي الله عنه جار بالكوفة يُغنِّي في بيته ، ويسمع أبو حنيفة غناءه وخاصَّة في الليل ، وكان كثيراً ما يردِّد :

أضاعوني وأيَّ فتىً أضاعوا ليوم كريهةٍ وسداد ثغرِ

وذات يوم كان الرجل قد أخذت الخمرة عقله ، وسار في الطريق ليلاً ، فقبضت الشرطة عليه وأخذته إلى السِّجن ، وافتقده جاره أبو حنيفة في تلك الليلة ، فسأل عنه ، فأُخبر أنه في السجن ، فذهب أبو حنيفة إلى الأمير عيسى بن موسى وقال له : إن لي جاراً أخذه جنودك البارحة ، وما علمتُ عنه إلا خيراً!!!

فأمر الأمير أن يُخرجَ من السجن كلُّ من تمَّ القبضُ عليه البارحة إكراماً لأبي حنيفة وجاره ، ولما عادا في الطريق سأله أبو حنيفة : أيُّها الجار هل أضعناك ؟ قال الجار السكِّير : لا والله يا إمام ، ولكن أحسنتَ وتكرَّمتَ وتفضَّلتَ ، وأحسن الله جزاءكَ ، وأجزلكَ مثوبته .

قال الإمام : فعُد إلى ما كنتَ تغني ، فإني كنتُ آنسُ به ولم أرَ به بأساً!!

● روى أحد الصحابة الأكارم قائلاً :

كنّا عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وغلام له يسلخ شاةً ، فقال : يا غلام ، إذا فرغتَ من السَّلخ فابدأ بجارنا اليهودي ، حتى كرَّرها ثلاثاً!

فقال له رجل من الحاضرين : كم تذكر هذا اليهودي ؟

قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يوصي بالجار حتى حسبنا أنه سيورِّثه[1] .

وهذا الأمر تسلسلي أيضاً : فهذه السيدة عائشة رضي الله عنها تقول : قال رسول الله ﷺ : « مازال جبريل يوصيني بالجار ، حتى ظننتُ أنه سيورِّثه »[2] .

* * *

أمجنون أنت ؟ !

الخليفة (عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى سار على سيرة جدِّه (الفاروق) رضي الله عنه ، فكان يتفقَّد أحوال رعيَّته ليلاً .

وفي ليلةٍ من الليالي كان يسير ومعه غلامه ، ولما تعبا دخلا المسجد ، فمرَّ الخليفة برجلٍ نائم ، وكان المسجد مُظلماً ، فتعثَّر به ، فرفع الرجل النائم رأسه وصاح به : أمجنون أنت ؟ !

فقال الخليفة عمر : لا!!

فهمَّ غلامه ليضرب الرجل ، فقال الخليفة له : لا تفعل ، إنما سألني : أمجنون أنت ؟ فقلت له : لا!!

---

(١) رواه الترمذي وأبو داود .

(٢) متفق عليه .

فمن أين هذا العفو والحلم ولين الكلام وحُسن المعاشرة لعمر ؟

بالطبع كلُّه ممَّن قال عن نفسه : « إنَّما بُعثتُ لأُتمِّمَ مكارمَ الأخلاق » .

وقد قال صلوات الله عليه :

« كادَ الحليمُ أن يكونَ نبيّاً »[1] .

وقال أيضاً :

« ابتغُوا الرِّفْعَةَ عندَ الله ، تحلمُ عمَّن جَهِلَ عليكَ ، وتُعطي مَنْ حَرَمَكَ »[2] .

وقال أيضاً :

« ليسَ الشَّديدُ بالصُّرَعَةِ ، إنَّما الشَّديدُ الذي يملِكُ نفسَهُ عندَ الغضب »[3] .

وقال ﷺ :

« إنَّ الله يحبُّ الحليمَ الحييّ ، ويبغضُ الفاحشَ البذيء »[4] .

* * *

خمسٌ لا تحجب عن الله!!

جاء في كتاب (مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام) للمراكشي :

أن العزيز بالله اعتقل الشريف ابن طباطبا ووكَّل به ، فبات تلك الليلة ، فرأى النَّبي ﷺ في منامه ، فقال له : وُكِّلَ بكَ العزيز ؟

---

(١) رواه الخطيب والسيوطي .

(٢) رواه السيوطي .

(٣) رواه البخاري ومسلم ومالك .

(٤) رواه الطبراني .

قال : نعم يارسول الله ، قال : فأين أنتَ عن الخمسِ التي لا تحجب عن الله ، من يفرِّج الله عنكَ بها ؟ قال : قلت : يارسول الله وما هي ؟

قال : قوله تعالى :

﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾

[البقرة : ١٥٥ـ١٥٧] .

وقوله تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران : ١٧٣ـ١٧٤] .

وقوله تعالى :

﴿ ۞وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٣ـ ٨٤] .

وقوله تعالى :

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧ـ٨٨] .

وقوله تعالى :

﴿ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴾

[غافر : ٤٤ـ٤٥] .

ألفٌ أشدّ سواداً مني!!

حينما أعلن رسول الله ﷺ في خطبة الوداع بيانه الخالد :

« الناسُ من آدمَ ، وآدم من تُراب ، لا فَضْلَ لعربيٍّ على أعْجَميٍّ ، ولا لأبيَضَ على أسودَ إلاَّ بالتَّقوى » ، جاء التطبيق العملي ليؤكِّد ذلك :

لما وصل المسلمون في فتح مصر إلى (حصن بابليون) رغب المقوقس في المفاوضة مع المسلمين ، فأرسل إليهم وفداً ليعلم ما يريدون ، ثم طلب منهم أن يُرسلوا إليه وفداً ، فشكَّل القائد المسلم عمرو ابن العاص وفداً مؤلَّفاً من عشرة أنفار فيهم الصحابي الجليل عبادة بن الصامت ، وكان عبادة أسود شديد السواد طويلاً ، حتى قالوا : إن طوله عشر أشبار ، وأمره عمرو أن يكون هو الذي يتولَّى الكلام ، فلما دخلوا على المقوقس تقدَّمهم عبادة بن الصامت ، فلما رآه خاف من شدَّة سواده ، وقال لحرَّاسه : نحُّوا عنِّي هذا الأسود وقدِّموا غيره يكلِّمني ، فقال رجال الوفد : إن هذا الأسود أفضلنا رأياً وعلماً وهو سيِّدنا وخيرنا والمقدَّم علينا ، إنَّما نرجع جميعاً إلى قوله ورأيه ، وقد أمره الأمير دوننا بما أمره ، وأمرنا أن لا نُخالف رأيه وقوله .

فقال المقوقس : وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم وإنما ينبغي أن يكون هو دونكم ؟

قالوا : كلا! إنه وإن كان أسود كما ترى فإنه من أفضلنا موضعاً وأفضلنا سابقة وعقلاً ورأياً ، وليس يُنكر السواد فينا .

فقال المقوقس لعبادة : تقدَّم يا أسود وكلِّمني برفق ، فإنِّي أهاب سوادك ، وإن اشتدَّ كلامك عليَّ ازددتُ لكَ هيبةً .

فقال عبادة وقد رأى الفزع والخوف على وجه المقوقس : إنَّ في جيشنا ألفُ أسوَدٍ هم أشدُّ سواداً منِّي ! !

* * *

الذكاء والحيل :

أجازت الشريعة الإسلامية استخدام الحيل المشروعة للوصول إلى إظهار الحق وإلى الهدف المنشود ، وكثيرة هي الشواهد في تاريخنا العريق على ذلك :

ومن ذلك : أن رجلاً قصد حجَّ بيت الله الحرام ، فاستودع إنساناً مالاً ، فلما عاد طلبه منه فجحده المستودع ، فأخبر بذلك القاضي إياساً ، فقال : أَعَلِمَ بأنَّكَ جئتني ؟ قال : لا ، قال : فعُدْ إليَّ بعد يومين ، ثم إن القاضي إياساً بعث إلى ذلك الرجل فأحضره ، ثم قال له : اعلم أنَّه قد تحصَّلت عندي أموال كثيرة لأيتام وغيرهم ، وودائع لناس ، وإني مسافر سفراً بعيداً ، وأريد أن أودعها عندك لما بلغني من دينك وتحصين منزلك ، فقال : حُبّاً وكرامة ، قال : فاذهب وهيِّىء لي موضعاً للمال وقوماً يحملونه ، وبالفعل ذهب الرجل ، وجاء صاحب الوديعة ، فقال له القاضي إياس : امض إلى صاحبك وقل له : ادفع إليَّ مالي ، وإلا شكوتك للقاضي إياس ! !

فلما جاء وقال له ذلك ، دفع إليه ماله ، واعتذر له ، فأخذه وأتى إلى القاضي إياس وأخبره ، ثم بعد ذلك أتى الرجل ومعه الحمّالون لطلب الأموال التي ذكرها له القاضي ، فقال له القاضي : بدا لي ترك السفر ، امضِ لشأنك لا أكثر الله في الناس مثلك .

ألم يكن سيِّد الوجود محمد صلوات الله عليه إذا أراد غزوة ورّى بغيرها ؟

ألم يغيِّر طريقه حينما اتجه في الهجرة من مكة إلى المدينة المنورة ؟ ؟

أليس هو القائل : « الحَربُ خَدْعَة » ؟[1] .

* * *

تواضع أبي عبيدة وزهده!!

حدَّثنا التاريخ أحاديث عجيبة عن الرَّعيل الأول ، من ذلك ما قاله لنا :

أن رجلاً من الروم جاء إلى معسكر المسلمين يقصد الصلح بينهم وبين الروم ، فلم يعرف أبا عبيدة من بقيَّة جنده حتى قال : يا معشر العرب ، أين أميركم ؟!

فقالوا : هو ذا ، فنظر فإذا هو بأبي عبيدة بن الجرَّاح جالس على الأرض ، وعليه الدرع الحديدي ، وقد أمسك بفرسه ، وبيده أسهُم يُقلِّبها ، فقال الرومي : أنتَ أمير هؤلاء ؟! قال : نعم ، قال : ما يُجلسكَ على الأرض ؟ أرأيتَ إن كنتَ جالساً على وسادة أو كان تحتكَ بساط أكان ذلك واضعكَ عند الله ؟ أو هل يبعدكَ من الإحسان ؟ فقال له الأمير أبو عبيدة : لو كان عندي بساط أو وسادة ما كنتُ لأجلسَ عليها ، وأُجلِسُ أخي المسلم الذي لا أدري لعلَّه خيرٌ منِّي منزلةً عند الله عز وجل على الأرض ، ونحن عباد الله نمشي على الأرض ، ونجلس عليها ،

---

(١) حديث متفق عليه .

ونأكل عليها ، ونضطجع عليها ، وليس ذلك بناقصنا عند الله شيئاً ، بل تعظم به أجورنا ، وتُرفع به درجاتنا!!

وأمّا زهده : فشيءٌ لا يستطيع الإنسان إلا أن يقفَ بخشوعٍ أمامه :

قال ابن وهب : حدَّثني عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن عمر رضي الله عنه حين قدم الشام ، قال لأبي عبيدة : اذهب بنا إلى منزلك ، قال : وما تصنعُ عندي ؟ ما تريد إلا أن تعصرَ عينيكَ عليَّ ، قال : فدخل فلم يرَ شيئاً!!

قال عمر : أين متاعكَ يا أبا عبيدة ؟ إنني لا أرى إلا لُبَداً وصفحةً وشنّاً وأنتَ أمير ، أعندكَ طعام ؟!

فقام الأمير أبو عبيدة إلى جونة[1] ، فأخذ منها كُسيرات ، فبكى أمير المؤمنين الفاروق ، فقال له الأمير أبو عبيدة : قد قلتُ لكَ إنكَ ستعصرُ عينيكَ عليَّ يا أمير المؤمنين ، يكفيكَ ما يُبلِّغُكَ المقيل ، فقال الفاروق : غيَّرَتْنا الدنيا كلُّنا غيركَ يا أبا عبيدة[2] .

وصدق المصطفى ﷺ : « نعم الرجل أبو بكر ، نعم الرجل عمر ، نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح »[3] .

* * *

---

(١) جُونَة : سلّة مستديرة مغشّاة أدَماً : [اللسان : جون] .
(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧/ ١٦٢ .
(٣) رواه الترمذي : ٩/ ٣٢٥ .

من أقوال يحيى بن معاذ :

● قال يحيى بن معاذ[1] رحمه الله تعالى :

من أعظم الاغترار عندي التمادي في الذُّنوب على رجاء العفو من غير ندامةٍ ، وتوقُّعُ القربِ من الله تعالى بغيرِ طاعة ، وانتظار زرع الجنة ببَذْرِ النار ، وطلبُ دار المطيعين بالمعاصي ، وانتظار الجزاء بغير عمل ، والتمنِّي على الله عز وجل مع الإفراط :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليَبَسِ

● وقال رحمه الله تعالى :

العلم دليلُ العمل ، والفهم وعاء العلم ، والعقل قائدٌ للخير ، والهوى مركبٌ للذنوب ، والمال رداء المتكبِّرين ، والدنيا سوق الآخرة . . .

● وقال ذات مرة :

من كَثُرَ شبعه كَثُرَ لحمه ، ومَنْ كَثُرَ لحمه كَثُرَتْ شهوته ، ومَنْ كَثُرَتْ شهوته كثُرَتْ ذُنوبه ، ومَنْ كثُرَتْ ذُنوبه قسا قلبه ، ومَن قسا قلبه غرق في آفات الدنيا وزينتها .

● وقال رحمة الله عليه :

تَرْكُ الدنيا كلِّها أَخْذُها كلها ، فمَنْ تركها كلَّها أخذها كلَّها ، ومَنْ أخذها كلَّها تركها كلَّها ، فأَخْذُها في تركِها ، وتركُها في أخذِها . . .

---

(١) هو أبو زكريا ، واعظ زاهد لم يكن له نظير في وقته ، وهو من أهل الرَّيّ ، أقام ببلخ ، ومات في نيسابور عام (٢٥٨ هـ) ، له كلمات رائعة في الزهد والورع .

● وقال عليه رحمة الله تعالى مُناجياً :

إلهي! لا يطيبُ الليل إلا بمناجاتكَ ، ولا يطيب النهار إلا بطاعتكَ ، ولا تطيبُ الدنيا إلا بذكركِ ، ولا تطيب الآخرة إلا بعفوكَ ، ولا تطيبُ الجنة إلا برؤيتك .

❊ ❊ ❊

ثلاث :

جاء في كتاب الاستعداد ليوم المعاد لابن حجر العسقلاني :

عن رسول الله ﷺ أنه قال : « حُبِّبَ إليَّ من دُنياكم ثلاث : الطِّيبُ ، والنِّساءُ ، وجُعِلَتْ قُرَّةُ عيني في الصلاة » وكان معه أصحابه جلوساً ، فقال (أبو بكر الصدِّيق) رضي الله عنه : صدقتَ يارسول الله ، وحُبِّبَ إليَّ من الدنيا ثلاث : النظر إلى وجه رسول الله ، وإنفاق مالي على رسول الله ، وأن تكون ابنتي تحت رسول الله ﷺ (وقد تمَّ ذلك بعائشة أم المؤمنين) .

فقال (عمر رضي الله عنه) : صدقتَ يا أَبا بكر ، وحُبِّبَ إليَّ من الدنيا ثلاث : الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والثوب الخَلِق .

فقال (عثمان رضي الله عنه) : صدقتَ يا عمر ، وحُبِّبَ إليَّ من الدنيا ثلاث : إشباع الجوعان ، وكسوة العُريان ، وتلاوة القرآن .

فقال (علي كرم الله وجهه) : صدقتَ يا عثمان ، وحُبِّبَ إليَّ من الدنيا ثلاث : الخدمةُ للضَّيف ، والصوم في الصيف ، والضرب بالسيف .

فبينما هم كذلك إذ جاء جبرائيل وقال : أرسلني الله تبارك وتعالى لمّا

سمع مقالتكم وأمرَكَ[1] أن تسألني عمّا أحبُّ إن كنتُ من أهل الدنيا ، فقال عليه الصلاة والسلام : « ما تحبُّ يا جبرائيل إن كنتَ من أهل الدنيا » ؟

فقال جبريل عليه السلام : إرشاد الضالِّين ، ومؤانسة الغرباء القانتين ، ومعاونة أهل العيال المُعسَرين .

وقال جبرائيل : يحبُّ ربُّ العزَّة جلَّ جلاله من عباده ثلاث خصالٍ : بَذْلُ الاستطاعة ، والبكاء عند الندامة ، والصَّبر عند الفاقة .

* * *

ما هو الحلُّ مع النمَّام ؟

١ـ أن لا يصدِّقه ، لأن النمَّام فاسقٌ ومردود الشهادة ، وهذا صريح في كتاب الله :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٍ ﴾ [الحجرات : ٦] .

٢ـ أن ينهاه عن ذلك ، وينصح له ، ويُقبِّح عليه فعله ، كما في قوله تعالى :

﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [لقمان : ١٧] .

٣ـ أن يبغضه في الله تعالى ، لأن النمَّام بغيض عند الله ، فيجب بغض من يبغضه الله .

٤ـ أن لا تظنَّ بأخيك الغائب سوءاً ، كما أخبر الله تعالى عن هذه الحالة :

---

(١) أمَرَكَ : كاف المخاطب هنا تعود إلى المخاطب وهو رسول الله ﷺ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات : ١٢] .

٥ـ أن لا يحملكَ ما حكى لك على التجسُّس والبحث للتحقُّق اتِّباعاً لقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ ﴾ [الحجرات : ١٢] .

٦ـ أن لا ترضى لنفسك ما نهيتَ النمَّام عنه ، ولا تحكي نميمته ، فتقول : فلان قد حكى لي كذا وكذا ، فتكون بذلك نمَّاماً ومُغتاباً ، وتكون قد أتيتَ ما عنه نهيت ، فينطبق عليك قول الشاعر :

يـا أيُّهـا الـرجـلُ المُعلِّـمُ غيـرَهُ ... هَـلَّا لنفسِـكَ كـان ذا التَّعليـمُ

ابـدأ بنفسِـكَ فـانْهَهـا عـن غِيِّهـا ... فـإذا انتهَـتْ عنـهُ فـأنـتَ حكيـمُ

لا تَنْـهَ عـن خُلُـقٍ وتـأتـيَ مثلـهُ ... عـارٌ عليـكَ إذا فعلـتَ عظيـمُ

وما أجمل ما كان يفعله الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه مع النمَّامين والمغتابين المدَّاحين ، قالت الرواية : أنه دخل عليه رجلٌ فذكر له عن رجلٍ آخر شيئاً ، فقال له عمر : إن شئتَ نظرنا في أمركَ ، فإن كنتَ كاذباً فأنتَ من أهل هذه الآية : ﴿ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ﴾ [الحجرات : ٦] .

وإن كنتَ صادقاً فأنت من أهل هذه الآية :

﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴾ [القلم : ١١] .

وإن شئتَ عفونا عنكَ ، فقال الرجل : يا أمير المؤمنين العفو ، فوالله لن أعودَ إلى الغيبة والنميمة أبداً .

* * *

خدعتني.. وزهّدتني.. وفقّهتني امرأة!!

● في مناقب الكردي هذه القصة التي يرويها الإمام الأعظم أبو حنيفة رحمه الله فيقول : خدعتني امرأة ، وفقَّهتني امرأة ، وزهَّدتني امرأة!!

أما الأولى : كنتُ مجتازاً فأشارت إليَّ امرأة ، إلى شيء مطروحٍ في الطريق ، فتوهَّمتُ أنها خرساء ، وأن الشيء لها ، فلما رفعتُه إليها قالت : احفظه حتى تسلِّمه لصاحبه .

والثانية : سألتني امرأة عن مسألةٍ في الحيض ، فلم أعرفها ، فقالت قولاً تعلَّمتُ الفقه من أجله .

والثالثة : مررتُ ببعض الطرقات ، فقالت امرأة : هذا الذي يصلِّي الفجر بوضوء العشاء ، فتعمَّدتُ ذلك حتى صار دأبي .

● وقال الإمام أبو حنيفة : خرجنا مع (حمّاد) نُشيِّع (الأعمش) ، وأعوز الماء لصلاة المغرب[1] ، فأفتى (حمّاد) بالتيمم لأول الوقت ، فقلت : يُؤخِّر إلى آخر الوقت ، فإن وُجد الماء وإلا تيمَّم ، ففعلتُ فوجِدَ في آخر الوقت ، وهذه أول مسألة خالف فيها أستاذه .

● وسُئل الإمام رحمه الله عمّن قال : لا أرجو الجنة ، ولا أخاف النار ، ولا أخاف الله تعالى ، وآكل الميتة ، وأصلِّي بلا قراءة وبلا ركوع وسجود ، وأشهد بما لم أره ، وأبغض الحقَّ ، وأحبُّ الفتنة!!

فقال أصحاب الإمام : أمر هذا الرجل مشكل وليس لها إلا الإمام أبو حنيفة .

---

(١) أعوز الماء لصلاة المغرب : أعوزه الشيء إذا احتاج إليه ولم يقدر عليه (مختار الصحاح) .

فقال الإمام : هذا الرجل يرجو الله لا الجنة ، ويخاف الله لا النار ، ولا يخاف الظلم من الله تعالى في عذابه ، ويأكل السمك والجراد ، ويصلِّي على الجنازة ، ويشهد بالتوحيد ، ويبغض الموت وهو حقٌّ ، ويحبُّ المال والولد وهما فتنة ! !

فقام السائل وقبَّلَ رأس أبي حنيفة ، وقال : أشهدُ أنَّكَ للعلم وعاء[1] .

❊ ❊ ❊

مجاهدة النفس :

يقول سيِّد الخلق وحبيب الحق ﷺ :

« الكَيِّسُ مَنْ دانَ نفسَهُ وعملَ لما بعدَ الموتِ ، والعاجِزُ مَنْ أتبَعَ نفسَهُ هواها ، وتمنَّى على الله الأماني » .

ويقول في حديث آخر :

« أعْدى عدوِّكَ نفسُكَ التي بينَ جَنْبَيْكَ » .

فكيف ترجم الصحابة الأوائل هذا الكلام في حياتهم العملية ؟

هذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يُصبح خليفة ، ثم يفتح الله على يديه البلاد ، وتتَّسع رقعة الدولة الإسلامية ، وتتدفَّق الأموال على بيت المسلمين ، فماذا فعل عمر ؟

كان يأبى إلا الشدَّة ! ! فتكلَّم الناس بالأمر ، لكن لا أحد يجرؤ على أن يُكلِّم عمر بهذا الأمر ، فقال واحد : ليس لنا إلا ابنته حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وبالفعل كلَّموها بالموضوع واقتنعت بذلك ، ولما دخل عليها والدها عمر كلَّمته بذلك ! !

---

(١) من الأشباه والنظائر : للعلامة ابن نُجيم الحنفي ت (٩٧٠ هـ) .

ويغضب عمر ويقول لها : لقد نصحتِ قومكِ وغشَشْتِ أباكِ!!

ثم قال لها : سأخاصمكِ إلى نفسكِ ، أما تذكرين ما كان يأكلُ رسول الله ؟ وما كان يلبس ؟ وعلى أيِّ شيءٍ كان ينام ؟

وبقي يذكِّرها ويذكِّرها بأحوال سيدنا رسول الله حتى أبكاها .

فرضي الله عن الفاروق وعن أم المؤمنين حفصة وعن الرعيل الأول .

* * *

العقيدة هي السعادة!!

إنَّ السعـــــادةَ أن تعيـ ـــشَ لفكـــرةِ الحـــقِّ التليـــدْ
لعقيـــدةٍ كُبـــرى تُحُـــلُّ قضيَّـــةَ الكـــونِ العتيـــدْ
وتُجيـــبُ عمَّـــا يســـألُ الـ ـحَيْـران فـي وعـي رشيـدْ
مـن أيـنَ جئـتُ ؟ وأيـنَ أذ هبُ لِمْ خُلِقْتُ ؟ وهَلْ أعودْ ؟
فتُشيـــعَ فـــي النَّفْـــسِ اليقيـ ـــنَ وتطـرُدَ الشـكَّ العنيـدْ
وتُعلِّـــمَ الفكـــرَ السَّـــوي وتصنـــعَ الخُلُـــقَ الحميـــدْ
وتـــردُّ للنَّهـــجِ المســـدّ د كـــلَّ ذي عقـــلٍ شَـــرودْ
تُعطـــي حيـــاتـــكَ قيمـــةً ربُّ الحيـــاة بهـــا يشيـــدْ
ليظـــلَّ طَـــرْفُـــكَ رانيـــاً فـــي الأُفُـــقِ للهـدَفِ البعيـدْ
فتعيـــشَ فـــي الـــدُّنيـــا لأُخْـ ـــرى لا تـــزولُ ولا تبيـــدْ
وتمـــدُّ أرضَـــكَ بـــالسَّمـــا ء وبـــالمـــلائكـــةِ الشُّهـــودْ
هـــذي العقيـــدةُ للسَّعيـ ـــد هـي الأسـاسُ هـي العمـودْ
مَـــنْ عـــاشَ يحملُهـــا ويهـ ـتفُ باسمها : فهو السَّعيدْ[1]

---

(١) د . يوسف القرضاوي . عن مجلة التربية الإسلامية عدد/ ٢٧٨ .

الخضوع والخشوع[1]:

قال الفيروزآبادي صاحب القاموس :

الخشوع : الخضوع أو قريب من الخضوع أو هو في البدن ، والخشوع في الصوت والبصر .

وقال ابن سيده الأندلسي (ت ٤٥٦) في معجمه (المحكم) :

خشع يخشع خشوعاً ، وتخشّع : رمى ببصره نحو الأرض وخفض صوته .

وقيل : الخشوع قريب من الخضوع ، إلا أن الخضوع في البدن ، والخشوع في الصوت والبصر ، لقول الله عز وجل :

﴿ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ ﴾ [القلم : ٤٣] .

وقوله : ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ [طه : ١٠٨] .

قلت :

ويناسب التفسير الأول عبارة الدعاء في طلب التوبة الوارد عن سيدنا زين العابدين علي بن الحسين قوله :

« فمثل بين يديكَ متضرِّعاً ، وغمض بصره إلى الأرض متخشّعاً »[2] .

وقال البيضاوي (ت ٦٨٥) :

الخشوع : الإخبات ، والخضوع : اللين والانقياد ، لذلك يقال : الخشوع بالجوارح ، والخضوع بالقلب .

---

(١) من فروق اللغات : نور الدين الجزائري ص ١٢٣ .

(٢) الصحيفة السجاوية ص ١٢٤ .

الحجاج يبكي!!!

كان (عباد بن أسلم البكري) أحد الخارجين على حكم بني أمية ، فأرسل (عبد الملك بن مروان) إلى (الحجّاج بن يوسف الثقفي) أن يبعث له رأس (عبّادٍ) هذا ، وبالفعل تمَّ القبض عليه ، فقال للحجَّاج : أيها الأمير أنشدك الله لا تقتلني ، فوالله إنِّي لأعول (أربعاً وعشرين) امرأة ما لهنَّ كسب غيري ، فرقَّ لهنَّ واستحضرهنَّ ، وإذا واحدة منهنَّ كالبدر .

فقال لها الحجَّاج : ما أنتِ منه ؟

قالت : أنا بِنْتُه ، واسمع منِّي يا حجَّاج ما أقول ، وأنشدت :

أحجَّاجُ إمّا أن تمُنَّ بتَرْكِه ... علينا وإمَّا أن تقتُلَنا معا

أحجَّاجُ لا تَفْجَعْ به إن قَتَلْتَهُ ... ثمانٍ وعَشْراً واثنتَيْنِ وأربعا

أحجَّاجُ لا تتركْ عليه بناتَهُ ... وخالاتِهِ يَنْدُبْنَهُ الدَّهرَ أجْمَعا

فلما سمعها الحجَّاج بكى ـ على الرغم مما يُشاع عنه من القساوة والغلظة ـ ورقَّ له ، واستوهبه من أمير المؤمنين (عبد الملك بن مروان) وأمر له بعطاء وافر . . .[1] .

* * *

(١) بتصرف من المستظرف في كل فن مستطرف : للأبشيهي ج ١ ص ٢٣١ .

أقسام القلوب...

يقول مولانا في محكم تنزيله :

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾

[ق : ٣٧] .

قال بعض المفسِّرين : أي لمن كان له قلب واثق بجميع ما ذكره الله ـ سبحانه ـ من الوعد والوعيد وغيرهما .

« أما أقسام القلوب فهي ثلاثة ـ كما يقول الإمام الرفاعي ـ رحمه الله تعالى :

١ـ قلب يطير في الدنيا حول الشهوات!

٢ـ وقلب يطير في العُقبى حول الكرامات!

٣ـ وقلب يطير في سدرة المنتهى حول الأُنس والمناجاة!

ـ فقلب معلَّق بالدنيا ، وقلب معلَّق بالعُقبى ، وقلب معلَّق بالمولى .

ـ وقلب حريق ، وقلب غريق ، وقلب سحيق .

ـ وقلب منتظر للعطاء ، وقلب منتظر للرِّضاء ، وقلب منتظر للقاء .

ـ وقلب مشروح ، وقلب مجروح ، وقلب مطروح .

ـ وقلب مُنيب : وهو قلب آدم عليه الصلاة والسلام .

وقلب سليم : وهو قلب إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

وأما القلب المنير : فهو قلب سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام »[1] .

---

(١) حالة أهل الحقيقة مع الله للرفاعي : ٢٢٨ .

متى سنعتبر ؟

من المعروف أن من لم يتعظ بحوادث الدهر والأيام فهذا جاهل حقاً ، وقد كرر القرآن الكريم ذلك في عدَّة مواضع من ذلك قوله تعالى :

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴾ [طه : ٥٤] .

ويقول أيضاً :

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٣٧]

ويقول أيضاً :

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ [النازعات : ٢٦] .

وكذلك رسول الله ﷺ يقول : « السَّعيدُ مَنْ وُعِظَ بغيرِهِ » .

وإليكَ هذه القصة اللطيفة :

مرَّ رجل من قبيلة مراد بأويس القرني رحمه الله تعالى فقال له : كيف أصبحتَ يا أويس ؟ قال : أصبحتُ أحمدُ الله .

قال : كيف الزمان عليكَ ؟ قال : إن الزمان وذكره لم يدع في الأرض لمؤمنٍ فرحاً ، وإن علمه بكتاب الله لم يدع في ماله فضة ولا ذهباً ، وإن قيامه بالحق لم يدع له صديقاً ! !

فقال له الرجل : حدِّثني بحديث سمعته من رسول الله ﷺ .

فقال أويس : ما شهدتُ رسول الله ﷺ فأحدِّثكم عنه ، ولكن افعلوا كما قال لكم رسول الله ﷺ :

« حاسِبوا أنفُسَكُم قبلَ أن تُحاسَبوا ، فإنَّ الله جعلَ الدُّنيا قَنْطَرَةً للآخرةِ فاعْتَبِروها »[1] .

---

(١) بتصرف من فتح الخلاق من مكارم الأخلاق للدجوي .

أَصْلُكَ من عَلَقة وتتكبَّرُ على الخالق!!

ورد ذلك خمس مرات في كتاب الله تعالى :

ففي سورة العلق يقول تعالى :

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [العلق : ١ـ٢] .

وفي سورة القيامة يقول الله عز وجل :

﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣٩ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾

[القيامة : ٣٦ـ٤٠] .

وفي سورة غافر يقول الله تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [غافر : ٦٧] .

وفي سورة الحج يقول الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ ﴾ [الحج : ٥] .

وفي سورة المؤمنون يقول الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون : ١٢ـ١٤]

أَوَ بعد ذلك يحقُّ لمَنْ خُلِقَ من علقة أن يُنكِرَ وجود الصانع الخالق ؟

أَوَ يحقُّ له أن يتكبَّرَ ويرفعَ أنفه عالياً ؟

ألم يسمع بقوله تعالى :

﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل : ٨٨] .

* * *

دَعِ الأيَّامَ تفعلُ ما تشاءُ :

ـ الإمام الشافعي :

أحد الفقهاء الأربعة الذين وضعوا أصول الفقه والاستنباط ، ولد بغزة عام خمسين ومئة للهجرة ، وذلك ليلة وفاة الإمام أبي حنيفة رضي الله عنهما .

افتنّ الشافعي بالشعر لكنه لم يسترسل فيه لاتجاهه إلى الفقه وأمور الشريعة ، ومع ذلك كان له ديوان فيه كثير من الحكم الشعرية ، من ذلك قوله رحمه الله تعالى :

دَعِ الأيَّامَ تفعلْ ما تشاءُ ... وطِبْ نَفْساً إذا حكمَ القضاءُ

ولا تَجْزَعْ لحادِثَةِ الليالي ... فما لحوادِثِ الدُّنيا بقاءُ

وكُنْ رجُلاً على الأهوالِ جَلْداً ... وشيمتُكَ السَّماحةُ والوفاءُ

وإنْ كَثُرَتْ عيوبُكَ في البرايا ... وسَرَّكَ أن يكونَ لها غِطاءُ

تستَّرْ بالسَّخاءِ فكلُّ عَيْبٍ ... يُغطِّيه ، كما قيل ، السَّخاءُ

ولا تُرِ للأعادي قطُّ ذُلاً ... فإن شماتَةَ الأعدا بلاءُ

ولا تَرْجُ السَّماحةَ من بخيلٍ ... فما في النَّارِ للظمآنِ ماءُ

ورزقُكَ ليسَ ينقصُهُ التأنّي ... وليسَ يزيدُ في الرِّزقِ العناءُ

ولا حزنٌ يدومُ ولا سرورٌ ... ولا بُؤسٌ عليكَ ولا رخاءُ

إذا مـا كنـتَ ذا قلـبٍ قَنـوعٍ فـأنـتَ ومـالِـكُ الـدُّنيـا سـواءُ
ومَـنْ نـزلَـتْ بسـاحَتِـهِ المنـايـا فـلا أرضٌ تقيـهِ ولا سمـاءُ
وأرضُ الله واسعَـةٌ ولكـنْ إذا نـزَلَ القَضـا ضـاقَ الفضـاءُ
دَعِ الأيَّـامَ تغـدِرُ كـلَّ حيـنٍ فما يُغني عنِ الموتِ الدَّواءُ[1]

* * *

هذا أبو حفص رضي الله عنه :

ـ مشى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه مرَّة في سكك المدينة ، فإذا بصبيةٍ تطيش هُزالاً ، تقوم مرةً وتقعد أخرى ، وتقع على الأرض حيناً ، فسأل : من هذه يا بؤسها! من يعرف هذه منكم ؟ فقال ابنه عبد الله : أما تعرفها يا أمير المؤمنين ؟ ؟ قال : لا ، قال : هذه إحدى بناتكَ!

قال عمر : وأيُّ بناتي هذه ؟ هذه فلانة بنت عبد الله بن عمر (أي بنته)!!

فقال عمر : ويحكَ يا عبد الله وما صيَّرها إلى ما أرى ؟ قال عبد الله : مَنْعُكَ ما عندك .

قال عمر : إنَّكَ والله ما لك عندي غير سهمكَ في المسلمين ، وسعكَ أو أعجزكَ!

وهذا كتاب الله بيني وبينكم . . .

ـ وقَدِمَتْ إلى المدينة المنورة قافلة من التجار ، وكان فيها الأطفال والنساء ، فقال عمر الأمير لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما : هل لك أن تحرسهم هذه الليلة ؟!

---

(١) من ديوان الإمام الشافعي ص ٢١ .

وباتا يحرسانهم ويصلِّيان ما كتب الله لهما ، فسمع عمر بكاء صبي فتوجَّه نحوه قائلاً لأمِّه : اتَّقي الله وأحسِني إلى صبيِّكِ ، ثم عاد إلى مكانه ، وتكرَّر البكاء وتكرَّرت نصيحة عمر لها ، ثم قال لها : ويحكِ ، إني لأراكِ أمَّ سوء! ما لي أرى ابنكِ لا يقرُّ منذ الليلة ؟

فقالت ـ وهي لا تعرف أنه أمير المؤمنين ـ : يا عبد الله ، لقد أتعَبْتَني هذه الليلة! إنِّي أحملُ صبيٌ على الفِطام كُرهاً فيأبى ، قال : ولِمَ ذلك ؟

قالت : لأن عمر لا يفرضُ إلا للفطيم : (لا يعطي للآباء عن أولادهم العطاء إلا مَنْ فُطِمَ منهم) .

قال : وكم عُمر صغيركِ ؟ قالت : كذا وكذا شهراً . .

فقال : ويحكِ لا تعجليه ، فصلَّى الفجر إماماً بالمسلمين ـ كالعادة ـ وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء ، فلما سلَّمَ قال : يا بؤساً لعمر كم قَتَلْتَ من أولاد المسلمين!! ثم أمرَ مُنادياً فنادى أن لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فإنّا نفرضُ لكل مولودٍ في الإسلام. . .

فهل رأى التاريخ مثل ديمقراطية أبي حفص ؟ ؟

يسهر على رعاية القافلة مع فردٍ من أفراد المسلمين ، وهو مَنْ هو ؟ إنه قاهر كِسْرى وقيصر وإمبراطوريتهما ، كيف تحسَّس آلامَ الأمَّهات والأطفال الرُّضَّع وبكى وبكى على ما فعل في أولاد المسلمين. . .

فرحمكَ الله أبا حفص ، وأعلى من مكانكَ في الفردوس الأعلى .

* * *

صفات أصدقائنا!!

من أهم صفات الذين يجب أن نُصادقهم سبعة أشياء هي :

١ـ الخلق الكريم : لأن من حمل ذاك الخلق كان كالفراشة تشيع الجمال والعطر ، وليس كالذبابة تترك الطيِّبات لتذهب إلى الخبائث والقاذورات!!

٢ـ العقل : وكثيرة هي الأحاديث التي تحضُّ على ذلك ، منها قوله صلوات الله عليه :

« لا تَصْحَبْ إلا عاملاً تقياً ، ولا تُخالِطْ إلا عالماً زكياً ، ولا تُودِعْ سِرَّكَ إلا مؤمناً وفيّاً » .

وما أجمل قول الشاعر في ذلك :

ولا تَصحَبْ أخا الجهلِ　　وإيَّاكَ وإيَّاهُ
فكمْ من جاهلٍ أردى　　حليماً حينَ يَلْقاهُ
يُقاسُ المرءُ بالمرءِ　　إذا ما هُوَّ ماشاهُ
وللشَّيءِ على الشَّيءِ　　مقاييسٌ وأشباهُ
وللقلبِ على القلبِ　　دليلٌ حينَ يَلْقاهُ

٣ـ العلم : وقد وردت آثار مشجِّعة على مصاحبة المتعلِّم منها :

« يا بُنيَّ! جالسِ العلماء وزاحمهم بركبتيكَ ، فإن القلوب لتحيا بالحكمة ، كما تحيا الأرض الميتة بالمطر » .

٤ـ الوفاء : فالوفي لن يتخلَّى عنكَ وقت الشدَّة ، ويكون لكَ ناصحاً أميناً .

٥ـ الزهد : وهذه لا تكون إلا في الأبرار الأتقياء الذي يهتمون بالآخرة

ويزهدون بحطام الدنيا وزينتها ، ويتعالون عن كلٍّ ما فيها .

٦ـ الحكمة : وهذه لا يحملُها إلا من خاض تجارب الحياة ومعتركاتها ، فصنعت منه الرجل المتَّزن الحكيم الذي إن سألته نصحك أو قال : لا أدري .

٧ـ الفضيلة : وقد ورد في الأحاديث عن النّبي ﷺ قوله :

« أسعَدُ الناسِ مَنْ خالَطَ كِرامَ الناس » .

« عاشِرْ أهلَ الفضائِلِ تَنْبل » .

❊ ❊ ❊

ماذا عن السُّوَرِ المكّية والمدنية ؟

جاء في كتاب (من روائع القرآن د . البوطي) ما يلي :

تجد أن الآيات المكية تمتاز بواحد مما يلي :

١ـ ذكر قصص الأنبياء ، والأمم الخالية ، ودعوة الناس إلى الاعتبار بهم ، إلا ما يتعلّق بالحديث عن مريم وعيسى عليه الصلاة والسلام وقصة ولادته ، فقد نزل بعض ذلك في المدينة حجاجاً لأهل الكتاب .

٢ـ المناقشة والحجاج وعرض الأدلة على وجود الله ووحدانيته ، وعلى بعث الأجساد مع أرواحها من بعد الموت للحساب .

٣ـ تثبيت فؤاد الرسول ودعوته إلى الصبر على الأذى تأسِّياً بمن سبقه من الأنبياء والمرسلين الذين بُعثوا لدعوة الناس إلى هذا الدين ذاته .

٤ـ يغلب على الآيات المكية أن تكون قصيرة ذات وقع معين في الأذن والنَّفس ، تبعث على الرهبة والخشية ، وتُشعر بمعنى الجلال والجبروت ، كمعظم السور التي تقرؤها في جزء تبارك وعمَّ يتساءلون .

فهذه الخصائص تجدها في الآيات المكية ، وهي من طبيعة المرحلة التي كانت تمرُّ بها الدعوة الإسلامية ، أما خصائص الآيات المدنية فهي :

١ـ البحث في الأحكام والتشريعات المتعلِّقة بالعبادة والمعاملات والحدود وغيرها .

٢ـ الأمر بالجهاد والقتال والتعليق على الغزوات ، وما يتعلَّق بها من شأن الغنائم والأسرى والمنافقين .

٣ـ البحث في شؤون الحكم والشورى ، وضرورة الرجوع فيها إلى الكتاب والسنَّة .

٤ـ يغلب على الآيات المدنية أن تكون طويلة فيها اللِّين والهدوء ، ووعد المسلمين بالفوز والنصر .

وهكذا تستطيع أن تميِّز بين السور المكية والمدنية من غير الرجوع إلى روايات العلماء والمفسرين في ذلك ، فحسبك أن تقرأ سورة البقرة ، وتطَّلع على ما تجمَّع فيها من أحكام الصيام ، والحجِّ ، والوصية ، والقصاص ، والنكاح ، والرضاع ، والطلاق ، وغيرها لتعلم أنها سورة مدنية .

وحسبك أن تقرأ سورة مثل سورة قٓ وتقف على ما فيها من الحجاج والنقاش مع المشركين ، وما فيها من الأدلَّة على وجود الله ، وما ينبعث من جَرْسها وفواصلها ، وإيقاع آياتها من معاني الشدَّة والتهديد والجبروت ، لتعلم أنها سورة مكِّية .

* * *

لَجَعَلْتَ أُمّكَ عِبرَةً وأباكا!!

مـا لـي رأيْتُـكَ راكبـاً لهـواكـا | أظَنَنْــتَ أن الله ليــسَ يــراكــا
انظُرْ لنفسِكَ فالمنيَّةُ حيثُ ما | وجَّهْـتَ واقفـةٌ هنـاك حِـذاكـا
خُذْ من حراكِكَ للسُّكونِ بحظِّهِ | مـن قبـلِ أن لا تستطيعَ حِراكـا
للمــوتِ داعٍ مُــزعــجٌ وكــأنَّــه | قـد قـامَ بيـنَ يـديـكَ ثـمَّ دعـاكـا
وليــوم فقــركَ عــدَّةٌ ضيَّعتهــا | والمـرءُ أفقـرُ مـا يكـونُ هنـاكـا
لتُجهَّــزَنَّ جهـازِ مقطـوعِ القُـوى | ولتشحطـنَّ عـن القـريـبِ نـواكـا
وليُسلمنَّــكَ كــلُّ ذي ثقــةٍ وإن | نـاداكَ بـاسمِـكَ سـاعـةً وبكـاكـا
وإلى مدى تجري وتلكَ هي التي | لا تُستقــالُ إذا بلغــتَ مــداكـا
يــا ليتنــي أدري بــأيِّ وثيقــةٍ | ترجُو الخلودَ وما خُلِقْتَ لذاكا
يـا جاهـلاً بـالموتِ مُرتهنـاً بـه | أحَسِبْتَ أنَّ لمَنْ يموتُ فِكاكا ؟!
لا تكذبنَّ فلو قد احتُفِرَ الحشا | بطَـلَ احتيـالُـكَ عنـدهُ ورقـاكـا
حاولتَ رزقَكَ دون دينِكَ مُلحفاً | والـرِّزقُ لـو لـم تبْغِـهِ لبغـاكـا
وجعلتَ عِرضكَ للمطامعِ بذلةً | وكفــى بــذلــك فتنـةً وهـلاكـا
وأراكَ تلتمــسُ الغِنــى لتنــالــهُ | وإذا قنِعْـتَ فقـد بلَغْـتَ غِنـاكـا
ولقـد مضـى أبـواكَ عمّـا خلَّفـا | ولتمضيــنَّ كمـا مضـى أبـواكـا
لـو كنـتَ معتبـراً بعظـمِ مُصيبةٍ | لجعلــتِ أُمَّـكَ عبـرةً وأبــاكـا
قد نِلْتَ من شرخِ الشبابِ وسُكرِه | ولقد رأيتَ الشَّيبَ كيفَ نعاكا
ومنَ السَّعادةِ أن تعِفَّ عنِ الخَنا | وتُنيـلَ خيـركَ أو تكُـفَّ أذاكـا
دهْرٌ يؤمِّننا الخطوبَ وقد نرى | فـي كـلِّ نـاحيـةٍ لهُـنَّ شِبـاكـا
يا دهرُ قد أعْظمتَ عِبْرَتَنا بمنْ | دارتْ عليه من القُرونِ رَحاكا[1]

---

(١) من ديوان أبي العتاهية ص ٢٦٣ .

الزهد المصطفوي...

لقد ترجم رسول الله صلوات الله عليه الزهد والقناعة من القول إلى الفعل ، من ذلك :

١ـ تروي السيدة عائشة رضي الله عنها فتقول : توفي رسول الله ﷺ وما في بيتي شيء يأكله ذو كبدٍ إلا شطرَ شعيرٍ في رفٍّ لي ، وقال لي صلوات الله عليه :

« لقد عُرِضَ عليَّ أن تجعلَ لي بطحاءُ مكة ذهباً!! فقلتُ : يا ربِّ ، أجوعُ يوماً ، وأشبعُ يوماً ، فأمَّا اليوم الذي أجوعُ فيه فأتضرَّعُ إليكَ وأدعوكَ ، وأمّا اليوم الذي أشبعُ فيه فأحمدُكَ وأُثني عليكَ » .

٢ـ وفي حديث السيدة حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : كان فراش رسول الله ﷺ في بيته مسحاً نثنيه له ثنيتين فينام عليه ، فثنيناه ليلة بأربع ، فلما أصبح قال : « ما فرشتم لي الليلة » ؟ فذكرنا ذلك فقال :

« رُدُّوهُ بحاله فإنَّ وطأتَهُ منعَتْني الليلةَ صلاتي!! » .

٣ـ ويروي أنس بن مالك رضي الله عنه : أن فاطمة بنت النَّبي ﷺ جاءت بكسرة خبز إليه ، فقال لها الرسول : « ما هذه الكِسْرَةُ يا فاطمة » ؟ قالت : قرصٌ خبزتُهُ فلم تطب نفسي حتى آتيكَ بهذه الكسرة ، فقال لها الرسول ﷺ : « أما إنَّه أوَّلُ طعامٍ دخلَ فَمَ أبيكِ مُنذُ ثلاثةِ أيَّامٍ يا فاطمة!! » .

٤ـ ويجوع المصطفى . . . ويجوع . . وتمسحُ السيدة عائشة رضي الله عنها على بطنه الشريف وتبكي وتقول : نفسي لك الفداء ، لو تبلَّغتَ من الدنيا بما يقوتكَ ، فيقول عليه الصلاة والسلام : « يا عائشة!ما لي وللدُّنيا ، إخواني من أُولي العزمِ من الرُّسُلِ صبروا على ما هو أشدُّ من

هذا ، فمضوا على حالِهم فقَدِموا على ربِّهم فأكرَمَ مآبَهم ، وأجْزَلَ ثوابَهم ، فأجِدُني أسْتحي إن ترفَّهْتُ في معيشتي أن يَقْصُرَ بي غداً دونهم ، وما من شيءٍ هو أحبُّ إليَّ من اللُّحوقِ بإخواني وأخِلاّئي » .

* * *

وتبغي بعد ذاكَ لحاقي!!

للناس في هذه الدنيا مذاهب ومذاهب ، في التلذُّذِ بنعمها ولذائذها ، لكن الغريب أن للعلماء تلذُّذاً آخر ، يوقظون ليلهم ، ويطول سهرهم في ذلك .

ـ يقول ابن كثير في ترجمة الإمام (البخاري) أمير المؤمنين في الحديث :

رحلَ إلى سائر مشايخ الحديث في البلدان التي أمكنَتْه الرحلة إليها وكتب عن أكثر من ألف شيخ ، قال (الفِرَبْري) : سمع (الصحيح) من البخاري معي نحوٌ من سبعين ألفاً ، لم يبق منهم أحد غيري .

ثم قال ابن كثير : وقد كان البخاري يستيقظ في الليلة الواحدة من نومه ، فيوقدُ السِّراج ويكتبُ الفائدة تمرُّ بخاطره ، ثم يُطفىءُ سراجَه ، ثم يقومُ مرة أخرى وأخرى حتى كان يتعدَّدُ منه ذلك قريباً من عشرين مرة[١] .

ـ روى الحافظ الذهبي في ترجمة (عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي) صاحب كتاب الجرح والتعديل :

قال ابن أبي حاتم : كنّا بمصر سبعة أشهر لم نأكل فيها مَرَقةً ، نهارنا ندورُ على الشيوخ ، وبالليل ننسخُ ونُقابل ، فأتينا يوماً أنا ورفيقٌ لي

---

(١) البداية والنهاية : لابن كثير ١١/ ٢٥ .

شيخاً ، فقالوا : هو عليل ، فرأيتُ سمكةً أعجبتنا فاشتريناها ، فلما صرنا إلى البيت حضر وقت مجلس بعض الشيوخ فمضينا ، فلم تزل السمكة ثلاثة أيام ، وكادت أن تُنتِن ، فأكلناها نيّئة لم نتفرَّغ لنشويها!!

ثم قال : لا يُستطاع العلم براحة الجسد!![1] .

❊ ❊ ❊

هل جاءكَ خبرُ (وحَرَة) ؟!

قدم على رسول الله ﷺ وفدٌ من الأشعريين ، فقال رسول الله ﷺ :

« أَمِنكُم كانت وَحرَة » ؟ قالوا : نعم يارسول الله ، قال : « فإنَّ الله عز وجل أدخلَها الجنَّة ببرِّها لوالدتِها ، ووالدَتُها مشركة ، أُغيرَ على حيِّها ، وتركوها وأُمَّها ، فحملَتْها تشتدُّ بها في الرَّمضاءِ ، فإذا احترقَتْ قدماها أجلسَتْها في حِجْرِها وبسَطَتْ رجليها ، وجعلَتْ رجلي أمِّها على رجليها ، ثم حَنَتْ عليها تُظِلُّها من الشمس ، فإذا راحت حملَتْها ، فلم تَزَلْ كذلك حتى نجَّتْها ، فأدخَلَها الله تباركَ وتعالى بذلك الجنة »[2] .

وأصبحت (وَحرَة) من الأمثلة ، فأصبحوا يقولون : لو كنتَ أبرَّ من وحَرَة!!

وهذا شاعر يوصي أولاده بأن يكونوا (كوَحرَة) فيقول :

ألا أبلِغَـنْ أيُّهـا المُغتـدي	بَنـيَّ جميعـاً وبَلِّـغ بنـاتـي
بـأنَّ وصـاتـي بتقـوى إلهكـمْ	فـاحفظـوا مـا بقيتُـمْ وصـاتـي
وكـونـوا (كـوَحْـرَة) فـي بِـرِّهـا	تنـالـوا الكـرامـةَ بعـدَ الممـاتِ

---

(١) تذكرة الحفاظ : للحافظ الذهبي ٣/ ٨٣٠ .

(٢) الحديث والأبيات رواها ابنُ أبي الدنيا في كتابه مكارم الأخلاق.

وَقَتْ أُمَّها بِشِواها الرَّميضَ   وقد ألهَبَ القيظُ نارَ الفلاةِ
فظلَّتْ مطيَّتها في الرما   ل حافيةً من حَذارِ العُداةِ
لتُرضيَ ربّاً شديدَ القُوى   وتظفَرَ من نارهِ بالنَّجاةِ
فهذي وصاتي فكونوا لها   طوالَ الحياةِ رُعاةَ الرُّعاةِ[1]

❊ ❊ ❊

أشعار في الفرج والشدة...

حينما قرأ الشعراء والأدباء أن كل شدة لابدَّ أن يعقبها فرج من الله تعالى ، وأن كل عسر لابد وأن يتبعه يسر ، ترجموا هذا الكلام إلى الشعر فأبدعوا في ذلك وافتنّوا به ، من ذلك :

ـ قال الشاعر (الفرزدق) :

ولمّا رأيتُ الأرضَ قد شُدَّ ظهرها   ولم يكُ إلا بطنها لكَ مخرجا
دعوت الذي ناداهُ يونُس بعد ما   ثوى في ثلاثٍ مُظلماتٍ ففرَّجا

ـ وقال (أبو العتاهية) :

هي الأيامُ والعِبَرُ   وأمْرُ الله ينتظِرُ
أتيْأسُ أن ترى فَرَجاً   فأينَ الله والقَدَرُ ؟

ـ وقال آخر :

عسى الكَرْبُ الذي أمسيتَ فيه   يكونُ وراءَهُ فرجٌ قريبُ
فيأمَنَ خائفٌ ويُفكّ عانٍ   ويأتي أهلَهُ النائي القريبُ

---

(١) الحديث والأبيات رواها ابنُ أبي الدنيا في كتابه مكارم الأخلاق.

ـ وقال آخر :

مفتـاحُ بـابِ الفـرجِ الصَّبـرُ ... وكـلُّ عُسْـرٍ معـه يُسـرُ
والـدَّهـرُ لا يبقـى علـى حـالـه ... والأمـرُ يـأتـي بعـدَهُ الأمـرُ
والكَـرْبُ تُفنيـه الليـالـي التـي ... يفنـى عليهـا الخيـرُ والشـرُّ

ـ وقال آخر :

عسى ما ترى أن لا يدوم وأن ترى ... لـهُ فَـرَجـاً ممّـا ألـمَّ بـه الـدَّهـرُ
عسـى فَـرَجٌ يـأتـي بـه الله إنَّـه ... لـه كـلَّ يـوم فـي خليقَتِـهِ أمـرُ
إذا لاحَ عُسْـرٌ فـارجُ يُسـراً فـإنَّـه ... قَضى الله : أنَّ العُسْرَ يتبعُهُ اليُسْرُ

ـ وروى ابن أبي الدنيا هذه الحادثة[1] :

قال أبو عمرو بن العلاء : كنّا هِراباً من الحجَّاج فسمعتُ مُنشداً يُنشد :

ربَّمـا تكـرَهُ النُّفـوسُ مـن الأمـر ... لـه فُـرجـةٌ كحـلِّ العِقـالِ

فاستظرفتُ قوله (فرجة) ، فإني لكذلك إذ سمعتُ قائلاً يقول : مات الحجَّاج ، فما أدري بأيِّ الأمرين كنتُ أشدُّ فرحاً ، بموت الحجَّاج ، أو بذلك البيت .

* * *

٤٠٠٠ آية!!

في كتاب الله تعالى ما يزيد على (٦٠٠٠ آية) منها (٥٠٠ آية) فقط تبحث في الأحكام ، وأقل من (٢٠٠ آية) تبحث في الفقه والتشريع ،

---

(١) الفرج بعد الشدة : لابن أبي الدنيا .

لكن القرآن الكريم ركّز على العقل والتفكُّر والبحث ، واستنباط الحقائق العلمية من الطبيعة (من الأرض والنبات والسموات والبحار وغير ذلك . .) .

لذلك أورد القرآن الكريم ما يقرب من (٤٠٠٠ آية) تتحدّث عن ذلك ـ وللأسف ـ انحصر اهتمام المسلمين ـ خاصة اليوم ـ في الآيات (٢٠٠) التي تبحث في الفقه والتشريع وتركوا الآيات (٤٠٠٠) التي تحضُّ على العلم والعقل والتفكُّر والبحث ، لذلك تخلّفوا تخلُّفاً يزدريه دينهم .

ومن هذه الآيات قوله تعالى :

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [العنكبوت : ٤٣ـ٤٤] .

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [الزمر : ٩] .

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ ﴾ [المجادلة : ١١] .

﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ . . ﴾ [الأنعام : ١٤٨] .

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤] .

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُم بِكِتَـٰبٍ فَصَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ [الأعراف : ٥٢] .

* * *

الذي يكبُّ الناس في النار!!

يقول المصطفى صلوات الله عليه :

« رَحِمَ الله عبداً قالَ خيراً فغَنِمَ أو سَكَتَ فسَلِمَ »[1] .

---

(١) رواه البيهقي والسيوطي .

واسمع هذا الحوار الذي دار بين الصحابي معاذ بن جبل ورسولنا محمد صلوات الله عليه :

قال معاذ : يارسول الله! أخبرني بعمل يُدخلني الجنة ، ويُباعدني عن النار ؟

فقال : « سألْتَ عن عظيمٍ ، وإنَّه ليسيرٌ على مَنْ يَسَّرَهُ الله عليه ، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحجَّ البيت » ، ثم تلا قوله تعالى :

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

[السجدة : ١٦ـ١٧] .

ثم قال : « ألا أُخبرُكَ برأْسِ الأمرِ وعمودِه الصلاةُ ، وذروة سنامه الجهاد » .

ثم قال : « ألا أخبركَ بملاكِ ذاك كلِّه » ؟

قلتُ : بلى يارسول الله ، فأخذ بلساني ثم قال :

« كُفَّ عليكَ هذا!! » .

قلتُ : يارسول الله! وإنّا لمؤاخذون بما نتكلَّم به ؟

فقال : « ثَكِلَتْكَ أمُّكَ يا مُعاذ ، وهل يكبُّ الناسَ في النارِ على وجوههم ـ أو قال : على مناخِرِهم ـ إلا حصائِدُ ألسنتِهم » ؟

* * *

ما هي طرق التعرف إلى عيوب النفس ؟

جاء في كتاب الطب الروحاني ما يلي :

اعلم أن النفس محبوبة ، وعيوب المحبوب قد تخفى على المحبِّ ، وفي الناس مَنْ يقوى نظره وجهاد للنفس ، فينزلها منزلة العدو في المخالفة ، فيظهر له عيوبها .

قال إياس بن معاوية : مَنْ لم يعرفْ عيبَ نفسه فهو أحمق ، فقيل له : فما عيبكَ ؟ قال : كثرة الكلام!!

والطرق التي تُعرِّفُ الإنسان إلى عيوبه سبع :

١ـ أن يتخيَّر صديقاً من أعقل مُخالطيه ، ويسأله إبانة ما يرى من قبيحه ، ويعرِّفه أن ذلك منَّة منه عليه ، فإذا أخبر به ابتهج بما سمع منه ، ولم يُظهر له الحزن على ذلك لئلا يقصِّر في شرح الأمور ، ويقول له : متى كتمتني شيئاً عددتُكَ غاشّاً .

٢ـ أن يبحث عمّا يقوله فيه جيرانه ، وإخوانه ، ومعاملوه ، وبماذا يمدحونه أو يذمُّونه .

٣ـ أن يتطلَّع إلى ما يقوله فيه الأعداء ، فإن العدو بحّاث عن العيوب ، ومن هذا الوجه ينتفع الإنسان بعدوِّه ما لا ينتفع بصديقه ، لأن العدو يذكر النقص ، والصديق يستر الخلل ، فإذا عرف الإنسان من طرق عدوه نقصه ، اجتنبه .

٤ـ أن يصوِّر أفعاله في غيره ، ثم يستعمل منها ما يُستحسن ، ويترك ما يُستقبح .

٥ـ أن يُعمِلَ فكره في عواقب ضلاله وثمراتها ، فيرى عيبَ العيب ،

وحسن الحسن ، فإن الفكر الصادق نافذ .

٦ـ أن يعرض أعماله على محكِّ الشرع ، ويُريها نافذ العقل ، ويضعها في موازين العدل ، فإنه يرى الأرجح والأدوم .

٧ـ أن ينظر في سير العاملين ، ثم يقيس أفعاله بأفعالهم ، فيرى حينئذٍ أن آثار النقص عيبٌ ، فضلاً عن فعل القبيح .

ـ وقد رُوي أن رجلاً صحب رجلاً ، فلما أراد أن يُفارقه ، قال له : أخبرني عن عيوبي!! فقال : سل غيري ، فإني كنتُ أراكَ بعين الرِّضا ، وكما قال الشاعر :

وعَيْنُ الرِّضا عن كلِّ عَيْبٍ كليلَةٌ ... ولكنَّ عينَ السُّخْطِ تُبدي المساويا

* * *

أيُّ شيء كان قبل الله ؟!

ورد في سرعة بديهة الإمام (أبي حنيفة) رحمه الله تعالى أمور جليلة ، من ذلك ما رواه الخطيب الخوارزمي قال :

إن ملك الروم أرسل إلى الخليفة مالاً جزيلاً على يد رسوله ، وأمره أن يسأل العلماء عن ثلاث مسائل ، فإن هم أجابوك ابذل لهم المال ، وإن لم يجيبوكَ فاطلب من المسلمين الخراج ، فسأل العلماء يومها ، فلم يأتِ أحدٌ بما فيه مقنع ، وكان الإمام ـ أبو حنيفة ـ يومها صبيّاً حاضراً مع أبيه ، فاستأذنه في جواب الرومي ، فلم يأذن له ، فقام الصبي واستأذن من الخليفة فأذن له ، وكان الرومي على المنبر ، فقال له : أسائلٌ أنتَ ؟ قال : نعم .

قال : انزل ، مكانكَ الأرض ومكاني المنبر!!

فنزل الرومي وصعد أبو حنيفة ، فقال : سَلْ ، فقال : أيُّ شيء كان قبل الله تعالى ؟

فأجاب الإمام : هل تعرف العدد ؟ قال : نعم ، قال : ما قبل الواحد ؟

قال : هو الأول ليس قبله شيء ، فقال : إذا لم يكن قبل الواحد المجازي اللفظي شيء ، فكيف يكون قبل الواحد الحقيقي ؟

قال الرومي : في أيِّ جهة وجه الله تعالى ؟ فأجاب : إذا أوقدتَ السِّراج ، فإلى أيِّ وجه نوره ؟ قال : ذاك نورٌ يستوي فيه الجهات الأربع ، فقال : إذا كان النور المجازي المستفاد والزائل لا وجه له إلى جهة ، فنور خالق السموات والأرض الباقي الدائم المفيض ، كيف يكون له جهة ؟

قال الرومي : بماذا يشتغل وجه الله تعالى ؟

أجاب الإمام : إذا كان على المنبر مشبِّه مثلكَ نزَّله ، وإذا كان على الأرض موحِّد مثلي رفعه ، كل يومٍ هو في شأن!!

فترك الرومي المال وعاد يجرُّ أذيال الخزي إلى بلده . .

وسُمع من آخر المسجد قارىء يتلو آياتٍ من كتاب الله :

﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] .

* * *

ماذا عن أعمال خالد العسكرية ؟

تتلخص أعمال سيف الله خالد بما يلي :

١ـ في فتح مكة : كان على ميمنة جيش رسول الله ﷺ ، وقاتل بعض المشركين الذين جابهوه .

٢ـ بعثه إلى بني جُذيمة : فرفضوا أن يُعلنوا إسلامهم ، بل قالوا : صبأنا صبأنا ! ! فقاتلهم قتالاً مريراً .

٣ـ في غزوة حُنين : كان خالد رضي الله عنه على مقدمة جيش المسلمين .

٤ـ بعثه رسول الله ﷺ إلى (أُكيدَر في دُوْمَة الجندل) : في غزوة تبوك على رأس أربعمئةٍ وعشرين فارساً ، فقبض على أُكيدر وقدم به إلى رسول الله ﷺ .

٥ـ أرسله رسول الله ﷺ إلى نجران : يدعوهم إلى الإسلام ، وبالفعل أعلنوا إسلامهم ، وأتى معه وفدٌ منهم إلى رسول الله وأعلنوا إسلامهم أمامه .

٦ـ هدم العزّى ووُدّ : وقد دافع أهله عنه ، فقاتلهم خالد وتمكّن من هدمه .

في غزوة الطائف : حيث شارك الجيش الإسلامي الذي توجّه لمطاردة الفارّين إلى الطائف .

٧ـ بعثه رسول الله إلى بني المصطلق : من أجل دعوتهم إلى الإسلام وكان ذلك .

٨ـ بعثه رسول الله إلى اليمن يدعوهم إلى الإسلام : فأقام بينهم ستة أشهر .

هذا كله في عهد رسول الله ﷺ ، أما بعد وفاته فكانت أعماله :

٩ـ جهاده في حروب الردَّة : وقد أبلى خالد رضي الله عنه بلاءً حسناً ، حيث بدأ بحرب طليحة بن خويلد الأسدي وقومه ، حتى قضى على فتنتهم ، فتوجَّه إلى (مالك بن نويرة) بالبطاح وقضى عليه ، ثم

توجَّه إلى اليمامة حيث يُقيم مسيلمة الكذاب ، وقاتله خالد قتالاً مبرّحاً ، وكانت النتيجة النصر للمسلمين بإذن الله تعالى .

١٠ـ مشاركته في فتح العراق والشام : بعد حروب الردَّة أمره الخليفة الصدِّيق رضي الله عنه أن يتوجَّه إلى العراق ، فلما وصل إلى البصرة فرَّ أهلها وتركوا أموالهم ، ثم فتح بلاداً كثيرة منها (المذار ، والولجة ، وأُليس ، وأمعنيشيا ، والحيرة ، والأنبار ، وعين التمر ، ودومة الجندل ، والمصيخ ، والثني ، والزميل ، والفراض ، والحصيد ، وقراقر ، وسوى ، وأرَك ، وتدمر ، وحوارين ، وقصم ، ومرج وراهط ، وبصرى ، واليرموك) .

وبعد وفاة أبي بكر عزله عمر رضي الله عنه ، ومع ذلك لم يتوقف نشاط خالد الحربي ، فشارك في فتح دمشق ، وفحل ، ومرج الروم ، وحمص ، ومرعش ، وقنّسرين!![1] .

ـ ثم توفي في حمص على فراش الموت عام (٢١ هـ) ، ولما وصل خبر وفاته إلى مدينة رسول الله ﷺ قال الخليفة الفاروق رضي الله عنه :

(على مثلِ أبي سليمان فلْتَبْكِ البواكي) .

* * *

شاور ولا تشاور!!

قال الله تعالى في محكم التنزيل :

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

لكن ليس كلُّ الناس يُشاوَرون ، لذلك جاءت الآثار تحضُّ على المشاورة وتارة تنهى عنها .

---

(١) للتوسع راجع تاريخ الطبري ٣/ ٤٠٧ والكامل لابن الأثير ٢/ ٤٩٠ .

قال (الفاروق) رضي الله عنه : شاور في أمركَ من يخاف الله عز وجل .

وقال (أبو حنيفة) رحمه الله : لا تشاور من ليس في بيته دقيق!

وقال (ابن المقفع) : ثلاثة لا آراء لهم : صاحب الخفِّ الضيِّق ، ومحبس البول ، وصاحب المرأة السليطة!

وقال (قسُّ بن ساعدة) : لا تشاور مشغولاً وإن كان حازماً ، ولا جائعاً وإن كان فهِماً ، ولا مذعوراً وإن كان ناصحاً ، ولا مهموماً وإن كان عاقلاً ، فالهمُّ يعقل العقل ، فلا يتولَّد منه رأي ولا تَصْدق به رؤية .

وقال (أحد الحكماء) : الناس ثلاثة ، فرجل رجل ، ورجل نصف رجل ، ورجل لا رجل!

فأما الرجل الرجل : فذو الرأي والمشورة .

وأما الرجل الذي هو نصف رجل : فالذي له رأي ولا يشاور .

وأما الرجل الذي ليس برجل : فالذي ليس له رأي ولا يشاور .

وقالت (العرب) : إذا أردتَ أن تعرف الرجل فشاوره ، فإنك تقف من مشورته على جَوْره وعدله وحبِّه وبغضه وخيره وشرِّه ، واستشر عدوَّك تعرف مقدار عداوته!

وشاور عدوَّكَ العاقل ، ولا تستشر صديقكَ الأحمق .

وقال (أحد البلغاء) :

إذا أشكلَتْ عليكَ الأمور ، وتغيَّر لكَ الجمهور ، فارجع إلى رأي العقلاء ، وافزع إلى استشارة العلماء ، ولا تأنف من الاسترشاد ، ولا تستنكف من الاستمداد ، فلأن تسألَ وتَسْلَمَ خيرٌ من أن تستبدَّ وتندم!

وقد مدح الشعراء الأناة في الرأي وعدم التسرُّع فيه ، من ذلك :

الـرَّأيُ قبـلَ شجـاعـةِ الشُّجعـانِ   هـو أوَّلٌ وهـيَ المحـلُّ الثـانـي
فـإذا هُمـا اجتمعـا لنَفْـسٍ حُـرَّةٍ   بلَغَـتْ مـن العَلْيـاءِ كـلَّ مكـانِ

وقد رَوى الإمام الطبراني بسنده إلى سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال :

« ما خابَ مَنِ استخار ، ولا نَدِمَ مَنِ اسْتشار ، ولا عالَ مَنِ اقتَصَد » .

* * *

إنَّ القرين إلى المُقارَن يُنسب!

قال أبو تمام :

مَـنْ لـي بـإنسـانٍ إذا أغضبتُـه   وجهِلْتُ كانَ الحِلْمُ ردَّ جوابه
وإذا صَبَوْتُ إلى المُدامِ شربتُ   من أخلاقه وسكرتُ من آدابه
وتـراهُ يُصغـي للحـديـثِ بطَـرْفِـه   وبقلبِـــه ولعلَّـــهُ أدرى بـــه

وقال آخر :

ليسَ الصَّديقُ الذي إن زلَّ صاحبه   يوماً رأى الذَّنبَ منه غير مغفورِ
وإنْ أضـاعَ لـهُ حقّـاً. . . فعـاتَبَـهُ   منـه أتـاهُ بتـزويـق المعـاذيـرِ
إنَّ الصَّديقَ الذي تَلْقاهُ يعذرُ في   مـا ليـسَ صـاحبـهُ فيـه بمعـذورِ

وقال أوس بن حجر (جاهلي) :

وليسَ أخوكَ الدَّائمُ العهدِ الذي   يذُمُّكَ إن ولَّى ويُرضيكَ مُقبلا
ولكنْ أخوكَ النَّائي مادمتَ آمناً   وصاحبكَ الأدنى إذا الأمرُ أعضلا

وقال أحدهم :

إن كنـــتَ مُتَّخِـــذاً خليـــلا   فتَنَـــقَّ وانتقِـــدِ الخليـــلا

مَـنْ لـم يكُـنْ لـكَ مُنْصِفـاً   فـي الـوُدِّ فـابـغِ بـه بـديـلا
ولقلَّمـا تَلْقـى اللئيـ   ـمَ عليـكَ إلا مُستطيـلا

وقال آخر :

أخـوكَ الـذي إن تـدعُـه لملمَّـةٍ   يُجِبْكَ وإن تغضب إلى السيفِ يغضبُ

وقال أحدهم :

واحـذَرْ مـؤاخـاةَ الـدَّنـيِّ لأنَّـه   يُعدي كما يُعدي الصَّحيحَ الأجربُ
واخترْ صديقكَ واصطفيه تفاخُراً   إنَّ القـريـنَ إلـى المُقـارَنِ يُنسـبُ
وَدَعِ الكَذوبَ فلا يكن لكَ صاحباً   إنَّ الكـذوبَ لبئـسَ خِـلاً يُصحَـبُ

* * *

عقوق الوالدين!!

● لنستمع إلى هذا التوبيخ والتقريع لمن لم يدخل الجنة بسبب وجود والديه عنده ، يقول المصطفى صلوات الله عليه :

« رَغِمَ أنفُ ، رَغِمَ أنفُ ، رَغِمَ أنفُ! مَنْ أدرَكَ أبويه عندَ الكِبَر ، أحدهما أو كليهما فلم يدخلِ الجنةَ »[١] .

● إنه إنكار الجميل كلِّه ، إنه التجرُّد عن كل ما يمتُّ للأخلاق الحميدة بصلة ، لقد أخبر المصطفى صلوات الله عليه عن ذلك بقوله :

« الكبائر : الإشراكُ بالله ، وعقوقُ الوالدين ، وقتلُ النفس ، واليمين الغموس »[٢] .

---

(١) حديث متفق عليه .
(٢) رواه البخاري والترمذي ، واليمين الغموس : اليمين الكاذبة التي تغمس حالفها في النار .

ثم يحذِّر النَّبي الأعظم من ذلك تحذيراً شديد اللهجة ، ومتنوِّع الأغراض ، ويوصل الأمر إلى أن الغضب من الله سينزل على من سبَّب الشَّتم لوالديه!!

يقول عليه الصلاة والسلام : « مِنَ الكبائرِ أن يشتُمَ الرجلُ والديه ، قالوا : وكيف يشتمُ الرجلُ والديه ؟ قال : يسبُّ أبا الرجلِ فيسبُّ أباه ، ويسبُّ أمَّهُ فيسبُّ أمَّه »[1] .

● إذاً فماذا أُعدَّ للعاقِّ يوم القيامة ؟

سواءً كان العقوق طويل المدة أو قصيراً ، فالكلُّ يوصل إلى نار جهنم ، ـ والعياذ بالله تعالى ـ وهذا ما تؤيِّده أحاديث المصطفى صلوات الله عليه ، منها :

« مَنْ هاجرَ أحدَ والديه ساعةً من نهارٍ كانَ من أهلِ النار حتى يتوب »[2] .

ومنها قوله صلوات الله عليه :

« ليلةَ أسرى بي ربِّي رأيتُ أقواماً مُعلَّقين في جذوعٍ من النار ، فقلتُ : مَنْ هؤلاء يا جبريل ؟ قال : الذين يشتمون آباءهم وأمهاتهم في الدنيا » .

وما أجمل قول الشاعر في ذلك :

والوالدين فأكرِمْ تنجُ من ضَررٍ ... ولا تكن نَكِداً تستوجِبُ النِّقَما

* * *

---

(١) حديث متفق عليه .

(٢) رواه الربيع .

ما هي أقلُّ مدّةٍ للحمل ؟

جاء في كتاب مع الطب في القرآن الكرَيم ما يلي :

سبق القرآن الطبَّ بتقريره أنَّ أقلَّ مدةٍ للحمل ستة أشهر ، وذلك في قوله تعالى :

﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ ﴾

[الأحقاف : ١٥] .

وقوله تعالى :

﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ ﴾

[البقرة : ٢٣٣] .

وقوله تعالى :

﴿ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ [لقمان : ١٤] .

فإذا حذفنا مدة الإرضاع الكاملة ، وهي حَوْلان أي (٢٤) أربعةٌ وعشرون شهراً من (٣٠) ثلاثين شهراً ، التي هي مدة الحمل والإرضاع ، فإنه يبقى ستة أشهر للحمل ، وهي أقلُّ مدةٍ للحمل يمكن للجنين أن يبقى حياً إذا وُلد بتمامها .

وقد اعتمد الصحابة على هذا الفهم ، إذ رُوي أن رجلاً تزوّج امرأةً فولدت لستة أشهر ، فهمَّ عثمان بن عفان رضي الله عنه بتطبيق حدِّ الزنى عليها ظنّاً منه أنَّ بداية حملها قبل الزواج ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما : أما إنها لو خاصمتكم بكتاب الله لخصمتكم ، ألم يقل الله تعالى :

﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ ﴾ [الأحقاف : ١٥] .

وقوله : ﴿ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان : ١٤] .

فلم يبق للحمل إلا ستة أشهر ، فَبُرِّئت المرأة .

وقد قرَّر الأطباء أنَّ أقل مدة للحمل يمكن أن يبقى بعدها الجنين حيّاً إذا وُلد بتمامها هي ستة أشهر ، فالولادة قبلها تُسمى إسقاطاً ، والجنين فيها غير قابل للبقاء حيّاً ، والولادة بعدها وقبل تمام الحمل لتسعة أشهر أو (٢٧٠) مائتين وسبعين يوماً تُسمى خداجاً أو ولادة مبكِّرة ، والخديج قابل للبقاء حياً ، ولكن الطب يوصي بعناية خاصة به .

❊ ❊ ❊

نَوْحُ الحمام!!

كان في بني إسرائيل رجل عابد في كهف جبل لا يراه الناس ولا يراهم ، وعنده عين ماء يتوضأ منها ويشرب ، ويقتات من نبات الأرض ، وهو صائم طول النهار قائم بالليل ، لا يفتر عن العبادة ، وعليه آثار السعادة ، فسمع به موسى (عليه السلام) فقصده في النهار فوجده مشغولاً بالصلاة والأذكار ، فقصده بالليل فوجده مستغرقاً في مناجاة العزيز الغفّار ، فسلَّم عليه موسى وقال : يا هذا ارفق بنفسك ، فقال : يا نبي الله أخاف أن أؤخذ على غفلة نحبي وأكون مقصِّراً في خدمة ربي . فقال موسى : هل لكَ من حاجة ؟ قال : سل مولاك أن يعطيني رضاه ، ولا يشغلني بسواه حتى ألقاه ، فصعد موسى إلى المناجاة ، واستغرق في لذَّة كلام مولاه ، فنسي قول العابد ، فقال له الحق سبحانه وتعالى : ماذا قال لك عبدي العابد ؟ فقال : إلهي أنتَ أعلمُ ، سألني أن تعطيه رضاك ولا تشغله بسواك حتى يلقاك ، فقال : يا موسى اذهب إليه وقل له يتعبَّد ما يشاء في الليل والنهار فهو من أهل النار ، لما سبق له عندي من الذنوب

والأوزار!! فأتاه موسى فأخبره بقول ربِّه وما سبق من عظيم ذنبه ، فقال : مرحباً بقضاء ربِّي وحكمه ، وكل شيء بعينه وعلمه لا مردَّ لأمره ، ولا معقِّب لحكمه ، ثم بكى بكاءً شديداً ، وقال : يا موسى ، وعزَّته وجلاله ما برحتُ عن بابه ، ولا حلت عن جنابه ، ثم أنشد :

لـو قطَّعنـي الغـرامُ إرْبـاً إرْبـا ... مـا ازدَدْتُ علـى الغـرامِ إلا حُبّـا

لازلـتُ بـه أسيـرُ وجـدي ... حتـى أقضـي علـى هـواه نَحْبـا

فلما صعد موسى إلى المناجاة وقال : إلهي أنتَ أعلمُ بما قال العابد ، قال : يا موسى بشِّره بأنه من أهل الجنة ، فقد أدركته الرحمة والمنَّة ، وقل له تلقَّيتَ قضائي بالصبر والرضا ، ورضيتَ منِّي بأصعب حكم وقضا ، فلو ملأتْ ذنوبك السموات والأرض لغفرتها لكَ وأنا الكريم الغفَّار ، فلما بلَّغه موسى ذلك خرَّ ساجداً وحمد ربَّه ، ومازال في سجوده حتى قضى نحبه :

نَوْحُ الحمامِ على الغُصونِ شجاني ... ورأى العذولُ صبابَتي فبكاني

إنَّ الحمامَ ينوحُ من خوفِ النَّوى ... وأنـا أنـوحُ مخـافَـةَ الـرَّحمـنِ

فلئنْ بكيتُ فلا أُلامُ على البُكا ... ولطالما استغرَقْتُ في العِصْيانِ

يا ربِّ عبدُكَ من عذابِكَ مُشفِقٌ ... بـكَ مُستجيـرٌ مـن لظـى النِّيـرانِ

فـارحـمْ تضـرُّعَـهُ إليـكَ وحُـزنَـهُ ... وامنُـنْ عليـه اليـومَ بـالغُفْـرانِ[1]

* * *

---

(١) من الروض الفائق : للعلامة الحريفيش رحمه الله .

من فوائد غضّ البصر :

● عدَّد ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى فوائد غضِّ البصر :

١ـ امتثال أمر الله تعالى ، وهذا غاية السعادة .

٢ـ يمنع وصول أثر السهم المسموم (سهم إبليس اللعين) .

٣ـ يقوِّي القلب ويُفرحه بما أعدَّه الله جزاءً لمن غضَّ البصر .

٤ـ يورث في القلب أُنساً في الله واجتماعاً عليه ، وعندها تحصل الطمأنينة .

٥ـ يُكسب القلب نوراً « أورثتُه نوراً يجدُ حلاوتَه في قلبه » .

٦ـ يورث القلب الفراسة الصادقة : لأنه صفي عن شوائب ووسوسات الشيطان .

٧ـ يسدُّ على الشيطان مداخله .

٨ـ إنَّ بين القلب والعين منفذاً يوجب انفعال أحدهما بالآخر ، وقد صدق الشاعر :

قالوا : جُنِنْتَ بمَنْ تهوى فقلتُ لهم العشـقُ أعظَـمُ ممّـا بـالمجـانيـنِ
العِشقُ لا يستفيقُ الدّهرَ صاحبُه وإنَّما يصرَعُ المجنونُ في الحينِ

● أما الإمام الشافعي رحمه الله تعالى فقد حدثت معه قصة غريبة :

فقد اعتاد الإمام أن يحفظ أيَّ شيء يقرؤه من المرة الأولى ، لكن فوجئ ذات يوم أنه اضطرَّ لإعادة القراءة مرتين كي يحفظ ؟!

فلجأ إلى أستاذه (وكيع) يسأله عن السرِّ ؟ فقال الأستاذ : هل وقعت عينك على ما حرَّم الله ؟ وتذكَّر الشافعي وقال : نعم ، لقد وقعت عيناي على كعب امرأةٍ أجنبية!!!

فقال الأستاذ له : هذه هي نتيجة عدم غضّ البصر يا شافعي ، اذهب وتوضأ واسأل الله المغفرة والتوبة وعاهده أن لا تعود إلى ذلك .

عندها أنشد الشافعي قائلاً :

شكوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حفظي فأرشَدَني إلى تركِ المعاصي
وأخبرني بأنَّ العلمَ نورٌ ونورُ الله لا يُؤتَى لعاصي

* * *

التسامح الديني :

جاء في كتاب من روائع حضارتنا ما يلي :

إن من مبادىء الحضارة الإسلامية في التسامح الديني :

١ـ أنَّ الأديان السماوية كلها تستقي من معين واحد : كما في قوله تعالى :

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورى : ١٣] .

٢ـ أنَّ الأنبياء إخوة لا تفاضل بينهم من حيث الرسالة ، وأن على المسلمين أن يؤمنوا بهم جميعاً :

﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة : ١٣٦] .

٣ـ وأن العقيدة لا يمكن الإكراه عليها : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

٤ـ كل أماكن العبادة محرَّمة ويجب الدفاع عنها :

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [الحج : ٤٠] .

٥ـ الاختلاف في الأديان يوحي بالتعاون بينها لا القتال أو التعدي بعضها على بعض :

﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾ [المائدة : ٢] .

٦ـ التفاضل بين الناس وعند الله بمقدار ما يقدِّم أحدهم لنفسه وللناس من خيرٍ وبر :

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

٧ـ الاختلاف في الأديان لا يحول دون البرِّ والصلة والضيافة :
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [المائدة : ٤] .

٨ـ الاختلاف في الأديان يجب أن يؤدي إلى أن يجادلوا بعضهم بالحسنى : ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٦] .

٩ـ فإذا اعتُدي على الأمَّة في عقيدتها ، وجب ردُّ العدوان لحماية العقيدة ودرء الفتنة :

﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ ﴾ [البقرة : ١٩٣] .

٢٠ـ فإذا انتصرت الأمة على من اعتدى عليها في الدين ، أو أراد سلبها حريتها ، فلا يجوز الانتقام منهم بإجبارهم على ترك دينهم ، أو اضطهادهم في عقائدهم ، وحسبهم أن يعترفوا بسلطان الدولة ويقيموا على الإخلاص لها حتى يكون « لهم ما لنا ، وعليهم ما علينا » .

الجبال والأرض :

يقول العلم :

لولا الجبال لاختلَّ توازن الأرض في دورانها ، فهذه الجبال التي نراها ، لها جذور عميقة في الأرض ، تغوص فيها بأضعاف حجمها الظاهر للعيان ، بعد هذا لنقرأ قوله عز وجل :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ﴾ [الرعد : ٣] .

﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [النحل : ١٥] .

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان : ١٠ـ ١١] .

﴿ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣١] .

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴾ [المرسلات : ٢٥ـ ٢٧] .

آيات كثيرة ، ما ذكرت الأرض فيها إلا وذكرت الجبال الرواسي (فيها) أي بداخلها ، في باطنها ، تحفظ توازن الأرض ﴿ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ [لقمان : ١٠] .

وما ذكر الله عز وجل الجبال ، إلا وذكر معها الأنهار ، لأنه من ذوبان الثلوج ـ التي هي مثل خزانات ومستودعات مياه ضخمة على قمم الجبال ـ تبدأ الأنهار في تشكُّلها ، حيث تتسرَّب في باطن الأرض ثم تظهر على شكل ينابيع(١) .

---

(١) من كتاب الإنسان بين العلم والدين : شوقي أبو خليل .

أجبْ دعوتي يا سيدي واقضِ حاجتي :

إليــه بــه سُبحــانَــهُ أتــوسَّــلُ وأرجو الذي يُرجى لديه وأسألُ

وأُحسن قصدي في خُضوعي وذلَّتي لــه وعليــه وحْــدَهُ أتــوكَّــلُ

وأصحبُ آمالي إلى فَضْلِ جوده وأُنزِلُ حاجاتي بمَنْ ليسَ يبخَلُ

فسُبحــانــهُ مــن أوَّلٍ وهــو آخِــرٌ وسُبحــانــه مــن آخِــرٍ هــو أوَّلُ

وسبحانَ مَنْ تعنو الوجوه لوجهه ومَــنْ كــلُّ ذي عــزٍّ لــه يتــذلَّــلُ

ومَــنْ هــو فــردٌ لا نظيــرَ لــه ولا شبيــه ولا مثــلٌ بــه يتمثَّــلُ

ومَنْ كلَّتِ الأفهامُ عن وصفِ ذاتِه فليسَ لها في الكَيْفِ والأينِ مَدْخلُ

تكفَّـلَ فضـلاً لا وجـوبـاً بـرزقِـه على الخلقِ فهو الرزَّاقُ المتكفِّلُ

ولم يأخذ العبدَ المُسيءَ بذنبِهِ ولكنَّـه يُـرجـى لأمـرٍ ويُمهِـلُ

حليــمٌ عظيــمٌ راحــمٌ متكــرِّمٌ رؤوفٌ رحيــمٌ واهــبٌ مُتطــوِّلُ

جــوادٌ مجيــدٌ مُشفــقٌ متعطِّــفٌ جليــلٌ جميــلٌ منعــمٌ متفضِّــلُ

له الرَّاسيات الشُّمُّ تهبِطُ خشيةً وتنشقُّ عن ماءٍ يسيحُ ويُخضلُ

وأنشأ من لا شيءَ سُحُباً هواطِلاً يُسبِّــحُ فيهــا رَعْــدُهــا ويُهلِّــلُ

وأحيا نواحي الأرض من بعدِ موتِها بمنسجـم غيثـاً مـن السُّحـبِ يَهمـلُ

وأجرى بلا نفخٍ رياحاً لواقِحاً تسيرُ بلا شخصٍ يُحاطُ ويعقِلُ

حنانَيْكَ يا مَنْ فضلُهُ الجمُّ فائضٌ ومَنْ جودُه الموجودُ للخلقِ يَشمُلُ

ويا غافِرَ الزلاتِ وهي عظيمةٌ ويا نافِذَ التدبيرِ ما شاءَ يفعلُ

أجِبْ دعوتي يا سيِّدي واقضِ حاجَتي سريعاً فشأْنُ العبدِ يدعو ويعملُ

فما حاجتي إلا التي قد علمتَها وإن عظُمَتْ عِندي فعندَكَ تسهُلُ

فجـودُكَ يـا ذا الكبـريـاءِ مـؤمَّـلٌ وحبلُكَ للرَّاجينَ بالخيرِ يوصَلُ[1]

---

(١) للشاعر الفقيه : عبد الرحيم البرعي اليميني .

قد قَبِلْنا الحجيج من أجلك!!

جاء في كتاب الروض الفائق ما يلي :

وقيل إنَّ رابعة العدوية رحمها الله حجَّت إلى بيت الله الحرام حافية تمشي على الأقدام ، وتؤثر بما يفتح الله عليها من الطعام ، فلما وصلت إلى الكعبة خرَّت مغشيّاً عليها ، فلما أفاقت وضعت خدَّها على البيت وأنشدت تقول :

هــذه دارُهُــم وأنــتَ مُحِــبٌّ ... مـا بقـاءُ الـدُّمـوعِ فـي الآمـاقِ

ثم إنها طافت وسعت ، فلما أرادت الوقوف بعرفة حاضت فبكت ، وقالت : يا سيدي ومولاي ، لو وقع لي هذا من غيرك لشكوته إليك ، فكيف وقد وقع لي منك ، فسمعت هاتفاً يقول : يا رابعة قد قبلنا الحجيج كلهم من أجلكِ ، وجبرناهم لأجل كسركِ :

أقـامَ الهـوى العُـذْريُّ فيكـمُ عُـذْرا ... فمن أجلٍ ذا لم أستَطِعْ عنكمُ صَبْرا

وأصبحتُ مشغـوفاً أتيهُ على الـوَرى ... وأوسِعُ مَنْ قد لامَني في الهوى عُذْرا

فإنْ كنتُ أصغَى للعذولِ فعاذِرٌ ... على أنَّه بالحالِ من غيرِهِ أدْرى

ولي قمرٌ في أرضِ نَجْدٍ محلُّهُ ... على أنَّه قد أخْجَلَ الشمسَ والبدرا

ولمّـا تبـدَّى حُسْنُـه وجمـالُـه ... ولاحَ لعينـي نـورُ طَلْعَتِـهِ الغَـرّا

وهَبْتُ له روحي وقلتُ لكَ الحشا ... محلُّكَ يا مَنْ حُسْنُه حَيَّرَ الفِكْرا

إذا قالَ يا عبدي أقولُ ذكرتَني ... وسمَّيتنـي عبـداً وشـرَّفْتَنـي قَـدْرا

ومَنْ أنا يا مولاي حتى ذكرتَني ... لقد تمَّ إسعادي وذا أوَّلُ البُشْرى

فيا ربُّ بالهادي البشير الذي رقى ... على ذُروة الأفلاكِ في ليلةِ الإسرا

وأرسَلْتَـهُ فينـا بشيـراً ومُنـذِراً ... ومازالَ في يومِ المعادِ لنا ذُخْرا

أذِقْنا جميعاً بَرْدَ عفوِكَ واهْدِنا ... إلى خيرِ أسبابٍ بها نَغْنَمُ الأجْرا
وشَفِّعْهُ فينا من ذُنوبٍ تراكمتْ ... وقد أثْقَلَتْ منّا الكواهِلَ والظَّهْرا
نبيٌّ له في المُعجِزاتِ خَوارِقٌ ... تُحيِّرُ في إدراكِها العقلَ والفكرا
فضائِلُ لو أنَّ الورى كُلِّفوا بها ... بياناً وحَصْراً ما أطاقوا لها حَصْرا
عليـه سـلامُ الله ما هبَّـتِ الصَّبـا ... وما حملَتْ من طَيْبَةٍ للورى نَشْرا

* * *

هل كان رسول الله يمزح ؟

نعم ، لكن مزاحه كان ضمن الخط الصحيح ، فها هو ذا يقول عليه الصلاة والسلام :

« إني لأمزحُ ولا أقولُ إلا حقّاً »[1] .

لكنه حذَّر الأمَّة من المزاح والضحك الكثير فيقول صلوات الله عليه :

« إيَّـاكَ وكَثـرةَ الضَّحـكِ ، فـإنَّـه يُميـتُ القلـبَ ، ويـذهـبُ بنـور الوجه »[2] .

ثم يقول في مكان آخر :

« الصَّمتُ سيِّدُ الأخلاقِ ، ومَنْ مزحَ استُخِفَّ به »[3] .

ثم تحدِّثنا السيدة عائشة رضي الله عنها عن مزاح الرسول ﷺ فتقول :

---

(١) رواه الطبراني .

(٢) رواه الترمذي وأحمد والبيهقي .

(٣) رواه الديلمي .

(ما رأيتُ رسول الله مستجمعاً قطُّ ضاحكاً حتى ترى منه لهواته ، إنما كان يبتسم)[1] .

وإليكَ طرفاً من مزاحه ﷺ مع أصحابه :

بينما كان رسول الله ﷺ يسير في بعض أسواق المدينة ، رأى زاهر بن حزام رضي الله عنه وهو يشتري بعض الأمتعة ، فاقترب من ورائه ، واحتضنه من غير أن يراه ، وقال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ يشتري هذا العبد » ؟

والتفتَ زاهر هذا إلى الخلف! فإذا هو برسول الله فضحك!! وقال : يارسول الله! أتجدني كاسداً لتبيعني في السوق ؟

لكن النَّبي ﷺ أراد أن يُمازحه ويُداعبه فقال له :

« لا ، ربيح عندَ الله إن شاء الله » .

* * *

هل القرآن هو الفرقان ؟

قال الجوهري في الصحاح[2] :

« الفرقان : القرآن ، وكل ما فرق به بين الحق والباطل فهو فرقان ، ولهذا قال الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾[3] [الأنبياء : ٤٨] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) فروق اللغات : نور الدين الجزائري ص ١٩٠ .

(٣) وتكملة الآية قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٨] .

والفرق : الفرقان أيضاً ، ونظيره : الخسر والخسران » .

وقال العسكري في الفروق اللغوية :

« الفرق بين القرآن والفرقان : أن القرآن يفيد جمع السور ، وضم بعضها إلى بعض ، والفرقان يفيد أنه يفرق بين الحق والباطل والمؤمن والكافر » .

وقال المحدِّث ابن سنان : « سألت أبا عبد الله رضي الله عنه عن الفرق بينهما ؟

فقال : القرآن جملة الكتاب ، والفرقان : المحكم الواجب العمل به » .

وقد ذكر المفسِّرون لتسمية القرآن بالفرقان وجوهاً منها :

- أنه سُمِّي به لنزوله متفرِّقاً مدة من الزمان .
- أنه مفروق بعضه عن بعض ، لأنه مفصَّل بالسور والآيات .
- افتراقه عن سائر المعجزات ببقائه على صفحات الأيام والدهور .
- فرقه بين الحق والباطل ، والحلال والحرام .

* * *

ورع... وأمانة... لا مثيل لهما :

(مبارك) والد (عبد الله) الرجل المشهور[١] كان يعمل في بستان لمولاه وأقام فيه زماناً ، ثم جاءه مولاه مرةً ومعه ضيوف فقال له :

يا مبارك! نريد رماناً حلواً . وذهب مبارك وأحضر رماناً ، فلما كسروه وجدوه حامضاً ، وكرر العملية ثلاثاً . . والرمان حامض! فزجره سيده وقال له : أنت ما تعرف الحلو من الحامض ؟

---

(١) بتصرف ص ٤٤ عبد الله بن المبارك : محمد عثمان جلال .

قال : لا ، لأني ما أكلتُ منه شيئاً حتى أعرفه!

فقال : ولِمَ لم تأكل ؟

قال : لأنك ما أذنت لي بالأكل منه . . .

تعجَّب صاحب البستان والضيوف ، وزاد تعلُّقه بـ (مبارك) لورعه وأمانته ، وكان عند صاحب البستان بنت .

فقال : يا مبارك ، من ترى تزوج هذه البنت ؟

قال : أهل الجاهلية كانوا يزوِّجون للحسب ، واليهود للمال ، والنصارى للجمال ، وهذه الأمَّة للدين .

فأعجبه عقله وذهب فأخبر بها أمها وقال لها :

ما أرى لهذه البنت زوجاً غير (مبارك) .

وبالفعل تزوَّجها ، وبارك الله فيهما ، وكان (عبد الله بن المبارك) مباركاً فعلاً . . فرضي الله عنهما ورحمهما . . .

* * *

الإمام النووي.. والظاهر بيبرس[1]:

لما خرج الظاهر بيبرس[2] إلى قتال التتار بالشام أخذ فتاوي العلماء بجواز أخذ مال من الرعية يستنصر به على قتالهم ، فكتب له فقهاء الشام بذلك فأجازوه .

---

(١) بتصرف من أخلاق العلماء ج ٩ ص ١٧٥ .

(٢) بيبرس : أحد قادة المماليك البارزين ، والذين كان لهم الفضل في دحر التتار الذين أسقطوا الخلافة في بغداد عام ٦٥٦ هـ ، وكان له الدور الكبير في معركة عين جالوت التي نصر الله بها المسلمين على التتار . . .

فقال بيبرس : هل بقي أحد ؟ قالوا : نعم ، الشيخ محيي الدين النووي[1] .

فطلبه فحضر ، فقال له : لِمَ امتنعتَ عن ذلك ؟

قال النووي : أنا أعرف أنك كنت في الرق للأمير (بندقدار) وليس لك مال ، ثم منَّ الله عليك فجعلك ملكاً ، وسمعتُ أن عندكَ ألف مملوك ، كل واحد له حياصة من ذهب ، وعندكَ مئتا جارية لكل جارية حق من الحلي ، فإذا أنفقتَ ذلك كله وبقيت المماليك بالبنود والصرف بدلاً من الحوائص ، وبقيت الجواري بثيابهنَّ دون الحلي ، أفتيتكَ بأخذ المال .

فغضب بيبرس من كلام النووي وقال له : اخرج من بلدي دمشق .

قال : السمع والطاعة ، وخرج إلى بلدة (نوى) .

فقال الفقهاء لبيبرس : إن النووي من كبار علمائنا وصلحائنا وممّن يُقتدى به ، فأعده إلى دمشق .

فأصدر أمراً بإعادته إلى دمشق ، لكن الإمام النووي رحمه الله تعالى قال : لا أدخلها والظاهر بيبرس فيها .

وتشيء إرادة الله فيموت بعد شهر من ذلك .

* * *

---

(١) هو الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي ، ولد عام (٦٣١ هـ) ، وعاش حياة مليئةً بتحصيل العلوم الشرعية ، والزهد والورع ، له مؤلفات كثيرة منها : الأذكار ، ورياض الصالحين ، والمجموع في الفقه وغيرها ، توفي عام (٦٧٦ هـ) عن عمر يُقارب (٤٥ عاماً!!) .

إلهي!

إلهي : لو دعوتني إلى النار لأجبتُكَ ، وافتخرتُ بكَ ، فكيف وقد دعوتَني إلى نفسك ؟

إلهي : إن قرَّبتَني منكَ ، فمن ذا الذي يُبعدُني عنكَ ؟ وإن أعززتَني بكَ ، فمن ذا الذي يذلُّني ؟ وإن رفعتَني إليكَ فمن الذي يضعُني ؟

إلهي : مَنْ أرهبُ وأنتَ مولاي ؟ ولمن أرجو وأنتَ مُناي ؟ وبمن أستأنسُ وأنتَ جليسي ؟ فبكَ عليكَ أن تتفضَّلَ بإتمام فضلكَ ، يا نِعْمَ المولى! ونِعْمَ النَّصير . .

إلهي : سِرِّي عندكَ مكشوف ، وأنا إليكَ ملهوف ، وأنتَ بالجود معروف ، وبالكرم موصوف .

إلهي : أنتَ أنيسُ المستأنسين من أحبابكَ ، ومأوى المرهوبين من أصفيائكَ ، وجليس الملهوفين من أوليائكَ .

إلهي : ما أطيبَ معرفتكَ في قلوب العارفين ، وما أحلى ذكركَ في أفواه الذَّاكرين ، وما أحلى مودَّتكَ في أسرار المُحِبِّين .

إلهي : أنتَ الذي لا تُبطِلُ أملَ الآملين ، ولا يخفى عليكَ أحوال المُريدين ، ولا يخيبُ لديكَ رجاء المُنيبين[1] .

وصلى الله على الشفيع النذير .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

---

(١) من أدعية الإمام أحمد الرفاعي : حالة أهل الحقيقة مع الله ٣١٠ .

المصادر والمراجع

١ ـ تفسير القرآن العظيم : للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي .

٢ ـ الجامع الصحيح : للإمام محمد بن إسماعيل البخاري .

٣ ـ الإتقان في علوم القرآن : للإمام الحافظ السيوطي .

٤ ـ الأدب المفرد : للإمام البخاري ، ط/ دار الكتب العلمية .

٥ ـ البداية والنهاية : لابن كثير ، ط/ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٦ ـ الفقه الإسلامي وأدلته : للدكتور وهبة الزحيلي .

٧ ـ فتح الباري : للحافظ ابن حجر العسقلاني .

٨ ـ السيرة النبوية : لابن هشام ، الطبعة المصرية .

٩ ـ مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة : للسيوطي .

١٠ ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح : لابن قيّم الجوزية .

١١ ـ الأخلاق الإسلامية للناشئة (١ـ٤) ، ط/ دار المحبة بدمشق .

١٢ ـ إحياء علوم الدين : لحجة الإسلام الغزالي ، الطبعة المصرية .

١٣ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : لأبي نعيم الأصبهاني .

١٤ ـ علي بن أبي طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين .

١٥ ـ تاريخ الخلفاء : للحافظ جلال الدين السيوطي .

١٦ ـ مدارج السالكين : لابن قيم الجوزية .

١٧ ـ العقد الفريد : لابن عبد ربه .

١٨ ـ مناقب الإمام أحمد بن حنبل : لابن الجوزي .

١٩ ـ روائع القرآن : للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي .

٢٠ ـ التوبة والاستغفار عند ابن تيمية ، ط/ دار الكتاب العربي ببيروت .
٢١ ـ وفيات الأعيان : للعلامة ابن خلكان .
٢٢ ـ الصارم المسلول على شاتم الرسول : لابن تيمية .
٢٣ ـ حياة الحيوان : للدميري .
٢٤ ـ الفرج بعد الشدة : لابن أبي الدنيا .
٢٥ ـ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء : لابن حبان البستي .
٢٦ ـ سيرة عمر بن عبد العزيز : لابن عبد الحكم .
٢٧ ـ المستطرف في كل فن مستظرف : للعلامة الأبشيهي .
٢٨ ـ المسيرة التاريخية لتطبيق الزكاة .
٢٩ ـ الخراج : للإمام أبي يوسف ـ يعقوب بن إبراهيم ـ .
٣٠ ـ الآثار : للإمام محمد بن الحسن الشيباني .
٣١ ـ طبقات الشافعية الكبرى : للإمام السبكي .
٣٢ ـ الأشباه والنظائر : للعلامة ابن نجيم .
٣٣ ـ محمد المثل الكامل : لمحمد أحمد جاد المولى .
٣٤ ـ مع الطب في القرآن الكريم .
٣٥ ـ العبودية عند ابن القيم .
٣٦ ـ الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب : للحافظ السيوطي .
٣٧ ـ المستغيثون بالله عند الحاجات والمهمات : لابن بشكوال .
٣٨ ـ المستجاد من فعلات الأجواد : للقاضي التنوخي .
٣٩ ـ الوابل الصيّب من الكلم الطيب : لابن القيم .
٤٠ ـ الإمام أبو حنيفة : للعلامة محمد أبو زهرة .
٤١ ـ مكارم الأخلاق عند ابن تيمية .
٤٢ ـ الأذكياء : لأبي الفرج ابن الجوزي .
٤٣ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر : للمسعودي .

٤٤ ـ حالة أهل الحقيقة مع الله : للإمام الكبير أحمد الرفاعي .
٤٥ ـ سراج الملوك : للطرطوشي .
٤٦ ـ قبسات من حياة الرسول : أحمد عساف .
٤٧ ـ فروق اللغات : نور الدين الجزائري .
٤٨ ـ الروض الفائق : للشيخ الحريفش ، ط/ دار البشائر .
٤٩ ـ شرح العقيدة الطحاوية : للقاضي أبي العز الدمشقي .
٥٠ ـ عيون الأخبار : لابن قتيبة .
٥١ ـ مجموع الفتاوي الكبرى : لشيخ الإسلام ابن تيمية .
٥٢ ـ صفة الصفوة : للحافظ ابن الجوزي .
٥٣ ـ أدب المعدمين في كتب الأقدمين : لسالم الدباغ .
٥٤ ـ صبح الأعشى : للقلقشندي .
٥٥ ـ التوبة والإنابة عند ابن قيم الجوزية .
٥٦ ـ لطائف المنن : لابن عطاء الله السكندري .
٥٧ ـ قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة : للشيخ محمد الغزالي .
٥٨ ـ الطب الروحاني : للحافظ ابن الجوزي .
٥٩ ـ مكارم الأخلاق : للعلامة الحافظ ابن أبي الدنيا .
٦٠ ـ أقباس روحانية : لمحمود شيت خطاب .
٦١ ـ شرح نهج البلاغة : لابن أبي الحديد .
٦٢ ـ المجموع : للإمام النووي .
٦٣ ـ البيان والتبيين : للجاحظ .
٦٤ ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان : لعبد الله بن أسعد المكي .
٦٥ ـ ديوان الإمام الشافعي .
٦٦ ـ ومضات من حياة السجاد زين العابدين ـ علي بن الحسين ـ .
٦٧ ـ قصص العرب : لمحمد أحمد جاد المولى ورفاقه .

٦٨ ـ أدب الدنيا والدين : للماوردي .
٦٩ ـ ديوان البرعي اليمني (شاعر وفقيه) : لجواد المرابط .
٧٠ ـ نصوص من الأدب العباسي (كتاب جامعي) للدكتور الربداوي .
٧١ ـ الإنسان بين العلم والدين : للدكتور شوقي أبو خليل .
٧٢ ـ ديوان الأسرار والرموز : للشاعر الكبير محمد إقبال .
٧٣ ـ ديوان أحمد شوقي .
٧٤ ـ كلستان (روضة الورد) : لسعدي الشيرازي .
٧٥ ـ تذكرة الحفاظ : للحافظ الذهبي .
٧٦ ـ الفتح الرباني : للشيخ عبد القادر الجيلاني .
٧٧ ـ ذيل طبقات الحنابلة : للحافظ ابن رجب الحنبلي .
٧٨ ـ ترتيب المدارك : للقاضي عياض .
٧٩ ـ الاستعداد ليوم الميعاد : للإمام ابن حجر العسقلاني .
٨٠ ـ من روائع حضارتنا : للدكتور مصطفى السباعي .
٨١ ـ رد المحتار على الدر المختار : للعلامة ابن عابدين .
٨٢ ـ الموسوعة الاقتصادية الإسلامية : للدكتور محمد الجمّال .
٨٣ ـ المغني : لابن قدامة المقدسي .
٨٤ ـ فتوح البلدان : للبلاذري .
٨٥ ـ تاريخ الإسلام السياسي : للدكتور حسن إبراهيم حسن .
٨٦ ـ الإصابة في تمييز الصحابة : لابن حجر .
٨٧ ـ تاريخ الأمم والملوك : للإمام الطبري .
٨٨ ـ تاريخ الدولة الأموية : للشيخ محمد الخضري .
٨٩ ـ القاموس المحيط : للفيروزابادي .
٩٠ ـ سير أعلام النبلاء : للإمام الذهبي .

٩١ ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : للعلامة علي المتقي الهندي .
٩٢ ـ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع : للكاساني .
٩٣ ـ الأحكام السلطانية والولايات الدينية : للقاضي أبي الحسن الماوردي .
٩٤ ـ المنتقى شرح الموطأ : للقاضي أبي الوليد سليمان الباجي .
٩٥ ـ المحلى : للإمام ابن حزم الأندلسي .
٩٦ ـ الأموال : لأبي عبيد القاسم بن سلام .
٩٧ ـ الحلال والحرام : للدكتور يوسف القرضاوي .
٩٨ ـ الإحكام في أصول الأحكام : لأبي الحسن علي الآمدي .
٩٩ ـ الموافقات في أصول الشريعة : للإمام الشاطبي .
١٠٠ ـ الدعوة إلى الإسلام ـ لتوماس أرنولد ـ ترجمة د . حسن إبراهيم حسن .
١٠١ ـ الأعلام : للأستاذ خير الدين الزركلي .
١٠٢ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة : للشيخ الألباني .
١٠٣ ـ فتح الخلاق في مكارم الأخلاق : للدجوي .
١٠٤ ـ ديوان الإمام علي بن أبي طالب .

* * *

المحتوى